جامع البيان
عن تأويل آي القرآن

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفاسير

الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء السابع والعشرون

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

(٥١) سورة الذاريات مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل ضيف إبراهيم لزوجته إذ قالت لهم، وقد بشّروها بغلام عليم: أتلد عجوز عقيم ﴿قالُوا كَذلِكِ قالَ رَبُّكِ﴾ يقول: هكذا قال ربك: أي كما أخبرناك وقلنا لك: ﴿إنَّهُ هُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾ والهاء في قوله: «إنه» من ذكر الربّ، هو الحكيم في تدبيره خلقه، العليم بمصالحهم، وبما كان، وبما هو كائن.

وقوله: ﴿قالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أيُّها المُرْسَلُونَ﴾ يقول: قال إبراهيم لضيفه: فما شأنكم أيها المرسلون ﴿قالُوا إنَّا أُرْسِلْنا إلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ قد أجرموا لكفرهم بالله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ﴾ يقول: لنمطر عليهم من السماء حجارة من طين ﴿مُسَوَّمَةً﴾ يعني: معلّمة. كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ للمُسْرِفِينَ﴾ قال: المسوّمة: الحجارة المختومة، يكون الحجر أبيض فيه نقطة سوداء، أو يكون الحجر أسود فيه نقطة بيضاء، فذلك تسويمها عند ربك يا إبراهيم للمسرفين، يعني للمتعدّين حدود الله، الكافرين به من قوم لوط ﴿فأخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأخرجنا من كان في قرية سدوم، قرية قوم لوط من أهل الإيمان بالله وهم لوط وابنتاه، وكنى عن القرية بقوله: ﴿مَنْ كانَ فِيها﴾ ولم يجر لها ذكر قبل ذكر.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧)﴾.

يقول تعالى ذكره: فما وجدنا في تلك القرية التي أخرجنا منها من كان فيها من المؤمنين غير بيت من المسلمين، وهو بيت لوط.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَمَا وَجَدْنا فيها غَيرَ بَيْت مِنَ المُسْلِمِينَ**﴾ قال: لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم الله، ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لا ضيعة على أهله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿**فَمَا وَجَدْنا فِيها غَيرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ**﴾ قال: هؤلاء قوم لوط لم يجدوا فيها غير لوط.

حدثني ابن عوف، قال: ثنا المعتمر، قال: ثنا صفوان، قال: ثنا أبو المثنى ومسلم أبو الحيل الأشجعيّ قال الله: ﴿**فَمَا وَجَدْنا فِيها غَيرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ**﴾ لوطاً وابنتيه، قال: فحلّ بهم العذاب، قال الله: ﴿**وَتَرَكْنا فِيها آيَةً للَّذِينَ يَخافُونَ العَذَابَ الأليمَ**﴾.

وقوله: ﴿**وَتَرَكْنا فِيها آيَةً للَّذِينَ يَخافُونَ العَذَابَ الأليمَ**﴾ يقول: وتركنا في هذه القرية التي أخرجنا من كان فيها من المؤمنين آية، وقال جلّ ثناؤه: ﴿**وَتَرَكْنا فِيها آيَةً**﴾ والمعنى: وتركناها آية لأنها التي ائتفكت بأهلها، فهي الآية، وذلك كقول القائل: ترى في هذا الشيء عبرة وآية ومعناها: هذا الشيء آية وعبرة، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آياتٌ للسَّائِلِينَ**﴾ وهم كانوا الآيات وفعلهم، ويعني بالآية: العظة والعبرة، للذين يخافون عذاب الله الأليم في الآخرة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩)﴾.

يقول تعالى ذكره وفي موسى بن عمران إذ أرسلناه إلى فرعون بحجة تبين لمن رآها أنها حجة لموسى على حقيقة ما يقول ويدعو إليه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إلى فِرْعَوْنَ بِسُلْطانٍ**

مُبِينٍ﴾ يقول: بعذر مبين.

وقوله: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ يقول: فأدبر فرعون كما أرسلنا إليه موسى بقومه من جنده وأصحابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظ قائليه فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ يقول لقومه، أو بقومه، أنا أشكّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ قال: بعضده وأصحابه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ غلب عدوّ الله على قومه.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله تبارك وتعالى ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ قال: بجموعه التي معه، وقرأ ﴿لَوْ أَنَّ لي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إلى رُكنٍ شَدِيدٍ﴾ قال: إلى قوة من الناس إلى ركن أجاهدكم به قال: وفرعون وجنوده ومن معه ركنه قال: وما كان مع لوط مؤمن واحد قال: وعرض عليهم أن يُنكحهم بناته رجاء أن يكون له منهم عضد يعينه، أو يدفع عنه، وقرأ ﴿هَؤُلاءِ بَناتي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قال: يريد النكاح، فأبوا عليه، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ﴾ أصل الركن: الجانب والناحية التي يعتمد عليها ويقوَى بها.

وقوله: ﴿وَقالَ ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ يقول: وقال لموسى: هو ساحر يسحر عيون الناس، أو مجنون، به جِنَّة. وكان معمر بن المثنى يقول: أو في هذا الموضع بمعنى الواو التي للموالاة، لأنهم قد قالوهما جميعاً له، وأنشد في ذلك بيت جرير الخطفي:

أَثَعْلَبَةَ الفَوَارِسَ أَوْ رِياحا   عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ والخِشابا[1]

---

(١) البيت لجرير بن الخطفي. من قصيدة له يهجو بها الراعي النميري (ديوانه طبعة الصاوي ٦٦) قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ٢٢٧ ـ ١) عند قوله تعالى: ﴿وقالوا ساحر أو مجنون﴾ أو هاهنا في موضع الواو التي للموالاة (العطف) لأنه قد قالوهما جميعاً له قال جرير:

«أثعلبة .... البيت»

طهية كسمية: حيّ من تميم نسبوا إلى أمهم. والخشاب: بنو رزام بن مالك، وربيعة وكعب بن مالك، وحنظلة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فأخذنا فرعون وجنوده بالغضب منا والأسف ﴿فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمّ﴾ يقول فألقيناهم في البحر، فغرّقناهم فيه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ يقول: وفرعون مليم، والمليم: هو الذي قد أتى ما يُلام عليه من الفعل. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: أي مليم في نعمة الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ قال: مُليم في عباد الله.

وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «فأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُ».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وفِي عادٍ﴾ أيضاً، وما فعلنا بهم لهم آية وعبرة ﴿إذْ أرْسَلْنا عَلَيهِمُ الرّيحَ العَقِيمَ﴾ يعني بالريح العقيم: التي لا تلقح الشجر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خَصِيف، عن عكرِمة، عن ابن عباس، قال: الريح العقيم: الريح الشديدة التي لا تُلْقح شيئاً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿الرّيحَ العَقِيمِ﴾ قال: لا تلقح الشجر، ولا تثير السحاب.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، هذا الريح العقيم، قال: ليس فيها رحمة ولا نبات، ولا تلقح نباتاً.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا سليمان أبو داود، قال: أخبرنا شعبة، عن شاس، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿الرّيحَ العَقِيمِ﴾ قال: لا تلقح.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا شيخ من أهل خراسان من الأزد، ويكنى أبا ساسان، قال: سألت الضحاك بن مزاحم، عن قوله: ﴿**الرِّيحَ العَقِيمَ**﴾ قال: الريح التي ليس فيها بركة ولا تلقح الشجر.

حدثنا محمد بن عبد الله الهلاليّ، قال: ثنا أبو عليّ الحنفيّ، قال: ثنا ابن أبي ذئب، عن الحارث بن عبد الرحمن، عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول: ﴿**الرِّيحَ العَقِيمَ**﴾ الجنوب.

حدثنا أحمد بن الفرج، قال: ثنا ابن أبي فديك، قال: ثنا ابن أبي ذئب، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن يقول: العقيم: يعني: الجنوب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وفِي عادٍ إذْ أرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ**﴾ إن من الريح عقيماً وعذاباً حين ترسل لا تلقح شيئاً، ومن الريح رحمة يثير الله تبارك وتعالى بها السحاب، وينزل بها الغيث. وذُكر لنا أن رسول الله ﷺ كان يقول: «نُصِرْتُ بالصبَّا وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن ابن عباس، بمثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**الرِّيحَ العَقِيمَ**﴾ قال: الريح التي لا تنبت.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**الرِّيحَ العَقِيمَ**﴾: التي لا تلقح شيئاً.

حدثني ابن حَميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال ﴿**الرِّيحَ العَقِيمَ**﴾: التي لا تنبت شيئاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وفِي عادٍ إذْ أرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ**﴾ قال: إن الله تبارك وتعالى يُرسل الريح بُشراً بين يدي رحمته، فيحيي به الأصل والشجر، وهذه لا تلقح ولا تحيى، هي عقيم ليس فيها من الخير شيء، إنما هي عذاب لا تلقح شيئاً، وهذه تلقح، وقرأ ﴿**وأرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ**﴾. وقوله: ﴿**ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أتَتْ عَلَيْهِ إلاَّ جَعَلَتْهُ كالرَّمِيمِ**﴾ والرميم في كلام العرب: ما يبس من نبات الأرض وديس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أتَتْ عَلَيْهِ إلاَّ جَعَلَتْهُ كالرَّمِيمِ**﴾ قال: كالشيء الهالك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**كالرَّمِيمِ**﴾ قال: كالشيء الهالك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**كالرَّمِيم**﴾: رميم الشجر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**إلاَّ جَعَلَتْهُ كالرَّمِيمِ**﴾ قال: كرميم الشجر.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وفي ثمود أيضاً لهم عبرة ومتعظ، إذ قال لهم ربهم، يقول: فتكبروا عن أمر ربهم وعلَوْا استكباراً عن طاعة الله. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فَعَتَوا**﴾ قال: عَلَوْا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَعَتَوا عَنْ أمْرِ رَبِّهِمْ**﴾ قال: العاتي: العاصي التارك لأمر الله.

وقوله: ﴿**فأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ**﴾ يقول تعالى ذكره: فأخذتهم صاعقة العذاب فجأة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ**﴾ وهم ينتظرون، وذلك أن ثمود وُعِدَتِ العذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام وجُعِل لنزوله عليهم علامات في تلك الثلاثة، فظهرت العلامات التي جعلت لهم الدالة على نزولها في تلك الأيام، فأصبحوا في اليوم الرابع موقنين بأن العذاب بهم نازل، ينتظرون حلوله بهم. وقرأت قراء الأمصار خلا الكسائيّ ﴿**فأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ**﴾ بالألف. ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ ذلك «فأَخَذَتْهُمُ الصَّعْقَةُ» بغير ألف.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن السديّ، عن عمرو بن ميمون

الأَودِي، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ «فأَخَذَتْهُمُ الصَّعْقَةُ»، وكذلك قرأ الكسائي: وبالألف نقرأ الصاعقة لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فما استطاعوا من دفاع لما نزل بهم من عذاب الله، ولا قدروا على نهوض به. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَمَا اسْتَطاعُوا مِنْ قِيامٍ**﴾ يقول: ما استطاع القوم نهوضاً لعقوبة الله تبارك وتعالى.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**فَمَا اسْتَطاعُوا مِنْ قِيامٍ**﴾ قال: من نهوض.

وكان بَعْض أهل العربية يقول: معنى قوله: ﴿**فَما اسْتَطاعُوا مِنْ قِيامٍ**﴾: فما قاموا بها، قال: لو كانت فما استطاعوا من إقامة، لكان صواباً، وطرح الألف منها كقوله: أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَباتاً.

وقوله: ﴿**وَما كانُوا مُنْتَصِرِينَ**﴾ يقول: وما كانوا قادرين على أن يستقيدوا ممن أحل بهم العقوبة التي حلّت بهم. وكان قتادة يقول في تأويل ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَما كانُوا مُنْتَصِرِينَ**﴾ قال: ما كانت عندهم من قوّة يمتنعون بها من الله عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿**وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**وَقَوْمَ نُوحٍ**﴾ نصباً. ولنصب ذلك وجوه: أحدها: أن يكون القوم عطفاً على الهاء والميم في قوله: ﴿**فأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ**﴾ إذ كان كلّ عذاب مهلك تسميه العرب صاعقة، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: فأخذتهم الصاعقة وأخذت قوم نوح من قبل. والثاني: أن يكون منصوباً بمعنى الكلام، إذ كان فيما مضى من أخبار الأمم قبلُ دلالة على المراد من الكلام، وأن معناه: أهلكنا هذه الأمم، وأهلكنا قوم نوح من قبل. والثالث: أن يضمر له فعلاً ناصباً، فيكون معنى الكلام: واذكر لهم قوم نوح، كما قال: ﴿**وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ**﴾ ونحو ذلك، بمعنى أخبرهم واذكر لهم. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة «وَقَوْمِ نُوحٍ» بخفض القوم على معنى: وفي قوم نوح عطفاً بالقوم على موسى في قوله: ﴿**وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْناهُ إِلى فِرْعَوْنَ**﴾.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قرأة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارىء

فمصيب، وتأويل ذلك في قراءة من قرأه خفضاً وفي قوم نوح لهم أيضاً عبرة، إذ أهلكناهم من قبل ثمود لما كذّبوا رسولنا نوحاً ﴿**إنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ**﴾ يقول: إنهم كانوا مخالفين أمر الله، خارجين عن طاعته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والسماء رفعناها سقفاً بقوّة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**والسَّماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ**﴾ يقول: بقوّة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**بأَيْدٍ**﴾ قال: بقوّة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**والسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ**﴾: أي بقوّة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور أنه قال في هذه الآية: ﴿**والسَّماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ**﴾ قال: بقوّة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**والسَّماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ**﴾ قال: بقوّة.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**والسَّماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ**﴾ قال: بقوّة.

وقوله: ﴿**وَإنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ يقول: لذو سعة بخلقها وخلق ما شئنا أن نخلقه وقدرة عليه. ومنه قوله: ﴿**عَلى المُوسعِ قَدَرُهُ وَعن المُقْتِرِ قَدَرُهُ**﴾ يراد به القويّ. وقال ابن زيد في ذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَإنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ قال: أوسعها جلّ جلاله.

وقوله: ﴿**والأرْضَ فَرَشْناها**﴾ يقول تعالى ذكره: والأرض جعلناها فراشاً للخلق ﴿**فَنِعْمَ المَاهِدونَ**﴾ يقول: فنعم الماهدون لهم نحن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وخلقنا من كلّ شيء خلقنا زوجين، وترك خلقنا الأولى استغناء بدلالة الكلام عليها.

واختُلف في معنى ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ فقال بعضهم: عنى به: ومن كلّ شيء خلقنا نوعين مختلفين كالشقاء والسعادة والهدى والضلالة، ونحو ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا ابن جريج، قال: قال مجاهد، في قوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ قال: الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والإنس والجنّ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا إبراهيم بن أبي الوزير، قال: ثنا مروان بن معاوية الفزاريُّ، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ قال: الشمس والقمر.

وقال آخرون: عنى بالزوجين: الذكر والأنثى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ قال: ذكراً وأنثى، ذاك الزوجان، وقرأ ﴿وأصْلَحْنا لَهُ زَوْجَه﴾ قال: امرأته.

وأولى القولين في ذلك قول مجاهد، وهو أن الله تبارك وتعالى، خلق لكلّ ما خلق من خلقه ثانياً له مخالفاً في معناه، فكلّ واحد منهما زوج للآخر، ولذلك قيل: خلقنا زوجين. وإنما نبه جلّ ثناؤه بذلك من قوله على قُدرته على خلق ما يشاء خلقه من شيء، وأنه ليس كالأشياء التي شأنها فعل نوع واحد دون خلافه، إذ كلّ ما صفته فعل نوع واحد دون ما عداه كالنار التي شأنها التسخين، ولا تصلح للتبريد، وكالثلج الذي شأنه التبريد، ولا يصلح للتسخين، فلا يجوز أن يوصف بالكمال، وإنما كمال المدح للقادر على فعل كلّ ما شاء فعله من الأشياء المختلفة والمتفقة.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: لتذكروا وتعتبروا بذلك، فتعلموا أيها المشركون بالله أن ربكم الذي يستوجب عليكم العبادة هو الذي يقدر على خلق الشيء وخلافه، وابتداع زوجين من كلّ شيء لا ما لا يقدر على ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١﴾.

يقول تعالى ذكره: فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، واتباع أمره، والعمل بطاعته ﴿إني لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾ يقول: إني لكم من الله نذير أنذركم عقابه، وأخوّفكم عذابه الذي أحله بهؤلاء الأمم الذين قصّ عليكم قصصهم، والذي هو مذيقهم في الآخرة.

وقوله: ﴿مُبِينٌ﴾ يقول: يبين لكم نذارته.

وقوله: ﴿وَلا تَجْعَلُوا مَعَ الله إلَهاً آخَرَ﴾ يقول جل ثناؤه: ولا تجعلوا أيها الناس مع معبودكم الذي خلقكم معبوداً آخر سواه، فإنه لا معبود تصلح له العبادة غيره ﴿إني لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ يقول: إني لكم أيها الناس نذير من عقابه على عبادتكم إلهاً غيره، مبين قد أبان لكم النذارة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾.

يقول تعالى ذكره: كما كذبت قريش نبيها محمداً ﷺ، وقالت: هو شاعر، أو ساحر أو مجنون، كذلك فعلت الأمم المكذّبة رسلها، الذين أحلّ الله بهم نقمته، كقوم نوح وعاد وثمود، وفرعون وقومه، ما أتى هؤلاء القوم الذين ذكرناهم من قبلهم، يعني من قبل قريش قوم محمد ﷺ من رسول إلا قالوا: ساحر أو مجنون، كما قالت قريش لمحمد ﷺ.

وقوله: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أأوصى هؤلاء المكذّبين من قريش محمداً ﷺ على ما جاءهم به من الحقّ أوائلهم وآباؤهم الماضون من قبلهم، بتكذيب محمد ﷺ، فقبلوا ذلك عنهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُم قَوْمٌ طاغُونَ﴾ قال: أوصى أولاهم أُخراهم بالتكذيب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾: أي كان الأوّل قد أوصى الآخر بالتكذيب.

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أوصى هؤلاء المشركون آخرهم بذلك، ولكنهم قوم متعدّون طغاة عن أمر ربهم، لا يأتمرون لأمره، ولا ينتهون عما نهاهم عنه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، فتولّ يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله من قريش، يقول: فأعرض عنهم حتى يأتيك فيهم أمر الله، يقال: ولى فلان عن فلان: إذا أعرض عنه وتركه، كما قال حصين بن ضمضم:

أَمَّا بَنُو عَبْس فإنَّ هَجِينَهُمْ وَلَّى فَوَارِسُهُ وأَفْلَتَ أَعْوَرَ[(١)]

والأعور في هذا الوضع: الذي عور فلم تقض حاجته، ولم يصب ما طلب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ قال: فأعرض عنهم.

وقوله: ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فما أنت يا محمد بملوم، لا يلومك ربك على تفريط كان منك في الإنذار، فقد أنذرت، وبلّغت ما أرسلت به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ قال: محمد ﷺ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ قال: قد بلغت ما أرسلناك به، فلست بملوم، قال: وكيف يلومه، وقد أدّى ما أمر به.

---

(١) البيت لحصين بن ضمضم. قاله أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٢٧ ب) قال عند قوله تعالى: «فتول عنهم» أي أعرض عنهم واتركهم قال حصين بن ضمضم:

«أما بنو عبس. . . . البيت».

والأعور: الذى عور. فلم يقض حاجته، ولم يصب ما طلب، ولي هو من عور العين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ**﴾ ذُكر لنا أنها لما نزلت هذه الآية، اشتدّ على أصحاب رسول الله ﷺ، ورأوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: أخبرنا ابن علية، قال: أخبرنا أيوب، عن مجاهد، قال: خرج عليّ معتجراً ببرد، مشتملاً بخميصة، فقال لما نزلت ﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ**﴾ أحزننا ذلك وقلنا: أُمِرَ رسول الله ﷺ أن يتولى عنا حتى نزل ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

وقوله: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ يقول: وعِظْ يا محمد من أرسلت إليه، فإن العظة تنفع أهل الإيمان بالله. كما:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ قال: وعظهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: وما خلقت السُّعداء من الجنّ والإنس إلا لعبادتي، والأشقياء منهم لمعصيتي.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن جُرَيج، عن زيد بن أسلم ﴿**وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونَ**﴾ قال: ما جبلوا عليه من الشقاء والسعادة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن ابن جُرَيج، عن زيد بن أسلم بنحوه.

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا سفيان، عن ابن جُرَيج، عن زيد بن أسلم، بمثله.

حدثنا حُمَيد بن الربيع الخرّاز، قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا ابن جُرَيج، عن زيد بن أسلم، في قوله: ﴿**وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ قال: جَبَلَهم على الشقاء والسعادة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْس إلاَّ لِيَعْبُدُونَ**﴾ قال: من خلق للعبادة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك. وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليُذْعِنوا لي بالعبودة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾: إلا ليقرّوا بالعبودة طوعاً وكَرهاً.

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرنا عن ابن عباس، وهو: ما خلقت الجنّ والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا.

فإن قال قائل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟ قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم، لأن قضاءه جار عليهم، لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه.

وقوله: ﴿**ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: ما أريد ممن خلقت من الجنّ والإنس من رزق يرزقونه خلقي ﴿**وَما أُرِيدُ أنْ يُطْعِمُونَ**﴾ يقول: وما أريد منهم من قوت أن يقوتوهم، ومن طعام أن يطعموهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثنا أبي، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس ﴿**ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وما أُرِيدُ أنْ يُطْعِمُونَ**﴾ قال: يطعمون أنفسهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الله هو الرزّاق خلقه، المتكفل بأقواتهم، ذو القوّة المتين.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**المَتِينُ**﴾، فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا يحيى بن وثاب والأعمش: ﴿**ذُو القُوَّةِ المَتِينُ**﴾ رفعاً، بمعنى: ذو القوّة الشديد، فجعلوا المتين من نعت ذي، ووجهوه إلى وصف الله به. وقرأه يحيى والأعمش «المَتِينِ» خفضاً، فجعلاه من نعت القوّة، وإنما

استجاز خفض ذلك من قرأه بالخفض، ويصيره من نعت القوّة، والقوّة مؤنثة، والمتين في لفظ مذكر، لأنه ذهب بالقوّة من قوي الحبل والشيء، المبرم: الفتل، فكأنه قال على هذا المذهب: ذو الحبل(١) القويّ. وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده:

لِكُلِّ دَهْرٍ قَدْ لَبِسْتُ أَثْؤُباً ... مَنْ رَيْطَةٍ والْيُمْنَةَ الْمُعَصَّبا(٢)

فجعل المعصب نعت اليمنة، وهي مؤنثة في اللفظ، لأن اليمنة ضرب وصنف من الثياب، فذهب بها إليه.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ﴿ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ رفعاً على أنه من صفة الله جلّ ثناؤه، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وأنه لو كان من نعت القوّة لكان التأنيث به أولى، وإن كان للتذكير وجه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ يقول: الشديد.

وقوله: ﴿فإنَّ للذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أصحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فإن للذين أشركوا بالله من قريش وغيرهم ذنوباً، وهي الدلو العظيمة، وهو السجل أيضاً إذا مُلئت

---

(١) الذي في الفراء لأنه ذهب بالقوة إلى الحبل الخ.

(٢) البيت في «اللسان» ثوب ونسبه إلى معروف بن عبد الرحمٰن. قال: والثوب اللباس واحد الأثواب والثياب، والجمع: أثوب. وبعض العرب يهمزه، فيقول: أثؤب. وبعض العرب يهمزه، فيقول: أثؤب، لاستثقال الضمة على الواو، والهمزة أقوى على احتمالها منها. قال معروف ابن عبد الرحمٰن.

لِكُلِّ دَهْرٍ قَدْ لَبِسْتُ أَثْؤُبَا ... حتى اكْتَسَى الرأسُ قِناعاً أشْيَبَا

أمْلَحَ لا لَذًّا ولا مُحَبَّبَا

ولم يذكر البيت الثاني من شاهد المؤلف:

من ريطة واليمنة المعصبة

وفي «اللسان»: الريطة الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، ولم تكن لفقين أو هي كل ثواب لين دقيق، قال الأزهري ولا تكون الريطة إلا بيضاء. واليمنية بضم الياء وسكون الميم واليمنية بالتحريك: ضرب من برود اليمن قال: «واليمنة المعصبا». والبيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣١٣) قال عند قوله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ قال: قرأ يحيى بن وثاب «المتين» بالخفض، جعله من نعت القوة، وإن كانت أنثى في اللفظ، فإنه ذهب إلى الحبل، وإلى الشيء المفتول. أنشدني بعض العرب:

«لكل دهر........» البيتين

فجعل المعصب نعتا لليمنة، وهي مؤنثة في اللفظ، لأن اليمنة ضرب وصنف من الثياب الوشى، فذهب إليه وقرأ الناس: «المتين» رافع، من صفة الله.

أو قاربت الملء، وإنما أريد بالذنوب في هذا الموضع: الحظّ والنصيب ومنه قول علقمة بن عبدة:

وفي كُلّ قَوْمٍ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ فَحُقَّ لِشَأْس مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ[1]

أي نصيب، وأصله ما ذكرت ومنه قول الراجز:

لَنَا ذَنُوبٌ ولَكُمْ ذَنُوبُ فإن أبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيبُ[2]

ومعنى الكلام: فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيباً وحظاً نازلاً بهم، مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم، على منهاجهم من العذاب، فلا يستعجلون به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً**﴾ يقول: دلواً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلِموا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوب أصحَابِهِمْ**﴾ قال: يقول للذين ظلموا عذاباً مثل عذاب أصحابهم فلا يستعجلون.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيدبن جُبَير ﴿**ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوب أصحَابِهِمْ**﴾ فلا يستعجلون: سجلاً من العذاب.

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٢٧) قال عند قوله تعالى: ﴿فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم﴾ أي نصيباً. قال علقمة بن عبدة

«وفي كل قوم قد خبطت بنائل»..... البيت.

وهو من قصيدة مطولة يمدح بها الحارث بن أبي شمر الغساني. وكان أسر أخاه شأسا. فرحل يطلب فكه. وقيل مدح بها جبلة بن الأيهم أو عمرو بن الحارث الأعرج انظر «**مختار الشعر الجاهلي**» بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي (ص ـ ٤١٨، ٤٢٣) وقوله «كل قوم» يروى: كل يوم، وكل حي. وبنعمة: يروى بنائل. وأصل الذنوب: الدلو. والمراد: حظ ونصيب. قال أبو عبيدة: وإنما أصلها من الدلو، والذنوب والسجل واحد، وهو مثل الدلو وأقل قليلاً.

(٢) الذنوب: السجل، وهو أقل من الدلو. والمراد به هنا، النصيب والحظ والقليب: البئر. وقال الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٣١٣) عند قوله تعالى: ﴿فإن للذين ظلموا ذنوباً﴾ الذنوب في كلام العرب: الدلو العظيمة، ولكن العرب تذهب بها إلى النصيب والحظ. وبذلك أتى التفسير: فإن للذين ظلموا حظاً من العذاب، كما نزل بالذين من قبلهم. وقال الشاعر:

«لنا ذنوب.....» البيتين

والذنوب تذكر وتؤنث.

قال: ثنا عفان بن مسلم، قال: ثنا شهاب بن سريعة، عن الحسن، في قوله: ﴿**ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوب أصحَابِهِمْ**﴾ قال: دلواً مثل دلو أصحابهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**ذَنُوباً**﴾ قال: سجلاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً**﴾: سجلاً من عذاب الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثني محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿**فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوب أصحَابِهِمْ**﴾ قال: عذاباً مثل عذاب أصحابهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوب أصحَابِهِمْ**﴾ قال: يقول ذنوباً من العذاب، قال: يقول لهم سجل من عذاب الله، وقد فعل هذا بأصحابهم من قبلهم، فلهم عذاب مثل عذاب أصحابهم فلا يستعجلون.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم ﴿**ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوب أصحَابِهِمْ**﴾ قال: طَرَفاً من العذاب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فالوادي السائل في جهنم من قيح وصديد للذين كفروا بالله وجحدوا وحدانيته من يومهم الذي يوعدون فيه نزول عذاب الله إذا نزل بهم ماذا يلقون فيه من البلاء والجهد.

آخر تفسير سورة الذاريات

(٥٢) سورة الطور مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**والطُّورِ**﴾: والجبل الذي يُدعى الطور.

وقد بيَّنت معنى الطور بشواهده، وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**والطُّورِ**﴾ قال الجبل بالسُّرْيانية.

وقوله: ﴿**وكِتابٍ مَسْطُورٍ**﴾ يقول: وكتاب مكتوب ومنه قول رُؤْبة:

إنِّي وآياتٍ سُطِرْنَ سَطْرا[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

---

(١) البيت من مشطور الرجز، وبعده بيت يكمله «**اللسان**»: سطر وهو قوله:

لَقَائِلٌ يَا نَصْرُ نَصْرٌ نَصْرَا

ولم ينسبهما في «**اللسان**». وقال العيني في «**فرائد القلائد**» «**شرح مختصر الشواهد**» في شواهد عطف البيان: «عزاه سيبويه» إلى رؤبة. وقال الصاغاني: وليس له ا هـ. قلت ومحل الشاهد قوله: «سطرن سطراً» أي خططن وكتبن. أقسم بالسطور التي خطت وكتبت. ولعله يريد سطور القرآن.

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وكِتاب مَسْطُورٍ﴾ قال: صحف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿وكِتابٍ مَسْطُورٍ﴾ والمسطور: المكتوب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿مَسْطُورٍ﴾ قال: مكتوب.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿مَسْطُورٍ﴾ قال: مكتوب.

وقوله: ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ يقول: في ورق منشور.

وقوله: «في» من صلة مسطور، ومعنى الكلام: وكتاب سطر، وكُتب في ورق منشور.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ وهو الكتاب.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، ﴿في رَقٍّ﴾ قال: الرقّ: الصحيفة.

وقوله: ﴿وَالبَيْتِ المَعْمُورِ﴾ يقول: والبيت الذي يعمر بكثرة غاشيته وهو بيت فيما ذُكر في السماء بحيال الكعبة من الأرض، يدخله كلّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبداً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، رجل من قومه قال: قال نبيّ الله ﷺ: «رُفِعَ إليَّ البَيْتُ المَعْمُورِ، فَقُلْتُ: يا جِبرِيلُ ما هَذَا؟» قال: البَيْتُ المَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْم سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ إذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ ما عَلَيْهِمْ.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا خالد بن الحارث، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رجل من قومه، عن النبيّ ﷺ، بنحوه.

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب، عن خالد بن عُرعُرة، أن رجلاً قال لعليّ رضي الله عنه: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء يقال له الضراح، وهو بحيال الكعبة، من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كلّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ولا يعودون فيه أبداً.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك بن حرب، قال: سمعت خالد بن عرعرة، قال: سمعت علياً رضي الله عنه، وخرج إلى الرحبة، فقال له ابن الكوّاء أو غيره: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء السادسة يقال له الضراح، يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون فيه أبداً.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا طلق بن غنام، عن زائدة، عن عاصم، عن عليّ بن ربيعة، قال: سأل ابن الكوّاء علياً، رضي الله عنه عن البيت المعمور، قال: مسجد في السماء يقال له الضراح، يدخله كلّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة، لا يرجعون فيه أبداً.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن عبيد المكتب، عن أبي الطفيل، قال: سأل ابن الكوّاء علياً عن البيت المعمرو، قال: بيت بحيال البيت العتيق في السماء يدخله كلّ يوم سبعون ألف مَلك على رسم راياتهم، يقال له الضراح، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يرجعون فيه أبداً.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا بهرام، قال: ثنا سفيان، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعرة، عن عليّ رضي الله عنه، قال: سأله رجل عن البيت المعمور، قال: بيت في السماء يقال له الضريح قصد البيت، يدخله كلّ يوم سبعون ألف مَلك، ثم لا يعودون فيه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالبَيْتِ المَعْمُورِ﴾ قال: هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه.

حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبُّويه، قال: ثنا عليّ بن الحسن، قال: ثنا حسين، قال: سُئل عكرمة وأنا جالس عنده عن البيت المعمور، قال: بيت في السماء بحيال الكعبة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَالبَيْتِ المَعْمُورِ﴾ قال: بيت في السماء يقال له الضراح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالبَيْتِ المَعْمُورِ﴾ ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هَلْ تَدْرُونَ ما البَيْتُ المَعْمُورُ» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنَّهُ مَسْجِدٌ فِي السَّماءِ تَحْتَهُ الكَعْبَةُ لَوْ خَرّ لخَرَّ عَلَيْها، أوْ عَلَيْهِ، يُصلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ إذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ ما عَلَيْهِمْ».

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك

يقول في قوله: ﴿وَالبَيْتِ المَعْمُورِ﴾ يزعمون أنه يروح إليه كلّ يوم سبعون ألف مَلك من قبيلة إبليس، يقال لهم الجنّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَالبَيْتِ المَعْمُورِ﴾ قال: بيت الله الذي في السماء. وقال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ بَيْتَ اللَّهِ فِي السَّماءِ لَيَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ سَبْعُونَ ألْفَ مَلكٍ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ فِيهِ أبَداً بَعْدَ ذلكَ».

حدثنا محمد بن مرزوق، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا حماد، عن ثابت، عن أنس، عن النبيّ ﷺ، قال: «البَيْتُ المَعْمُورُ فِي السَّماءِ السَّابِعَةِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلك، ثُمَّ لا يَعُودُونَ إلَيْهِ حتى تَقُومَ السَّاعَةُ».

حدثنا محمد بن سِنان القَزّاز، قال: ثنا موسى بن إسماعيل، قال: ثنا سليمان عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا عَرَجَ بِي المَلكُ إلى السَّماءِ السَّابِعَةِ انْتَهَيْتُ إلى بِناءٍ فَقُلْتُ لِلْمَلَكِ: ما هَذَا؟ قال: هَذَا بِناءٌ بَناهُ اللّهُ لِلْمَلائِكَةِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ، يُقَدّسُونَ اللّهَ ويُسَبِّحُونَهُ، لا يَعُودُونَ فِيهِ».

وقوله: ﴿وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ﴾ يعني بالسقف في هذا الموضع: السماء، وجعلها سقفاً، لأنها سماء للأرض، كسماء البيت الذي هو سقفه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عرعرة، أن رجلاً قال لعليّ رضي الله عنه: ما السقف المرفوع؟ قال: السماء.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سماك، عن خالد بن عُرْعرة، عن عليّ، قال: السقف المرفوع: السماء.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا سفيان، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عُرْعُرة، عن عليّ رضي الله عنه قال: سأله رجل عن السقف المرفوع، فقال: السماء.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك بن حرب، قال: سمعت خالد بن عُرْعُرة، قال: سمعت عليًا يقول: والسقف المرفوع: هو السماء، قال: ﴿وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحفُوظاً وهُمْ عَنْ آياتِها مُعرِضُونَ﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿السقف المرفوع﴾: قال: السماء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ سقف السماء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾: سقف السماء.

وقوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى البحر المسجور، فقال بعضهم: الموقد. وتأوّل ذلك: والبحر الموقد المحمّى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن داود، عن سعيد بن المسيب، قال: قال عليّ رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ فقال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقاً، ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجورِ﴾ ﴿وَإِذَا الْبِحارِ سُجِرَتْ﴾ مخففة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب، عن حفص بن حُمَيد، عن شمر بن عطية، في قوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال: بمنزلة التنُّور المسجور.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال: الموقَد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال: الموقد، وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ﴾ قال: أوقدت.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وإذا البحار مُلئت، وقال: المسجور: المملوء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ الممتلىء.

وقال آخرون: بل المسجور: الذي قد ذهب ماؤه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال: سجره حين يذهب ماؤه ويفجر.

وقال آخرون: المسجور: المحبوس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَالبَحْرِ المَسْجُورِ﴾ يقول: المحبوس.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض، وذلك أن الأغلب من معاني السجر: الإيقاد، كما يقال: سجرت التنور، بمعنى: أوقدت، أو الامتلاء على ما وصفت، كما قال لبيد:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعا   مَسْجُورَةً مُتَجاوِراً قُلامُها[1]

وكما قال النمر بن تولَب العُكْليّ:

إذَا شاءَ طالَعَ مَسْجُورَةً   تَرَى حَوْلَها النَّبْعَ والسَّاسَمَا
سَقَتْها رَواعِدُ مِنْ صَيِّفٍ   وَإنْ مِنْ خَرِيفٍ فَلَنْ يَعْدَما[2]

فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السَّجْر، وكان البحر غير مُوقَد اليوم، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور، فبطل عنه إحدى الصفتين، وهو الإيقاد صحّت الصفة الأخرى التي هي له اليوم، وهو الامتلاء، لأنه كلّ وقت ممتلىء.

وقيل: إن هذا البحر المسجور الذي أقسم به ربنا تبارك وتعالى بحر في السماء تحت العرش.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، عن عليّ ﴿والبَحْرِ المَسْجُورِ﴾ قال: بحر في السماء تحت العرش.

---

(١) البيت للبيد من معلقته المشهورة. وقد مر الاستشهاد به عند قوله تعالى في سورة مريم ﴿قد جعل ربك تحتك سريا﴾ (١٦/ ٧١) فراجعه ثمة.

(٢) البيتان للنمر بن تولب العكلي، كما في «خزانة الأدب الكبرى» للبغدادي (٤/ ٤٣٤ ـ ٤٢) وهما من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ٢٢٨ ب) عند قوله تعالى: ﴿والبحر المسجور﴾. والشاعر يصف وعلا. وقوله مسجورة: يريد عينا كثيرة الماء، أي مملوءة. والنبع: شجر يتخذ منه القسي. والساسم: قيل هو الآبنوس. وقيل شجر يشبهه، ومنابتهما أعالي الجبال. سقتها: أي العين: والرواعد: جمع راعدة، وهي السحابة الماطرة، وفيها صوت الرعد غالباً. والصيف بتشديد الياء المكسورة: المطر الذي يجيء في الصيف: والخريف الفصل بيت الصيف والشتاء، يريد مطر الخريف. يريد الشاعر أن هذا الوعل يشرب من هذه العين المسجورة المملوءة إما من مطر الصيف وإما من مطر الخريف، فهو لن يعدم الماء على كل حال. والشاهد في قوله مسجورة: أي مملوءة.

قال: ثنا مهران، قال: وسمعته أنا من إسماعيل، قال: ثنا مهران عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو ﴿**وَالبَحْرِ المَسْجُورِ**﴾ قال: بحر تحت العرش.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح في قوله: ﴿**والبَحْرِ المَسْجُورِ**﴾ قال: بحر تحت العرش.

وقوله: ﴿**إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ﴿**إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ**﴾ يا محمد، لكائن حالّ بالكافرين به يوم القيامة. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ**﴾ وقع القسم ها هنا ﴿**إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ**﴾ وذلك يوم القيامة.

وقوله: ﴿**مالَهُ مِنْ دَافِعٌ**﴾ يقول: ما لذلك العذاب الواقع بالكافرين من دافع يدفعه عنهم، فينقذهم منه إذا وقع.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾.

يقول تعالى ذكره: إن عذاب ربك لواقع ﴿**يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً**﴾ فيوم من صلة واقع، ويعني بقوله: تمور: تدور وتكفأ. وكان معمر بن المثنى يُنشد بيت الأعشى:

كَأنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارَتِها ... مَوْرُ السَّحابَةِ لا رَيْثٌ وَلا عَجَلُ(١)

فالمور على روايته: التكفؤ والترهيل في المشية، وأما غيره فإنه كان يرويه مرّ السحابة.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً**﴾ قال: يقول: تحريكاً.

حدثنا ابن المثنى وعمرو بن مالك، قالا: حدثنا أبو معاوية الضرير، عن سفيان بن

---

(١) هذا البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ٥٥) وهو من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٢٨ ب) والرواية فيه: مور السحابة في موضع «مر السحابة» في رواية الديوان. وقد أنشده شاهداً على قوله تعالى: ﴿يوم تمور السماء مورا﴾ أي تكفأ، وهو أن ترهيأ في مشيئتها، أي ترهيأ كما ترهيأ النخلة العيدانة. وقال في «**اللسان**» رهأ الرهيأة: الضعف والعجز والتواني، والمرأة ترهيأ في مشيتها أي تكفأ كما ترهيأ النخلة العيدانة ا هـ.

عُيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾ قال: تدور السماء دَوْراً.

حدثنا الحسن بن عليّ الصدائي، قال: ثنا إبراهيم بن بشار، قال: ثنا سفيان بن عيينة قال: أخبروني عن معاوية الضرير، عني، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾ قال: تدور دوراً.

حدثنا هارون بن حاتم المقري، قال: ثنا سفيان بن عيينة، قال: ثني أبو معاوية، عني، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾ قال: تدور دوراً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾ مورها: تحريكها.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾ يعني: استدارتها وتحريكها لأمر الله، وموج بعضها في بعض.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: قال الضحاك ﴿يَوْم تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾ قال: تموج بعضها في بعض، وتحريكها لأمر الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾ قال: هذا يوم القيامة، وأما المور: فلا علم لنا به.

وقال آخرون: مورها: تشققها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾ قال: يوم تشقّق السماء.

وقوله: ﴿وَتَسِيرُ الجِبالُ سَيْراً﴾ يقول: وتسير الجبال عن أماكنها من الأرض سيراً، فتصير هباء منبثاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فالوادي الذي يسيل من قيح وصديد في جهنم، يوم تمور السماء موراً، وذلك يوم القيامة للمكذّبين بوقوع عذاب الله للكافرين، يوم تمور السماء مّوراً. وكان بعض نحويّي

البصرة يقول: أدخلت الفاء في قوله: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ﴾ لأنه في معنى إذا كان كذا وكذا، فأشبه المجازاة، لأن المجازاة يكون خبرها بالفاء. وقال بعض نحويّ الكوفة: الأوقات تكون كلها جزاء مع الاستقبال، فهذا من ذاك، لأنهم قد شبهوا «إن» وهي أصل الجزاء بحين، وقال: إن مع يوم إضمار فعل، وإن كان التأويل جزاء، لأن الإعراب يأخذ ظاهر الكلام، وإن كان المعنى جزاء.

وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ يقول: الذين هم في فتنة واختلاط في الدنيا يلعبون، غافلين عما هم صائرون إليه من عذاب الله في الآخرة.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ يقول تعالى ذكره: فويل للمكذّبين يوم يُدَعُّونَ.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ ترجمة عن قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وإبدال منه. وعنى بقوله: ﴿يُدَعُّونَ﴾ يدفعون بإرهاق وإزعاج، يقال منه: دَعَعْت في قفاه: إذا دفعت فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا أبو كدينة، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ قال: يدفع في أعناقهم حتى يردوا النار.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ يقول: يدفعون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ قال: يدفعون فيها دفعاً.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنم دَعًّا﴾ يقول: يدفعون إلى نار جهنم دفعاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ﴾ قال: يُدفعون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ دَعاً﴾ قال: يزعجون إليها إزعاجاً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة بنحوه.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا**﴾ الدعّ: الدفع والإرهاق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿**يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا**﴾ قال: يُدفعون دفعاً، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿**فَذَلِكَ الذِي يَدُعُّ اليَتِيمَ**﴾ قال: يدفعه، ويغلظ عليه.

وقوله: ﴿**هَذِهِ النَّارُ التي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هذه النار التي كنتم بها في الدنيا تكذّبون، فتجحدون أن تردوها، وتصلوها، أو يعاقبكم بها ربكم، وترك ذكر يُقال لهم، اجتزاء بدلالة الكلام عليه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عما يقول لهؤلاء المكذّبين الذين وصف صفتهم إذا وردوا جهنم يوم القيامة: أفسحر أيها القوم هذا الذي وردتموه الآن أم أنتم لا تعاينونه ولا تبصرونه؟ وقيل هذا لهم توبيخاً لا استفهاماً.

وقوله: ﴿**اصْلَوْها**﴾ يقول: ذوقوا حرّ هذه النار التي كنتم بها تكذّبون، وَرِدُوها فاصبروا على ألمها وشدتها، أو لا تصبروا على ذلك، سواء عليكم صبرتم أو لم تصبروا ﴿**إِنَّمَا تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ يقول: ما تجزون إلا أعمالكم: أي لا تعاقبون إلا على معصيتكم في الدنيا ربكم وكفركم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في جنات: يقول في بساتين ونعيم فيها، وذلك في الآخرة.

وقوله: ﴿**فاكِهِينَ**﴾ يقول: عندهم فاكهة كثيرة، وذلك نظير قول العرب للرجل يكون عنده تمر كثير: رجل تامر، أو يكون عنده لبن كثير، فيقال: هو لابن، كما قال الحُطَيئة:

أغـــــرَرْتَـــــنِـــــي وَزَعَـــــمْـــــتَ أَنَّـــكَ لابِـــنٌ فـــي الـصَّـيْـفِ تـــامِـــرُ(١)

وقوله: ﴿بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يقول: عندهم فاكهة كثيرة بإعطاء الله إياهم ذلك ﴿وَوَقاهُمْ رَبُّهُم عَذَابَ الجَحِيمِ﴾ يقول: ورفع عنهم ربهم عقابه الذي عذّب به أهل الجحيم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كلوا واشربوا، يقال لهؤلاء المتقين في الجنات: كلوا أيها القوم مما آتاكم ربكم، واشربوا من شرابها هنيئاً، لا تخافون مما تأكلون وتشربون فيها أذىً ولا غائلة بما كنتم تعملون في الدنيا لله من الأعمال.

وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ قد جعلت صفوفاً، وترك قوله: على نمارق، اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه.

وقوله: ﴿وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وزوّجنا الذكور من هؤلاء المتقين أزواجاً بحور عين من النساء، يقول الرجل: زوّج هذا الخلف الفرد أو النعل الفرد بهذا الفرد، بمعنى: اجعلهما زوجاً. وقد بيَّنا معنى الزوج فيما مضى بما أغنى عن إعادته ها هنا، والحُور: جمع حَوْراء، وهي الشديدة بياض مقلة العين في شدّة سواد الحدقة.

وقد ذكرت اختلاف أهل التأويل في ذلك، وبيّنت الصواب فيه عندنا بشواهده المغنية عن إعادتها في هذا الموضع، والعِين: جمع عَيْناء، وهي العظيمة العَيْن في حُسن وسعة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرّياتهم

(١) البيت للحطيئة (ديوانه ١٧) واستشهد به المؤلف على أن معنى قوله تعالى: ﴿فاكهين بما آتاهم ربهم﴾ أي عندهم فاكهة كثيرة، وهو مثل قوله الحطيئة «لابن» و«تامر» أي ذو لبن وذو تمر، أي عندك منهما في الصيف كثير. وقال السكري في «شرح الديوان»: يعني أنك غررتني، وزعمت أنك تطعمني التمر واللبن، فقنعت بهما، فلم تفعل ا هـ يمدح بغيضاً ويهجو الزبرقان. وقد تقدم الاستشهاد بالبيت في الجزء (١٩/٢٣) وشرحناه بأوسع من شرحه هنا، فراجعه ثمة.

بإيمان، ألحقنا بهم ذرّياتهم المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم، تكرمة لآبائهم المؤمنين، وما ألتنا آباءهم المؤمنين من أجور أعمالهم من شيء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، في هذه الآية: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمانٍ» فقال: إن الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذرّيته، وإن كانوا دونه في العمل، ليقرّ الله بهم عينه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: إن الله تبارك وتعالى ليرفع ذرّية المؤمن في درجته، وإن كانوا دونه في العمل، ليقرّ بهم عينه، ثم قرأ «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بإيمَانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرّياتِهِم وَما أَلَتْناهمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عمرو بن مرّة الجملي، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: إن الله تبارك وتعالى ليرفع ذرِّيَّة المؤمن معه في درجته، ثم ذكر نحوه، غير أنه قرأ «وأَتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ».

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا محمد بن بشر، قال: ثنا سفيان بن سعيد، عن سماعة، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، نحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس، أنه قال في هذه الآية «وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ» قال: المؤمن ترفع له ذرّيته، فيلحقون به، وإن كانوا دونه في العمل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرِّيَّاتهم التي بلغت الإيمان بإيمان، ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار التي لم تبلغ الإيمان، وما ألتنا الآباء من عملهم من شيء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وأَتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» يقول: الذين أدرك ذرّيتهم الإيمان، فعملوا بطاعتي، ألحقتهم بإيمانهم إلى الجنة، وأولادهم الصغار نلحقهم بهم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» يقول: من أدرك ذريته الإيمان، فعملوا بطاعتي ألحقتهم بآبائهم في الجنة، وأولادهم الصغار أيضاً على ذلك.

وقال آخرون نحو هذا القول، غير أنهم جعلوا الهاء والميم في قوله: ﴿أَلْحَقْنا بِهِمْ﴾ من ذكر الذرّية، والهاء والميم في قوله: ذرّيتهم الثانية من ذكر الذين. وقالوا: معنى الكلام: والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم الصغار، وما ألتنا الكبار من عملهم من شيء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وأَتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» قال: أدرك أبناؤهم الأعمال التي عملوا، فاتبعوهم عليها واتبعتهم ذرّياتهم التي لم يدركوا الأعمال، فقال الله جلّ ثناؤه ﴿وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال: يقول: لم نظلمهم من عملهم من شيء فننقصهم، فنعطيه ذرّياتهم الذين ألحقناهم بهم، الذين لم يبلغوا الأعمال ألحقتهم بالذين قد بلغوا الأعمال.

وقال آخرون: بل معنى ذلك ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بإيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِم ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فأدخلناهم الجنة بعمل آبائهم، وما ألتنا الآباء من عملهم من شيء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت داود يحدّث عن عامر، أنه قال في هذه الآية «وَالَّذِينَ آمَنُوا وأَتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ ألحقنا بهم ذرياتهم وَما أَلَتْناهُمْ مِنَ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» فأدخل الله الذرّية بعمل الآباء الجنة، ولم ينقص الله الآباء من عملهم شيئاً، قال: فهو قوله: ﴿وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن داود، عن سعيد بن جُبَير أنه قال في قول الله: «أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» قال: ألحق الله ذرّياتهم بآبائهم، ولم ينقص الآباء من أعمالهم، فيردّه على أبنائهم.

وقال آخرون: إنما عنى بقوله: «أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ»: أعطيناهم من الثواب ما أعطينا الآباء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، قال: سمعت إبراهيم في قوله: «وأَتْبَعْناهُمْ ذرّيّاتهم بإيمَانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» قال: أعطوا مثل أجور آبائهم، ولم ينقص من أجورهم شيئاً.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن قيس بن مسلم، عن إبراهيم «وأَتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِم» قال: أعطوا مثل أجورهم، ولم ينقص من أجورهم.

قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع «وأتْبَعْناهُمْ ذُرِّياتِهِمْ بإيمَانٍ» يقول: أعطيناهم من الثواب ما أعطيناهم ﴿وَما ألَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يقول: ما نقصنا آباءهم شيئاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْناهُمْ ذُرّياتِهِمْ» كذلك قالها يزيد «ذُرّياتِهِمْ بإيمَانٍ ألْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» قال: عملوا بطاعة الله فألحقهم الله بآبائهم.

وأولى هذه الأقوال بالصواب وأشبهها بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، القول الذي ذكرنا عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، وهو: والذين آمنوا بالله ورسوله، وأتبعناهم ذرياتهم الذين أدركوا الإيمان بإيمان، وآمنوا بالله ورسوله، ألحقنا بالذين آمنوا ذريتهم الذين أدركوا الإيمان فآمنوا، في الجنة فجعلناهم معهم في درجاتهم، وإن قصرت أعمالهم عن أعمالهم تكرمة منا لآبائهم، وما ألتناهم من أجور عملهم شيئاً.

وإنما قلت: ذلك أولى التأويلات به، لأن ذلك الأغلب من معانيه، وإن كان للأقوال الآخر وجوه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: «وأتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ ألْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ على التوحيد بإيمان «ألْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» على الجمع، وقرأته قراء الكوفة ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإيمَانٍ ألْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُم﴾ كلتيهما بإفراد. وقرأ بعض قرّاء البصرة وهو أبو عمرو «وأتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ ألْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ».

والصواب من القول في ذلك أن جميع ذلك قراءات معروفات مستفيضات في قرأة الأمصار، متقاربات المعاني، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿وما ألَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ألتنا الآباء، يعني بقوله: ﴿وَما ألَتْناهُمْ﴾: وما نقصناهم من أجور أعمالهم شيئاً، فنأخذه منهم، فنجعله لأبنائهم الذين ألحقناهم بهم، ولكنا وفّيناهم أجور أعمالهم، وألحقنا أبناءهم بدرجاتهم، تفضلاً منا عليهم. والألت في كلام العرب: النقص والبخس، وفيه لغة أخرى، ولم يقرأ بها أحد نعلمه، ومن الألت قول الشاعر:

أبْلِغْ بَني ثُعَلٍ عَنّي مُغَلْغَلَةً جَهْدَ الرِّسالَةِ لا ألْتا وَلا كَذِبا[1]

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣١٣ ـ ٣١٤) قال: وقوله: «وما ألتناهم» الألت: النقص. وفيه لغة أخرى: «وما ألتناهم من عملهم من شيء». وكذلك هي قراءة عبد الله (ابن مسعود) وأبي بن كعب، قال الشاعر:

«أبلغ بني ثعل.... البيت».

=

يعني: لا نُقصان ولا زيادة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار قال: ثنا مؤمل قال: ثنا سفيان، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ قال: ما نقصناهم.

حدثني علي قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن ابن عباس قوله: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ يقول: ما نقصناهم.

وحدثني موسى بن عبد الرحمن، قال: ثنا موسى بن بشر، قال: ثنا سفيان بن سعيد، عن سماعة عن[1] عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ قال: وما نقصناهم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ قال: ما نقصنا الآباء للأبناء.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: ما نقصنا الآباء للأبناء، ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم﴾ قال: وما نقصناهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ قال: نقصناهم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ يقول: ما نقصنا آباءهم شيئاً.

قال ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، مثله.

= يقول: لا نقصان ولا زيادة. وقال الآخر (نسبه أبو عبيدة إلى رؤبة):

وليلة ذات ندى سريت ولم يلتني عن سراها ليت

والليت هاهنا: لم يثنني عنها نقص بي، ولا عجز عنها. وفي «اللسان» ليت: «ولاته عن وجهه يليته ويلوته لوتا: أي حبسه عن وجهه وصرفه. قال الراجز:

«وليلة ذات ندى....... البيتين».

ا هـ. وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن»: «وما ألتناهم»: أي ما نقصناهم ولا حبسنا منه شيئاً. ا هـ.

(١) في المطبوعة: عن سماعة بن عمرو بن مرة. تحريف.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي المعلى، عن سعيد بن جُبَير ﴿وَما أَلَتناهُمْ﴾ قال: وما ظلمناهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَما أَلَتناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يقول: وما ظلمناهم من عملهم من شيء.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَما أَلَتَناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يقول: وما ظلمناهم.

وحُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَما أَلَتناهُمْ﴾ يقول: وما ظلمناهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَما أَلَتناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ﴾ قال: يقول: لم نظلمهم من عملهم من شيء: لم ننتقصهم فنعطيه ذرّياتهم الذين ألحقناهم بهم لم يبلغوا الأعمال ألحقهم بالذين قد بلغوا الأعمال ﴿وَما أَلَتناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال: لم يأخذ عمل الكبار فيجزيه الصغار، وأدخلهم برحمته، والكبار عملوا فدخلوا بأعمالهم.

وقوله: ﴿كُل امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ يقول: كلّ نفس بما كسبت وعملت من خير وشرّ مرتهنة لا يؤاخذ أحد منهم بذنب غيره، وإنما يعاقب بذنب نفسه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأمددنا هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسوله، واتبعتهم ذريتهم بإيمان في الجنة، بفاكهة ولحم مما يشتهون من اللحمان.

وقوله: ﴿يَتَنازَعُونَ فِيها كأساً﴾ يقول: يتعاطون فيها كأس الشراب، ويتداولونها بينهم، كما قال الأخطل:

نـازَعْـتُـهُ طَـيِّـبَ الـرَّاحِ الـشَّـمُـولِ وَقَـدْ ... صَاحَ الدَّجاجُ وَحانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي[1]

---

(١) البيت للأخطل وهو من شواهد أبي عبيدة في «معاني القرآن» (الورقة ٢٢٩) قال: «يتنازعون فيها كأساً» يتعاطون أي يتداولون قال الأخطل:

«نــازعـتــه . . . . . الــبـيــت» اهــ.

وفي «اللسان» نزع: ومنازعة الكأس: معاطاتها؛ قال الله عز وجل: ﴿يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم﴾ أي يتعاطون والأصل فيه: يتجاذبون ويقال: نازعني فلان بنانه: أي صافحني. والمنازعة المصافحة؛ =

وقوله: ﴿**لا لَغْوٌ فِيها**﴾ يقول: لا باطل في الجنة، والهاء في قوله «فيها» من ذكر الكأس، ويكون المعنى لما فيها الشراب بمعنى: أن أهلها لا لغو عندهم فيها ولا تأثيم، واللغو: الباطل.

وقوله: ﴿**وَلا تَأْثِيمٌ**﴾ يقول: ولا فعل فيها يُؤثم صاحبه. وقيل: عنى بالتأثيم: الكذب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**لا لَغْوٌ فِيها**﴾ يقول: لا باطل فيها.

وقوله: ﴿**وَلا تَأْثِيمٌ**﴾ يقول: لا كذب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**لا لَغْوٌ فِيها**﴾ قال: لا يستبون ﴿**وَلا تَأْثِيمٌ**﴾ يقول: ولا يؤثمون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ**﴾: أي لا لغو فيها ولا باطل، إنما كان الباطل في الدنيا مع الشيطان.

وحدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ**﴾ قال: ليس فيها لغو ولا باطل، إنما كان اللغو والباطل في الدنيا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ**﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة ﴿**لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ**﴾ بالرفع والتنوين على وجه الخبر، على أنه ليس في الكأس لغو ولا تأثيم. وقرأه بعض قرّاء البصرة «لا لَغْوَ فِيها وَلا تَأْثِيمَ» نصباً غير منوّن على وجه التبرئة.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، وإن كان الرفع والتنوين أعجب القراءتين إليّ لكثرة القرأة بها، وأنها أصحّ المعنيين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

= قال الراعي:

يُنازِعْننا رَخْصَ البَنانِ كأنَّما يُنازِعْننا هُدّابَ مُعْضَدِ

المنازعة: المجاذبة في الأعيان والمعاني ا هـ.

يقول تعالى ذكره: ويطوف على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في الجنة غلمان لهم، كأنهم لؤلؤ في بياضه وصفائه مكنون، يعني: مصون في كنّ، فهو أنقى له، وأصفى لبياضه. وإنما عنى بذلك أن هؤلاء الغلمان يطوفون على هؤلاء المؤمنين في الجنة بكؤوس الشراب التي وصف جلّ ثناؤه صفتها. وقد:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمان لَهُمْ كأنَّهُمْ لُؤْلؤٌ مَكْنُونٌ﴾** ذُكر لنا أن رجلاً قال: يا نبيّ الله هذا الخادم، فكيف المخدوم؟ قال: «والذي نفس محمد بيده، إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».

وحدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿كأنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾** قال: بلغني أنه قيل: يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ، فكيف المخدوم؟ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّ فَضْلَ ما بَيْنَهُمَا كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ على النجوم».

وقوله: **﴿وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ...﴾** الآية، يقول تعالى ذكره: وأقبل بعض هؤلاء المؤمنين في الجنة على بعض، يسأل بعضهم بعضاً. وقد قيل: إن ذلك يكون منهم عند البعث من قبورهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس في قوله: **﴿وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾** قال: إذا بعثوا في النفخة الثانية.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ (٢٨)﴾.

يقول تعالى ذكره: قال بعضهم لبعض: إنا أيها القوم كنا في أهلنا في الدنيا مُشفقين خائفين من عذاب الله وجلين أن يعذّبنا ربنا اليوم **﴿فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْنا﴾** بفضله **﴿وَوَقانا عَذَابَ السَّمُوم﴾** يعني: عذاب النار، يعني فنجّانا من النار، وأدخلنا الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿عَذَابَ السَّمُومِ﴾** قال: عذاب النار.

وقوله: **﴿إنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾** يقول: إنا كنا في الدنيا من قبل يومنا هذا ندعوه: نعبده مخلصين له الدين، لا نُشرك به شيئاً **﴿إنَّهُ هُوَ البَرُّ﴾** يعني: اللطيف بعباده. كما:

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿إنّه هُوَ البَرُّ﴾** يقول: اللطيف.

وقوله: **﴿الرَّحِيمُ﴾** يقول: الرحيم بخلقه أن يعذّبهم بعد توبتهم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿إنَّهُ هُوَ البَرُّ﴾** فقرأته عامة قرّاء المدينة «أَنَّهُ» بفتح الألف، بمعنى: إنا كنا من قبل ندعوه لأنه هو البرّ، أو بأنه هو البرّ. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة بالكسر على الابتداء.

والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ (٣١)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فذكر يا محمد من أرسلت إليه من قومك وغيرهم، وعظهم بنعم الله عندهم **﴿فَما أنْتَ بنِعْمَةِ رَبِّكَ بكاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾** يقول فلست بنعمة الله عليك بكاهن تتكهَن، ولا مجنون له رئيّ يخبر عنه قومه ما أخبره به، ولكنك رسول الله، والله لا يخذلك، ولكنه ينصرك.

وقوله: **﴿أمْ يَقُولُونَ شاعِر نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ﴾** يقول جلّ ثناؤه: بل يقول المشركون: يا محمد لك: هو شاعر نتربص به حوادث الدهر، يكفيناه بموت أو حادثة متلفة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت عباراتهم عنه، فقال بعضهم فيه كالذي قلنا. وقال بعضهم: هو الموت. ذكر من قال: عنى بقوله: **﴿رَيْبَ المَنُونِ﴾**: حوادث الدهر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿رَيْبَ المَنُون﴾** قال: حوادث الدهر.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: قال مجاهد **﴿رَيْبَ المَنُونِ﴾** حوادث الدهر. ذكر من قال: عنى به الموت.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿رَيْبَ المَنُونِ﴾** يقول: الموت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ﴾** قال: يتربصون به الموت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ**﴾ قال: قال ذلك قائلون من الناس تربصوا بمحمد رسول الله ﷺ، الموت يكفيكموه، كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**رَيْبَ المَنُونِ**﴾ قال: هو الموت، نتربص به الموت، كما مات شاعر بني فلان، وشاعر بني فلان.

وحدثني سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثني أبي، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس أن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبيّ ﷺ قال قائل منهم: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك مَن قبله من الشُّعراء زُهير والنابغة، إنما هو كأحدهم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ**﴾ الموت، وقال الشاعر:

تَرَبَّصْ بِها رَيْبَ المَنُونِ لَعَلَّها ... سَيَهْلِكُ عَنْها بَعْلُها أو «تُسَرَّحُ»[1]

وقال آخرون: معنى ذلك: ريب الدنيا، وقالوا: المنون: الموت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان ﴿**رَيْبَ المَنُونِ**﴾ قال: ريب الدنيا، والمنون: الموت.

وقوله: ﴿**قُلْ تَرَبَّصُوا**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يقولون لك: إنك شاعر نتربص بك ريب المنون، تربصوا: أي انتظروا وتمهَلوا فيّ ريب المنون، فإني معكم من المتربصين بكم، حتى يأتي أمر الله فيكم.

---

(١) وضعنا كلمة «تسرح» في قافية البيت في مكان «شحيح» التي جاءت في الأصل خطأ، فاختل بها معنى البيت ووزنه. على أن رواية الشطر الثاني كله في «**اللسان**» ربص. وفي تفسير الشوكاني (٥/٩٦) وفي «**البحر المحيط**» لأبي حيان (٨/١٥١) والقرطبي (١٧/٧٢) مختلفة عن رواية المؤلف. وهو:

تطلق يوماً أو يموت حليلها

والسراح والتسريح: هو الطلاق، وفي التنزيل: ﴿فسرحوهن سراحاً جميلاً﴾ ومعنى التربص: الانتظار. وتربص به: انتظر به خيراً أو شراً. وتربص به الشيء: كذلك. وقال: الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٣١٤) «نتربص به ريب المنون» أوجاع الدهر، فيشغل عنكم، ويتفرق أصحابه؛ أو عمر آبائه، فإنا قد عرفنا أعمارهم اهـ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ (٣٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: أتأمر هؤلاء المشركين أحلامهم بأن يقولوا لمحمد ﷺ: هو شاعر، وأن ما جاء به شعر ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ما تأمرهم بذلك أحلامهم وعقولهم «بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ» قد طَغَوا على ربهم، فتجاوزوا ما أذن لهم وأمرهم به من الإيمان إلى الكفر به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهَذَا﴾ قال: كانوا يعدّون في الجاهلية أهل الأحلام، فقال الله: أم تأمرهم أحلامهم بهذا أن يعبدوا أصناماً بُكماً. صماً، ويتركوا عبادة الله، فلم تنفعهم أحلامهم حين كانت لدنياهم، ولم تكن عقولهم في دينهم، لم تنفعهم أحلامهم. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة، يتأوّل قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُوهُمْ أَحْلامُهُمْ﴾: بل تأمرهم.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ﴾ أيضاً قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد، في قوله: ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ﴾ قال: بل هم قوم طاغون.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ﴾ قال: بل هم قوم طاغون.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون: تقوّل محمد هذا القرآن وتخلّقه.

وقوله: ﴿بَلْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: كذبوا فيما قالوا من ذلك، بل لا يؤمنون فيصدّقوا بالحقّ الذي جاءهم من عند ربهم.

وقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ يقول: جلّ ثناؤه: فليأت قائلو ذلك له من المشركين بقرآن مثله، فإنهم من أهل لسان محمد ﷺ، ولن يتعذّر عليهم أن يأتوا من ذلك بمثل الذي أتى به محمد ﷺ إن كانوا صادقين في أن محمداً ﷺ تقوّله وتخلّقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: أخلق هؤلاء المشركون من غير شيء، أي من غير آباء ولا أمهات، فهم كالجماد، لا يعقلون ولا يفهمون لله حجة، ولا يعتبرون له بعبرة، ولا يتعظون بموعظة. وقد قيل: إن معنى ذلك: أم خلقوا لغير شيء، كقول القائل: فعلت كذا وكذا من غير شيء، بمعنى: لغير شيء.

وقوله: ﴿أَمْ هُمُ الخالِقُونَ﴾ يقول: أم هم الخالقون هذا الخلق، فهم لذلك لا يأتمرون لأمر الله، ولا ينتهون عما نهاهم عنه، لأن للخالق الأمر والنهي ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ﴾ يقول: أخلقوا السموات والأرض فيكونوا هم الخالقين، وإنما معنى ذلك: لم يخلقوا السموات والأرض، ﴿بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾ يقول: لم يتركوا أن يأتمروا لأمر ربهم، وينتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى، لأنهم خلقوا السموات والأرض، فكانوا بذلك أرباباً، ولكنهم فعلوا، لأنهم لا يوقنون بوعيد الله وما أعدّ لأهل الكفر به من العذاب في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨)﴾.

يقول تعالى ذكره: أعند هؤلاء المكذّبين بآيات الله خزائن ربك يا محمد، فهم لاستغنائهم بذلك عن آيات ربهم معرضون، أم هم المسيطرون. اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: أم هم المسلّطون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَمْ هُمُ المُسَيطِرُونَ﴾ يقول: المسلّطون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أم هم المُنْزِلُونَ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُسَيطِرُونَ﴾ قال: يقول أم هم المنزلون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أم هم الأرباب، وممن قال ذلك معمر بن المثنى، قال: يقال: سيطرتَ عليّ: أي اتخذتني خولاً لك.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أم هم الجبّارون المتسلطون المستكبرون على الله، وذلك أن المسيطر في كلام العرب الجبار المتسلط، ومنه قول الله: ﴿**لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ**﴾ يقول: لست عليهم بجبار مسلط.

وقوله: ﴿**أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ**﴾ يقول: أم لهم سلم يرتقون فيه إلى السماء يستمعون عليه الوحي، فيدَّعون أنهم سمعوا هنالك من الله أن الذي هم عليه حقّ، فهم بذلك متمسكون بما هم عليه.

وقوله: ﴿**فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾ يقول: فإن كانوا يدّعون ذلك فليأت من يزعم أنه استمع ذلك، فسمعه بسلطان مبين، يعني بحجة تبين أنها حقّ، كما أتى محمد ﷺ بها على حقيقة قوله، وصدقه فيما جاءهم به من عند الله. والسُّلَّم في كلام العرب: السبب والمرقاة ومنه قول ابن مقبل:

لا تُحْرِزِ المَرْءَ أَحْجاءُ البِلادِ وَلا ... تُبْنَى لَهُ في السَّمَواتِ السَّلالِيمُ[(١)]

ومنه قوله: جعلت فلاناً سُلَّماً لحاجتي: إذا جعلته سبباً لها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش: ألربكم أيها القوم البنات ولكم البنون؟ ذلك إذن قسمة ضيزى، وقوله: ﴿**أَمْ تَسأَلُهُمْ أجراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أتسأل هؤلاء المشركين الذين أرسلناك إليهم يا محمدُ على ما تدعوهم إليه من توحيد الله وطاعته

---

(١) هذا البيت لتيميم بن أبي مقبل، نسبه إليه أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٣٠ ـ ١) وأحجاء البلاد: نواحيها وأطرافها. قاله في «**اللسان**» حجا ونسب البيت لابن مقبل وقد شرحنا البيت وبيتا الشاهد فيه، عند قوله تعالى: ﴿أو سلما في السماء﴾ في سورة الأنعام (٧/ ١٨٤) من هذه الطبعة، فراجعه ثمة. وقال أبو عبيدة والسلم: السبب والمرقاة، قال ابن مقبل:

«لا تحرز المرء...... البيت»

يقال: أنت تتخذني سلما لحاجتك: أي سبباً.

ثواباً وعوضاً من أموالهم، فهم من ثِقل ما حملتهم من الغرم لا يقدرون على إجابتك إلى ما تدعوهم إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**أَمْ تَسأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ**﴾ يقول: هل سألتَ هؤلاء القوم أجراً يُجْهِدهم، فلا يستطيعون الإسلام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وَهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أَمْ تَسأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ**﴾ قال: يقول: أسألتهم على هذا أجراً، فأثقلهم الذي يُبْتَغَى أخذه منهم.

وقوله: ﴿**أَمْ عِنْدَهُمُ الغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: أم عندهم علم الغيب، فهم يكتبون ذلك للناس، فينبئونهم بما شاؤوا، ويخبرونهم بما أرادوا.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: بل يريد هؤلاء المشركون يا محمد بك، وبدين الله كيداً ﴿**فالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ المَكِيدُونَ**﴾ يقول: فهم المكيدون الممكورُ بهم دونك، فثق بالله، وامض لما أمرك به.

وقوله: ﴿**أَمْ لَهُمْ إلَهٌ غَيرُ اللّهِ**﴾: يقول جلّ ثناؤه: أمْ لَهُم معبود يستحق عليهم العبادةُ غير الله، فيجوز لهم عبادته، يقول: ليس لهم إله غير الله الذي له العبادة من جميع خلقه ﴿**سُبْحانَ اللّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ يقول: تنزيهاً لله عن شركهم وعبادتهم معه غيرَه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن ير هؤلاء المشركون قِطْعاً من السماء ساقطاً، والكِسْف: جمع كِسْفة، مثل التمر جمع تمرة، والسِّدْر جمع سِدْرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**كِسْفاً**﴾ يقول: قِطْعاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإِنْ يَرَوا كِسْفاً**﴾ يقول: وإن يروا قِطْعاً ﴿**مِنَ السَّماءِ ساقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: يقولوا لذلك الكِسْف من السماء الساقط: هذا سحاب مركوم، يعني بقوله مركوم: بعضه على بعض.

وإنما عنى بذلك جلّ ثناؤه المشركين من قريش الذين سألوا رسول الله ﷺ الآيات، فقالوا له: ﴿**لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى تُفَجِّرَ لنَا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعاً...**﴾ إلى قوله: ﴿**عَلَيْنا كِسَفاً**﴾، فقال الله لنبيه محمد ﷺ: وإن ير هؤلاء المشركون ما سألوا من الآيات، فعاينوا كِسَفاً من السماء ساقطاً، لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب، ولقالوا. إنما هذا سحاب بعضه فوق بعض، لأن الله قد حتم عليهم أنهم لا يؤمنون. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة يقولوا ﴿**سَحَابٌ مَرْكُومٌ**﴾ يقول: لا يصدّقوا بحديث، ولا يؤمنوا بآية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ**﴾ قال: حين سألوا الكِسْف قالوا: أسقط علينا كِسَفاً من السماء إن كنت من الصادقين قال: يقول: لو أنا فعلنا لقالوا: سحاب مركوم.

وقوله: ﴿**فَذَرْهُمْ حتى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فدع يا محمد هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يهلكون، وذلك عند النفخة الأولى.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**فِيهِ يُصْعَقُونَ**﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم بفتح الياء من «يَصْعَقُونَ»، وقرأه عاصم ﴿**يُصْعَقُونَ**﴾ بضم الياء، والفتح أعجب القراءتين إلينا، لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما، وإن كانت الأخرى جائزة، وذلك أن العرب تقول: صعق الرجل وصُعِق، وسَعد وسُعد. وقد بيَّنا معنى الصَّعْق بشواهده، وما قال فيه أهل التأويل فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شيئاً**﴾ يوم القيامة، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون، ثم بين عن ذلك اليوم أيّ يوم هو، فقال: يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً، يعني: مَكرهم أنه لا يدفع عنهم عن عذاب الله شيئاً، فاليوم الثاني ترجمة عن الأوّل.

وقوله: ﴿وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يقول: ولا هم ينصرهم ناصر، فيستقيد لهم ممن عذّبهم وعاقبهم.

وقوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذلكَ﴾ اختلف أهل التأويل في العذاب الذي توعَّد الله به هؤلاء الظلمة من دون يوم الصعقة، فقال بعضهم: هو عذاب القبر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا شريك، عن أبي إسحاق، عن البراء ﴿عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ﴾ قال: عذاب القبر.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذلكَ﴾ يقول: عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أن ابن عباس كان يقول: إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذلكَ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، أن ابن عباس كان يقول: إن عذاب القبر في القرآن، ثم تلا ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذلكَ﴾.

وقال آخرون: عنى بذلك الجوع.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿عَذَاباً دُونَ ذلكَ﴾ قال: الجوع.

وقال آخرون: عنى بذلك: المصائب التي تصيبهم في الدنيا من ذهاب الأموال والأولاد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلكَ﴾ قال: دون الآخرة في هذه الدنيا ما يعذّبهم به من ذهاب الأموال والأولاد، قال: فهي للمؤمنين أجر وثواب عند الله، عدا مصائبهم ومصائب هؤلاء، عجلهم الله إياها في الدنيا، وقرأ ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ...﴾ إلى آخر الآية.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذاباً دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة، لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش، والمصائب التي تصيبهم في أنفسهم

وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة، ولم يخصص الله نوعاً من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عمّ فقال ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ﴾ فكلّ ذلك لهم عذاب، وذلك لهم دون يوم القيامة، فتأويل الكلام: وإن للذين كفروا بالله عذاباً من الله دون يوم القيامة ﴿وَلِكنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ بأنهم ذائقو ذلك العذاب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يا محمد الذي حكم به عليك، وامض لأمره ونهيه، وبلّغ رسالاته ﴿فإِنَّكَ بأَعْيُنِنا﴾ يقول جلّ ثناؤه: فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين.

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحمْدِ رَبِّكَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: إذا قمت من نومك فقل: سبحان اللّهِ وبحمده.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال: من كل منامة، يقول حين يريد أن يقوم: سبحانَك وبحمدك.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص عوف بن مالك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ قال: سبحان الله وبحمده.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال: إذا قام لصلاة من ليل أو نهار. وقرأ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلى الصَّلاةِ﴾ قال: من نوم، ذكره عن أبيه.

وقال بعضهم: بل معنى ذلك: إذا قمت إلى الصلاة المفروضة فقل: سبحانك اللهمّ وبحمدك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا ابن المبارك، عن جُوَيبر، عن الضحاك. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تقومُ﴾ قال: إذا قام إلى الصلاة قال: سبحانك اللهمّ وبحمدك، وتبارك اسمك ولا إله غيرك.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ**﴾ إلى الصلاة المفروضة.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وصلّ بحمد ربك حين تقوم من مَنامك، وذلك نوم القائلة، وإنما عنى صلاة الظهر.

وإنما قلت: هذا القول أولى القولين بالصواب، لأن الجميع مجمعون على أنه غير واجب أن يقال في الصلاة: سبحانك وبحمدك، وما رُوي عن الضحاك عند القيام إلى الصلاة، فلو كان القول كما قاله الضحاك لكان فرضاً أن يُقال لأن قوله: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾ أمر من الله تعالى بالتسبيح، وفي إجماع الجميع على أن ذلك غير واجب الدليل الواضح على أن القول في ذلك غير الذي قاله الضحاك.

فإن قال قائل: ولعله أُريد به الندب والإرشاد. قيل: لا دلالة في الآية على ذلك، ولم تقم حجة بأن ذلك معنيّ به ما قاله الضحاك، فيجعل إجماع الجميع على أن التسبيح عند القيام إلى الصلاة مما خير المسلمون فيه دليلاً لنا على أنه أُريد به الندب والإرشاد.

وإنما قلنا: عُني به القيام من نوم القائلة، لأنه لا صلاة تجب فرضاً بعد وقت من أوقات نوم الناس المعروف إلا بعد نوم الليل، وذلك صلاة الفجر، أو بعد نوم القائلة، وذلك صلاة الظهر فلما أمر بعد قوله: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ**﴾ بالتسبيح بعد إدبار النجوم، وذلك ركعتا الفجر بعد قيام الناس من نومها ليلاً، عُلِم أن الأمر بالتسبيح بعد القيام من النوم هو أمر بالصلاة التي تجب بعد قيام من نوم القائلة على ما ذكرنا دون القيام من نوم الليل.

وقوله: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ**﴾ يقول: ومن الليل فعظِّم ربك يا محمد بالصلاة والعبادة، وذلك صلاة المغرب والعشاء. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ**﴾ قال: ومن الليل صلاة العشاء ﴿**وَإِدْبَارَ النُّجُومِ**﴾ يعني حين تدبر النجوم للأفول عند إقبال النهار. وقيل: عُني بذلك ركعتا الفجر. ذكر بعض من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ**﴾ قال: هما السجدتان قبل صلاة الغداة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ**﴾ كنا نحدّث أنهما الركعتان عند طلوع الفجر. قال: وذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: لهما أحبّ إليّ من حُمْر النَّعَم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى،

عن سعيد بن هشام عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال في ركعتي الفجر «هُمَا خَيرٌ مِنَ الدُّنيْا جَمِيعاً».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَإِدْبارَ النُّجُومِ﴾ قال: ركعتان قبل صلاة الصبح.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ وحماد بن مسعدة قالا: ثنا حميد، عن الحسن، عن علي، في قوله: ﴿وَإِدْبارَ النُّجُومِ﴾ قال: الركعتان قبل صلاة الصبح.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، قال: قال عليّ رضي الله عنه ﴿إِدْبارَ النُّجُومِ﴾ الركعتان قبل الفجر.

وقال آخرون: عنى بالتسبح ﴿إِدْبارَ النُّجُومِ﴾: صلاة الصبح الفريضة.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَإِدْبارَ النُّجُومِ﴾ قال: صلاة الغداة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِدْبارَ النُّجُومِ﴾ قال: صلاة الصبح.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني بها: الصلاة المكتوبة صلاة الفجر، وذلك أن الله أمر فقال: ﴿وَمِنَ اللَّيلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبارَ النُّجُومِ﴾ والركعتان قبل الفريضة غير واجبتين، ولم تقم حجة يجب التسليم لها، أن قوله فسبحه على الندب، وقد دللنا في غير موضع من كتبنا على أمر الله على الفرض حتى تقوم حجة بأنه مراد به الندب، أو غير الفرض بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

آخر تفسير سورة الطور

(٥٣) سورة النجم مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢)﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**والنَّجْم إذَا هَوَى**﴾ فقال بعضهم: عُنِي بالنجم: الثُّريا، وعُنِي بقوله: ﴿**إذَا هَوَى**﴾: إذا سقط، قالوا: تأويلُ الكلام: والثريا إذا سقطت.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى**﴾ قال: إذا سقطت الثريا مع الفجر.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى**﴾ قال: الثريا. وقال مجاهد: ﴿**وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى**﴾ قال: سقوط الثريا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى**﴾ قال: إذا انصبّ.

وقال آخرون: معنى ذلك: والقرآن إذا نزل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني زياد بن عبد الله الحساني أبو الخطاب، قال: ثنا مالك بن سعير، قال: ثنا الأعمش، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى**﴾ قال: القرآن إذا نزل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَما غَوَى**﴾ قال: قال عُتْبة بن أبي لهب: كفرتُ بربّ النجم، فقال رسول الله ﷺ: «أمَا تَخافُ أنْ يَأْكُلُكَ كَلْبُ اللّهِ» قال: فخرج في تجارة إلى اليمن، فبينما هم قد عرّسوا، إذ سمعَ صوتَ الأسد، فقال لأصحابه إني مأكول، فأحدقوا به، وضرب على أصمختهم فناموا، فجاء حتى أخذه، فما سمعوا إلا صوته.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة أن النبيّ ﷺ تلا: **﴿وَالنَّجم إِذَا هَوَى﴾** فقال ابن لأبي لهب حسبته قال: اسمه عُتبة: كفرت بربّ النجم، فقال النبيّ ﷺ: «احْذَرْ لا يَأْكُلكَ كَلْبُ اللّهِ» قال: فضرب هامته. قال: وقال ابن طاوس عن أبيه، أن النبيّ ﷺ قال: «ألاّ تخافُ أنْ يُسَلِّطَ اللّهُ عَلَيْكَ كَلْبَهُ؟» فخرج ابن أبي لهب مع ناس في سفر حتى إذا كانوا في بعض الطريق سمعوا صوت الأسد، فقال: ما هو إلا يريدني، فاجتمع أصحابه حوله وجعلوه في وسطهم، حتى إذا ناموا جاء الأسد فأخذه من بينهم. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: عنى بقوله: **﴿والنَّجْمِ﴾** والنجوم. وقال: ذهب إلى لفظ الواحد، وهو في معنى الجميع، واستشهد لقوله ذلك بقول راعي الإبل:

فَباتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ في مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعٌ بِأيْدِي الآكِلِينَ جُمُودُها[١]

والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد من أنه عنى بالنجم في هذا الموضع: الثريا، وذلك أن العرب تدعوها النجم، والقول الذي قاله من حكينا عنه من أهل البصرة قول لا نعلم أحداً من أهل التأويل قاله، وإن كان له وجه، فلذلك تركنا القول به.

وقوله: ﴿ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَما غَوَى﴾ يقول تعالى ذكره: ما حاد صاحبكم أيها الناس عن الحقّ ولا زال عنه، ولكنه على استقامة وسداد.

ويعني بقوله: **﴿وَما غَوَى﴾**: وما صار غويًا، ولكنه رشيد سديد يقال: غَوَى يَغْوِي من الغيّ، وهو غاوٍ، وغَوِيَ يَغْوَى من اللبن[٢]: إذا بَشِم. وقوله: **﴿ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾** جواب قسم والنجم.

---

(١) البيت لراعي الإبل النميري عبيد بن أيوب «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة الورقة ٢٣٠ من المصورة ٢٦٠٥٩ قال عند قوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى﴾: قسم، والنجم: النجوم، ذهب إلى لفظ الواحد وهو في معنى الجمع، قال راعي الإبل:

«وباتت تعد النجم.....» البيت.

وفي مستحيرة: في إهالة، جعلها طافية، لأنها من شحم. وقال ابن قتيبة في كتاب «**المعاني الكبير**»، طبع الهند وقال الراعي وذكر امرأة أضافها:

فباتت....... البيت.

مستحيرة جفنة قد تحير فيها الدسم، فهي ترى فيها النجوم لصفاء الإهالة، وأراد بقوله تعد النجم: الثرياء، والعرب تسمي الثريا النجم. قال:

طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء

وقال التبريزي في «**شرح حماسة أبي تمام**» (٣٩/٤) قال أبو العلاء: كان بعض الناس يجعل «تعد» هنا من العدد، أي أن هذه المرأة تعد النجم في الجفنة المستحيرة، أي المملوءة، لأنها ترى خيال النجوم فيها، وقد يجوز هذا الوجه، وقد يحتمل أن يكون «تعد» في معنى تحسب وتظن، والمراد أن المرأة تحسب النجم في الجفنة، لما تراه من بياض الشحم. ا هـ.

(٢) في «**اللسان**» غوى غوى بالفتح غيا، وغوى (بالكسر) غواية الأخيرة عن أبي عبيد: ضل. وفيه: غوى الفصيل والسخلة، يغوى غوى (مثل فرح): بشم من اللبن ا هـ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾.

يقول تعالى ذكره: وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه ﴿إِنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ يقول: ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَما يَنطِقُ عَنِ الهَوَى﴾: أي ما ينطق عن هواه ﴿إِنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ قال: يوحي الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل، ويوحي جبريل إلى محمد ﷺ.

وقيل: عنى بقوله: ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى﴾ بالهوى.

وقوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾: يقول تعالى ذكره: عَلَّم محمداً ﷺ هذا القرآن جبريلُ عليه السلام، وعُنِي بقوله: ﴿شَديدُ القُوَى﴾ شديد الأسباب. والقُوى: جمع قوّة، كما الجثى: جمع جثوة، والحبى: جمع حبوة. ومن العرب من يقول: القِوَى: بكسر القاف، كما تُجمع الرشوة رِشا بكسر الراء، والحبوة حِبا. وقد ذُكر عن العرب أنها تقول: رُشوة بضم الراء، ورِشوة بكسرها، فيجب أن يكون جمع من جمع ذلك رشا بكسر الراء على لغة من قال: واحدها رشوة، وأن يكون جمع من جمع ذلك بضمّ الراء، من لغة من ضمّ الراء في واحدها وإن جمع بالكسر من كان لغته من الضمّ في الواحدة، أو بالضمّ من كان من لغته الكسر، فإنما هو حمل إحدى اللغتين على الأخرى. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾ يعني جبريل.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾ قال: جبرائيل عليه السلام.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، مثله.

وقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ فقال بعضهم: معناه: ذو خَلْق حَسَن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**ذُو مِرَّةٍ**﴾ قال: ذو منظر حسن.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى**﴾: ذو خَلْق طويل حسن.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ذو قوّة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثني الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى**﴾ قال: ذو قوّة جبريل.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**ذُو مِرَّةٍ**﴾ قال: ذو قوّة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى**﴾ قال: ذو قوّة، المرّة: القوّة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع ﴿**ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى**﴾ جبريل عليه السلام.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالمِرّة: صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات، والجسم إذا كان كذلك من الإنسان، كان قوياً، وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن المِرة واحدة المِرر، وإنما أُريد به: ذو مِرّة سوية. وإذا كانت المِرّة صحيحة، كان الإنسان صحيحاً. ومنه قول النبيّ ﷺ: «لا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيّ، وَلا لِذِي مِرَّةٍ سوِيٍّ».

وقوله: ﴿**فاسْتَوَى وَهُوَ بالأُفُقِ الأعْلَى**﴾ يقول: فاستوى هذا الشديد القويّ وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى، وذلك لما أسرى برسول الله ﷺ استوى هو وجبريل عليهما السلام بمطلع الشمس الأعلى، وهو الأفق الأعلى، وعطف بقوله: «وهو» على ما في قوله: «فاستوى» من ذكر محمد ﷺ، والأكثر من كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه، فيقولوا: استوى هو وفلان، وقلّما يقولون استوى وفلان وذكر الفرّاء عن بعض العرب أنه أنشده:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـنَّـبْـعَ يَـصْـلُـبُ عُـودُهُ   وَلا يَـسْـتَـوِي وَالـخِـرْوَعُ الـمُـتَـقَـصِّـفُ[(١)]

فردّ الخروع على «ما» في يستوي من ذكر النبع، ومنه قوله الله: **﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وآباؤُنا﴾** فعطف بالآباء على المكنيّ في كنا من غير إظهار نحن، فكذلك قوله: **﴿فاسْتَوَى وَهُوَ﴾**، وقد قيل: إن المستوي: هو جبريل، فإن كان ذلك كذلك، فلا مُؤْنة في ذلك، لأن قوله: **﴿وهو﴾** من ذكر اسم جبريل، وكأن قائل ذلك وجَّه معنى قوله: **﴿فاسْتَوَى﴾**: أي ارتفع واعتدل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع **﴿ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى﴾** جبريل عليه السلام وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَهُوَ بالأُفُقِ الأَعْلَى﴾** والأفق: الذي يأتي منه النهار.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قوله: **﴿وَهُوَ بالأُفُقِ الأَعْلَى﴾** قال: بأفق المشرق الأعلى بينهما.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع **﴿وَهُوَ بالأُفُقِ الأَعْلَى﴾** يعني جبريل.

قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع **﴿وَهُوَ بالأُفُقِ الأَعْلَى﴾** قال: السماء الأعلى، يعني جبريل عليه السلام.

---

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٣١٤) وفي روايته «يخلق» في مكان «يصلب». والخروع: شجرة لينة الأغصان، تتقصف أفنانها للينها، ومن ثمرها يستخرج زيت الخروع الذي يستعمل في أغراض طبية وصناعية. والنبع شجر صلب ينبت في أعالي الجبال، تتخذ من خشبه القسي والسهام. وبينه وبين الخروع بون بعيد في صلابة العود. واستشهد الفراء بالبيت عند قوله تعالى: ﴿فاستوى وهو بالأفق الأعلى﴾ أي استوى (هو) أي جبريل، وهو أي محمد ﷺ بالأفق الأعلى، وعطف هو البارز على هو المستتر، فأضمر الاسم في استوى، ورد عليه هو، قال: وأكثر كلام العرب أن يقولوا: استوى هو وأبوه؛ ولا يكادون يقولون: استوى وأبوه وهو جائز لأن في الفعل مضمراً؛ أنشدني بعضهم:

«ألـــم تـــر أن الـــنـــبـــع....

البيت». وقال الله وهو أصدق قيلا: «أئذا كنا تراباً وآباؤنا» فرد الآباء على المضمر في كنا، إلاّ أنه حسن لماحيل بينهما بالتراب، والكلام أئذا كنا تراباً نحن وآباؤنا. ا هـ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم دنا جبريل من محمد ﷺ فتدلى إليه، وهذا من المؤخَّر الذي معناه التقديم، وإنما هو: ثم تدلى فدنا، ولكنه حسن تقديم قوله: ﴿دنا﴾، إذ كان الدنوّ يدلّ على التدلي والتدلي على الدنوّ، كما يقال: زارني فلان فأحسن، وأحسن إليّ فزارني وشتمني، فأساء، وأساء فشتمني لأن الإساءة هي الشتم: والشتم هو الإساءة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿ثُمَّ دنا فَتَدَلَّى﴾ قال: جبريل عليه السلام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ يعني: جبريل.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ قال: هو جبريل عليه السلام.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم دنا الربّ من محمد ﷺ فتدلى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يحيى بن سعيد الأمويّ، قال: ثنا أبي، قال: ثنا محمد بن عمرو، عن أبي سَلَمة، عن ابن عباس ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ قال: دنا ربه فتدلى.

حدثنا الربيع، قال: ثنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدّثنا عن ليلة المسرى برسول الله ﷺ أنه عرج جبرائيل برسول الله ﷺ إلى السماء السابعة، ثم علا به بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار ربّ العزّة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه ما شاء، فأوحى الله إليه فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كلّ يوم وليلة، وذكر الحديث.

وقوله: ﴿فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ يقول: فكان جبرائيل من محمد ﷺ على قدر قوسين، أو أدنى من ذلك، يعني: أو أقرب منه، يقال: هو منه قاب قوسين، وقِيب قوسين، وقِيد قوسين، وقادَ قوسين، وقَدَى قوسين، كل ذلك بمعنى: قدر قوسين. وقيل: إن معنى قوله: ﴿فَكانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أنه كان منه حيث الوتر من القوس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**قابَ قَوْسَيْنِ**﴾ قال: حيث الوتر من القوس.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿**فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ**﴾ قال: قيدَ قوسين. وقال ذلك قتادة.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خَصِيف، عن مجاهد ﴿**فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ**﴾ قال: قِيدَ، أو قدرَ قوسين.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو معاوية، عن إبراهيم بن طهمان، عن عاصم، عن زِرّ، عن عبد الله فكان قاب قوسين أو أدنى: قال: دنا جبريل عليه السلام منه حتى كان قدر ذراع أو ذراعين.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عاصم، عن أبي رزين ﴿**قابَ قَوْسَيْنِ**﴾ قال: ليست بهذه القوس، ولكن قدر الذراعين أو أدنى والقاب: هو القيد.

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿**فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى**﴾ فقال بعضهم: في ذلك، بنحو الذي قلنا فيه.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا سليمان الشيبانيّ، قال: ثنا زِرّ بن حُبيش، قال: قال عبد الله في هذه الآية ﴿**فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى**﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَناحٍ».

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري، قال: ثنا خالد عبد الله، عن الشيباني، عن زرّ، عن ابن مسعود في قوله: ﴿**فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى**﴾ قال: رأى جبرائيل ستّ مئة جناح في صورته.

حدثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا قبيصة بن ليث الأسدي، عن الشيباني، عن زرّ بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود ﴿**فَكان قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى**﴾ قال: رأى النبيّ ﷺ جبريل عليه السلام له ستّ مئة جناح.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن وهب، قال: ثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة قالت: كان أوّل شأن رسول الله ﷺ أنه رأى في منامه جبريل عليه السلام بأجياد، ثم إنه

خرج ليقضي حاجته، فصرخ به جبريل: يا محمد فنظر رسول الله ﷺ يميناً وشمالاً، فلم ير شيئاً ثلاثاً ثم خرج فرآه، فدخل في الناس، ثم خرج، أو قال: ثم نظر «أنا أشكّ»، فرآه، فذلك قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَما غَوَى وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى...﴾ إلى قوله: ﴿فَتَدَلَّى﴾ جبريل إلى محمد ﷺ، ﴿فكان قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنى﴾ يقول: القاب: نصف الأصبع. وقال بعضهم: ذراعين كان بينهما.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الشيباني، عن زرّ بن حُبَيش، عن ابن مسعود، ﴿فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنى﴾ قال: له ستّ مئة جناح، يعني جبريل عليه السلام.

حدثنا إبراهيم بن سعيد، قال: ثنا أبو أُسامة، قال: ثنا زكريا، عن ابن أشوع، عن عامر، عن مسروق، قال: قلت لعائشة: ما قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنى فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى﴾ فقالت: إنما ذاك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجال، وإنه أتاه في هذه المرّة في صورته، فسدّ أفق السماء.

وقال آخرون: بل الذي دنا فكان قاب قوسين أو أدنى: جبريل من ربه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فَكانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنى﴾ قال الله من جبريل عليه السلام.

وقال آخرون: بل كان الذي كان قاب قوسين أو أدنى: محمد من ربه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن موسى بن عبيد الحميري، عن محمد بن كعب القرظي، عن بعض أصحاب النبيّ ﷺ قال: قلنا يا نبيّ الله: هل رأيت ربك؟ قال: «لَمْ أرَهُ بِعَيْنِي، ورأيْتُهُ بفُؤَادِي مَرَّتَيْن»، ثُمَّ تَلا: ﴿ثُمَّ دَنى فَتَدَلَّى﴾.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر، أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثيّ، عن كثير، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي، مَضَى جِبْرِيلُ حتى جاءَ الجَنَّةَ، قالَ: فَدَخَلْتُ فأُعْطِيتُ الكَوْثَرَ، ثُمَّ مَضَى حتى جاءَ السِّدْرَةَ المُنْتَهَى، فَدَنا رَبُّكَ فَتَدَلَّى ﴿فكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى، فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى﴾».

وقوله: ﴿فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: فأوحى الله إلى عبده محمد وحيه، وجعلوا قوله: ﴿ما أوْحَى﴾ بمعنى المصدر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثنا أبي، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى**﴾ قال: عبده محمد ﷺ ما أوحى إليه ربه.

وقد يتوجه على هذا التأويل «ما» لوجهين: أحدهما: أن تكون بمعنى «الذي»، فيكون معنى الكلام فأوحى إلى عبده الذي أوحاه إليه ربه. والآخر: أن تكون بمعنى المصدر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام قال: ثني أبي، عن قتادة ﴿**فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحَى**﴾، قال الحسن: جبريل.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿**فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى**﴾ قال: على لسان جبريل.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحَى**﴾ قال: أوحى جبريل إلى رسول الله ﷺ ما أوحى الله إليه.

وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فأوحى جبريل إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى إليه ربه، لأن افتتاح الكلام جرى في أوّل السورة بالخبر عن رسول الله ﷺ، وعن جبريل عليه السلام، وقوله: ﴿**فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى**﴾ فِي سِياقِ ذلكَ ولم يأت ما يدلّ على انصراف الخبر عنهما، فيوجه ذلك إلى ما صرف إليه.

وقوله: ﴿**ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى**﴾ يقول تعالى ذكره: ما كذّب فؤاد محمد محمداً الذي رأى، ولكنه صدّقه.

واختلف أهل التأويل في الذي رآه فؤاده فلم يكذّبه، فقال بعضهم: الذي رآه فؤاده ربّ العالمين، وقالوا جعل بصره في فؤاده، فرآه بفؤاده، ولم يره بعينه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سعيد بن يحيى، قال: ثني عمي سعيد عبد الرحمن بن سعيد، عن إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السَّبيعي، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى**﴾ قال: رآه بقلبه ﷺ.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر بن شميل، قال: أخبر عباد، يعني ابن منصور، قال: سألت عكرمة، عن قوله: ﴿**ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى**﴾ قال: أتريد أن أقول لك قد رآه، نعم قد رآه، ثم قد رآه، ثم قد رآه حتى ينقطع النفس.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عيسى بن عبيد، قال: سمعت عكرِمة، وسُئل هل رأى محمد ربه؟ قال نعم، قد رأى ربه.

قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا سالم مولى معاوية، عن عكرمة، مثله.

حدثنا أحمد بن عيسى التميمي، قال: ثنا سليمان بن عمرو بن سيار، قال: ثني أبي، عن سعيد بن زربي عن عمرو بن سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأَيْتُ رَبِي فِي أَحْسَنَ صُورَةٍ» فَقالَ لِي: يا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ فَقُلْتُ «لا يا رَبِّ فَوَضَعَ يَدَهُ بَينَ كَتِفَيَّ، فَوَجَدْتُ بَرْدَها بَينَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْت ما في السَّماءِ والأرْضِ» فَقُلْتُ: «يا رَبِّ فِي الدَّرَجاتِ والكَفَّارَاتِ وَنَقْلِ الأقْدَام إلى الجُمُعاتِ، وَانْتِظارِ الصَّلاةِ بَعْد الصَّلاةِ»، فَقُلْتُ: «يا رَبِّ إنَّكَ اتَّخَذْتَ إبْرَاهِيم خَلِيلاً، وكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيماً، وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ؟» فَقال: أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟ أَلَمْ أَضَعْ عَنْكَ وِزْرَكَ؟ أَلَمْ أَفْعَلْ بِكَ؟ أَلَم أَفْعَلْ؟ قال: «فأَفْضَى إليَّ بأشْياءَ لَمْ يُؤْذَنْ لي أنْ أُحَدِّثُكُمُوها» قال: «فَذلكَ قَوْلُهُ فِي كِتابِهِ يُحَدِّثُكُمُوهُ»: ثُمَّ دَنا فَتَدلى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى، فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحَى. ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى، «فَجَعَلَ نُورَ بَصَرِي فِي فُؤَادِي، فَنَظَرْت إلَيْهِ بِفُؤَادِي».

حدثني محمد بن عمارة وأحمد بن هشام، قالا: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن السديّ، عن أبي صالح ﴿**ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى**﴾ قال: رآه مرّتين بفؤاده.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن عطية، عن قيس، عن عاصم الأحول، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: إن الله اصطفى إبراهيم بالخُلَّة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمداً بالرؤية صلوات الله عليهم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن زياد بن الحصين، عن أبي العالية عن ابن عباس ﴿**ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى**﴾ قال: رآه بفؤاده.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق عمن سمع ابن عباس يقول ﴿**ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى**﴾ قال: رأى محمد ربه.

قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿**ما كَذَبَ الفُؤَادُ**﴾ فلم يكذّبه ﴿**ما رأَى**﴾ قال: رأى ربه.

قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿**ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى**﴾ قال رأى محمد ربه بفؤاده.

وقال آخرون: بل الذي رآه فؤاده فلم يكذّبه جبريل عليه السلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن بزيع البغدادي، قال: ثنا إسحاق بن منصور، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله ﴿**ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأى**﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض.

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجانيّ، قال: ثنا عمرو بن عاصم، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم عن رزّ، عن عبد الله، أن النبيّ ﷺ قال: «رأيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهى، لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَناحٍ، يَنْفُضُ مِنْ رِيشِهِ التَّهاوِيلَ الدُّرَّ والياقُوتَ».

حدثنا أبو هشام الرفاعي، وإبراهيم بن يعقوب، قالا: ثنا زيد بن الحباب، أن الحسين بن واقد، حدثه قال: حدثني عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهى لَهُ سِتّ مِئَةِ جَناحٍ» زاد الرفاعيّ في حديثه، فسألت عاصماً عن الأجنحة، فلم يخبرني، فسألت أصحابي، فقالوا: كلّ جناح ما بين المشرق والمغرب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأى**﴾ قال: رأى جبريل في صورته التي هي صورته، قال: وهو الذي رآه نزلة أُخرى.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى**﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة ومكة والكوفة والبصرة ﴿**كَذَبَ**﴾ بالتخفيف، غير عاصم الجحدري وأبي جعفر القارىء والحسن البصري فإنهم قرأوه «كذّب» بالتشديد، بمعنى: أن الفؤاد لم يكذّب الذي رأى، ولكنه جعله حقاً وصدقاً، وقد يحتمل أن يكون معناه إذا قرىء كذلك: ما كذّب صاحب الفؤاد ما رأى. وقد بيّنا معنى من قرأ ذلك بالتخفيف.

والذي هو أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف لإجماع الحجة من القرّاء عليه، والأخرى غير مدفوعة صحتها لصحة معناها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ (١٥) إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦)﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة ﴿**أفَتُمارُونَهُ**﴾، فقرأ ذلك عبد الله بن مسعود وعامة أصحابه «أفَتَمْرُونَهُ» بفتح التاء بغير ألف، وهي قراءة عامة أهل الكوفة، ووجهُّوا تأويله إلى أفتجحدونه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم أنه كان

يقرأ: «أَفَتَمْرُونَهُ» بفتح التاء بغير ألف، يقول: أفتجحدونه ومن قرأ ﴿أفَتُمارُونَهُ﴾ قال: أفتجادلونه. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيين ﴿أفَتُمارُونَهُ﴾ بضم التاء والألف، بمعنى: أفتجادلونه.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، وذلك أن المشركين قد جحدوا أن يكون رسول الله ﷺ رأى ما أراه الله ليلة أُسري به وجادلوا في ذلك، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وتأويل الكلام: أفتجادلون أيها المشركون محمداً على ما يرى مما أراه الله من آياته.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ يقول: لقد رآه مرّة أخرى. واختلف أهل التأويل في الذي رأى محمد نزلة أخرى نحو اختلافهم في قوله: ﴿ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأى﴾. ذكر بعض ما رُوي في ذلك من الاختلاف. ذكر من قال فيه رأى جبريل عليه السلام:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب الثقفي، قال: ثنا داود، عن عامر، عن مسروق، عن عائشة، أن عائشة قالت: يا أبا عائشة من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله قال: وكنت متكئاً، فجلست، فقلت: يا أمّ المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، أرأيت قول الله ﴿وَلَقَدْ رآه نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ﴾؟ قالت: إنما هو جبريل رآه مرّة على خلقه وصورته التي خلق عليها، ورآه مرّة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض، قالت: أنا أوّل من سأل النبيّ ﷺ عن هذه الآية، قال: «هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ وعبد الأعلى، عن داود، عن عامر، عن مسروق، عن عائشة بنحوه.

حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا داود، عن الشعبي، عن مسروق، قال: كنت عند عائشة، فذكر نحوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت له: يا أبا عائشة، من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله، والله يقول: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصارَ﴾ ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللّهُ إلاَّ وَحياً أوْمِنْ وَرَاءِ حِجابٍ﴾ قال: وكنت متكئاً، فجلست وقلت: يا أمّ المؤمنين انتظري ولا تعجلي ألم يقل الله ﴿وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ﴿وَلَقَدْ رآهُ بالأُفُقِ المُبِينِ﴾؟ فقالت: أنا أوّل هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «لَمْ أرَ جِبْرِيلَ عَلى صُورَتِهِ إلاَّ هاتَيْنِ المَرَّتَيْنِ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّماء ساداً عِظَم خَلْقِهِ ما بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن الشعبيّ، عن مسروق، قال: كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثم ذكر نحوه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود ﴿وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال: رأى جبريل في رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن قيس بن وهب، عن مرّة، عن ابن مسعود ﴿لَقَدْ رآهُ نُزَلَةً أُخْرَى﴾ قال: رأى جبريل في وبر رجليه كالدرّ، مثل القطر على البقل.

حدثني الحسين بن عليّ الصدائي، قال: ثنا أبو أُسامة، عن سفيان، عن قيس بن وهب، عن مرّة في قوله: ﴿وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ثم ذكر نحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مجاهد ﴿وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال: رأى جبريل في صورته مرّتين.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل الحضرميّ، عن مجاهد، قال: رأى النبيّ ﷺ جبريل عليه السلام في صورته مرّتين.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿وَلَقَدْ رآه نَزْلَةً أخرَى﴾ قال: جبريل عليه السلام.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: ثنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل، عن عامر، قال: ثني عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن كعب أنه أخبره أن الله تبارك وتعالى قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد، فكلَّمه موسى مرّتين، ورآه محمد مرّتين، قال: فأتى مسروق عائشة، فقال: يا أمّ المؤمنين، هل رأى محمد ربه؟ فقالت: سبحان الله لقد قفّ شعري لما قلت: أين أنت من ثلاثة من حدّثك بهنّ فقد كذب، من أخبرك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت ﴿لا تُدْرِكُه الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرِ﴾ ﴿وَما كانَ لِبَشَر أنْ يُكَلِّمَهُ اللّهُ إلاَّ وَحْياً أوْ مِنْ وَرَاءِ حِجاب﴾ ومن أخبرك ما في غد فقد كذب، ثم تلت آخر سورة لقمان ﴿إنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ، وَيَعْلَمُ ما في الأرْحام وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَداً وَما تَدْرِي نَفْسٌ بأيّ أرْضٍ تَمُوتُ﴾ ومن أخبرك أن محمداً كتم شيئاً من الوحي فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قالت: ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرّتين.

حدثنا موسى بن عبد الرحمن، قال: ثنا أبو أُسامة، قال: ثني إسماعيل، عن عامر، قال: ثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: سمعت كعباً، ثم ذكر نحو حديث عبد الحميد بن

بيان، غير أنه قال في حديثه فرآه محمد مرّة، وكلّمه موسى مرّتين. ذكر من قال فيه: رأى ربه عزّ وجلّ.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن سماك بن عكرِمة، عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخرَى﴾ قال: إن رسول الله ﷺ رأى ربه بقلبه، فقال له رجل عند ذلك: أليس ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأبْصَارَ﴾؟ قال له عكرِمة: أليس ترى السماء؟ قال: بلى، أفكلها ترى؟

حدثنا سعيد بن يحيى، قال: ثنا أبي، قال: ثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن ابن عباس، في قول الله: ﴿وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخرَى عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى﴾ قال: دنا ربه فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى قال: قال ابن عباس قد رآه النبيّ ﷺ.

وقوله: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد رآه عند سدرة المنتهى، فعند من صلة قوله: ﴿رآهُ﴾ والسدرة: شجرة النبق. وقيل لها سدرة المنتهى في قول بعض أهل العلم من أهل التأويل، لأنه إليها ينتهي علم كلّ عالم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا يعقوب، عن حفص بن حميد، عن شمر، قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار، فقال له: حدثني عن قول الله: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى عِنْدَها جَنَّةُ المَأْوَى﴾ فقال كعب: إنها سدرة في أصل العرش، إليها ينتهي علم كلّ عالم، مَلك مقرّب، أو نبيّ مرسل، ما خلفها غيب، لا يعلمه إلا الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال أخبرني جرير بن حازم، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف، قال: سأل ابن عباس كعباً، عن سدرة المنتهى وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرة على رؤوس حملة العرش، وإليها ينتهي علم الخلائق، ثم ليس لأحد وراءها علم، ولذلك سميت سدرة المنتهى، لانتهاء العلم إليها.

وقال آخرون: قيل لها سدرة المنتهى، لأنها ينتهي ما يهبط من فوقها، ويصعد من تحتها من أمر الله إليها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا سهل بن عامر، قال: ثنا مالك، عن الزُّبير، عن عديّ، عن طلحة اليامي، عن مرّة، عن عبد الله، قال: لما أُسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي من يعرج من الأرض أو من تحتها، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها، فيقبض فيها.

حدثني جعفر بن محمد المروزي، قال: ثنا يعلى، عن الأجلح، قال: قلت للضحاك: لم تسمى سدرة المنتهى؟ قال: لأنه ينتهي إليها كلّ شيء من أمر الله لا يعدوها.

وقال آخرون: قيل لها: سِدْرة المنتهى، لأنه ينتهي إليها كلّ من كان على سنة رسول الله ﷺ ومِنهاجه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى﴾، قال: إليها ينتهي كلّ أحد، خلا على سنة أحمد، فلذلك سميت المنتهى.

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا أبو جعفر الرازيّ، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هُريرة، أو غيره «شكّ أبو جعفر الرازيّ» قال: لما أسري بالنبيّ ﷺ، انتهى إلى السدرة، فقيل له: هذه السدرة ينتهي إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سنتك.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن معنى المنتهى الانتهاء، فكأنه قيل: عند سدرة الانتهاء. وجائز أن يكون قيل لها سدرة المنتهى: لانتهاء علم كلّ عالم من الخلق إليها، كما قال كعب. وجائز أن يكون قيل ذلك لها، لانتهاء ما يصعد من تحتها، وينزل من فوقها إليها، كما رُوي عن عبد الله. وجائز أن يكون قيل ذلك كذلك لانتهاء كلّ من خلا من الناس على سنة رسول الله ﷺ إليها. وجائز أن يكون قيل لها ذلك لجميع ذلك، ولا خبر يقطع العذر بأنه قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض، فلا قول فيه أصحّ من القول الذي قال ربنا جلّ جلاله، وهو أنها سدرة المنتهى.

وبالذي قلنا في أنها شجرة النبق تتابعت الأخبار عن رسول الله ﷺ، وقال أهل العلم. ذكر ما في ذلك من الآثار، وقول أهل العلم:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن حميد، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «انْتَهَيْتُ إلى السِّدْرَةِ فإذَا نَبِقُها مِثْلُ الجِرَارِ، وَإذَا وَرَقُها مِثْل آذَانِ الفِيلَةِ فَلَمَّا غَشِيَها مِنْ أمْرِ اللّهِ ما غَشِيَها، تَحَوَّلَتْ ياقُوتاً وَزُمُرُّداً وَنَحْوَ ذلكَ».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عَدِيّ، عن سعيد عن قتادة، عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجل من قومه قال: قال نبيّ الله ﷺ: «لَمَّا انْتَهَيْتُ إلى السَّماءِ السَّابِعَةِ أتَيْتُ عَلى إبْرَاهِيمَ فَقُلْتُ: يا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا؟ قال: هَذَا أبُوكَ إبْرَاهِيمُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقالَ: مَرْحَبا بالابْنِ الصَّالِحِ والنَّبِيّ الصَّالِحِ، قال: ثُمَّ رُفِعَتْ لي سِدْرَةُ المُنْتَهَى فحدّث نبيّ الله أنّ نبقها مثل قلال هجر، وأن ورقها مثل آذان الفِيلة».

وحدثنا ابن المثنى، قال: ثنا خالد بن الحارث، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجل من قومه، عن النبيّ ﷺ، بنحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن قتادة، قال: ثنا أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، أن رسول الله ﷺ قال، فذكر نحوه.

حدثنا أحمد بن أبي سُرَيج، قال: ثنا الفضل بن عنبسة، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البُنانيّ، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ: «رَكِبْتُ البُرَاقَ ثُمَّ ذُهِبَ بِي إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، فإذَا وَرقُها كآذَانِ الفِيَلَةِ، وَإذَا ثَمَرُها كالقِلالِ» قال: «فَلَمَّا غَشِيَها مِنْ أمْرِ اللّهِ ما غَشِيَها تَغَيَّرَتْ، فَمَا أحَدٌ يَسْتَطِيعُ أنْ يَصِفَها مِنْ حُسْنِها»، قال: «فأَوْحَى اللّهُ إليَّ ما أوْحَى».

حدثنا أحمد بن أبي سريج، قال: ثنا أبو النضر، قال ثنا سليمان بن المُغيرة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «عَرَجَ بِي المَلَكُ» قال: «ثُمَّ انْتَهَيْتُ إلى السِّدْرَةِ وأنا أعْرِفُ أنها سِدْرَةٌ، أعْرِفُ وَرَقَها وَثَمَرها» قال: «فَلَمَّا غَشِيَها مِنْ أمْرِ اللّهِ ما غَشِيَها تَحَوَّلَتْ حتى ما يَسْتَطِيعُ أحَدٌ أنْ يَصِفَها».

حدثنا محمد بن سنان القزّاز، قال: ثنا يونس بن إسماعيل، قال: ثنا سليمان، عن ثابت، عن أنس عن رسول الله ﷺ مثله، إلا أنه قال: «حتى ما أسْتَطِيعُ أنْ أصِفَها».

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا أبو جعفر الرازيّ، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره «شكّ أبو جعفر الرازيّ» قال: لما أسريَ بالنبيّ ﷺ انتهى إلى السدرة، فقيل له: هذه السدرة ينتهي إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سنتك، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها، والورقة منها تغطي الأمة كلها.

وحدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل الحضرميّ، عن الحسن العرنيّ، أراه عن الهذيل بن شرحبيل، عن ابن مسعود ﴿**سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**﴾ قال: من صُبْر الجنة عليها أو عليه فضول السندس والاستبرق، أو جعل عليها فضول.

وحدثنا به ابن حُمَيد مرّة أخرى، عن مهران، فقال عن الحسن العُرنيّ، عن الهذيل، عن ابن مسعود «ولم يشكّ فيه»، وزاد فيه: قال صبر الجنة: يعني وسطها وقال أيضاً: عليها فضول السندس والاستبرق.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن

الحسن العرني، عن الهذيل بن شرحبيل، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ قال: صبر الجنة عليها السندس والاستبرق.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: سمعت رسول الله ﷺ، وذكر سدرة المنتهى، فقال: «يَسِيرُ فِي ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْها مِئَةُ رَاكِبٍ»، أو قال: «يَسْتَظِلُّ فِي الفَنِ مِنْها مِئَةُ رَاكِبٍ»، «شكّ يحيى» «فِيها فَرَاشُ الذَّهَبِ، كأنَّ ثَمَرها القِلالُ».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن سدرة المنتهى، قال: السدرة: شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، وإن ورقة منها غَشَّت الأمَّةَ كلها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾: أن النبيّ ﷺ قال: «رُفِعَتْ لي سِدْرَةُ مُنْتَهاها فِي السَّماءِ السَّابِعَةِ، نَبْقُها مِثْلُ قِلالِ هَجَرٍ، وَوَرَقُها مِثْلُ آذانِ الفِيلَةِ، يَخْرُجُ مِنْ ساقِها نَهْرَانِ ظاهِران، وَنهْرانِ باطِنانِ»، قال: «قُلْتُ لِجْبِرِيلَ ما هَذَانِ النَّهْرَانِ أزْوَاجٌ» قال: أمَّا النَّهْرَانِ الباطِنانِ، فَفِي الجَنَّة، وأمَّا النَّهْرَانِ الظَّاهِرَانِ: فالنِّيلُ والفُراتُ.

وقوله: ﴿عِنْدَها جَنَّةُ المأوَى﴾ يقول تعالى ذكره: عند سدرة المنتهى جنة مأوى الشهداء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿عِنْدَها جَنَّةُ المأْوَى﴾ قال: هي يمين العرش، وهي منزل الشهداء.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن داود، عن أبي العالية، عن ابن عباس: ﴿عِنْدَها جَنَّةُ المأْوَى﴾ قال: هو كقوله: ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ المأْوَى نُزُلاً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿عِنْدَها جَنَّةُ المأْوَى﴾ قال: منازل الشهداء.

وقوله: ﴿إذْ يغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد رآه نزلة أخرى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، فإذ من صلة رآه. واختلف أهل التأويل في الذي يغشى السدرة، فقال بعضهم: غَشِيَها فَرَاش الذهب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا سهل بن عامر، قال: ثنا مالك، عن الزبير بن عديّ، عن طلحة اليامّي، عن مرّة، عن عبد الله ﴿**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى**﴾ قال: غشيها فَرَاش من ذهب.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم أو طلحة «شكّ الأعمش» عن مسروق في قوله: ﴿**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى**﴾ قال: غشيها فَراش من ذهب.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو خالد، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيْتُها بعَيْنِي سِدْرَةَ المُنْتَهَى حتى اسْتَثْبَتُّها ثُمَّ حالَ دُونَها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس ﴿**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى**﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيْتُها حتى اسْتَثْبَتُّها، ثُمَّ حالَ دُونها فَرَاشُ الذَّهَبِ».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن مجاهد وإبراهيم، في قوله: ﴿**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى**﴾ قال: غشيها فراش من ذهب.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن موسى، يعني ابن عبيدة، عن يعقوب بن زيد، قال: سُئل النبيُّ ﷺ: ما رأيتَ يغشى السِّدرة؟ قال: «رأيْتُها يَغْشاها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى**﴾ قال: قيل له: يا رسول الله، أيّ شيء رأيت يغشى تلك السدرة؟ قال: «رأيْتُها يَغْشاها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، ورأيْتُ على كُلّ وَرَقَةٍ مِنْ وَرَقِها مَلَكاً قائماً يُسَبِّحُ اللّهَ».

وقال آخرون: الذي غشيها ربّ العزّة وملائكته.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى**﴾ قال: غشيها الله، فرأى محمد من آيات ربه الكبرى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى**﴾ قال: كان أغصان السدرة لؤلؤاً وياقوتاً أو زبرجداً، فرآها محمد، ورأى محمد بقلبه ربه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى**﴾ قال: غشيها نور الربّ، وغشيتها الملائكة من حُبّ الله مثل الغربان حين يقعن على الشجر.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع بنحوه.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا أبو جعفر الرازيّ، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره «شكّ أبو جعفر» قال: لما أُسري بالنبيّ ﷺ انتهى إلى السدرة، قال: فغشيها نور الخَلاّق، وغشيتها الملائكة أمثالَ الغربان حين يقعن على الشجر، قال: فكلمه عند ذلك، فقال له: سَلْ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾.

يقول تعالى ذكره: ما مال بصر محمد يَعْدِل يميناً وشمالاً عما رأى، أي ولا جاوز ما أُمِر به قطعاً، يقول: فارتفع عن الحدّ الذي حُدّ له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد الزبيريّ، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مسلم البطين، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**ما زَاغَ البَصَرُ وَما طَغَى**﴾ قال: ما زاغ يميناً ولا شمالاً ولا طغى، ولا جاوز ما أمر به.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي ﴿**ما زَاغَ البَصَرُ وَما طَغَى**﴾ قال رأى جبرائيل في صورة الملَك.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مسلم البطين، عن ابن عباس ﴿**ما زَاغَ البَصَرُ وَما طَغَى**﴾ قال: ما زاغ: ذهب يميناً ولا شمالاً، ولا طغى: ما جاوز.

وقوله: ﴿**لَقَدْ رأَى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبْرَى**﴾ يقول تعالى ذكره: لقد رأى محمد هنالك من أعلام ربه وأدلته الأعلام والأدلة الكبرى. واختلف أهل التأويل في تلك الآيات الكبرى، فقال بعضهم: رأى رَفْرفاً أخضر قد سدّ الأفق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا أبو معاوية، قال: ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله ﴿**لَقَدْ رأَى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبْرَى**﴾ قال: رفرفاً أخضر من الجنة قد سدّ الأفق.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: قال عبد الله، فذكر مثله.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال: رفرفاً أخضر قد سدّ الأفق.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن الأعمش، أن ابن مسعود قال: رأى النبيّ ﷺ رَفرفاً أخضر من الجنة قد سدّ الأفق.

وقال آخرون: رأى جبريل في صورته.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾ قال: جبريل رآه في خلقه الذي يكون به في السموات، قدر قوسين من رسول الله ﷺ، فيما بينه وبينه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها المشركون اللاّت، وهي من الله ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة وكما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى عباسة، فكذلك سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماؤه، فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العُزّى وزعموا أنهن بنات الله، تعالى الله عما يقولون وافتروا، فقال جلّ ثناؤه لهم: أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعُزّى ومناة الثالثة بناتُ الله ﴿**أَلَكُمُ الذَّكَرُ**﴾ يقول: أتختارون لأنفسكم الذكرَ من الأولاد، وتكرهون لها الأنثى، وتجعلون ﴿**لَهُ الأُنْثَى**﴾ التي لا ترضونها لأنفسكم، ولكنكم تقتلونها كراهة منكم لهنّ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**اللات**﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار بتخفيف التاء على المعنى الذي وصفتُ.

وذُكر أن اللات بيت كان بنخلة تعبده قريش. وقال بعضهم: كان بالطائف.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ والعُزَّى**﴾ أما اللات فكان بالطائف.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أفرأيتُم اللات والعُزّى**﴾ قال: اللات بيت كان بنخلة تعبده قريش.

وقرأ ذلك ابن عباس ومجاهد وأبو صالح «اللاتّ» بتشديد التاء وجعلوه صفة للوثن الذي عبدوه، وقالوا: كان رجلاً يَلُتّ السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه. ذكر الخبر بذلك عمن قاله:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد «أفَرأيْتُمُ اللاتَّ والعُزَّى» قال: كان يَلُتّ السويق للحاجّ، فعكف على قبره.

قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد «أفَرأيْتُمُ اللاتَّ» قال: اللاّت: كان يلتّ السويق للحاجّ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد «اللاتَّ» قال: كان يَلُتّ السويق فمات، فعكفوا على قبره.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿**اللاتَّ**﴾ قال: رجل يلتّ للمشركين السويق، فمات فعكفوا على قبره.

حدثنا أحمد بن هشام، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي صالح، في قوله: «اللاتَّ» قال: اللات: الذي كان يقوم على آلهتهم، يَلُتّ لهم السويق، وكان بالطائف.

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا أبو عبيد، قال: ثنا عبد الرحمن، عن أبي الأشهب، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس، قال: كان يلتّ السويق للحاجّ.

وأولى القراءتين بالصواب عندنا في ذلك قراءة من قرأه بتخفيف التاء على المعنى الذي وصفت لقارئه كذلك لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه. وأما العُزّى فإن أهل التأويل اختلفوا فيها، فقال بعضهم: كان شجرات يعبدونها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**والعُزَّى**﴾ قال: العُزَّى: شُجيرات.

وقال آخرون: كانت العُزَّى حَجَراً أبيض.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير، قال: ﴿**العُزَّى**﴾: حَجَر أبيض.

وقال آخرون: كان بيتاً بالطائف تعبده ثقيف.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَالعُزَّى**﴾ قال: العزّى: بيت بالطائف تعبده ثقيف.

وقال آخرون: بل كانت ببطن نَخْلة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَمَناةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى**﴾ قال: أما مناةُ فكانت بقُدَيد، آلهة كانوا يعبدونها، يعني اللات والعُزَّى وَمناة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَمناةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى**﴾ قال مناة بيت كان بالمشلَّل يعبده بنو كعب.

واختلف أهل العربية في وجه الوقف على اللات ومنات، فكان بعض نحويّ البصرة يقول: إذا سكت قلت اللات، وكذلك مناة تقول: مناتْ.

وقال: قال بعضهم: اللاتّ، فجعله من اللتّ الذي يَلُتّ ولغة للعرب يسكتون على ما فيه الهاء بالتاء يقولون: رأيت طَلْحتْ، وكلّ شيء مكتوب بالهاء فإنها تقف عليه بالتاء، نحو نعمة ربك وشجرة. وكان بعض نحوّيّ الكوفة يقف على اللات بالهاء «أفرأيْتُمُ اللاَّة» وكان غيره منهم يقول: الاختيار في كل ما لم يضف أن يكون بالهاء رحمة من ربي، وشجرة تخرج، وما كان مضافاً فجائزاً بالهاء والتاء، فالتاء للإضافة، والهاء لأنه يفرد ويوقف عليه دون الثاني، وهذا القول الثالث أفشى اللغات وأكثرها في العرب وإن كان للأخرى وجه معروف. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: اللات والعزّى ومناة الثالثة: أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها.

وقوله: ﴿**أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى**﴾ يقول: أتزعمون أن لكم الذكر الذي ترضونه، ولله الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم ﴿**تِلْكَ إذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾ يقول جلّ ثناؤه: قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية، ناقصة غير تامة، لأنكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم، وآثرتم أنفسكم بما ترضونه، والعرب تقول: ضِزته حقه بكسر الضاد، وضُزته بضمها فأنا أضيزه وأضوزه، وذلك إذا نقصته حقه ومنعته وحُدثت عن معمر بن المثنى قال: أنشدني الأخفش:

فـإنْ تَـنْـأَ عَـنَّـا نَـنْـتَـقِـصْـكَ وَإنْ تَـغِـبْ ... فَـسَـهْـمُـكَ مَـضْـئُـوزٌ وأنْـفُـكَ رَاغِـمُ[(١)]

---

(١) رواية البيت في «**اللسان**» ضأز «وإن تقم» في مكان «وإن تغب». قال ابن الأعرابي تقول العرب: قسمة ضؤزى بالضم والهمز؛ وضوزى، بالضم بلا همز؛ وضيزي، بالكسر، وترك الهمز؛ قال: ومعناها كلها الجور. وفي «**اللسان**»: ضيز: ضاز في الحكم: أي جار. وضازه حقه يضيزه ضيزاً: نقصه وبخسه ومنعه. وضزت فلاناً =

ومن العرب من يقول: ضَيْزى بفتح الضاد وترك الهمز فيها ومنهم من يقول: ضأزى بالفتح والهمز، وضُؤزى بالضم والهمز، ولم يقرأ أحد بشيء من هذه اللغات. وأما الضِّيزى بالكسر فإنها فُعلى بضم الفاء، وإنما كُسرت الضاد منها كما كسرت من قولهم: قوم بيض وعِين، وهي «فُعْل» لأن واحدها: بيضاء وعيناء ليؤلفوا بين الجمع والاثنين والواحد، وكذلك كرهوا ضمّ الضاد من ضِيزَى، فتقول: ضُوزَى، مخافةِ أن تصير بالواو وهي من الياء. وقال الفرّاء: إنما قضيت على أوّلها بالضمّ، لأن النعوت للمؤنث تأتي إما بفتح، وإما بضمّ فالمفتوح: سكْرَى وعَطشى والمضموم: الأنثى والحُبلى فإذا كان اسماً ليس بنعت كسر أوّله، كقوله: ﴿وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ﴾ كسر أوّلها، لأنها اسم ليس بنعت، وكذلك الشِّعْرى كسر أوّلها، لأنها اسم ليس بنعت. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنها، فقال بعضهم: قِسْمة عَوْجاء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿تِلْكَ إذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ قال: عوجاء.

وقال آخرون: قسمة جائرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ يقول: قسمة جائرة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ قال: قسمة جائرة.

حدثنا محمد بن حفص أبو عبيد الوصائيّ[1]، قال: ثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن لهيعة، عن ابن عمرة، عن عكرِمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿تِلْكَ إذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ قال: تلك إذاً قسمة جائرة لا حقّ فيها.

وقال آخرون: قسمة منقوصة.

= أضيزه ضيزاً: جرت عليه. وضاز يضيز: إذا جار. وقد يهمز فيقال: ضأزه يضأزه ضأزاً. وفي التنزيل العزيز: ﴿تلك إذا قسمه ضيزي﴾، وقسمة ضيزي وضوزي أي جائرة. وقد نقل المؤلف كلام الفراء بتمامه في «**معاني القرآن**» (الورقة ٣١٦)، فنكتفي بالإشارة إليه. ولخص القرطبي كلام النحويين في ضيزي تلخيصاً حسناً في (١٠٣/١٧) فراجعه ثمة.

(١) لم أجده في «**الخلاصة**»، ولا في «**التاج**» ولا أعلم إلى أي شيء نسب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾ قال: منقوصة.

وقال آخرون: قسمة مخالفة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾ قال: جعلوا لله تبارك وتعالى بنات، وجعلوا الملائكة لله بنات، وعبدوهم، وقرأ ﴿**أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَناتٍ وأَصْفاكُمْ بالبَنِينَ وَإِذَا بُشِّرَ...**﴾ الآية، وقرأ ﴿**وَيجْعَلُونَ لِلّهِ البَناتِ...**﴾ إلى آخر الآية، وقال: دعوا لله ولداً، كما دعت اليهود والنصارى، وقرأ ﴿**كَذَلِكَ قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ قال: والضيزى في كلام العرب: المخالفة، وقرأ ﴿**إنْ هِيَ إلاَّ أسماءٌ سَمَّيْتُمُوها أنْتُمْ وآباؤُكُمْ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما هذه الأسماء التي سميتموها وهي اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى، إلاأسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أيها المشركون بالله، وآباؤكم من قبلكم، ما أنزل الله بها، يعني بهذه الأسماء، يقول: لم يبح الله ذلك لكم، ولا أذن لكم به. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**مِنْ سُلْطانٍ...**﴾ إلى آخر الآية.

وقوله: ﴿**إنْ يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ**﴾ يقول تعالى ذكره: ما يتبع هؤلاء المشركون في هذه الأسماء التي سموا بها آلهتهم إلا الظنّ بأنّ ما يقولون حقّ لا اليقين ﴿**وَما تَهْوَى الأنْفُسُ**﴾ يقول: وهوى أنفسهم، لأنهم لم يأخذوا ذلك عن وحي جاءهم من الله، ولا عن رسول الله أخبرهم به، وإنما هو اختراق من قِبل أنفسهم، أو أخذوه عن آبائهم الذين كانوا من الكفر بالله على مثل ما هم عليه منه.

وقوله: ﴿**وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الهُدَى**﴾ يقول: ولقد جاء هؤلاء المشركين بالله من ربهم البيان مما هم منه على غير يقين، وذلك تسميتهم اللات والعزّى ومناة الثالثة بهذه الأسماء وعبادتهم إياها. يقول: لقد جاءهم من ربهم الهدى في ذلك، والبيان بالوحي الذي أوحيناه إلى

محمد ﷺ أن عبادتها لا تنبغي، وأنه لا تصلح العبادة إلا لله الواحد القهار. وقال ابن زيد في ذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدَى**﴾ فما انتفعوا به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ (٢٥) ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ (٢٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: أم اشتهى محمد ﷺ ما أعطاه الله من هذه الكرامة التي كرّمه بها من النبوة والرسالة، وأنزل الوحي عليه، وتمنى ذلك، فأعطاه إياه ربه، فلله ما في الدار الآخرة والأولى، وهي الدنيا، يعطي من شاء من خلقه ما شاء، ويحرم من شاء منهم ما شاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أمْ للإنْسانِ ما تَمَنَّى**﴾ قال: وإن كان محمد تمنى هذا، فذلك له.

وقوله: ﴿**وكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوات لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً**﴾ يقول تعالى ذكره: وكم من مَلك في السموات لا تغني: كثير من ملائكة الله، لا تنفع شفاعتهم عند الله لمن شفعوا له شيئاً، إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى، يقول: ومن بعد أن يرضى لملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له، فتنفعه حينئذٍ شفاعتهم، وإنما هذا توبيخ من الله تعالى ذكره لعبدة الأوثان والملأ من قريش وغيرهم الذين كانوا يقولون: ﴿**ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى**﴾ فقال الله جلّ ذكره لهم: ما تنفع شفاعة ملائكتي الذين هم عندي لمن شفعوا له، إلا من بعد إذني لهم بالشفاعة له ورضاي، فكيف بشفاعة من دونهم، فأعلمهم أن شفاعة ما يعبدون من دونه غير نافعتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (٢٩)﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يصدّقون بالبعث في الدار الآخرة، وذلك يوم القيامة، ليسمون ملائكة الله تسمية الإناث، وذلك أنهم كانوا يقولون: هم بنات الله. وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿تَسْمِيَةُ الأُنْثَى﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿تَسْمِيَةَ الأُنْثَى﴾ قال: الإناث.

وقوله: ﴿وَما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ يقول تعالى: وما لهم يقولون من تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى من حقيقة علم ﴿إنْ يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ﴾ يقول: ما يتبعون في ذلك إلا الظنّ، يعني أنهم إنما يقولون ذلك ظناً بغير علم.

وقوله: ﴿وَإنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقّ شَيْئاً﴾ يقول: وإن الظنّ لا ينفع من الحقّ شيئاً فيقوم مقامه.

وقوله: ﴿فأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فدع من أدبر يا محمد عن ذكر الله ولم يؤمن به فيوحده.

وقوله: ﴿ولَمْ يُرِدْ إلاَّ الْحَياةَ الدُّنيا﴾ يقول: ولم يطلب ما عند الله في الدار الآخرة، ولكنه طلب زينة الحياة الدنيا، والتمس البقاء فيها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي يقوله هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة في الملائكة من تسميتهم إياها تسمية الأنثى ﴿مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ يقول: ليس لهم علم إلا هذا الكفر بالله، والشرك به على وجه الظنّ بغير يقين علم. وكان ابن زيد يقول في ذلك، ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا ولَمْ يُرِدْ إلاَّ الحَياةَ الدُّنيا ذَلَكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ قال: يقول ليس لهم علم إلا الذي هم فيه من الكفر برسول الله ﷺ، ومكايدتهم لما جاء من عند الله، قال: وهؤلاء أهل الشرك.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن طريقه في سابق علمه، فلا يؤمن، وذلك الطريق هو الإسلام ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ يقول: وربك أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه في سابق علمه، وذلك الطريق أيضاً الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلِلَّهِ﴾ مُلك ﴿ما في السَّمَوَاتِ وَما فِي الأَرْضِ﴾ من شيء، وهو يضلّ من يشاء، وهو أعلم بهم ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أساءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ يقول: ليجزي الذين عَصَوْه من خلقه، فأساءوا بمعصيتهم إياه، فيثيبهم بها النار ﴿وَيجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بالحُسْنَى﴾ يقول: وليجزيَ الذين أطاعوه فأحسنوا بطاعتهم إياه في الدنيا بالحسنى وهي الجنة، فيثيبهم بها.

وقيل: عُنِي بذلك أهل الشرك والإيمان.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الله بن عياش، قال: قال زيد بن أسلم في قول الله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أساءُوا بِمَا عَمِلُوا ويَجْزِيَ الَّذِينَ أحْسَنُوا﴾ المؤمنون.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْم﴾ يقول: الذين يبتعدون عن كبائر الإثم التي نهى الله عنها وحرمها عليهم فلا يقربونها، وذلك الشرك بالله، وما قد بيّناه في قوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

وقوله: ﴿وَالفَواحِشَ﴾ وهي الزنا وما أشبهه، مما أوجب الله فيه حدّاً.

وقوله: ﴿إلاَّ اللَّمَمَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى «إلا» في هذا الموضع، فقال بعضهم: هي بمعنى الاستثناء المنقطع، وقالوا: معنى الكلام: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إلا اللمم الذي ألمُّوا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام، فإن الله قد عفا لهم عنه، فلا يؤاخذهم به.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ يقول: إلا ما قد سلف.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ قال: المشركون إنما كانوا بالأمس يعملون معناه، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿**إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ ما كان منهم في الجاهلية. قال: واللمم: الذي ألموا به من تلك الكبائر والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام، وغفرها لهم حين أسلموا.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عياش، عن ابن عون، عن محمد، قال: سأل رجل زيد بن ثابت، عن هذه الآية ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ فقال: حرّم الله عليك الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الله بن عياش، قال: قال زيد بن أسلم في قول الله: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ قال: كبائر الشرك والفواحش: الزنى، تركوا ذلك حين دخلوا في الإسلام، فغفر الله لهم ما كانوا ألموا به وأصابوا من ذلك قبل الإسلام.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب ممن يوجه تأويل «إلا» في هذا الموضع إلى هذا الوجه الذي ذكرته عن ابن عباس يقول في تأويل ذلك: لم يؤذن لهم في اللمم، وليس هو من الفواحش، ولا من كبائر الإثم، وقد يُستثنى الشيء من الشيء، وليس منه على ضمير قد كفّ عنه فمجازه، إلا أن يلمّ بشيء ليس من الفواحش ولا من الكبائر، قال: الشاعر:

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ إلاَّ اليَعَافِيرُ وَإلاَّ العِيسُ(١)

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٣١) قال عند قوله تعالى: ﴿يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾: لم يؤذن لهم في اللمم، وليس هو من الفواحش ولا من كبائر الإثم، وقد يستثنى الشيء من الشيء وليس منه على ضمير قد كف عنه، فمجازه: إلا أن يلم ملم بشيء، ليس من الفواحش والكبائر قال:

«وبلد ليس بها أنيس..... البيتين».

واليعافير الظباء، والعيس: الإبل، وليسا من الناس، فكأنه قال: ليس بهاأنيس غير أن بها ظباء وإبلا. وقال بعضهم: اليعفور من الظباء: الأحمر، والأعيس: الأبيض من الظباء. ا هـ. وقال العيني في «**فرائد القلائد**» قاله جران العود النميري، واسمه عامر بن الحارث. والشاهد في «إلا اليعافير» فإنه استثناء من قوله أنيس، على الإبدال، مع أنه منقطع، على لغة بني تميم، وأهل الحجاز يوجبون النصب «أي في الاستثناء المنقطع». وهو جمع يعفور، وهو ولد البقرة الوحشية، والعيس جمع عيساء، وهي الإبل البيض يخالط بياضها شيء من =

واليعافير: الظباء، والعيس: الإبل وليسا من الناس، فكأنه قال: ليس به أنيس، غير أن به ظباء وإبلاً. وقال بعضهم: اليعفور من الظباء الأحمر، والأعيس: الأبيض.

وقال بنحو هذا القول جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الأعمش، عن أبي الضحى، أن ابن مسعود قال: زنى العينين: النظر، وزنى الشفتين: التقبيل، وزنى اليدين: البطش، وزنى الرجلين: المشي، ويصدّق ذلك الفرْج أو يكذّبه، فإن تقدّم بفرجه كان زانياً، وإلا فهو اللمم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: وأخبرنا ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبيّ ﷺ: «إنَّ اللّهَ كَتَبَ على ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزّنى أدْرَكَهُ ذلكَ لا مَحالَةَ، فَزِني العَيْنَيْنِ النَّظَرُ، وَزِني اللِّسانِ المَنْطِقُ، والنَّفْسُ تَتَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ أوْ يُكَذّبُهُ».

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق في قوله: ﴿**إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ قال: إن تقدم كان زنى، وإن تأخر كان لَمَماً.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، قال: ثنا منصور بن عبد الرحمن، قال: سألت الشعبيّ، عن قول الله: ﴿**يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ قال: هو ما دون الزنى، ثم ذكر لنا عن ابن مسعود، قال: زنى العينين، ما نظرتْ إليه، وزنى اليد: ما لمستْ، وزنى الرجل: ما مشتْ والتحقيق بالفرج.

حدثني محمد بن معمر، قال: ثنا يعقوب، قال: ثنا وهيب، قال: ثنا عبد الله بن عثمان بن خُثَيم بن عمرو القاريّ، قال: ثني عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لُبابة الطائفيّ، قال: سألت أبا هُريرة عن قول الله: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ قال: القُبلة، والغَمزة، والنظْرة والمباشرة، إذا مسّ الختان الختان فقد وجب الغسل، وهو الزنى.

وقال آخرون: بل ذلك استثناء صحيح، ومعنى الكلام: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إلا أن يلمّ بها ثم يتوب.

= الشقرة. ا هـ. وقال الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٣١٦) قوله «إلا اللمم» يقول: إلا المتقارب من صغير الذنوب. قال وسمعت من بعض العرب: ألم يفعل، في معنى كاد يفعل، وذكر الكلبي بإسناده أنها النظرة في غير تعمد فهي لمم، وهي مغفورة، فإن أعاد النظر فليس بلمم، هو ذنب. ا هـ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ قال: هو الرجل يلمّ بالفاحشة ثم يتوب قال: وقال رسول الله ﷺ:

«إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وأيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا[1]»

حدثني ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد، أنه قال في هذه الآية ﴿**إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ قال: الذي يلمّ بالذنب ثم يدعه، وقال الشاعر:

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرِ جمًّا وأيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا يونس، عن الحسن، عن أبي هُريرة، أراه رفعه: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ قال: اللّمة من الزنى، ثم يتوب ولا يعود، واللّمة من السرقة، ثم يتوب ولا يعود واللّمة من شرب الخمر، ثم يتوب ولا يعود، قال: فتلك الإلمام.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن عوف، عن الحسن، في قول الله: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرِ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ قال: اللّمة من الزنى أو السرقة، أو شرب الخمر، ثم لا يعود.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن أبي عديّ عن عوف، عن الحسن، في قول الله: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ قال: اللمة من الزنى، أو السرقة، أو شرب الخمر ثم لا يعود.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿**الَّذِينَ**

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت «اللسان» لمم قال: والإلمام واللمم: مقاربة الذنب. وقيل: اللمم: ما دون الكبائر من الذنوب. وفي التنزيل العزيز: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾. وألم الرجل، من اللمم، وهو صغار الذنوب. وقال أمية:

«إن تغفر اللهم...... البيتين».

ويقال: هو مقاربة المعصية من غير مواقعة. وقال الأخفش: اللمم: المقارب من الذنوب. وقال ابن بري: الشعر لأمية بن أبي الصلت، قال: وذكر عبد الرحمٰن (ابن أخي الأصمعي) عن عمه، عن يعقوب (ابن السكيت) عن مسلم ابن أبي طرفة الهذلي قال: مر أبو خراش (الهذلي الشاعر) يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول:

لا هم هذا خامس إن تمما أتمه الله وقد أتما

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما

يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ﴾ قال: قد كان أصحاب النبيّ ﷺ يقولون: هذا الرجل يصيب اللمة من الزنا، واللّمة من شرب الخمر، فيخفيها فيتوب منها.

حدثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، عن ابن عباس **﴿إلاَّ اللَّمَمَ﴾** يلمّ بها في الحين، قلت الزنى، قال: الزنى ثم يتوب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، قال: قال معمر: كان الحسن يقول في اللّمم: تكون اللّمة من الرجل: الفاحشة ثم يتوب.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل، عن أبي صالح، قال: الزنى ثم يتوب.

قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن قتادة، عن الحسن **﴿إلاَّ اللَّمَمَ﴾** قال: أن يقع الوقعة ثم ينتهي.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن عُيينة، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: اللّمم: الذي تُلِمُّ المرّةَ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال: أخبرني يحيى بن أيوب، عن المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، أن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: اللمم: ما دون الشرك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا مرّة، عن عبد الله بن القاسم، في قوله: **﴿إلاَّ اللَّمَمَ﴾** قال: اللّمة يلمّ بها من الذنوب.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: **﴿إلاَّ اللَّمَمَ﴾** قال: الرجل يلمّ بالذنب ثم ينزع عنه. قال: وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون:

إنْ تَغْفِرِ اللّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا وأيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا

وقال آخرون ممن وجه معنى «إلا» إلى الاستثناء المنقطع: اللمم: هو دون حدّ الدنيا وحدّ الآخرة، قد تجاوز الله عنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن عطاء، عن ابن الزبير **﴿إلاَّ اللَّمَمَ﴾** قال: ما بين الحدّين، حدّ الدنيا، وعذاب الآخرة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الحكم، عن ابن عباس أنه قال: اللمم: ما دون الحدّين: حدّ الدنيا والآخرة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن الحكم وقتادة، عن ابن عباس بمثله، إلا أنه قال: حدّ الدنيا، وحدّ الآخرة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا شعبة، عن الحكم بن عتيبة، قال: قال ابن عباس: اللمم ما دون الحدين، حد الدنيا وحد الآخرة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ قال: كلّ شيء بين الحدّين، حدّ الدنيا وحدّ الآخرة، تكفّره الصلوات، وهو اللمم، وهو دون كل موجب فأما حدّ الدنيا فكلّ حدّ فرض الله عقوبته في الدنيا وأما حدّ الآخرة فكلّ شيء ختمه الله بالنار، وأخّر عقوبته إلى الآخرة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرِمة، في قوله: ﴿**إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ يقول: ما بين الحدين، كل ذنب ليس فيه حدّ في الدنيا ولا عذاب في الآخرة، فهو اللمم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ واللمم: ما كان بين الحدّين لم يبلغ حدّ الدنيا ولا حدّ الآخرة موجبة، قد أَوجب الله لأهلها النار، أو فاحشة يقام عليه الحدّ في الدنيا.

وحدثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن قتادة، قال: قال بعضهم: اللمم: ما بين الحدّين: حدّ الدنيا، وحدّ الآخرة.

حدثنا أبو كُرَيب ويعقوب، قالا: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن ابن عباس، قال: اللمم: ما بين الحدّين: حدّ الدنيا، وحدّ الآخرة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: قال الضحاك ﴿**إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ قال: كلّ شيء بين حدّ الدنيا والآخرة فهو اللمم يغفره الله.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال «إلا» بمعنى الاستثناء المنقطع، ووجّه معنى الكلام إلى ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ**﴾ بما دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا، والعذابَ في الآخرة، فإن ذلك معفوّ لهم عنه، وذلك عندي نظير قوله جلّ ثناؤه: ﴿**إنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً**﴾ فوعد جلّ ثناؤه باجتناب الكبائر، العفو عما دونها من السيئات، وهو اللمم الذي قال النبيّ ﷺ: «العَيْنانِ تَزْنِيانِ، وَاليَدَانِ تَزْنِيانِ، وَالرِّجْلانِ تَزْنِيانِ وَيُصَدّقُ ذلكَ الفَرْجُ أوْ يُكَذّبُهُ»، وذلك أنه لا حد فيما دون ولوج الفرج في الفرج، وذلك هو العفو من الله في الدنيا عن عقوبة العبد عليه،

والله جلّ ثناؤه أكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه، كما رُوِي عن النبيّ ﷺ واللمم في كلام العرب: المقاربة للشيء، ذكر الفرّاء أنه سمع العرب تقول: ضربه ما لمم القتل[1]، يريدون ضرباً مقارباً للقتل. قال: وسمعت من آخر: ألمّ يفعل في معنى: كاد يفعل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿وَاسِعُ المَغْفِرَةِ﴾: واسع عفوه للمذنبين الذين لم تبلغ ذنوبهم الفواحش وكبائر الإثم. وإنما أعلم جلّ ثناؤه بقوله هذا عباده أنه يغفر اللمم بما وصفنا من الذنوب لمن اجتنب كبائر الإثم والفواحش. كما:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ﴾ قد غفر ذلك لهم.

وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: ربكم أعلم بالمؤمن منكم من الكافر، والمحسن منكم من المسيء، والمطيع من العاصي، حين ابتدعكم من الأرض، فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها، وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم، يقول: وحين أنتم حمل لم تولدوا منكم، وأنفسكم بعدما[2]، صرتم رجالاً ونساء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾ قال: كنحو قوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ﴾.

وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ

---

(١) هذه العبارة مما رواه الفراء عن العرب، قال في «**معاني القرآن**»: وسمعت العرب...... الخ، وما صلته، يريد ضرباً مقارباً للقتل.

(٢) كذا وردت هذه العبارة الأخيرة في الأصل، وهي غامضة من أول قوله: «منكم وأنفسكم.... الخ» ولعل صوابها: فلا تزكوا أنفسكم بعدما صرتم رجالاً ونساء.

الأرض﴾ قال: حين خلق آدم من الأرض ثم خلقكم من آدم، وقرأ ﴿**وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ**﴾.

وقد بيَّنا فيما مضى قبل معنى الجنين، ولِمَ قيل له جنين، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ يقول جل ثناؤه: فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصيّ. كما:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: سمعت زيد بن أسلم يقول ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ يقول: فلا تبرئوها.

وقوله: ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾ يقول جلّ ثناؤه: ربك يا محمد أعلم بمن خاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه من عباده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أفرأيت يا محمد الذي أدبر عن الإيمان بالله، وأعرض عنه وعن دينه، وأعطى صاحبه قليلاً من ماله، ثم منعه فلم يعطه، فبخِل عليه.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة من أجل أنه عاتبه بعض المشركين، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه، فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئاً من ماله، ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، ففعل، فأعطى الذي عاتبه على ذلك بعض ما كان ضمن له، ثم بخل عليه ومنعه تمام ما ضمن له.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وأكْدَى**﴾ قال الوليد بن المغيرة: أعطى قليلاً ثم أكدى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أَفَرأَيتَ الَّذِي تَوَلَّى...**﴾ إلى قوله: ﴿**فَهُوَ يَرَى**﴾ قال: هذا رجل أسلم، فلقيه بعض من يُعَيِّره فقال: أتركت

دين الأشياخ وضَلَّلتهم، وزعمت أنهم في النار، كان ينبغي لك أن تنصرهم، فكيف يفعل بآبائك، فقال: إني خشيت عذاب الله، فقال: أعطني شيئاً، وأنا احمل كلّ عذاب كان عليك عنك، فاعطاه شيئاً، فقال زدني، فتعاسر حتى أعطاه شيئاً، وكتب له كتاباً، وأشهد له، فذلك قول الله: ﴿**أفرأيْتَ الَّذِي تَوَلي وأعْطَى قَلِيلاً وأكْدَى**﴾ عاسره ﴿**أعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرَى**﴾ نزلت فيه هذه الآية. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿**أكْدَى**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان الشيباني، عن ثابت، عن الضحاك، عن ابن عباس ﴿**أعْطَى قَلِيلاً وأكْدَى**﴾ قال: أعطى قليلاً ثم انقطع.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أفَرأيْتَ الَّذِي تَوَلى وأعْطَى قَلِيلاً وأكْدَى**﴾ يقول: أعطى قليلاً ثم انقطع.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**وأعْطَى قَلِيلاً وأكْدَى**﴾ قال: انقطع فلا يُعْطِي شيئاً، ألم تر إلى البئر يقال لها أكدت.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وأكْدَى**﴾: انقطع عطاؤه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن طاوس وقتادة، في قوله: ﴿**وأكْدَى**﴾ قال: أعطى قليلاً، ثم قطع ذلك.

قال: ثنا ابن ثور، قال: ثنا معمر، عن عكرِمة مثل ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وأكْدَى**﴾ أي بخل وانقطع عطاؤه.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وأكْدَى**﴾ يقول: انقطع عطاؤه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وأكْدَى**﴾ عاسره، والعرب تقول: حفر فلان فأكدى، وذلك إذا بلغ الكدية، وهو أن يحفِر الرجل في السهل، ثم يستقبله جبل فيُكْدِي، يقال: قد أكدى كداء، وكديت أظفاره وأصابعه كدىً شديداً، منقوص: إذا غلظت، وكديت أصابعه: إذا كلَّت فلم تعمل شيئاً، وكدا النبت إذا قلّ ريعه يهمز ولا يهمز. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: اشتق قوله: أكدى، من كُدَية الركِيّة، وهو أن يحفِر حتى ييأس من الماء، فيُقال حينئذٍ بلغنا كُدْيتها.

وقوله: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهوَ يَرَى﴾ يقول تعالى ذكره: أعند هذا الذي ضمن له صاحبه أن يتحمل عنه عذاب الله في الآخرة علم الغيب، فهو يرى حقيقة قوله، ووفائه بما وعده.

وقوله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ يقول تعالى ذكره: أم لم يُخَبَّرْ هذا المضمون له، أن يتحمل عنه عذاب الله في الآخرة، بالذي في صحف موسى بن عمران عليه السلام.

وقوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الذِي وَفَّى﴾ يقول: وإبراهيم الذي وفى من أرسل إليه ما أرسل به.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الذي وفى، فقال بعضهم: وفاؤه بما عهد إليه ربه من تبليغ رسالاته، وهو ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء، عن عكرِمة، عن ابن عباس ﴿وَإبْراهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال: كانوا قبل إبراهيم يأخذون الوليّ بالوليّ، حتى كان إبراهيم، فبلغ ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَة وِزْرَ أُخْرَى﴾ لا يُؤاخذ أحد بذنب غيره.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد، عن عكرِمة ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قالوا: بلغ هذه الآيات ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال: وفَّى طاعة الله، وبلَّغَ رسالات ربه إلى خلقه.

وكان عكرِمة يقول: وفَّى هؤلاء الآيات العشر ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. . .﴾ حتى بلغ ﴿وأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ وفَّى طاعة الله ورسالاته إلى خلقه.

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا أبو بكير، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال: بلَّغ ما أُمر به.

حدثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال: بلَّغ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال: وفَّى: بلَّغ رسالات ربه، بلَّغ ما أُرسل به، كما يبلِّغ الرجل ما أُرسل به.

وقال آخرون: بل وفَّى بما رأى في المنام من ذبح ابنه، وقالوا قوله: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ من المؤخر الذي معناه التقديم وقالوا: معنى الكلام: أم لم ينبأ بما في صحف موسى ألا

تزر وازرة وزر أخرى، وبما في صحف إبراهيم الذي وفَّى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ يقول: إبراهيم الذي استكمل الطاعة فيما فعل بابنه حين رأى الرؤيا، والذي في صحف موسى ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾ إلى آخر الآية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن لهيعة، عن أبي صخر، عن القُرَظيّ، وسُئل عن هذه الآية ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال: وفَّى بذبح ابنه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنه وفى ربه جميع شرائع الإسلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبُّوية، قال: ثنا عليّ بن الحسن، قال: ثنا خارجة بن مُصْعبٍ، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: الإسلام ثلاثون سهماً. وما ابتلي بهذا الدين أحد فأقامه إلاَّ إبراهيم، قال الله ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ فكتب الله له براءة من النار.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ما فُرِض عليه.

وقال آخرون: وفَّى بما رُوي عن رسول الله ﷺ في الخبر الذي:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا رشدين بن سعد، قال: ثني زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ، عن أنس، عن أبيه، قال: كان النبيّ ﷺ يقول: «ألا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّى اللَّهُ إبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ الَّذِي وفَّى؟ لأنَّهُ كانَ يَقُولُ كُلَّما أصْبَحَ وأمْسَى: ﴿فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ حتى ختم الآية».

وقال آخرون: بل وفَّى ربه عمل يومه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا الحسن بن عطية، قال: ثنا إسرائيل، عن جعفر بن الزبير عن القاسم، عن أبي أُمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال: «أتَدْرُونَ ما وَفَّى»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «وَفَّى عَمَلَ يَوْمِهِ أرْبَعَ رَكَعاتٍ فِي النَّهارِ».

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: وفَّى جميع شرائع الإسلام وجميع ما أُمر به

من الطاعة، لأن الله تعالى ذكره أخبر عنه أنه وفّى فعمّ بالخبر عن توفيته جميع الطاعة، ولم يخصص بعضاً دون بعض.

فإن قال قائل: فإنه خصّ ذلك بقوله وفّى ﴿**ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ فإن ذلك مما أخبر الله جلّ ثناؤه أنه في صحف موسى وإبراهيم، لا مما خصّ به الخبر عن أنه وفّى. وأما التوفية فإنها على العموم، ولو صحّ الخبران اللذان ذكرناهما أو أحدهما عن رسول الله ﷺ، لم نَعْدُ القول به إلى غيره ولكن في إسنادهما نظر يجب التثبت فيهما من أجله.

وقوله: ﴿**ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ فإن من قوله: ﴿**ألاَّ تَزِرُ**﴾ على التأويل الذي تأوّلناه في موضع خفض ردًّا على «ما» التي في قوله ﴿**أمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى**﴾ يعني بقوله: ﴿**ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ غيرها، بل كل آثمة فإنما إثمها عليها. وقد بيَّنا تأويل ذلك باختلاف أهل العلم فيه فيما مضى قبل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عُبيد المحاربيّ، قال: ثنا أبو مالك الجَنْبي، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي مالك الغفاريّ في قوله: ﴿**ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وأنْ لَيْسَ للإنْسانِ إلاَّ ما سَعَى...**﴾ إلى قوله: ﴿**مِنَ النُّذُرِ الأُولَى**﴾ قال: هذا في صحف إبراهيم وموسى.

وإنما عُنِي بقوله: ﴿**ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ الذي ضَمِن للوليد بن المغيرة أن يتحمل عنه عذاب الله يوم القيامة، يقول: ألم يُخْبَرْ قائل هذا القول، وضامن هذا الضمان بالذي في صحف موسى وإبراهيم مكتوب: أن لا تأثم آثمة إثم أخرى غيرها ﴿**وأنْ لَيْسَ للإنْسانِ إلاَّ ما سَعَى**﴾ يقول جلّ ثناؤه: أوَ لم يُنَبأ أنه لا يُجازى عامل إلاَّ بعمله، خيراً كان ذلك أو شرًّا. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وأنْ لَيْسَ للإنْسانِ إلاَّ ما سَعَى**﴾، وقرأ ﴿**إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**﴾ قال: أعمالكم.

وذُكر عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية منسوخة.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿**وأنْ لَيْسَ للإنْسانِ إلاَّ ما سَعَى**﴾ قال: فأنزل الله بعد هذا ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْناهُمْ ذُرّياتِهِم بإيمَانٍ ألْحَقْنا بِهِمْ ذُرّياتِهِمْ**﴾ فأدخل الأبناء بصلاح الآباء الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾.

قوله جلّ ثناؤه: ﴿وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأن عمل كلّ عامل سوف يراه يوم القيامة، من ورد القيامة بالجزاء الذي يجازى عليه، خيراً كان أو شرًّا، لا يؤاخذ بعقوبة ذنب غير عامله، ولا يُثاب على صالح عمله عامل غيره. وإنما عُنِي بذلك: الذي رجع عن إسلامه بضمان صاحبه له أن يتحمل عنه العذاب، أن ضمانه ذلك لا ينفعه، ولا يُغني عنه يوم القيامة شيئاً، لأن كلّ عامل فبعمله مأخوذ.

وقوله: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يُثاب بسعيه ذلك الثواب الأوفى. وإنما قال جلّ ثناؤه ﴿الأَوْفَى﴾ لأنه أوفى ما وعد خلقه عليه من الجزاء، والهاء في قوله: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾ من ذكر السعي، وعليه عادت.

وقوله: ﴿وأنَّ إلى رَبِّكَ المُنْتَهَى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: وأن إلى ربك يا محمد انتهاء جميع خلقه ومرجعهم، وهو المجازي جميعهم بأعمالهم، صالحهم وطالحهم، ومحسنهم ومسيئهم.

وقوله: ﴿وأنَّهُ هُوَ أضْحَكَ وأبْكَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأن ربك هو أضحك أهل الجنة في الجنة بدخولهم إياها، وأبكى أهل النار في النار بدخولهموها، وأضحك من شاء من أهل الدنيا، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأنه هو أمات من مات من خلقه، وهو أحيا من حيي منهم. وعنى بقوله: ﴿أحْيا﴾ نفخ الروح في النطفة الميتة، فجعلها حية بتصييره الروح فيها.

وقوله: ﴿وَأنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى مِن نُطْفَةٍ إذَا تُمْنَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأنه ابتدع إنشاء الزوجين الذكر والأنثى، وجعلهما زوجين، لأن الذكر زوج الأنثى، والأنثى له زوج فهما زوجان، يكون كلّ واحد منهما زوجاً للآخر.

وقوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إذَا تُمْنَى﴾ و «من» من صلة خلق يقول تعالى ذكره: خلق ذلك من نطفة إذا أمناه الرجل والمرأة.

وقوله: ﴿وأنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأن على ربك يا محمد أن يخلق هذين الزوجين بعد مماتهم، وبلاهم في قبورهم الخلق الآخر، وذلك إعادتهم أحياء خلقاً جديداً، كما كانوا قبل مماتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ (٥١)﴾.

يقول تعالى ذكره: وأن ربك هو أغنى من أغنى من خلقه بالمال وأقناه، فجعل له قُنية أصول أموال. واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم بالذي قلنا في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمارة الأسديّ، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن السديّ، عن أبي صالح، قوله: ﴿**أغْنَى وأقْنَى**﴾ قال: أغنى المال وأقنى القنية.

وقال آخرون: عُنِي بقوله: ﴿**أغْنَى**﴾: أخدم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى**﴾ قال: أغنى: مَوَّل، وأقنى: أخدم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، قوله: ﴿**أغْنَى وأقْنَى**﴾ قال: أخدم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**أغْنَى وأقْنَى**﴾ قال: أغنى وأخدم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**أغْنَى وأقْنَى**﴾ قال: أعطى وأرضى وأخدم.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك أنه أغنى من المال وأقنى: رضي.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى**﴾ قال: فإنه أغنى وأرضى.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿**وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى**﴾ قال: أغنى موّل، وأقنى: رضَى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: : ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿أَغْنَى﴾ قال: موّل ﴿وأقْنَى﴾ قال رضى.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى﴾ يقول: أعطاه وأرضاه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد، مثل حديث ابن بشار، عن عبد الرحمن، عن سفيان.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك أنه أغنى نفسه، وأفقر خلقه إليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه ﴿وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى﴾ قال: زعم حضرميّ أنه ذُكِر له أنه أغنى نفسه، وأفقر الخلائق إليه.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك أنه أغنى من شاء من خلقه، وأفقر من شاء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى﴾ قال: أغنى فأكثر، وأقنى أقلّ، وقرأ ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَه﴾.

وقوله: ﴿وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأن ربك يا محمد هو ربّ الشِّعْرَى، يعني بالشعرى: النجم الذي يسمى هذا الاسم، وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبده من دون الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ قال: هو الكوكب الذي يُدعى الشِّعرَى.

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن خصيف، عن مجاهد، في قوله: ﴿وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ قال: الكوكب الذي خَلْف الجوزاء، كانوا يعبدونه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ قال: كان يُعبد في الجاهلية.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا

الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿رَبُّ الشِّعْرَى﴾ قال: مِرزم الجوزاء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وأنّه هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ كان حيّ من العرب يعبدون الشِّعرَى هذا النجم الذي رأيتم، قال بشر، قال: يريد النجم الذي يتبع الجوزاء.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿رَبُّ الشِّعْرَى﴾ قال: كان ناس في الجاهلية يعبدون هذا النجم الذي يُقال له الشِّعرَى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وأنّهُ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ كانت تُعبد في الجاهلية، فقال: تعبدون هذه وتتركون ربها؟ اعبدوا ربها. قال: والشِّعْرَى: النجم الوقَّاد الذي يتبع الجوزاء، يقال له المُرزم.

وقوله: ﴿وأنّهُ أهْلَكَ عاداً الأُولى﴾ يعني تعالى ذكره بعاد الأولى: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، وإياهم عنى بقوله: ﴿ألَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بعادٍ إرَمَ﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض قرّاء البصرة «عاداً لُولى» بترك الهمز وجزم النون حتى صارت اللام في الأولى، كأنها لام مثقلة، والعرب تفعل ذلك في مثل هذا، حُكي عنها سماعاً منهم: «قم لان عنا»، يريد: قم الآن، جزموا الميم لما حرّكت اللام التي مع الألف في الآن، وكذلك تقول: صم اثنين، يريدون: صُمْ الاثنين. وأما عامة قرّاء الكوفة وبعض المكيين، فإنهم قرأوا ذلك بإظهار النون وكسرها، وهمز الأولى على اختلاف في ذلك عن الأعمش، فروى أصحابه عنه غير القاسم بن معن موافقة أهل بلده في ذلك. وأما القاسم بن معن فحكي عنه عن الأعمش أنه وافق في قراءته ذلك قراءة المدنيين.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما ذكرنا من قراءة الكوفيين، لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب، وأن قراءة من كان من أهل السليقة فعلى البيان والتفخيم، وأن الإدغام في مثل هذا الحرف وترك البيان إنما يوسع فيه لمن كان ذلك سجيته وطبعه من أهل البوادي. فأما المولدون فإن حكمهم أن يتحرّوا أفصح القراءات وأعذبها وأثبتها، وإن كانت الأخرى جائزة غير مردودة.

وإنما قيل لعاد بن إرم: عاد الأولى، لأن بني لُقَيم بن هَزّال بن هُزَيل بن عَبِيل بن ضِدّ بن عاد الأكبر، كانوا أيام أرسل الله على عاد الأكبر عذابه سكاناً بمكة مع إخوانهم من العمالقة، ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، ولم يكونوا مع قومهم من عاد بأرضهم، فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم، وهم عاد الآخرة، ثم هلكوا بعد.

وكان هلاك عاد الآخرة ببغي بعضهم على بعض، فتفانوا بالقتل فيما:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق، فيما ذكرنا قيل لعاد الأكبر الذي أهلك الله ذرّيته بالريح: عاد الأولى، لأنها أُهلكت قبل عاد الآخرة. وكان ابن زيد يقول: إنما قيل لعاد الأولى لأنها أوّل الأمم هلاكاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أَهْلَكَ عاداً الأُولى**﴾ قال: يقال: هي من أوّل الأمم.

وقوله: ﴿**وثَمُودَ فَمَا أَبْقَى**﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يبق الله ثمود فيتركها على طغيانها وتمرّدها على ربها مقيمة، ولكنه عاقبها بكفرها وعتوّها فأهلكها.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء البصرة وبعض الكوفيين ﴿**وثَمُوداً فَمَا أَبْقَى**﴾ بالإجراء إتباعاً للمصحف، إذ كانت الألف مثبتة فيه، وقرأه بعض عامة الكوفيين بترك الإجراء. وذُكر أنه في مصحف عبد الله بغير ألف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب لصحتهما في الإعراب والمعنى. وقد بيّنا قصة ثمود وسبب هلاكها فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: وأنه أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، إنهم كانوا هم أشدّ ظلماً لأنفسهم، وأعظم كفراً بربهم، وأشدّ طغياناً وتمردًا على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغياناً من غيرهم من الأمم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إنَّهُمْ كانُوا هُمْ أَظْلَم وأطْغَى**﴾ لم يكن قبيل من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح، دعاهم نبيّ الله ﷺ نوح ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً، كلما هلك قرن ونشأ قرن دعاهم نبيّ الله حتى ذكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه فيمشي به، فيقول: يا بنيّ إن أبي قد مشى بي إلى هذا، وأنا مثلك يومئذٍ تتابُعاً في الضلالة، وتكذيباً بأمر الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**إنَّهُمْ كانُوا هُمْ أظْلَمَ وأطْغَى**﴾ قال: دعاهم نبيّ الله ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً.

وقوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ يقول تعالى: والمخسوف بها، المقلوب أعلاها أسفلَها، وهي قرية سَدُوم قوم لوط، أهوى الله، فأمر جبريل ﷺ، فرفعها من الأرض السابعة بجناحه، ثم أهواها مقلوبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ قال: أهواها جبريل، قال: رفعها إلى السماء ثم أهواها.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل، عن أبي عيسى يحيى بن رافع: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ قال قرية لوط حين أَهْوَى بها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ قال: قرية لوط.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ قال: هم قوم لوط.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ قال: قرية لوط أهواها من السماء، ثم أتبعها ذاك الصخر، اقتُلعت من الأرض، ثم هوى بها في السماء ثم قُلبت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ قال: المكذّبين أهلكهم الله.

وقوله: ﴿فَغَشَّاها ما غَشَّى﴾ يقول تعالى ذكره: فغشّى الله المؤتفكة من الحجارة المنضودة المسوّمة ما غشاها، فأمطرها إياه من سِجِّيل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَغَشَّاها ما غَشَّى﴾ غشاها صخراً منضوداً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَغَشَّاها ما غَشَّى﴾ قال: الحجارة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَغَشَّاها ما غَشَّى﴾ قال: الحجارة التي رماهم بها من السماء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾.

يقول: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارَى﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعمات ربك يا ابن آدم التي أنعمها عليك ترتاب وتشكّ وتجادل، والآلاء: جمع إلى. وفي واحدها لغات ثلاثة: إليٌ على مثال عِليّ، وألْيٌ على مثال عَلْيٍ، وألى على مثال علا[1]. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارَى﴾ يقول: فبأيّ نِعَم الله تتمارى يا ابن آدم.

وحدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارَى﴾ قال: بأيّ نِعم ربك تتمارَى.

وقوله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله جل ثناؤه لمحمد ﷺ ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى﴾ ووصفه إياه بأنه من النذر الأولى وهو آخرهم، فقال بعضهم: معنى ذلك: أنه نذير لقومه، وكانت النذر الذين قبله نُذراً لقومهم، كما يقال: هذا واحد من بني آدم، وواحد من الناس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى﴾ قال: أنذر محمد ﷺ كما أُنذرت الرسل من قبله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى﴾ إنما بعث محمد ﷺ بما بعث الرسل قبله.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن شريك، عن جابر، عن أبي جعفر ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى﴾ قال: هو محمد ﷺ.

وقال آخرون: معنى ذلك غير هذا كله، وقالوا: معناه هذا الذي أنذرتكم به أيها القوم من الوقائع التي ذكرت لكم أني أوقعتها بالأمم قبلكم من النذر التي أنذرتها الأمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى.

---

(١) في «اللسان» إلى الآلاء: النعم. واحدها ألى، (بفتح الهمزة واللام) وإلى (بكسر فسكون) وإلى (بكسر ففتح).

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل، عن أبي مالك ﴿**هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُر الأُولى**﴾ قال: مما أنذروا به قومهم في صحف إبراهيم وموسى.

وهذا الذي ذكرت، عن أبي مالك أشبه بتأويل الآية، وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر ذلك في سياق الآيات التي أخبر عنها أنها في صحف إبراهيم وموسى نذير من النُّذر الأولى التي جاءت الأمم قبلكم كما جاءتكم، فقوله: ﴿**هَذَا**﴾ بأن تكون إشارة إلى ما تقدمها من الكلام أولى وأشبه منه بغير ذلك.

وقوله: ﴿**أزِفَتِ الآزِفَةُ**﴾ يقول: دنت الدانية. وإنما يعني: دنت القيامة القريبة منكم أيها الناس يقال منه: أزف رَحيل فلان: إذا دنا وقَرُب، كما قال نابغة بني ذُبيان:

أَزِفَ الـتَّـرَحُّـلُ غَـيْـرَ أنَّ رِكـابَـنـا ... لَـمَّـا تَـزُلْ بِـرِحـالِـنـا وكـأنْ قَـدِ[(١)]

وكما قال كعب بن زُهَير:

بـانَ الشَّبـابُ وأمْسَـى الشَّيـبُ قَدْ أزِفـا ... وَلا أرَى لِـشَـبـابٍ ذَاهِـبٍ خَـلَـفَـا[(٢)]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿**أزِفَتِ الآزِفَةِ**﴾ من أسماء يوم القيامة، عظَّمه الله، وحذَّره عباده.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قالا: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**أزِفَتِ الآزِفَةُ**﴾ قال: اقتربت الساعة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أزِفَتِ الآزِفَةُ**﴾

---

(١) البيت للنابغة الذبياني «**مختار الشعر الجاهلي**» بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي (١٨٣) والرواية فيه «أفد» في مكان «أزف» وكلاهما بمعنى. قال: أفد: دنا. والركاب: الإبل، والرحال: واحدها: راحلة. يقول: قرب الترحل إلا أن الركاب لم تزل، وكأنها قد زالت، لقرب وقت الارتحال ا هـ. وفي «**اللسان**» أزف أزف يأزف أزفاً وأزوفا: اقترب وكل شيء اقترب فقد أزف أزفاً (كفرح يفرح فرحاً) أي دنا وأفد. والآزفة: القيامة لقربها، وإن استبعد الناس مداها، قال الله تعالى: ﴿أزفت الآزفة﴾ يعني القيامة: أي دنت. ا هـ.

(٢) البيت لكعب بن زهير كما قال المؤلف. وبان الشباب: ذهب عنه وتولى. يقول: ليس بعد زوال الشباب ونضرته وقوته خلف منه إلا الشيب والانحلال والكبر، ثم الموت. فإذا ذهب الشباب فقد ذهب العمر في الحقيقة والبيت كالشاهدين قبله، على أن معنى أزف: دنا واقترب.

قال: الساعة ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللّهِ كاشِفَةٌ﴾.

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللّهِ كاشِفَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ليس للآزفة التي قد أزفت، وهي الساعة التي قد دنت من دون الله كاشف، يقول: ليس تنكشف فتقوم إلاّ بإقامة الله إياها، وكشفها دون من سواه من خلقه، لأنه لم يطلع عليها مَلَكاً مقرّباً، ولا نبياً مرسلاً. وقيل: كاشفة، فأنثت، وهي بمعنى الانكشاف كما قيل: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ﴾ بمعنى: فهل ترى لهم من بقاء وكما قيل: العاقبة وماله من ناهية، وكما قيل ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ﴾ بمعنى تكذيب، ﴿وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ بمعنى خيانة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون، أنْ نَزَلَ على محمد ﷺ، وتضحكون منه استهزاءً به، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله، وأنتم من أهل معاصيه ﴿وأَنْتُمْ سامِدُونَ﴾ يقول: وأنتم لاهون عما فيه من العِبَر والذكر، معرضون عن آياته يقال للرجل: دع عنا سُمودَك، يراد به: دع عنا لهوك، يقال منه: سَمَد فلان يَسْمُد سُمُوداً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه، فقال بعضهم: غافلون. وقال بعضهم: مغنون. وقال بعضهم: مُبَرْطِمون.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن عكرِمة، عن ابن عباس، قوله: ﴿سامِدُونَ﴾ قال: هو الغناء، كانوا إذا سمعوا القرآن تَغَنَّوا ولعبوا، وهي لغة أهل اليمن، قال اليماني: اسْمُد.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿سامِدونَ﴾ يقول: لاهون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وأَنْتُمْ سامِدُونَ﴾ يقول: لاهون.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن أبيه، عن عكرِمة، عن ابن عباس، قال: هي يمانية اسمد تَغَنَّ لنا.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرِمة، عن ابن

عباس، قال: هو الغناء، وهي يمانية، يقولون: اسمد لنا: تَغَنَّ لنا.

قال: ثنا عبيد الله الأشجعي، عن سفيان، عن حكيم بن الديلم، عن الضحاك، عن ابن عباس ﴿**وأَنْتُمْ سامِدُونَ**﴾ قال: كانوا يمرّون على النبيّ ﷺ شامخين، ألم تروا إلى الفحل في الإبل عَطِناً شامخاً[١].

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله: ﴿**وأَنْتُمْ سامِدُونَ**﴾ قال: غافلون.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وأَنْتُمْ سامِدُونَ**﴾ قال: كانوا يمرّون على النبيّ ﷺ غِضاباً مُبَرْطِمين. وقال عكرِمة: هو الغناء بالحِمْيرية.

قال: ثنا الأشجعيّ ووكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: هي البَرْطَمة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وأَنْتُمْ سامِدُونَ**﴾ قال: البرطمة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وأَنْتُمْ سامِدُونَ**﴾ قال: البرطمة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن عكرِمة، عن ابن عباس، قال: السامدون: المغَنُّون بالحميرية.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: كان عكرِمة يقول: السامدون يغنون بالحميرية، ليس فيه ابن عباس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**سامِدُونَ**﴾: أي غافلون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**سامِدُونَ**﴾ قال: غافلون.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وأَنْتُمْ سامِدُونَ**﴾ السُّمود: اللهو واللعب.

---

(١) عطنا: أي باركا في عطنه بعد أن شرب. وشامخاً: ناصباً رأسه.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سفيان بن سعيد، عن فطر، عن أبي خالد الوالبيّ، عن عليّ رضي الله عنه قال: رآهم قياماً ينتظرون الإمام، فقال: مالكم سامدون.

حدثني ابن سنان القزاز، قال: ثنا أبو عاصم، عن عمران بن زائدة بن نشيط، عن أبيه، عن أبي خالد قال: خرج علينا عليّ رضي الله عنه ونحن قيام، فقال: مالي أراكم سامدين.

قال: ثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا سفيان، عن فطر، عن زائدة، عن أبي خالد، بمثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن أبي معشر، عن إبراهيم، في قوله: ﴿**وأنْتُمْ سامِدُونَ**﴾ قال: قيام القوم قبل أن يجيء الإمام.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن عمران الخياط، عن إبراهيم في القوم ينتظرون الصلاة قياماً قال: كان يقال: ذاك السُّمود.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن ليث والعزرميّ، عن مجاهد ﴿**وأنْتُمْ سامِدونَ**﴾ قال: البَرْطَمة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرِمة، عن ابن عباس ﴿**وأنْتُمْ سامِدُونَ**﴾ قال: الغناء باليمانية: اسْمُد لنا.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وأنْتُمْ سامِدونَ**﴾ قال: السامد: الغافل.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، قال: كانوا يكرهون أن يقوموا إذا أقام المؤذّن للصلاة وليس عندهم الإمام، وكانوا يكرهون أن ينتظروه قياماً، وكان يقال: ذاك السُّمود، أو من السُّمود.

وقوله: ﴿**فاسْجُدُوا لِلّهِ وَاعْبُدُوا**﴾ يقول تعالى ذكره: فاسجدوا لله أيها الناس في صلاتكم دون مَن سواه من الآلهة والأنداد، وإياه فاعبدوا دون غيره، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلاَّ له، فأخلصوا له العبادة والسجود، ولا تجعلوا له شريكاً في عبادتكم إياه.

آخر تفسير سورة النجم

(٥٤) سورة القمر مكيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾: دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله ﴿اقْتَرَبَتْ﴾ افتعلت من القُرب، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنوّ القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون.

وقوله: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وانفلق القمر، وكان ذلك فيما ذُكر على عهد رسول الله ﷺ وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم ﷺ انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوته فلما أراهم أعرضوا وكذّبوا، وقالوا: هذا سحر مستمرّ، سحرنا محمد، فقال الله جلّ ثناؤه ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار، وقال به أهل التأويل. ذكر الآثار المروية بذلك، والأخبار عمن قاله من أهل التأويل:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرّتين.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت قتادة يحدّث، عن أنس، قال: انشقّ القمر فرقتين.

حدثنا ابن المثنى والحسن بن أبي يحيى المقدسي، قالا: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، قال: سمعت أنساً يقول: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ.

حدثني يعقوب الدورقيّ، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: سمعت أنساً يقول: فذكر مثله.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا حجاج بن محمد، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس، قال:

انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ مرّتين.

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا سعيد بن أبي عَروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حِراء بينهما.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله، قال: انشقّ القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمنى حتى ذهبت منه فرقة خلف الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «اشْهَدُوا».

حدثني إسحاق بن أبي إسرائيل، قال: ثنا النضر بن شميل المازنيّ، قال: أخبرنابة، عن سليمان، قال: سمعت إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله، قال تفلّق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فكانت فرقة على الجبل، وفرقة من ورائه، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، قال: ثنا النضر، قال: أخبرنا شعبة، عن سليمان، عن مجاهد، عن ابن عمر، مثل حديث إبراهيم في القمر.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي، قال: ثني عمي يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن رجل، عن عبد الله، قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمنى، فانشقّ القمر، فأخذت فرقة خلف الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «اشْهَدُوا».

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن سماك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله، قال: رأيت الجبل من فرج القمر حين انشقّ.

حدثنا الحسن بن يحيى المقدسي، قال: ثنا يحيى بن حماد، قال: ثنا أبو عوانة، عن المُغيرة، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر بن أبي كَبْشَة سحركم فسلوا السُّفَّار، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ﴾.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله قال: قد مضى انشقاق القمر.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: عبد الله خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، قال: أخبرنا أيوب، عن محمد، قال: نُبِّئت أن ابن مسعود كان يقول: قد انشقّ القمر.

قال: أخبرنا ابن علية، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السُلميّ، قال: نزلنا المدائن، فكنا منها على فرسخ، فجاءت الجمعة، فحضر أبي، وحضرت معه، فخطبنا حُذيفة، فقال: ألا إن الله يقول ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ القَمَرُ**﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشقّ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المِضمار، وغداً السباق، فقلت لأبي: أتستبق الناس غداً؟ فقال: يا بنيّ إنك لجاهل، إنما هو السباق بالأعمال، ثم جاءت الجمعة الأخرى، فحضرنا، فخطب حُذيفة، فقال: ألا إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ القَمَرُ**﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشقّ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سَبق إلى الجنة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن قال: كنت مع أبي بالمدائن، قال: فخطب أميرهم، وكان عطاء يروي أنه حُذيفة، فقال في هذه الآية: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ القَمَرُ**﴾ قد اقتربت الساعة وانشقّ القمر، قد اقتربت الساعة وانشقّ القمر، اليوم المِضمار، وغداً السباق، والسابق من سبق إلى الجنة، والغاية النار قال: فقلت لأبي: غداً السباق، قال: فأخبره.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن فضيل، عن حصين، عن محمد بن جُبَير بن مطعم، عن أبيه، قال: انشقّ القمر، ونحن مع رسول الله ﷺ بمكة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن خارجة، عن الحصين بن عبد الرحمن، عن ابن جُبَير، عن أبيه ﴿**وَانشَقَّ القَمَرُ**﴾ قال: انشقّ ونحن بمكة.

حدثنا محمد بن عسكر، قال: ثنا عثمان بن صالح وعبد الله بن عبد الحكم، قالا: ثنا بكر بن مضر، عن جعفر بن ربيعة، عن عِرَاك[1]، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس، قال: انشقّ القمر في عهد رسول الله ﷺ.

حدثنا نصر بن عليّ، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: انشقّ القمر قبل الهجرة، أو قال: قد مضى ذاك.

حدثنا إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن علي، عن ابن عباس بنحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن علي، عن ابن عباس أنه

---

(١) ضبطه في «التاج» بوزن كتاب.

قال في هذه الآية: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قال: ذاك قد مضى كان قبل الهجرة، انشق حتى رأوا شِقَّيه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ...﴾ إلى قوله: ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ قال: قد مضى، كان قد انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ بمكة، فأعرض المشركون وقالوا: سحر مستمرّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قال: رأوه منشقاً.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور وليث، عن مجاهد ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قال: انفلق القمر فلقتين، فثبتت فلقة، وذهبت فلقة من وراء الجبل، فقال النبيّ ﷺ: «اشْهَدُوا».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن ليث، عن مجاهد انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ، فصار فرقتين، فقال النبيّ ﷺ لأبي بكر: «اشْهَدْ يا أبا بَكْرٍ» فقال المشركون: سحر القمر حتى انشقّ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، قال: قدم رجل المدائن فقام فقال: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وإن القمر قد انشقّ، وقد آذنت الدنيا بفراق، اليوم المِضْمار، وغداً السباق، والسابق. من سبق إلى الجنة، والغاية النار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ يحدث الله في خلقه ما يشاء.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أنس، قال: سأل أهل مكة النبيّ ﷺ آية، فانشقّ القمر بمكة مرّتين، فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قد مضى، كان الشقّ على عهد رسول الله ﷺ بمكة، فأعرض عنه المشركون، وقالوا: سحْر مستمرّ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن عمرو، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: مضى انشقاق القمر بمكة.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ يقول تعالى ذكره. وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوّة محمد ﷺ، ودلالة تدلهم على صدقة فيما جاءهم به عن ربهم، يعرضوا عنها، فيولوا مكذّبين بها مُنكرين أن يكون حقاً يقيناً، ويقولوا تكذيباً منهم بها، وإنكاراً لها أن تكون حقاً: هذا سحر سَحَرنا به محمد حين خَيَّلَ إلينا أنا نرى القمر منفلقاً باثنين بسحره، وهو سحر مستمرّ، يعني يقول: سِحر مستمرّ ذاهب، من قولهم: قد مرّ هذا السحر إذا ذهب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ﴾ قال: ذاهب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وإنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ﴾ قال: إذا رأى أهل الضلالة آية من آيات الله قالوا: إنما هذا عمل السحر، يوشك هذا أن يستمرّ ويذهب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَيَقُولوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ﴾ يقول: ذاهب.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ﴾ كما يقول أهل الشرك إذا كُسِف القمر يقولون: هذا عمل السحرة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قوله: ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ﴾ قال: حين انشقّ القمر بِفِلقتين: فِلْقة من وراء الجبل، وذهبت فلقة أخرى، فقال المشركون حين رأوا ذلك: سحر مستمرّ.

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يوجه قوله: ﴿مُسْتَمِرٌ﴾ إلى أنه مستفعل من الإمرار من قولهم: قد مرّ الجبل: إذا صلب وقوي واشتدّ وأمررته أنا: إذا فتلته فتلاً شديداً، ويقول: معنى قوله: ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ﴾: سحر شديد.

---

(١) في الأصل: (أو) والظاهر أنه ليس قولا ثانياً في معنى الآية، وإنما هو بمعنى الأول.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: وكذّب هؤلاء المشركون من قريش بآيات الله بعد ما أتتهم حقيقتها، وعاينوا الدلالة على صحتها برؤيتهم القمر منفلقاً فلقتين ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ يقول: وآثروا اتباع ما دعتهم إليه أهواء أنفسهم من تكذيب ذلك على التصديق بما قد أيقنوا صحته من نبوّة محمد ﷺ، وحقيقة ما جاءهم به من ربهم.

وقوله: ﴿وكُلُّ أمْرٍ مُسْتَقِرّ﴾ يقول تعالى ذكره: وكلّ أمر من خير أو شرّ مستقرّ قراره، ومتناه نهايته، فالخير مستقرّ بأهله في الجنة، والشرّ مستقرّ بأهله في النار. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وكُلّ أمْرٍ مُسْتَقِرّ﴾: أي بأهل الخير الخير، وبأهل الشرّ الشرّ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد جاء هؤلاء المشركين من قريش الذين كذّبوا بآيات الله، واتبعوا أهواءهم من الأخبار عن الأمم السالفة، الذين كانوا من تكذيب رسل الله على مثل الذي هم عليه، وأحلّ الله بهم من عقوباته ما قصّ في هذا القرآن ما فيه لهم مزدجر، يعني: ما يردعهم، ويزجرهم عما هم عليه مقيمون، من التكذيب بآيات الله، وهو مُفْتَعَلٌ من الزَّجْر. وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مُزْدَجَرٌ﴾ قال: مُنْتَهى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: أي هذا القرآن.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ قال: المزدَجَر: المنتهى.

وقوله: ﴿حِكْمَةٌ بالِغَةٌ﴾ يعني بالحكمة البالغة: هذا القرآن، ورُفعت الحكمةُ ردّاً على «ما»

التي في قوله: ﴿وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾.

وتأويل الكلام: ولقد جاءهم من الأنباء النبأ الذي فيه مزدَجَر، حكمة بالغة. ولو رُفعت الحكمة على الاستئناف كان جائزاً، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: ولقد جاءهم من الأنباء النبأ الذي فيه مزدجر، ذلك حكمة بالغة، أو هو حكمة بالغة فتكون الحكمة كالتفسير لها.

وقوله: ﴿فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ﴾ وفي «ما» التي في قوله: ﴿فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ﴾ وجهان: أحدهما أن تكون بمعنى الجحد، فيكون إذا وجهت إلى ذلك معنى الكلام، فليست تغني عنهم النذر ولا ينتفعون بها، لإعراضهم عنها وتكذيبهم بها. والآخر: أن تكون بمعنى: أنى، فيكون معنى الكلام إذا وجهت إلى ذلك: فأيّ شيء تُغني عنهم النُذر. والنُذر: جمع نذير، كالجُدُد: جمع جديد، والحُصُر: جمع حَصير.

القول في تأويل قوله تعالى﴾:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَتَولَّ عَنهُمْ﴾: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من قومك، الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سِحْر مستمرّ، فإنهم يوم يدعو داعي الله إلى موقف القيامة، وذلك هو الشيء النُكر ﴿خُشَّعاً أبْصَارُهُمْ﴾ يقول: ذليلة أبصارُهم خاشعة، لا ضرر بها ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأجْداثِ﴾ وهي جمع جَدَث، وهي القبور، وإنما وصف جلّ ثناؤه بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأن أثر ذلة كل ذليل، وعزّة كل عزيز، تتبين في ناظريه دون سائر جسده، فلذلك خصّ الأبصار بوصفها بالخشوع. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿خُشَّعاً أبْصَارُهُمْ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «خاشِعاً أبْصَارَهُمْ»: أي ذليلة أبصارهم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: «خاشِعاً أبْصَارُهُمْ» فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض المكيين الكوفيين ﴿خُشَّعاً﴾ بضم الخاء وتشديد الشين، بمعنى خاشع وقرأه عامة قرّاء الكوفة وبعض البصريين «خاشِعاً أبْصَارُهُمْ» بالألف على التوحيد اعتباراً بقراءة عبد الله، وذلك أن ذلك في قراءة عبد الله «خاشِعَةً أبْصَارُهُمْ»، وألحقوه وهو بلفظ الاسم في التوحيد، إذ كان صفة بحكم فَعَلَ ويَفْعَل في التوحيد إذا تقدّم الأسماء، كما قال الشاعر:

وشَبابٍ حَسَنٍ أوْجُهُهُمْ مِنْ إيادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدْ[(١)]

فوحَّد حَسَناً وهو صفة للأوجه، وهي جمع وكما قال الآخر:

يَرْمَي الفِجاجَ بِها الرُّكْبانُ مَعْتِرضاً أعْناقَ بُزَّلِها مُرْخَى لَهَا الجُدُلُ[(٢)]

فوحد معترضاً، وهي من صفة الأعناق، والجمع والتأنيث فيه جائزان على ما بيَّنا.

وقوله: ﴿كأنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: يخرجون من قبورهم كأنهم في انتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب جراد منتشر.

وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ﴾ يقول: مسرعين بنظرهم قِبَلَ داعيهم إلى ذلك الموقف. وقد بيَّنا معنى الإهطاع بشواهده المغنية عن الإعادة، ونذكر بعض ما لم نذكره فيما مضى من الرواية.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عثمان بن يسار، عن تميم بن حَذْلم قوله: ﴿مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ﴾ قال: هو التحميج.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سفيان، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى ﴿مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ﴾ قال: التحميج.

قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ﴾ قال: هكذا أبصارهم شاخصة إلى السماء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ﴾: أي عامدين إلى الداع.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:

---

(١) البيت للحارث بن دوس الإيادي، ويروى لأبي داود الإيادي، هامش القرطبي (١٧/ ١٢٩) والبيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٣١٧) قال: إذا تقدم الفعل قبل اسم مؤنث، وهو له، أو قبل جمع مؤنث مثل الأنصار والأعمار وما أشبهها جاز تأنيث الفعل وتذكيره وجمعه، وقد أتى بذلك في هذا الحرف، فقرأه ابن عباس: «خاشعاً أبصارهم» حدثني بذلك هشيم وأبو معاوية، عن وائل بن داود، عن مسلم بن يسار، عن ابن عباس، أنه قرأها «خاشعاً». قال: وحدثني هشيم، عن عوف الأعرابي، عن الحسن وأبي رجاء العطاردي: أن أحدهما قال: «خاشعاً» والآخر: «خشعاً» قال الفراء: وهي في قراءة عبد الله (ابن مسعود): «خاشعة أبصارهم». وقرأ الناس بعد: «خشعاً أبصارهم»، وقد قال الشاعر:

«وشباب حسن. . . .» البيت.

(٢) وهذا الشاهد كذلك من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٣١٧) على أنه إذا تقدم الفعل وشبهه قبل اسم مؤنث (جمع تكسير) مثل الأنصار والأعمار وما أشبهها جاز تأنيث الفعل وتذكيره وجمعه وقال الفراء تعليقاً على هذا البيت: الجدل: جمع الجديل: وهو الزمام. فلو قال معترضات أو معترضة، لكان صواباً، ومرخاة ومرخيات ا هـ.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ يقول: ناظرين.

وقوله: ﴿يَقُولُ الكافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: يقول الكافرون بالله يوم يدع الداعي إلى شيء نكُر: هذا يوم عسر. وإنما وصفوه بالعسر لشدة أهواله وبَلْباله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾.

وهذا وعيد من الله تعالى ذكره، وتهديد للمشركين من أهل مكة وسائر من أرْسَلَ إليه رسولَه محمداً ﷺ على تكذيبهم إياه، وتقدم منه إليهم إن هم لم ينيبوا من تكذيبهم إياه، أنه محلّ بهم ما أحل بالأمم الذين قصّ قصصهم في هذه السورة من الهلاك والعذاب، ومنجّ نبيه محمداً والمؤمنين به، كما نجّى من قبله الرسل وأتباعهم من نقمه التي أحلّها بأممهم، فقال جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: كذّبت يا محمد قبل هؤلاء الذين كذّبوك من قومك، الذين إذا رأوْا آية أعرضوا وقالوا سحر مستمرّ، قوم نوح، فكذبوا عبدنا نوحاً إذ أرسلناه إليهم، كما كذّبتك قريش إذ أتيتهم بالحق من عندنا وقالوا: هو مجنون وازدجر، وهو افْتُعِل من زجرت، وكذا تفعل العرب بالحرف إذا كان أوّله زاياً صيروا تاء الافتعال منه دالاً من ذلك قولهم: ازدجر من زجرت، وازدلف من زلفت، وازديد من زدت.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ الذي زَجَروه، فقال بعضهم: كان زجرهم إياه أن قالوا: استُطِير جنوناً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَقالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ قال: استطير جنوناً.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، بمثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَازْدَجِرَ﴾ قال: استُطير جنوناً.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد في هذه الآية ﴿وَقالُوا مَجْنُونٍ وَازْدُجِرَ﴾ قال: استعر جنوناً.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا زيد بن الحباب، قال: وأخبرني شعبة بن الحجاج، عن الحكم، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: بل كان زجرهم إياه، وعيدهم له بالشتم والرجم بالقول القبيح.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَقالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ**﴾ قال: اتهموه وزجروه وأوعدوه لئن لم يفعل ليكوننّ من المرجومين، وقرأ ﴿**لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المَرْجُومِينَ**﴾.

وقوله: ﴿**فَدَعا رَبَّهُ أنّي مَغْلُوبٌ فانْتَصِرْ**﴾ يقول تعالى ذكره: فدعا نوح ربه: إن قومي قد غلبوني، تمرّداً وَعتوّاً، ولا طاقة لي بهم، فانتصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**فَفَتَحْنا**﴾ لما دعانا نوح مستغيثاً بنا على قومه ﴿**أبْوَابَ السَّماءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ**﴾ وهو المندفق، كما قال امرؤ القيس في صفة غيث:

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبا ثُمَّ انْتَحَى ... فِيهِ شُؤْبُوبُ جنوبٍ مُنْهَمِرْ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ**﴾ قال: ينصبّ انصباباً.

وقوله: ﴿**وَفَجَّرْنا الأرْضَ عُيُوناً**﴾ يقول جلّ ثناؤه: وأسلنا الأرض عيون الماء. كما:

---

(١) البيت لامرىء القيس بن حجر، من مقطوعة في ثمانية أبيات يصف فيه غيثاً «**مختار الشعر الجاهلي**» بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي (١١٠ ـ ١١١) قال شارحه: راح: عاد السحاب بالمطر آخر النهار. وتمريه: تستدبره، وأصله من مري الضرع، وهو مسحه باليد ليدر، والسحاب حين تضربه ريح الصبا الباردة، يتجمع ويتكاثف، فيسقط مطراً، ثم جاءت الجنوب عندهم محملة بالأمطار من بحر الهند، فأضافت إلى هذا السحاب شؤبوبا آخر جنوبياً، فتضاعف المطر وانهمر انهماراً. ا هـ. وموضع الشاهد في البيت: أن المنهمر في قوله تعالى: ﴿بماء منهمر﴾ المتدفق. الشديد الانصباب ا هـ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، في قوله: ﴿**وَفَجَّرْنا الأرْضَ عُيُوناً**﴾ قال: فجّرنا الأرض الماءَ وجاء من السماء.

﴿**فالْتَقَى المَاءُ على أمْرٍ قَدْ قُدِرْ**﴾ يقول تعالى ذكره: فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدره الله وقضاه، كما:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**فالْتَقَى المَاءُ على أمْرٍ قَدْ قُدِرْ**﴾ قال: ماء السماء وماء الأرض. وإنما قيل: فالتقى الماء على أمر قد قدر، والالتقاء لا يكون من واحد، وإنما يكون من اثنين فصاعداً، لأن الماء قد يكون جمعاً وواحداً، وأريد به في هذا الموضع: مياه السماء ومياه الأرض، فخرج بلفظ الواحد ومعناه الجمع. وقيل: التقى الماء على أمر قد قُدر، لأن ذلك كان أمراً قد قضاه الله في اللوح المحفوظ. كما:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب قال: كانت الأقوات قبل الأجساد، وكان القدر قبل البلاء، وتلا ﴿**فالْتَقَى المَاءُ على أمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وحملنا نوحاً إذ التقى الماء على أمر قد قُدر، على سفينة ذات ألواح ودُسُر. والدسر: جمع دسار وقد يقال في واحدها: دسير، كما يقال: حَبِيك وحِباك والدِّسار: المسمار الذي تشدّ به السفينة يقال منه: دسرت السفينة إذا شددتها بمسامير أو غيرها.

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، أخبرني ابن لَهِيعة، عن أبي صخر، عن القُرَظي، وسُئل عن هذه الآية ﴿**وَحَمَلْناهُ على ذَاتِ ألْوَاحٍ ودُسُر**﴾ قال: الدُّسُر: المسامير.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَحَمَلْناهُ على ذَاتِ ألْوَاحٍ ودُسُرٍ**﴾ حدثنا أن دُسُرَها: مساميرها التي شُدّت بها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**ذَاتِ ألْوَاحٍ**﴾ قال: معاريض السفينة قال: ودُسُر: قال دُسِرت بمسامير.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَدُسُر**﴾ قال:

الدسر: المسامير التي دُسرت بها السفينة، ضُربت فيها، شُدّت بها.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَدُسُرٍ﴾ يقول: المسامير.

وقال آخرون: بل الدُّسُر: صَدْر السفينة، قالوا: وإنما وصف بذلك لأنه يدفع الماء ويَدْسُرُه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿وحَمَلْناهُ على ذَاتِ أَلْوَاحٍ ودُسُرٍ﴾ قال: تدسُر الماء بصدرها، أو قال: بِجُؤْجُئِها.

حدثنا بشر. قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول في قوله: ﴿وَدُسُرٍ﴾ جؤجؤها تَدْسُرُ به الماء.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن أنه قال: تدسر الماء بصدرها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَدُسُرٍ﴾ قال: الدُّسُر: كَلْكَل السفينة.

وقال آخرون: الدسر: عوارض السفينة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الحصين، عن مجاهد ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ قال: ألواح السفينة ودسر عوارضها.

وقال آخرون: الألواح: جانباها، والدُّسُر: طرفاها.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ أما الألواح: فجانبا السفينة. وأما الدُّسُر: فطرفاها وأصلاها.

وقال آخرون: بل الدُّسُر: أضلاع السفينة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَدُسُرٍ﴾ قال:

أضلاع السفينة.

وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول جلّ ثناؤه: تجري السفينة التي حملنا نوحاً فيها بمرأى منا ومنظر. وذُكر عن سفيان في تأويل ذلك ما:

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، في قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول: بأمرنا ﴿جَزاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويله: فقال بعضهم: تأويله فعلنا ذلك ثواباً لمن كان كُفر فيه، بمعنى: كفر بالله فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ﴾ قال: كَفَر بالله.

وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿جَزَاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ﴾ قال: لمن كان كفر فيه.

ووجه آخرون معنى «مَنْ» إلى معنى «ما» في هذا الموضع، وقالوا: معنى الكلام: جزاء لما كان كَفَر من أيادي الله ونعمه عند الذين أهلكهم وغرّقهم من قوم نوح.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿جَزَاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ﴾ قال: لمن كان كفر نعم الله، وكفر بأياديه وآلائه ورسله وكتبه، فإن ذلك جزاء له.

والصواب من القول من ذلك عندي ما قاله مجاهد، وهو أن معناه: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجّرنا الأرض عيوناً، فغرّقنا قوم نوح، ونجينا نوحاً عقاباً من الله وثواباً للذي جُحِد وكُفِر، لأن معنى الكفر: الجحود، والذي جحد ألوهته ووحدانيته قوم نوح، فقال بعضهم لبعض: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُواعاً ولاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ ونَسْراً﴾، ومن ذهب به إلى هذا التأويل، كانت من الله، كأنه قيل: عوقبوا لله ولكفرهم به. ولو وَجّه موَجّه إلى أنها مراد بها نوح والمؤمنون به كان مذهباً، فيكون معنى الكلام حينئذٍ، فعلنا ذلك جزاء لنوح ولمن كان معه في الفلك، كأنه قيل: غرقناهم لنوح ولصنيعهم بنوح ما صنعوا من كفرهم به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد تركنا السفينة التي حملنا فيها نوحاً ومن كان معه آية، يعني عِبْرة وعظة لمن بعد قوم نوح من الأمم ليعتبروا ويتعظوا، فينتهوا عن أن يسلكوا مسلكهم في الكفر بالله، وتكذيب رسله، فيصيبهم مثل ما أصابهم من العقوبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلَقَدْ تَرَكْناها آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ قال: أبقاها الله بباقَرْدي من أرض الجزيرة، عبرة وآية، حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة نظراً، وكم من سفينة كانت بعدها قد صارت رماداً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَلَقَدْ تَرَكْناها آيَةً**﴾ قال: ألقى الله سفينة نوح على الجوديّ حتى أدركها أوائل هذه الأمة.

قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن مجاهد، أن الله حين غرّق الأرض، جعلت الجبال تشمخ، فتواضع الجوديّ، فرفعه الله على الجبال، وجعل قرار السفينة عليه.

وقوله: ﴿**فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ يقول: فهل من ذي تذكر يتذكر ما قد فعلنا بهذه الأمة التي كفرت بربها، وعصت رسوله نوحاً، وكذّبته فيما أتاهم به عن ربهم من النصيحة، فيعتبر بهم، ويحذر أن يَحِلّ به من عذاب الله بكفره بربه، وتكذيبه رسوله محمداً ﷺ، مثل الذي حلّ بهم، فينيب إلى التوبة، ويراجع الطاعة. وأصل مدّكر: مفتعل من ذكر، اجتمعت فاء الفعل، وهي ذال، وتاء وهي بعد الذال، فصيرتا دالاً مشدّدة، وكذلك تفعل العرب فيما كان أوّله ذالا يتبعها تاء الافتعال يجعلونهما جميعاً دالاً مشدّدة، فيقولون: ادّكرت ادّكاراً، وإنما هو اذتكرت اذتكاراً، وفهل من مذتكر، ولكن قيل: ادّكرت ومدّكر لما قد وصفت، قد ذُكر عن بعض بني أسد أنهم يقولون في ذلك مذّكر، فيقلبون الدال ويعتبرون الدال والتاء ذالاً مشددة، وذُكر عن الأسود بن يزيد أنه قال: قلت لعبد الله بن مسعود: فهل من مذّكر، أو مدّكر، فقال: أقرأني رسول الله ﷺ: «مُدّكر» يعني بدال مشددة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ قال: المدّكر: الذي يتذكر، وفي كلام العرب: المدّكر: المتذكر.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ قال: فهل من مذكر.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ كانَ عَذَابِي ونُذُرِ﴾ يقول تعالى ذكره: فكيف كان عذابي لهؤلاء الذين كفروا بربهم من قوم نوح، وكذّبوا رسوله نوحاً، إذ تمادوا في غيهم وضلالهم، وكيف كان إنذاري بما فعلت بهم من العقوبة التي أحللت بهم بكفرهم بربهم، وتكذيبهم رسوله نوحاً، صلوات الله عليه، وهو إنذار لمن كفر من قومه من قريش، وتحذير منه لهم، أن يحلّ بهم على تماديهم في غيهم، مثل الذي حلّ بقوم نوح من العذاب.

وقوله: ﴿وَنُذُرِ﴾ يعني: وإنذاري، وهو مصدر.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ للذِّكْرِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد سهّلنا القرآن، بيّناه وفصّلناه للذكر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ، وهوّناه. كما:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿يَسَّرْنا القُرْآنَ للذِّكْرِ﴾ قال: هوّناه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ للذِّكْرِ﴾ قال: يسَّرنا: بيّنا.

وقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ يقول: فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر.

وقد قال بعضهم في تأويل ذلك: هل من طالب علم أو خير فيُعان عليه، وذلك قريب المعنى مما قلناه، ولكنا اخترنا العبارة التي عبرناها في تأويله، لأن ذلك هو الأغلب من معانيه على ظاهره.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ للذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ يقول: فهل من طالب خير يُعان عليه.

حدثنا الحسين بن عليّ الصُدَائيّ، قال: ثنا يعقوب، قال: ثني الحارث بن عبيد الإياديّ، قال: سمعت قتادة يقول في قول الله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ قال: هل من طالب خير يُعان عليه.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا ضمرة بن ربيعة أو أيوب بن سويد أو كلاهما، عن ابن شَوْذَب، عن مطر، في قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ للذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ قال: هل من طالب علم فيعان عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كذّبت أيضاً عاد نبيهم هوداً ﷺ فيما أتاهم به عن الله، كالذي كذّبت قوم نوح، وكالذي كذّبتم مَعْشر قريش نبيكم محمداً ﷺ وعلى جميع رسله، ﴿**فَكَيْفَ كانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾ يقول: فانظروا معشر كفرة قريش بالله كيف كان عذابي إياهم، وعقابي لهم على كفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله هوداً، وإنذاري بفعلي بهم ما فعلت من سلك طرائقهم، وكانوا على مثل ما كانوا عليه من التمادي في الغيّ والضلالة.

وقوله: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً**﴾ يقول تعالى ذكره: إنا بعثنا على عاد إذ تمادوا في طغيانهم وكفرهم بالله ريحاً صرصراً، وهي الشديدة العصوف في برد، التي لصوتها صرير، وهي مأخوذة من شدة صوت هبوبها إذا سمع فيها كهيئة قول القائل: صرّ، فقيل منه: صرصر، كما قيل: فكبكبوا فيها، من فكبوا، ونَهْنَهت من نَهَهْتُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**رِيحاً صَرْصَراً**﴾ قال: ريحاً باردة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً**﴾ والصَّرصر: الباردة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: الصَّرصر: الباردة.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**رِيحاً صَرْصَراً**﴾ باردة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**رِيحاً صَرْصَراً**﴾ قال: شديدة، والصرصر: الباردة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**رِيحاً صَرْصَراً**﴾ قال: الصرصر: الشديدة.

وقوله: ﴿**فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرّ**﴾ يقول: في يوم شرّ وشؤم لهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك،

قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: النَّحْس: الشؤم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فِي يَوْمِ نَحْسٍ**﴾ قال النحس: الشرّ ﴿**فِي يَوْمِ نَحْسٍ**﴾ في يوم شرّ.

وقد تأوّل ذلك آخرون بمعنى شديد، ومن تأوّل ذلك كذلك فإنه يجعله من صفة اليوم، ومن جعله من صفة اليوم، فإنه ينبغي أن يكون قراءته بتنوين اليوم، وكسر الحاء من النَّحس، فيكون «فِي يَوْمٍ نَحِسٍ» كما قال جلّ ثناؤه فِي أيّام نَحِساتٍ ولا أعلم أحداً قرأ ذلك كذلك في هذا الموضع، غير أن الرواية التي ذكرت في تأويل ذلك عمن ذكرت عنه على ما وصفنا تدلّ على أن ذلك كان قراءة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فِي يَوْمِ نَحْسٍ**﴾ قال: أيام شداد.

وحُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**فِي يَوْمِ نَحْسٍ**﴾ يوم شديد.

وقوله: ﴿**مُسْتَمِرٍّ**﴾ يقول: في يوم شرّ وشؤم، استمرّ بهم البلاء والعذاب فيه إلى أن وافى بهم جهنم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ**﴾ يستمرّ بهم إلى نار جهنم.

وقوله: ﴿**تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ**﴾ يقول: تقتلع الناس ثم ترمي بهم على رؤوسهم، فتندقّ رقابهم، وتبين من أجسامهم. كما:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما هاجت الريح قام نفر من عاد سبعة شمَاليًا، منهم ستة من أشدّ عاد وأجسمها، منهم عمرو بن الحُلَيّ والحارث بن شداد والهلقام وابنا تيقن وخَلَجان بن أسعد، فأدلجوا العيال في شعب بين جبلين، ثم اصطفوا على باب الشعب ليردّوا الريح عمن بالشِّعب من العِيال، فجعلت الريح تخفِقُهم رجلاً رجلاً، فقالت امرأة من عاد:

ذَهَبَ الدَّهْرُ بَعَمْرِو بْـ ... ـنِ حُلَيَ والهَنِيَّاتِ

ثُمَّ بالحارِثِ والهِلْـ قامِ طَلاَّعِ الثَّنِيَّاتِ
وَالَّذِي سَدَّ عَلَيْنا الرّ يحَ أيَّامَ البَلِيَّاتِ(١)

حدثنا العباس بن الوليد البيروتيّ، قال: أخبرني أبي، قال: ثني إسماعيل بن عياش، عن محمد بن إسحاق قال: لما هبَّت الريح قام سبعة من عاد، فقالوا: نردّ الريح، فأتوا فم الشعب الذي يأتي منه الريح، فوقفوا عليه، فجعلت الريح تهبّ، فتدخل تحت واحد واحد، فتقتلعه من الأرض فترمي به على رأسه، فتندقّ رقبته، ففعلت ذلك بستة منهم، وتركتهم كما قال الله: ﴿أعجازُ نَخلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ وبقي الخَلَجان فأتى هوداً فقال: يا هود ما هذا الذي أرى في السحاب كهيئة البخاتيّ؟ قال: تلك ملائكة ربي، قال: مالي إن أسلمت؟ قال: تَسْلَم، قال: أيُقيدني ربك إن أسلمت من هؤلاء؟ فقال: ويلك أرأيت مَلكاً يقيد جنوده؟ فقال: وعزّته لو فعل ما رضيت. قال: ثم مال إلى جانب الجبل، فأخذ بركن منه فهزّه، فاهتزّ في يده، ثم جعل يقول:

لَمْ يَبْقَ إلاَّ الخَلَجانُ نَفْسُهُ يا لَكَ مِنْ يَوْمٍ دَهانِي أمْسُهُ
بِثابِتِ الوَطْءِ شَدِيدِ وَطْسُهُ لَوْ لَمْ يَجِئْنِي جِئْتُهُ أحُسُّهُ(٢)

قال: ثم هبت الريح فألحقته بأصحابه.

حدثني محمد بن إبراهيم، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا نوح بن قيس، قال: ثنا محمد بن سيف، عن الحسن، قال: لما أقبلت الريح قام إليها قوم عاد، فأخذ بعضهم بأيدي بعض كما تفعل الأعاجم، وغمزوا أقدامهم في الأرض وقالوا: يا هود من يزيل أقدامنا عن الأرض إن كنت صادقاً، فأرسل الله عليهم الريح فصيرتهم كأنهم أعجاز نخل مُنْقَعِر.

حدثني محمد بن إبراهيم، قال: ثنا مسلم، قال: ثنا نوح بن قيس، قال: ثنا أشعث بن جابر، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، قال: إن كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراعين من حجارة، لو اجتمع عليها خمس مئة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يحملوها، وإن كان الرجل منهم ليغمز قدمه في الأرض، فتدخل في الأرض، وقال: كأنهم أعجاز نخل ومعنى الكلام: فيتركهم كأنهم أعجاز نخل منقعر، فترك ذكر فيتركهم استغناء بدلالة الكلام عليه. وقيل: إنما شبههم بأعجاز نخل منقعر، لأن رؤوسهم كانت تبين من أجسامهم، فتذهب لذلك رقابهم، وتبقى أجسادهم.

---

(١) هذه الأبيات لامرأة من عاد قوم هود عليه السلام هامش القرطبي (١٧/ ١٣٦) وقد ذكر المؤلف الأبيات في قصة عاد حينما سلط الله عليهم الريح. والله أعلم بمن قالها وبمن رواها. وقوله (علينا). زيادة لإصلاح الوزن، وهي ساقطة من الأصل.

(٢) وهذان البيتان من الأشعار التي رواها أهل القصص في قصة هلاك عاد قوم هود بالريح. وقد أوردها الثعلبي المفسر في كتابه «**قصص الأنبياء**» المشهور بـ«**عرائس المجالس**» (ص ـ ٦٤) من طبعة الحلبي ا هـ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا خلف بن خليفة، عن هلال بن خباب، عن مجاهد، في قوله: ﴿**كأنَّهُمْ أعْجازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ**﴾ قال: سقطت رؤوسهم كأمثال الأخبية، وتفرّدت، أو وتَفَرّقت أعناقهم «قال أبو جعفر: أنا أشك»، فشبهها بأعجاز نخلٍ منقعر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**تَنزِعُ النَّاسَ كأنَّهُم أعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ**﴾ قال: هم قوم عاد حين صرعتهم الريح، فكأنهم فِلَق نخل منقعر ﴿**فَكَيفَ كانَ عَذابي وَنُذُرِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فانظروا يا معشر كفار قريش، كيف كان عذابي قوم عاد، إذ كفروا بربهم، وكذّبوا رسوله، فإن ذلك سنة الله في أمثالهم، وكيف كان إنذاري بهم مَنْ أنذرت.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد سهّلنا القرآن وهوّناه لمن أراد التذكر به والاتعاظ ﴿**فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ يقول: فهل من متعظ ومنزجر بآياته.

وقوله: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بالنُّذُرِ**﴾ يقول تعالى ذكره: كذّبت ثمود قوم صالح بنذر الله التي أتتهم من عنده، فقالوا تكذيباً منهم لصالح رسول ربهم: أبشراً منا نتبعه نحن الجماعة الكبيرة، وهو واحد؟.

وقوله: ﴿**إنَّا إذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ**﴾ يقول: قالوا: إنا إذاً باتباعنا صالحاً إن اتبعناه وهو بشر منا واحد لفي ضلال: يعنون: لفي ذهاب عن الصواب وأخذ على غير استقامة وسُعُر: يعنون بالسُّعُر: جمع سَعير.

وكان قتادة يقول: عنى بالسُّعُر: العناء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إنَّا إذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ**﴾: في عناء وعذاب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**إنَّا إذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ**﴾ قال: ضلال وعناء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل مكذّبي رسوله صالح ﷺ من قومه ثمود: أألقي عليه الذكر من بيننا، يعنون بذلك: أنزل الوحي وخُصَّ بالنبوّة من بيننا وهو واحد منا، إنكاراً منهم أن يكون الله يُرسل رسولاً من بني آدم.

وقوله: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ يقول: قالوا: ما ذلك كذلك، بل هو كذّاب أشر، يعنون بالأشر: المَرِح ذا التجبُّر والكبرياء، والمَرِح من النشاط. وقد:

حدثني الحسن بن محمد بن سعيد القرشيّ، قال: قلت لعبد الرحمن بن أبي حماد: ما الكذّاب الأشر؟ قال: الذي لا يبالي ما قال، وبكسر الشين من الأشِر وتخفيف الراء قرأت قرّاء الأمصار. وذُكر عن مجاهد أنه كان يقرأه: «كَذَّابٌ أشُرٌ» بضم الشين وتخفيف الراء، وذلك في الكلام نظير الحِذر والحذُر والعَجِل والعَجُل.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا، ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الكَذَّابُ الأَشِرُ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الله لهم: ستعلمون غداً في القيامة من الكذّاب الأشر منكم معشر ثمود، ومن رسولنا صالح حين تردون على ربكم، وهذا التأويل تأويل من قرأه «سَتَعْلَمُونَ» بالتاء، وهي قراءة عامة أهل الكوفة سوى عاصم والكسائي. وأما تأويل ذلك على قراءة من قرأه بالياء، وهي قراءة عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وعاصم والكسائي، فإنه قال الله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الكَذَّابُ الأشِرُ﴾ وترك من الكلام ذكر قال الله، استغناء بدلالة الكلام عليه.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، لتقارب معنييهما، وصحتهما في الإعراب والتأويل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إنا باعثو الناقة التي سألتها ثمودُ صالحاً من الهضبة التي سألوه بَعثتها منها

آية لهم، وحجة لصالح على حقيقة نبوّته وصدق قوله.

وقوله: ﴿فِتْنَةً لَهُمْ﴾ يقول: ابتلاءً لهم واختباراً، هل يؤمنون بالله ويتبعون صالحاً ويصدّقونه بما دعاهم إليه من توحيد الله إذا أرسل الناقة، أم يكذّبونه ويكفرون بالله؟

وقوله: ﴿فارْتَقِبْهُم﴾ يقول تعالى ذكره لصالح: إنا مُرسلو الناقة فتنة لهم، فانتظرهم، وتبصَّر ما هم صانعوه بها ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ يقول له: واصطبر على ارتقابهم ولا تعجل، وانتظر ما يصنعون بناقة الله، وقيل: ﴿واصطبر﴾ وأصل الطاء تاء، فجعلت طاء، وإنما هو افتعل من الصبر.

وقوله: ﴿ونَبِّئْهُمْ أنَّ الماءَ قِسمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: نبئهم: أخبرهم أن الماء قسمة بينهم، يوم غبّ الناقة، وذلك أنها كانت ترد الماء يوماً، وتغبّ يوماً، فقال جلّ ثناؤه لصالح: أخبر قومك من ثمود أن الماء يوم غبّ الناقة قسمة بينهم، فكانوا يقتسمون ذلك يوم غبها، فيشربون منه ذلك اليوم، ويتزوّدون فيه منه ليوم ورودها.

وقد وجه تأويل ذلك قوم إلى أن الماء قسمة بينهم وبين الناقة يوماً لهم ويوماً لها، وأنه إنما قيل بينهم، والمعنى: ما ذكرت عندهم، لأن العرب إذا أرادت الخبر عن فعل جماعة بني آدم مختلطاً بهم البهائم، جعلوا الفعل خارجاً مخرج فعل جماعة بني آدم، لتغليبهم فعل بني آدم على فعل البهائم.

وقوله: ﴿كُل شِرْب مُحْتَضَرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: كلّ شرب من ماء يوم غبّ الناقة، ومن لبن يوم ورودها محتضر يحتضرونه. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿كُلُّ شِرْب مُحْتَضَر﴾ قال: يحضرون بهم الماء إذا غابت، وإذا جاءت حضروا اللبن.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿كُل شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ قال: يحضرون بهم الماء إذا غابت، وإذا جاءت حضروا اللبن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فنادت ثمود صاحبهم عاقر الناقة قدار بن سالف ليعقر الناقة حضًا منهم له على ذلك.

وقوله: ﴿فَتَعاطَى فَعَقَرَ﴾ يقول: فتناول الناقة بيده فعقرها.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ يقول جلّ ثناؤه لقريش: فكيف كان عذابي إياهم معشر قريش حين عذّبتهم ألم أهلكهم بالرجفة. ونُذُرِ: يقول: فكيف كان إنذاري من أنذرت من الأمم بعدهم بما فعلت بهم وأحللت بهم من العقوبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَتَعاطَى فَعَقَرَ﴾ قال: تناولها بيده ﴿فَكَيْفَ كانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ قال: يقال: إنه ولد زنية فهو من التسعة الذين كانوا يُفسدون في الأرض، ولا يصلحون، وهم الذين قالوا لصالح ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وأهْلَهُ﴾ ولنقتلنهم.

وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وقد بيَّنا فيما مضى أمر الصيحة، وكيف أتتهم، وذكرنا ما روي في ذلك من الآثار، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿فكانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾ يقول تعالى ذكره فكانوا بهلاكهم بالصيحة بعد نضارتهم أحياء، وحسنهم قبل بوارهم كيَبِس الشجر الذي حظرته بحظير حظرته بعد حُسن نباته، وخُضرة ورقه قبل يُبسه.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: ﴿كَهَشِيم المُحْتَظِرِ﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك: العظام المحترقة، وكأنهم وجَّهوا معناه إلى أنه مَثَّلَ هؤلاء القوم بعد هلاكهم وبلائهم بالشيء الذي أحرقه محرق في حظيرته.

ذكر من قال ذلك:

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كُدينة، قال: ثنا قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾ قال: كالعظام المحترقة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَكانُوا كَهَشِيم المُحتَظِرِ﴾ قال: المحترق. ولا بيان عندنا في هذا الخبر عن ابن عباس، كيف كانت قراءته ذلك، إلا أنا وجَّهنا معنى قوله هذا على النحو الذي جاءنا من تأويله قوله: ﴿كَهَشِيم المُحْتَظِرِ﴾ إلى أنه كان يقرأ ذلك كنحو قراءة الأمصار، وقد يحتمل تأويله ذلك كذلك أن يكون قراءته كانت بفتح الظاء من المحتظر، على أن المحتظر نعت للهشيم، أضيف إلى نعته، كما قيل: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾ وقد ذُكر عن الحسن وقتادة أنهما كانا يقرآن ذلك كذلك، ويتأوّلانه هذا التأويل الذي ذكرناه عن ابن عباس.

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ثني أبي، عن الحسن، قال:

كان قتادة يقرأ ﴿كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾ يقول: المحترق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾ يقول: كهشيم محترق.

وقال آخرون: بل عنى بذلك التراب. الذي يتناثر من الحائط.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير ﴿كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾ قال: التراب الذي يتناثر من الحائط.

وقال آخرون: بل هو حظيرة الراعي للغنم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق وأسنده، قال ﴿المُحْتَظِرِ﴾ حظيرة الراعي للغنم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾ المحتظر: الحظرة تتخذ للغنم فتيبس، فتصير كهشيم المحتظر، قال: هو الشوك الذي تحظر به العرب حول مواشيها من السباع والهشيم: يابس الشجر الذي فيه شوك ذلك الهشيم.

وقال آخرون: بل عني به هشيم الخيمة، وهو ما تكسّر من خشبها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن مجاهد، في قوله: ﴿كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾ قال: الرجل يهشِم الخيمة.

وحدثني الحارث، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾ الهشيم: الخيمة.

وقال آخرون: بل هو الورق الذي يتناثر من خشب الحطب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿كَهَشِيم﴾ قال: الهشيم: إذا ضربت الحظيرة بالعصا تهشم ذاك الورق فيسقط. والعرب تسمي كل شيء كان رطباً فيبس هشيماً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد هوّنا القرآن بيَّناه للذكر: يقول: لمن أراد أن يتذكر به فيتعظ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ يقول: فهل من متَّعظ به ومعتبر فيعتبر به، فيرتدع عما يكرهه الله منه.

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بالنُّذُرِ﴾ يقول تعالى ذكره: كذّبت قوم لوط بآيات الله التي أنذرهم وذكرهم بها.

وقوله: ﴿إنَّا أرسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِباً﴾ يقول تعالى ذكره: إنا أرسلنا عليهم حجارة.

وقوله: ﴿إلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيناهُمْ بسَحَرٍ﴾ يقول: غير آل لوط الذين صدّقوه واتبعوه على دينه فإنا نجّيناهم من العذاب الذي عذّبنا به قومه الذين كذّبوه، والحاصب الذي حصبناهم به بسحر: بنعمة من عندنا: يقول: نعمة أنعمناها على لوط وآله، وكرامة أكرمناهم بها من عندنا.

وقوله: ﴿كَذلَكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ يقول: وكما أثبنا لوطاً وآله، وأنعمنا عليه، فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهم إيانا كذلك نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا ونهينا من جميع خلقنا. وأجرى قوله بسحر، لأنه نكرة، وإذا قالوا: فعلت هذا سحر بغير باء لم يجروه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧)﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد أنذر لوط قومه بطشتنا التي بطشناها قبل ذلك ﴿فتمارَوْا بالنُّذُر﴾ يقول: فكذّبوا بإنذاره ما أنذرهم من ذلك شكاً منهم فيه.

وقوله: ﴿فتمارَوْا﴾ تفاعلوا من المرية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَتَمارَوْا بالنُّذُرِ﴾ لم يصدّقوه، وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولقد راود لوطاً قومه عن ضيفه الذين نزلوا به حين أراد الله إهلاكهم ﴿فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ﴾ يقول: فطمسنا على أعينهم حتى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شقّ، فلم يبصروا ضيفه. والعرب تقول: قد طمست الريح الأعلام: إذا

دفنتها بما تسفي عليها من التراب، كما قال كعب بن زُهَير:

مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إذَا اعْتَرَقَتْ   عُرْضَتُها طامِسُ الأعْلامِ مَجْهُولُ(١)

يعني بقوله: ﴿طامِسُ الأعْلامِ﴾: مندفن الأعلام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ﴾ قال: عمى الله عليهم الملائكة حين دخلوا على لوط.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ﴾ وذُكر لنا أن جبريل عليه السلام استأذن ربه في عقوبتهم ليلة أتوا لوطاً، وأنهم عالجوا الباب ليدخلوا عليه، فصفقهم بجناحه، وتركهم عمياً يتردّدون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ﴾ قال: هؤلاء قوم لوط حين راودوه عن ضيفه، طمس الله أعينهم، فكان ينهاهم عن عملهم الخبيث الذي كانوا يعملون، فقالوا: إنا لا نترك عملنا فإياك أن تُنزِل أحداً أو تُضيفه، أو تدعه ينزل عليك، فإنا لا نتركه ولا نترك عملنا. قال: فلما جاءه المرسلون، خرجت امرأته الشقية من الشقّ، فأتتهم فدعتهم، وقالت لهم: تعالوا فإنه قد جاء قوم لم أر قطّ أحسن وجوهاً منهم، ولا أحسن ثياباً، ولا أطيب أرواحاً منهم، قال: فجاؤوه يهرعون إليه، فقال: إن هؤلاء ضيفي، فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي، قالوا: أو لم ننهك عن العالمين؟ أليس قد تقدمنا إليك وأعذرنا فيما بيننا وبينك؟ قال: هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم فقال له جبريل عليه السلام: ما يهولك من هؤلاء؟ قال: أما ترى ما يريدون؟ فقال: إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك، لتصنعنّ هذا الأمر سرّاً، وليكوننّ فيه بلاء قال: فنشر جبريل عليه السلام جناحاً من أجنحته، فاختلس به أبصارهم، فطمس أعينهم، فجعلوا يجول بعضهم في بعض، فذلك قول الله: ﴿فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ جاءت الملائكة في صور الرجال، وكذلك كانت

---

(١) البيت: لكعب بن زهير من لاميته المشهورة «بانت سعاد» التي مدح بها سيدنا رسول الله ﷺ. وقد شرحناه ثلاث مرات في (٢/ ٤٠٢، ٥/ ١٢٣، ٩/ ١٥٧) من هذه الطبعة، فراجعه في أحد هذه المواضع، أو فيها كلها، لزيادة الفائدة.

تجيء، فرآهم قوم لوط حين دخلوا القرية. وقيل: إنهم نزلوا بلوط، فأقبلوا إليهم يريدونهم، فتلقَّاهم لوط يناشدهم الله أن لا يخزوه في ضيفه، فأبوا عليه وجاؤوا ليدخلوا عليه، فقالت الرسل للوط خلّ بينهم وبين الدخول، فإنا رسل ربك، لن يصلوا إليك، فدخلوا البيت، وطمس الله على أبصارهم، فلم يروهم وقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت، فأين ذهبوا؟ فلم يروهم ورجعوا.

وقوله: ﴿**فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فذوقوا معشر قوم لوط من سدوم، عذابي الذي حلّ بكم، وإنذاري الذي أنذرت به غيركم من الأمم من النكال والمثلات.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠)﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد صُبِّحَ قَوْمُ لوط بُكْرةً ذكر أن ذلك كان عند طلوع الفجر.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**بُكْرَةً**﴾ قال: عند طلوع الفجر.

وقوله: ﴿**عَذَابٌ**﴾ وذلك قلب الأرض بهم، وتصيير أعلاها أسفلها بهم، ثم إتباعهم بحجارة من سجيل منضود. كما:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**وَلَقَدْ صَبَّحَهمْ بكْرَةَ عَذَابٌ**﴾ قال: حجارة رموا بها.

وقوله: ﴿**مُسْتَقِرٌّ**﴾ يقول: استقرّ ذلك العذاب فيهم إلى يوم القيامة حتى يوافوا عذاب الله الأكبر في جهنم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ**﴾ يقول: صبحهم عذاب مستقرّ، استقرّ بهم إلى نار جهنم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً**...﴾ الآية، قال: ثم صبحهم بعد هذا، يعني بعد أن طمس الله أعينهم، فهم من ذلك العذاب إلى يوم القيامة، قال: وكلّ قومه كانوا كذلك، ألا تسمع قوله حين يقول: ﴿**أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ**﴾.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**مُسْتَقِرٌّ**﴾ استقرّ.

وقوله: ﴿**فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾ يقول تعالى ذكره لهم: فذوقوا معشر قوم لوط عذابي الذي أحللته بكم، بكفركم بالله وتكذيبكم رسوله، وإنذاري بكم الأمم سواكم بما أنزلته بكم من العقاب.

وقوله: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد سهَّلنا القرآن للذكر لمن أراد التذكر به فهل من متعظ ومعتبر به فينزجر به عما نهاه الله عنه إلى ما أمره به وأذن له فيه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٤٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد جاء أتباع فرعون وقومه إنذارنا بالعقوبة بكفرهم بنا وبرسولنا موسى ﷺ ﴿**كَذَّبُوا بآياتِنا كُلِّها**﴾ يقول جلّ ثناؤه كذّب آل فرعون بأدلتنا التي جاءتهم من عندنا، وحججنا التي أتتهم بأنه لا إله إلا الله وحده كلها ﴿**فأخَذْناهُمْ أخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: فعاقبناهم بكفرهم بالله عقوبة شديدٍ لا يُغلب، مقتدر على ما يشاء، غير عاجز ولا ضعيف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فأخَذْناهُمْ أخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ يقول: عزيز في نقمته إذا انتقم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ (٤٥)﴾.

يقول تعالى ذكره لكفار قريش الذين أخبر الله عنهم أنهم ﴿**إنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرّ**﴾ أكفاركم معشر قريش خير من أولئكم الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط وآل فرعون، فهم يأملون أن ينجوا من عذابي، ونقمي على كفرهم بي، وتكذيبكم رسولي. يقول: إنما أنتم في كفركم بالله وتكذيبهم رسوله، كبعض هذه الأمم التي وصفت لكم أمرهم، وعقوبة الله بكم نازلة على كفركم به، كالذي نزل بهم إن لم تتوبوا وتنيبوا. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**أكُفَّارُكُمْ خَيرٌ مِنْ**

أولَئِكُمْ﴾: أي ممن مضى.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسن، عن يزيد النحويّ، عن عكرِمة ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ يقول: أكفاركم يا معشر قريش خير من أولئكم الذين مضوا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ قال: أكفاركم خير من الكفار الذين عذبناهم على معاصي الله، وهؤلاء الكفار خير من أولئك. وقال ﴿أكُفَّارُكُمْ خيرٌ مِنْ أولئكم﴾ استنفاها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ يقول: ليس كفاركم خيراً من قوم نوح وقوم لوط.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ قال: كفار هذه الأمة.

وقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: أم لكم براءة من عقاب الله معشر قريش، أن يصيبكم بكفركم بما جاءكم به الوحي من الله في الزبر، وهي الكتب. كما:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا أبو عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿الزُّبُرِ﴾ يقول: الكتب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَم لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ في كتاب الله براءة مما تخافون.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ يعني في الكتب.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: أيقول هؤلاء الكفار من قريش: نحن جميع منتصر ممن قصدنا بسوء ومكروه، وأراد حربنا وتفريق جمعنا، فقال الله جلّ ثناؤه: سيهزم الجمع يعني جمع كفار قريش ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ يقول: ويولون أدبارهم المؤمنين بالله عن انهزامهم عنه. وقيل: الدبر فوحّد والمراد به الجمع كما يقال ضربنا منهم الرأس: أي ضربنا منهم الرؤوس: إذ كان الواحد يؤدي عن معنى جمعه، ثم إن الله تعالى ذكره صدّق وعده المؤمنين به فهزم المشركين به من قريش يوم بدر وولوهم الدُّبر. كما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن أيوب قال: لا أعلمه إلا عن

عكرمة أن عمر قال لما نزلت ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ﴾ جعلت أقول: أيّ جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبيّ ﷺ يثب في الدرع ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ قال: يوم بدر.

قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرِمة، قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ﴾ يعني جمع بدر ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ...﴾ الآية ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال يوم بدر «هُزِمُوا وَوَلَّوُا الدُّبُرَ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ قال: هذا يوم بدر.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أيوب، عن عكرِمة، أن رسول الله ﷺ. كان يثب في الدرع ويقول: «هُزِمَ الجَمْعُ وَوَلَّوُا الدُّبُرَ».

حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ قال: كان ذلك يوم بدر. قال: قالوا نحن جميع منتصر، قال: فنزلت هذه الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون من أنهم لا يبعثون بعد مماتهم ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ للبعث والعقاب ﴿وَالسَّاعَةُ أدْهَى وأمَرُّ﴾ عليهم من الهزيمة التي يهزمونها عند التقائهم مع المؤمنين ببدر.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عمرو بن مرّة، عن شهر بن حوشب، قال: إن هذه الآية نزلت بهلاك إنما موعدهم الساعة، ثم قرأ ﴿أكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿والسَّاعَةُ أدْهَى وأمَرُّ﴾.

وقوله: ﴿إنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن المجرمين في ذهاب عن الحقّ، وأخذ على غير هدى ﴿وَسُعُرٍ﴾ يقول: في احتراق من شدّة العناء والنصب في الباطل.

كما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ**﴾ قال: في عناء.

وقوله: ﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ على وُجُوهِهِمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: يوم يُسحب هؤلاء المجرمون في النار على وجوههم. وقد تأوّل بعضهم قوله: ﴿**فِي النارِ على وُجُوهِهِمْ**﴾ إلى النار. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «يَوْمَ يُسْحَبُونَ إلى النَّارِ على وُجُوهِهِمْ».

وقوله: ﴿**ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ**﴾ يقول تعالى ذكره: يوم يُسحبون في النار على وجوههم، يقال لهم: ذوقوا مَسَّ سقر، وترك ذكر «يقال لهم» استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره.

فإن قال قائل: كيف يُذاق مسّ سقر، أوَله طعم فيُذاق؟ فإن ذلك مختلف فيه فقال بعضهم: قيل ذلك كذلك على مجاز الكلام، كما يقال: كيف وجدت طعم الضرب وهو مجاز؟ وقال آخر: ذلك كما يقال: وجدتُ مسّ الحمى يُراد به أوّل ما نالني منها، وكذلك وجدت طعم عفوك. وأما سَقَرُ فإنها اسم باب من أبواب جهنم(١) وترك إجراؤها لأنها اسم لمؤنث معرفة.

وقوله: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: إنا خلقنا كل شيء بمقدار قدّرناه وقضيناه، وفي هذا بيان، أن الله جلّ ثناؤه، توعّد هؤلاء المجرمين على تكذيبهم في القدر مع كفرهم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا هشام بن سعد، عن أبي ثابت، عن إبراهيم بن محمد، عن أبيه، عن ابن عباس أنه كان يقول: إني أجد في كتاب الله قوماً يُسحبون في النار على وجوههم، يقال لهم: ﴿**ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ**﴾ لأنهم كانوا يكذّبون بالقَدَر، وإني لا أراهم، فلا أدري أشيء كان قبلنا، أم شيء فيما بقي.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن زياد بن إسماعيل السَّهْمِيّ، عن محمد بن عباد بن جعفر، عن أبي هريرة أن مشركي قريش خاصمت النبيّ ﷺ في القَدَر، فأنزل الله ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى وأبو كُرَيب، قالوا: ثنا وكيع بن الجرّاح، قال: ثنا سفيان، عن زياد بن إسماعيل السَّهميّ، عن محمد بن عباد بن جعفر المخزوميّ، عن أبي هريرة،

(١) الذي في كتب اللغة: أنها اسم لجهنم.

قال: جاء مشركو قريش إلى النبيّ ﷺ يخاصمونه في القَدَر، فنزلت ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو عاصم، عن سفيان، عن زياد بن إسماعيل السهمي، عن محمد بن عباد بن جعفر المخزوميّ، عن أبي هريرة، بنحوه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن سعد بن عُبيدة، عن أبي عبد الرحمن السُّلَميّ، قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ قال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ أفي شيء نستأنفه، أو في شيء قد فرغ منه؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ، سَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسْرَى».

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا خصيف، قال: سمعت محمد بن كعب القرظيّ يقول: لما تكلم الناس في القَدَر نظرت، فإذا هذه الآية أنزلت فيهم ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ...﴾ إلى قوله ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم ويزيد بن هارون، قالا: ثنا سفيان، عن سالم، عن محمد بن كعب، قال: ما نزلت هذه الآية إلاّ تعييراً لأهل القدر ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سالم بن أبي حفصة، عن محمد بن كعب القُرَظي ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ قال: نزلت تعييراً لأهل القَدَر.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن زياد بن إسماعيل السَّهمي، عن محمد بن عباد بن جعفر المخزوميّ، عن أبي هريرة، قال: جاء مشركو قريش إلى النبيّ ﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

قال: ثنا مهران، عن حازم، عن أُسامة، عن محمد بن كعب القُرَظيّ مثله.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ قال: خلق الله الخلق كلهم بقدر، وخلق لهم الخير والشرّ بقدر، فخير الخير السعادة، وشرّ الشرّ الشقاء.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ فقال بعض نحويّي البصرة: نصب كلّ شيء في لغة من قال: عبد الله ضربته قال: وهي في كلام العرب كثير. قال: وقد رفعت كلّ في لغة من رفع، ورفعت على وجه آخر. قال ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ فجعل خلقناه من صفة الشيء وقال غيره: إنما نصب كلّ لأن قوله خلقناه فعل، لقوله «إنا»، وهو أولى بالتقديم إليه من المفعول، فلذلك اختير النصب، وليس قيل عبد الله في قوله: عبد الله ضربته

شيء هو أولى بالفعل، وكذلك إنا طعامك، أكلناه الاختيارُ النصب لأنك تريد: إنا أكلنا طعامك الأكل، أولى بأنا من الطعام. قال: وأما قول من قال: خلقناه وصف للشيء فبعيد، لأن المعنى: إنا خلقناه كلّ شيء بقدر، وهذا القول الثاني أولى بالصواب عندي من الأوّل للعلل التي ذكرت لصاحبها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما أمرنا للشيء إذا أمرناه وأردنا أن نكوّنه إلاّ قولة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها ولا مرادّة ﴿كَلَمْحٍ بالبَصَرِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فيوجد ما أمرناه وقلنا له: كن كسرعة اللمح بالبصر لا يُبطيء ولا يتأخر، يقول تعالى ذكره لمشركي قريش الذين كذّبوا رسوله محمداً ﷺ: ولقد أهلكنا أشياعكم معشر قريش من الأمم السالفة والقرون الخالية، على مثل الذي أنتم عليه من "الكفر بالله، وتكذيب رسله ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ يقول: فهل من مُتَّعظ بذلك منزجر ينزجر به. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ أهْلَكْنا أشْياعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ قال: أشياعكم من أهل الكفر من الأمم الماضية، يقول: فهل من أحد يتذكر.

وقوله: ﴿وكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ يقول تعالى ذكره: وكل شيء فعله أشياعكم الذين مضوا قبلكم معشر كفَّار قريش في الزُّبر، يعني في الكتب التي كتبتها الحفظة عليهم. وقد يحتمل أن يكون مراداً به في أمّ الكتاب. كما:

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ قال: الكُتب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ قال: في الكتاب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ﴾ من الأشياء ﴿مُسْتَطِرٌ﴾ يقول: مُثبَت في الكتاب مكتوب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ يقول: مكتوب، فإذا أراد الله أن ينزل كتاباً نَسَخَتْه السَّفَرة. قوله: ﴿وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ قال: مكتوب.

حدثنا بشر، قال: ثنا عبيد الله بن معاذ، عن أبيه، عن عمران بن حُدَير، عن عكرِمة، قال: مكتوب في كلّ سطر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ قال: محفوظ مكتوب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ أي محفوظ.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ قال: مكتوب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ قال: مكتوب، وقرأ ﴿وَما مِن دَابَّةٍ فِي الأرْضِ إلاَّ على اللَّهِ رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها ومُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾، وقرأ ﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الأرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ إنما هو مفتعل من سطرت: إذا كتبت سطراً.

وقوله: ﴿إنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ ونَهَرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا عقاب الله بطاعته وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في بساتين يوم القيامة، وأنهار، ووحد النهر في اللفظ، ومعناه الجمع، كما وحد الدّبر، ومعناه الإدبار في قوله: ﴿يُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ وقد قيل: إن معنى ذلك: إن المتقين في سعة يوم القيامة وضياء، فوجَّهوا معنى قوله: ﴿ونَهَرٍ﴾ إلى معنى النهار. وزعم الفرّاء أنه سمع بعض العرب ينشد:

إنْ تَكُ لَيْلِيًّا فإنِّي نَهِرُ مَتى أتى الصُّبْحُ فَلا أنْتَظِرُ[1]

---

(١) البيت: من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٣١٩) عند قوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾ قال: في ضياء وسعة وسمعت بعض العرب ينشد: =

وقوله: «نهر» على هذا التأويل مصدر من قولهم: نهرت أنهر نهراً. وعنى بقوله: «فإني نهر»: أي إني لصاحب نهار: أي لست بصاحب ليلة.

وقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ يقول: في مجلس حقّ لا لغو فيه ولا تأثيم ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ يقول: عند ذي مُلك مقتدر على ما يشاء، وهو الله ذو القوّة المتين، تبارك وتعالى.

آخر تفسير سورة اقتربت الساعة

= «إن تك ليليا.... البيت» اهـ.

وفي «اللسان» نهر ورجل نهر: صاحب نهار، على النسب، كما قالوا: عمل وطعم، قال:

لست بليلي ولكني نهر

قال سيبويه: قوله «بليلي» يدل أن نهر: على النسب، حتى كأنه قال: «نهاري». ورجل نهر: أي صاحب نهار، بغير فيه. قال الأزهري. وسمعت العرب تنشد:

«إن تك ليليا..... بيت الشاهد».

قال: ومعنى نهر: أي صاحب نهار، لست بصاحب ليل. وهذا الرجز أورده الجوهري:

إن كنت ليليا فإني نهر

قال ابن بري: البيت مغير. قال: وصوابه:

لَسْتُ بِلَيْلِي وَلَكِنِّي نَهِرْ ... لا أُدْلِجُ اللَّيْلَ وَلَكِنْ أَبْتَكِرْ

(٥٥) سورة الرحمن مدنيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾.

يقول تعالى ذكره: الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن، فأنعم بذلك عليكم، إذ بصّركم به ما فيه رضا ربكم، وعرّفكم ما فيه سخطه، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم، وعملكم بما أمركم به، وبتجنبكم ما يُسخطه عليكم، فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه، وتنجوا من أليم عقابه. وروي عن قتادة في ذلك ما:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان العقيلي، قال: ثنا أبو العوام العجلي، عن قتادة، أنه قال في تفسير ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ﴾ قال: نعمة والله عظيمة.

وقوله: ﴿خَلَقَ الإنسانَ﴾ يقول تعالى ذكره: خلق آدم وهو الإنسان في قول بعضهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر قال، ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿خَلَقَ الإنسانَ﴾ قال: الإنسان: آدم ﷺ.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿خَلَقَ الإنسانَ﴾ قال: الإنسان: آدم ﷺ.

وقال آخرون: بل عنى بذلك الناس جميعاً، وإنما وحد في اللفظ لأدائه عن جنسه، كما قيل: إن الإنسان لفي خُسر والقولان كلاهما غير بعيدين من الصواب لاحتمال ظاهر الكلام إياهما.

وقوله: ﴿عَلَّمَهُ البَيانَ﴾ يقول تعالى ذكره: علّم الإنسان البيان.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالبيان في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى به بيان الحلال والحرام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله﴿**عَلَّمَهُ البَيانَ**﴾: علمه الله بيان الدنيا والآخرة بين حلاله وحرامه، ليحتجّ بذلك على خلقه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سعيد، عن قتادة ﴿**عَلَّمَهُ البَيانَ**﴾ الدنيا والآخرة ليحتجّ بذلك عليه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة، في قوله: ﴿**عَلَّمَهُ البَيانَ**﴾ قال: تَبَيَّنَ له الخيرُ والشرّ، وما يأتي، وما يدع.

وقال آخرون: عنى به الكلام: أي أن الله عزّ وجلّ علم الإنسان البيان.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**عَلَّمَهُ البَيانَ**﴾ قال: البيان: الكلام.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: أن الله علَّم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودُنياه من الحلال والحرام، والمعايش والمنطق، وغير ذلك مما به الحاجة إليه، لأن الله جلّ ثناؤه لم يخصص بخبره ذلك، أنه علَّمه من البيان بعضاً دون بعض، بل عمّ فقال: علَّمه البيان، فهو كما عمّ جلّ ثناؤه.

وقوله: ﴿**الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ**﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: الشمس والقمر بحسبان، ومنازل لها يجريان ولا يعدوانها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا الفريابي، قال: ثنا إسرائيل، قال: ثنا سماك بن حرب، عن عكرِمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ**﴾ قال: بحساب ومنازل يرسلان.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ**﴾ قال: يجريان بعدد وحساب.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي مالك ﴿**الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ**﴾ قال: بحساب ومنازل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ**﴾: أي بحساب وأجل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ**﴾ قال: يجريان في حساب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ**﴾ قال: يحسب بهما الدهر والزمان لولا الليل والنهار، والشمس والقمر لم يدرك أحد كيف يحسب شيئاً لو كان الدهر ليلاً كله، كيف يحسب، أو نهاراً كله كيف يحسب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة ﴿**الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ**﴾ قال: بحساب وأجل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهما يجريان بقَدَر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا عبد الله بن داود، عن أبي الصهباء، عن الضحاك، في قوله: ﴿**الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ**﴾ قال: بقدر يجريان.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهما يدوران في مثل قطب الرحا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا محمد بن يوسف، قال: ثنا إسرائيل، قال: ثنا أبو يحيى عن مجاهد وقال: ثنا محمد بن يوسف، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**بِحُسْبانٍ**﴾ قال: كحسبان الرحا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿**بِحُسْبانٍ**﴾ قال: كحسبان الرحا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل، لأن الحسبان مصدر من قول القائل: حسبته حساباً وحسباناً، مثل قولهم: كُفرته كفراناً، وغُفرته غُفْراناً. وقد قيل: إنه جمع حساب، كما الشهبان: جمع شهاب.

واختلف أهل العربية فيما رفع به الشمس والقمر، فقال بعضهم: رفعا بحسبان: أي بحساب، وأضمر الخبر، وقال: وأظنّ والله أعلم أنه قال: يجريان بحساب وقال بعض من أنكر هذا القول منهم: هذا غلط، بحسبان يرافع الشمس والقمر: أي هما بحساب، قال: والبيان يأتي على هذا: علَّمه البيان أن الشمس والقمر بحسبان قال: فلا يحذف الفعل ويُضمر إلاّ شاذًا في الكلام.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى النجم في هذا الموضع مع إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق، فقال بعضهم: عني بالنجم في هذا الموضع من النبات: ما نجم من الأرض، مما ينبسط عليها، ولم يكن على ساق مثل البقل ونحوه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**والنَّجْمُ**﴾ قال: ما يُبسط على الأرض.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿**والنَّجْمُ**﴾ قال: النجم كلّ شيء ذهب مع الأرض فرشاً، قال: والعرب تسمي الثيل نجماً.

حدثني محمد بن خلف العسقلانيّ، قال: ثنا رَوّاد بن الجرّاح، عن شريك، عن السديّ ﴿**والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**﴾ قال: النجم: نبات الأرض.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**والنَّجْمُ**﴾ قال: النجم: الذي ليس له ساق.

وقال آخرون: عُنِي بالنجم في هذا الموضع: نجم السماء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**والنَّجْمُ**﴾ قال: نجم السماء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**والنَّجْمُ**﴾ يعني: نجم السماء.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدانِ**﴾ قال: إنما يريد النجم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، نحوه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بالنجم: ما نجم من الأرض من نبت

لعطف الشجر عليه، فكان بأن يكون معناه لذلك: ما قام على ساق وما لا يقوم على ساق يسجدان لله، بمعنى: أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره. وأما قوله: ﴿**والشَّجَرُ**﴾ فإن الشجر ما قد وصفت صفته قبل. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**والشَّجَرُ يَسْجُدانِ**﴾ قال: الشجر: كل شيء قام على ساق.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿**والشَّجَرُ**﴾ قال: الشجر: كلّ شيء قام على ساق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿**والشَّجَرُ**﴾ قال: الشجر: شجر الأرض.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**والشَّجَرُ يَسْجُدانِ**﴾ قال: الشجر الذي له سُوْق.

وأما قوله ﴿**يَسْجُدانِ**﴾ فإنه عُني به سجود ظلهما، كما قال جلّ ثناؤه ﴿**ولِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بالغُدُوّ والآصَالِ**﴾. كما:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا تميم بن عبد المؤمن، عن زبرقان، عن أبي رزين وسعيد ﴿**والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدانِ**﴾ قالا: ظلهما سجودهما.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام، عن قتادة ﴿**والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**﴾ ما نَزَّل من السماء شيئاً من خلقه إلاّ عَبَّده له طوعاً وكرهاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، وهو قول قتادة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدانِ**﴾ قال: يسجد بكرة وعشياً. وقيل ﴿**والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدانِ**﴾ فثنى وهو خبر عن جمعين.

وقد زعم الفراء أن العرب إذا جمعت الجمعين من غير الناس مثل السدر والنخل، جعلوا فعلهما واحداً، فيقولون الشاء والنعم قد أقبل، والنخل والسدر قد ارتوى، قال: وهذا أكثر كلامهم، وتثنيته جائزة.

وقوله: ﴿والسّماءَ رَفَعَها﴾ يقول تعالى ذكره: والسماء رفعها فوق الأرض.

وقوله: ﴿وَوَضَعَ المِيزَانَ﴾ يقول: ووضع العدل بين خلقه في الأرض. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «وخَفَضَ المِيزَانَ» والخفض والوضع: متقاربا المعنى في كلام العرب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَوَضَعَ المِيزَانَ﴾ قال: العدل.

وقوله: ﴿ألاَّ تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا تظلموا وتبخَسُوا في الوزن. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ألاَّ تَطْغَوْا في المِيزَانِ﴾ اعدل يا ابن آدم كما تحبّ أن يعدل عليك، وأوف كما تحبّ أن يُوَفى لك، فإن بالعدل صلاح الناس.

وكان ابن عباس يقول: يا معشر المَوالِي، إنكم قد وليتم أمرين، بهما هلك من كان قبلكم، هذا المكيال والميزان.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن مغيرة، عن مسلم، عن أبي المغيرة، قال: سمعت ابن عباس يقول في سُوق المدينة: يا معشر الموالي، إنكم قد بُليتم بأمرين أهلك فيهما أمتان من الأمم: المِكْيال، والمِيزان.

قال: ثنا مروان، عن مغيرة، قال: رأى ابن عباس رجلاً يزن قد أرجح، فقال: أقم اللسان، أقم اللسان، أليس قد قال الله: ﴿وأقِيمُوا الْوَزْنَ بالقِسْط وَلا تُخْسِرُوا المِيزَانَ﴾.

وقوله: ﴿وأقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ﴾ يقول: وأقيموا لسان الميزان بالعدل.

وقوله: ﴿وَلا تُخْسِرُوا المِيزَانَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تنقصوا الوزن إذا وزنتم للناس وتظلموهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة ﴿والسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ المِيزَانَ ألاَّ تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ وأقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا المِيزَانَ﴾ قال قتادة قال ابن عباس: يا معشر الموالي إنكم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم، اتقى الله رجل عند مِيزانه، اتقى الله رجل عند مكياله، فإنما يعدله شيء يسير، ولا ينقصه ذلك، بل يزيده الله إن شاء الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وأقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا المِيزَانَ**﴾ قال: نقصه، إذا نقصه فقد خَسَّره تخسيره نقصه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَالأرْضَ وَضَعَها لِلأنَامِ**﴾ والأرض وَطَّأها للخلق وهم الأنام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**للأنامِ**﴾ يقول: للخلق.

حدثني محمد بن سعد، ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**والأرْضَ وَضَعَها للأنامِ**﴾ قال: كلّ شيء فيه الروح.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، قال: أخبرنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿**والأرْضَ وَضَعَها للأنامِ**﴾ قال: للخلق الجنّ والإنس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**للأنامِ**﴾ قال: للخلائق.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**للأنامِ**﴾ قال: للخلق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَضَعَها للأنامِ**﴾ قال: الأنام: الخلق.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة ﴿**والأرْضَ وَضَعَها للأنامِ**﴾ قال: للخلق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، مثله.

وقوله: ﴿**فِيها فاكِهَةٌ والنَّخْلُ ذَاتُ الأكْمامِ**﴾ يقول تعالى ذكره: في الأرض فاكهة،

والهاء والألف فيها من ذكر الأرض. ﴿والنَّخلُ ذَاتُ الأكمامِ﴾ والأكمام: جمع كمّ، وهو ما تكممت فيه.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: عنى بذلك تكمم النخل في الليف.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سألت الحسن، عن قوله: ﴿والنَّخلُ ذَاتُ الأكمامِ﴾ فقال: سَعَفة من ليف عُصِبَتْ بها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة والحسن ﴿ذَاتُ الأكمامِ﴾ أكمامها: ليفها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿والنَّخلُ ذَاتُ الأكمامِ﴾: الليف الذي يكون عليها.

وقال آخرون: يعني بالأكمام: الرُّفَات.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأكمامِ﴾ قال: أكمامها رُفاتها.

وقال آخرون: بل معنى الكلام: والنخل ذات الطلع المتكمم في كمامه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿والنَّخْلُ ذَاتُ الأكمامِ﴾ وقيل له: هو الطلع، قال: نعم، وهو في كم منه حتى ينفتق عنه قال: والحبّ أيضاً في أكمام. وقرأ وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أكمامِها.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف النخل بأنها ذات أكمام، وهي متكممة في ليفها، وطلعها متكمم في جُفِّهِ، ولم يخصص الله الخبر عنها بتكممها في ليفها ولا تكمم طلعها في جفه، بل عمّ الخبر عنها بأنها ذات أكمام.

والصواب أن يقال: عني بذلك ذات ليف، وهي به مُتَكَممة وذات طَلْع هو في جُفِّه متكَمِّم فيُعَمَّم، كما عَمَّ جلّ ثناؤه.

وقوله: ﴿والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيحانِ﴾ يقول تعالى ذكره: وفيها الحبّ، وهو حبّ البُرّ والشعير ذو الورق، والتبن: هو العَصْف، وإياه عنى علقمة بن عَبَدَة:

تَسْقِي مَذَانِبَ قَدْ مالَتْ عَصِيفَتُها حَدُورَها مِنْ أَتِيِّ المَاء مَطْمومُ(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانُ﴾** يقول: التبن.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانُ﴾** قال: العصف: ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه فهو يسمى العصف إذا يبس.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد **﴿والحَبُّ ذُو العَصْفِ﴾** البقل من الزرع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿والحَبُّ ذُو العَصْفِ﴾** وعصفه تبنه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: العصف: التبن.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الضحاك **﴿والحَبُّ ذِو العَصْفِ﴾** قال: الحبّ البرّ والشعير، والعصف: التِّبن.

حدثنا سعيد بن يحيى، قال: ثنا عبد الله بن المبارك الخُراسانيّ، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي مالك قوله: **﴿والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانُ﴾** قال: الحبّ أوّل ما ينبت.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

---

(١) هذا الشاهد من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ١٧٢ من مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٩٠ عن نسخة «مراد متلا». وهذا بعد أن انتهت مراجعتنا على الصورة الأولى رقم ٢٦٠٥٩ لا انتهاء أورقها عند سورة القمر) أنشده أبو عبيدة عند قوله تعالى: ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾ قال: تخرج له عصيفة، وهي أذنته أعلاه، وهو الهبود، وأذنه إنما هي زيادته وكثرته وورقه الذي يتعصف. وهو كما قال علقمة بن عبدة:

«تستقي مذانب..... البيت».

طمها: ملأها لم يبق فيها شيء، وطم إناءه ملأه. وقال شارحه «**مختار الشعر الجاهلي**» (٤٢٦) المذانب جمع مذنب، وهو مسيل الماء إلى الأرض، والجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى ويرها. وعصيفتها: هي الورق الذي يجز فيؤكل، ثم يسقى أصله، ليعود ورقه وجدورها: الذي انحدر من هذه المذانب واطمأن. والأغاني: الجدول. وأراد به هنا: ما يسيل من الماء في الجدول. والمطموم: المملوء بالماء.

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيحانُ**﴾ قال: العصف: الورق من كل شيء. قال: يقال للزرع إذا قُطع: عصافة، وكلّ ورق فهو عصافة.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثني يونس بن محمد، قال: ثنا عبد الواحد، قال: ثنا أبو روق عطية بن الحارث، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**والحَبُّ ذُو العَصْفِ**﴾ قال: العصف: التبن.

حدثنا سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كُدَينة، عن عطاء، عن سعيد، عن ابن عباس ﴿**ذُو العَصْفِ**﴾ قال: العصف: الزرع.

وقال بعضهم: العصف: هو الحبّ من البرّ والشعير بعينه.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيحانُ**﴾ أما العصف: فهو البرّ والشعير.

وأما قوله: ﴿**والرَّيحانُ**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: هو الرزق.

ذكر من قال ذلك:

حدثني زيد بن أخزم الطائي، قال: ثنا عامر بن مدرك، قال: ثنا عتبة بن يقظان، عن عكرِمة، عن ابن عباس، قال: كلّ ريحان في القرآن فهو رزق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**والرَّيحانُ**﴾ قال: الرزق.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الضحاك ﴿**والرَّيحانُ**﴾: الرزق، ومنهم من يقول: ريحاننا.

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس ﴿**والرَّيحانُ**﴾ قال: الريح.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثني يونس بن محمد، قال: ثنا عبد الواحد، قال: ثنا أبو روق عطية بن الحارث، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَالرَّيحانُ**﴾ قال: الرزق والطعام.

وقال آخرون: هو الريحان الذي يشمّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: ﴿**الرَّيْحانُ**﴾ ما تنبت الأرض من الريحان.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**والرَّيْحانُ**﴾ أما الريحان: فما أنبتت الأرض من ريحان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن ﴿**والرَّيْحانُ**﴾ قال: ريحانكم هذا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**والرَّيْحانُ**﴾: الرياحين التي توجد ريحها.

وقال آخرون: هو خُضرة الزرع.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**والرَّيْحانُ**﴾ يقول: خُضرة الزرع.

وقال آخرون: هو ما قام على ساق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: ﴿**الرَّيْحانُ**﴾ ما قام على ساق.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي به الرزق، وهو الحبّ الذي يؤكل منه.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الله جلّ ثناؤه أخبر عن الحبّ أنه ذو العصف، وذلك ما وصفنا من الورق الحادث منه، والتبن إذا يبس، فالذي هو أولى بالريحان، أن يكون حبه الحادث منه، إذ كان من جنس الشيء الذي منه العصف، ومسموع من العرب تقول: خرجنا نطلب رَيْحان الله ورزقه، ويقال: سبحانَك وريحانَك: أي ورزقك، ومنه قول النمر بن تَوْلب:

سَلامُ الإلهِ وَرَيْحانُهُ ... وجَنَّتُهُ وسَماءٌ دِرَرْ[1]

---

(١) البيت للنمير بن تولب العكلي «اللسان روح وبعده:

غَمامٌ يُنَزِّلُ رِزْقَ العِبادِ ... فأحْيا البِلادَ وطابَ الشَّجَرْ =

وذُكر عن بعضهم أنه كان يقول: العصف: المأكول من الحبّ والريحان: الصحيح الذي لم يؤكل.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿**والرَّيْحانُ**﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين وبعض الكوفيين بالرفع عطفاً به على الحبّ، بمعنى: وفيها الحبّ ذو العصف، وفيها الريحان أيضاً. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين «والرَّيْحانِ» بالخفض عطفاً به على العصف، بمعنى: والحبّ ذو العصف وذو الريحان.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأه بالخفص للعلة التي بينت في تأويله، وأنه بمعنى الرزق. وأما الذين قرأوه رفعاً، فإنهم وجّهوا تأويله فيما أرى إلى أنه الريحان الذي يشمّ، فلذلك اختاروا الرفع فيه وكونه خفضاً بمعنى: وفيها الحبّ ذو الورق والتبن، وذو الرزق المطعوم أولى وأحسن لما قد بيَّناه قبل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**فَبِأَيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ**﴾: فبأيّ نِعَم ربكما معشر الجنّ والإنس من هذه النعم تكذّبان. كما:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سهل السراج، عن الحسن ﴿**فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ**﴾ فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان.

قال عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ**﴾ قال: لا بأيتها يا ربّ.

حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك النضري، قالا: ثنا يحيى بن سليمان

= وهو من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ١٧٢ من المصورة ٢٦٣٩٠ بجامعة القاهرة) قال: والريحان والحب منه الذي يؤكل، يقال: سبحانك وريحانك: أي رزقك؛ قال النمر بن تولب:

«سلام الإله .... البيت». ا هـ.

وفي «**اللسان**» درر: والدرة في الأمطار أن يتبع بعضها بعضاً، وجمعها: درر، وللسحاب درر: أي صب، والجمع: درر؛ قال النمر بن تولب: البيتين. سماء درر: أي ذات درر ا هـ.

(١) هذا من كلام الفراء في «**معاني القرآن**» (ص ـ ٣٢٠) من المخطوطة.

الطائفي، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر، قال: إن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن، أو قُرئت عنده، فقال: «ما لِي أسْمَعُ الجِنَّ أحْسَنَ جَوَاباً لِرَبِّها مِنْكُمْ؟» قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: «ما أتَيْتُ على قَوْلِ اللّهِ: ﴿فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تكذّبانِ﴾؟ إلاَّ قالَتِ الجِنُّ: لا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبّنا نُكَذّبُ».

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ﴾** يقول: فبأيّ نعمة الله تكذّبان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ﴾** يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش وغيره، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه كان إذا قرأ **﴿فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ﴾** قال: لا بأيتها ربنا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تَكَذّبانِ﴾** قال: الآلاء: القدرة، فبأيّ آلائه تكذّب خلقكم كذا وكذا، فبأيّ قُدرة الله تكذّبان أيها الثَّقَلان، الجنّ والإنس.

فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: **﴿فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ﴾** فخاطب اثنين، وإنما ذكر في أوّل الكلام واحد، وهو الإنسان؟ قيل: عاد بالخطاب في قوله: **﴿فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ﴾** إلى الإنسان والجانّ، ويدلّ على أن ذلك كذلك ما بعد هذا من الكلام، وهو قوله: **﴿خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخّارِ وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ﴾**. وقد قيل: إنما جعل الكلام خطاباً لاثنين، وقد ابتدىء الخبر عن واحد، لما قد جرى من فعل العرب، تفعل ذلك وهو أن يخاطبوا الواحد بفعل الاثنين، فيقولون: خلياها يا غلام، وما أشبه ذلك مما قد بيَّناه في كتابنا هذا في غير موضع.

وقوله: **﴿خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخّارِ﴾** يقول تعالى ذكره: خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال: وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرّك ونقر كالفخار يعني أنه من يُبسه وإن لم يكن مطبوخاً، كالذي قد طُبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طُبخ من الطين بالنار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبيد الله بن يوسف الجبيريّ، قال: ثنا محمد بن كثير، قال: ثنا مسلم، يعني الملائيّ، عن مجاهد، عن ابن عباس، قوله: **﴿مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخّارِ﴾** قال: هو من الطين الذي إذا مطرت السماء فيبست الأرض كأنه خزف رقاق.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق،

عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: خلق الله آدم من طين لازب، واللازب: اللَّزِج الطيب من بعد حمأ مسنون مُنْتن. قال: وإنما كان حَمَأ مسنوناً بعد التراب، قال: فخلق منه آدم بيده، قال: فمكث أربعين ليلة جسداً ملقىً، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله، فيصلصل فيصوّت، قال: فهو قول الله تعالى: ﴿**كالفَخّارِ**﴾ يقول: كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن سعيد وعبد الرحمن، قالا: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: الصلصال: التراب المدقق.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: الصَّلصال: التراب المدقَّق.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخّارِ**﴾ يقول: الطين اليابس.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرِمة، في قوله: ﴿**مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخّارِ**﴾ قال: الصلصال: طين خُلط برمل فكان كالفخار.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخّارِ**﴾ والصلصال: التراب اليابس الذي يُسمع له صلصلة فهو كالفخار، كما قال الله عزّ وجلّ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخّارِ**﴾ قال: من طين له صلصلة كان يابساً، ثم خلق الإنسان منه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخّارِ**﴾ قال: يبس آدم في الطين في الجنة، حتى صار كالصلصال، وهو الفخار، والحمأ المسنون: المنتن الريح.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة ﴿**خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخّارِ**﴾ قال: من تراب يابس له صلصلة.

قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا شبيب، عن عكرِمة، عن ابن عباس ﴿**خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخّارِ**﴾ قال: ما عُصِر، فخرج من بين الأصابع، ولو وجّه موجّه قوله: صلصال إلى أنه فعلال من قولهم صلّ اللحم: إذا أنتن وتغيرت ريحه، كما قيل من صرّ الباب صرصر، وكبكب من كَبّ، كان وجهاً ومذهباً.

وقوله: ﴿**وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: وخلق الجانّ من مارج من نار، وهو ما اختلط بعضه ببعض، من بين أحمر وأصفر وأخضر، من قولهم: مَرِج أمر القوم: إذا اختلط، ومن قول النبيّ ﷺ لعبد الله بن عمرو: «كَيْفَ بِكَ إذَا كُنْتَ فِي حُثالَةٍ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وأماناتُهُمْ» وَذلكَ هُوَ لَهَبُ النَّارِ وَلِسانُهُ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيريّ أبو حفص، قال: ثنا محمد بن كثير، قال: ثنا مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ**﴾ قال: من أوسطها وأحسنها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ**﴾ يقول: خلقه من لهب النار من أحسن النار.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ**﴾ يقول: خالص النار.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس، قال: خلقت الجنّ الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرِمة، في قوله: ﴿**مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ**﴾ قال: من أحسن النار.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ**﴾ قال: اللهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت.

وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله، إلاّ أنه قال: والأحمر.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ**﴾ قال: هو اللَّهب المنقطع الأحمر.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الضحاك، في قوله: ﴿**وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ**﴾ قال: أحسن النار.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك

يقول في قوله: ﴿مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ﴾ قال: من لهب النار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ﴾: أي من لهب النار.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قوله: ﴿مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ﴾ قال: من لهب النار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ﴾ قال: المارج: اللهب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة ﴿وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ﴾ قال: من لهب من نار.

وقوله: ﴿فَبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ يقول تعالى ذكره فبأيّ نعمة ربكما معشر الثقلين من هذه النعم تكذّبان؟

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨) مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١)﴾.

يقول تعالى ذكره: ذلكم أيها الثقلان ﴿رَبُّ المَشْرِقَينِ﴾ يعني بالمشرقين: مشرق الشمس في الشتاء، ومشرقها في الصيف.

وقوله: ﴿وَرَبُّ المَغْرِبَينِ﴾ يعني: وربّ مغرب الشمس في الشتاء، ومغربها في الصيف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن ابن أبزى، قوله: ﴿رَبُّ المَشْرِقَينِ وَرَبُّ المَغْرِبَينِ﴾ قال: مشارق الصيف ومغارب الصيف، مشرقان تجري فيهما الشمس ستون وثلاث مئة في ستين وثلاث مئة بُرْج، لكلّ برج مطلع، لا تطلع يومين من مكان واحد. وفي المغرب ستون وثلاث مئة برج، لكل برج مغيب، لا تغيب يومين في برج.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿رَبُّ المَشْرِقَينِ وَرَبُّ المَغْرِبَينِ﴾ قال: مشرق الشتاء ومغربه، ومشرق الصيف ومغربه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ فمشرقها في الشتاء، ومشرقها في الصيف.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ قال: مشرق الشتاء ومغربه، ومشرق الصيف ومغربه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ قال: أقصر مشرق في السنة، وأطول مشرق في السنة وأقصر مغرب في السنة، وأطول مغرب في السنة.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ يقول: فبأيّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس من هذه النعم التي أنعم بها عليكم من تسخيره الشمس لكم في هذين المشرقين والمغربين تجري لكما دائبة بمرافقكما، ومصالح دنياكما ومعايشكما تكذبان.

وقوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ﴾ يقول تعالى ذكره: مرج ربّ المشرقين وربّ المغربين البحرين يلتقيان، يعني بقوله: ﴿مَرَجَ﴾: أرسل وخلى، من قولهم: مرج فلان دابته: إذا خلاها وتركها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَينِ﴾ يقول: أرسل.

واختلف أهل العلم في البحرين اللذين ذكرهما الله جلّ ثناؤه في هذه الآية، أيّ البحرين هما؟ فقال بعضهم: هما بحران: أحدهما في السماء، والآخر في الأرض.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن ابن أبزى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ﴾ قال: بحر في السماء، وبحر في الأرض.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر عن سعيد، في قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ﴾ قال: بحر في السماء، وبحر في الأرض.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ﴾ قال: بحر في السماء والأرض يلتقيان كلّ عام.

وقال آخرون: عنى بذلك بحر فارس وبحر الروم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن زياد مولى مصعب، عن الحسن **﴿مَرَجَ البَحْرَيْن يَلْتَقِيانِ﴾** قال: بحر الروم، وبحر فارس واليمن.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿مَرَجَ البَحْرَيْن يَلْتَقِيانِ﴾** فالبحران: بحر فارس، وبحر الروم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ﴾** قال: بحر فارس وبحر الروم.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُنِيَ به بحر السماء، وبحر الأرض، وذلك أن الله قال **﴿يَخرُجُ منْهُما اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ﴾** واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قَطْر ماء السماء، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء.

وقوله: **﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ﴾** يقول تعالى ذكره: بينهما حاجز وبعدٌ، لا يُفسد أحدهما صاحبه فيبغي بذلك عليه، وكل شيء كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب، وما بين الدنيا والآخرة برزخ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن ابن أبزى **﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ﴾** لا يبغي أحدهما على صاحبه.

قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا فطر، عن مجاهد، قوله: **﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغيانِ﴾** قال: بينهما حاجز من الله، لا يبغي أحدهما على الآخر.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿بَيْنَهُما بَرزَخٌ لا يَبْغيانِ﴾** يقول: حاجز.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغيانِ﴾** والبرزخ: هذه الجزيرة، هذا اليَبَس.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: البرزخ الذي بينهما: الأرض التي بينهما.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة **﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ﴾** قال: حُجِز المالح عن العذب، والعذب عن المالح، والماء عن اليبس، واليبس عن

الماء، فلا يبغي بعضه على بعض بقوّته ولطفه وقُدرته.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ قال: منعهما أن يلتقيا بالبرزخ الذي جعل بينهما من الأرض. قال: والبرزخ بعد الأرض الذي جعل بينهما.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿لا يَبْغِيَانِ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: لا يبغي أحدهما على صاحبه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن ابن أبزى ﴿لا يَبْغِيَانِ﴾: لا يبغي أحدهما على صاحبه.

قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا فطر، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة مثله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهما لا يختلطان.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لا يَبْغِيَانِ﴾ قال: لا يختلطان.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا يبغيان على اليَبَس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لا يَبْغِيَانِ﴾ على اليبس، وما أخذ أحدهما من صاحبه فهو بغي، فحجز أحدهما عن صاحبه بقدرته ولطفه وجلاله تبارك وتعالى.

وقال آخرون: بل معناه: لا يبغيان أن يلتقيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لا يَبْغِيَانِ﴾ قال: لا يبغي أحدهما أن يلتقي مع صاحبه.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف البحرين اللذين ذكرهما في هذه

الآية أنهما لا يبغيان، ولم يخصص وصفهما في شيء دون شيء، بل عمّ الخبر عنهما بذلك، فالصواب أن يُعَمَّ كما عمّ جلّ ثناؤه، فيقال: إنهما لا يبغيان على شيء، ولا يبغي أحدهما على صاحبه، ولا يتجاوزان حدّ الله الذي حدّه لهما.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم الله ربكما معشر الجنّ والإنس تكذّبان من هذه النعم التي أنعم عليكم من مَرْجه البحرين، حتى جعل لكم بذلك حلية تلبسونها كذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يخرج من هذين البحرين اللذين مرجهما الله، وجعل بينهما برزخاً اللؤلؤ والمرجان.

واختلف أهل التأويل في صفة اللؤلؤ والمرجان، فقال بعضهم: اللؤلؤ: ما عظم من الدر، والمرجان: ما صغُر منه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿اللُّؤلُؤُ وَالمَرْجانُ﴾ قال: اللؤلؤ: العظام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ﴾ أما اللؤلؤ فعظامه، وأما المرجان فصغاره، وإن لله فيهما خزانة دلّ عليها عامة بني آدم، فأخرجوا متاعاً ومنفعة وزينة، وبُلغة إلى أجل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنهُما اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ﴾ قال: اللؤلؤ الكبار من اللؤلؤ، والمرجان: الصغار منه.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ﴾ أما المرجان: فاللؤلؤ الصغار، وأما اللؤلؤ: فما عظُم منه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿يَخْرُجُ مِنهُما اللُّوْلُؤُ وَالمَرْجانُ﴾ قال: اللؤلؤ: ما عظُم منه، والمرجان: اللؤلؤ الصغار.

وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: المرجان: هو اللؤلؤ الصغار.

وحدثنا عمرو بن سعيد بن بشار القرشي، قال: ثنا أبو قتيبة، قال: ثنا عبد الله بن ميسرة الحراني، قال: ثني شيخ بمكة من أهل الشأم، أنه سمع كعب الأحبار يُسأل عن المرجان، فقال: هو البسذ.

قال أبو جعفر: البسذ له شُعَب، وهو أحسن من اللؤلؤ.

وقال آخرون: المرجان من اللؤلؤ: الكبار، واللؤلؤ منها: الصغار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، أو قيس بن وهب، عن مرّة، قالَ: المرجان: اللؤلؤ العظام.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: المرجان، قال: ما عظم من اللؤلؤ.

حدثني محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا الحسين بن الحسن الأشقر، قال: ثنا زُهير، عن جابر، عن عبد الله بن يحيى، عن عليّ، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: المرجان: عظيم اللؤلؤ.

وقال آخرون: المرجان: جيد اللؤلؤ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا شريك، عن موسى بن أبي عائشة، قال: سألت مرّة عن اللؤلؤ والمرجان قال: المرجان: جيد اللؤلؤ.

وقال آخرون: المرجان: حجر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون الأودي عن ابن مسعود ﴿**اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ**﴾ قال: المرجان حجر.

والصواب من القول في اللؤلؤ، أنه هو الذي عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحبّ وأما المرجان، فإني رأيت أهل المعرفة بكلام العرب لا يتدافعون أنه جمع مرجانة، وأنه

الصغار من اللؤلؤ، قد ذكرنا ما فيه من الاختلاف بين متقدمي أهل العلم، والله أعلم بصواب ذلك.

وقد زعم بعض أهل العربية أن اللؤلؤ والمرجان يخرج من أحد البحرين، ولكن قيل: يخرج منهما، كما يقال أكلت: خبزاً ولبناً، وكما قيل:

وَرأَيْتُ زَوْجَكِ فِي الوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحا[1]

وليس ذلك كما ذهب إليه، بل ذلك كما وصفت من قبل من أن ذلك يخرج من أصداف البحر، عن قطر السماء، فلذلك قيل: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤلُؤُ﴾ يعني بهما: البحران. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله الرازي، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: إن السماء إذا أمطرت، فتحت الأصداف أفواهها، فمنها اللؤلؤ.

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا أبو يحيى الحماني، قال: ثنا الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: إذا نزل القطر من السماء تفتَّحت الأصداف فكان لؤلؤاً.

حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي، قال: ثنا الفريابي، قال: ذكر سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: إن السماء إذا أمطرت تفتحت لها الأصداف، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ.

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٢٣) وقد سبق استشهاد المؤلف به أكثر من مرة، فارجع إليه في الأجزاء (٣/ ٢٧٥، ٦/ ٢٨١، ٧/ ٢٩٤، ٩/ ٢٠٠، ١١/ ١٤٢ وشرحه مستوفى في الجزأين ٣، ١١).
وأنشده الفراء هنا عند قوله تعالى: ﴿وحور عين﴾ وقال خفضها أصحاب عبد الله (ابن مسعود) وهو وجه العربية، وإن كان أكثر القراء على الرفع؛ لأنهم هابوا أن يجعلوا الحور العين يطاف بهن، فرفعوا على قولك: ولهم حور عين، أو عندهم حور عين. والخفض على أن يتبع آخر الكلام بأوله، وإن لم يحسن في آخره ما حسن في أوله، أنشدني بعض العرب:

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيونا

فالعين لا تزجج، إنما تكحل، فردها على الحواجب، لأن المعنى يعرف. وأنشدني آخر:

«ولقيت زوجك في الوغى. . . . البيت».

والرمح لا يتقلد، فرده على السيد. ا هـ.

حدثنا محمد بن إسماعيل الفزاري، قال: أخبرنا محمد بن سوار، قال: ثنا محمد بن سليمان الكوخي ابن أخي عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن عبد الرحمن الأصبهاني، عن عكرِمة، قال: ما نزلت قطرة من السماء في البحر إلاّ كانت بها لؤلؤة أو نبتت بها عنبرة، فيما يحسب الطبري.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**يَخرُجُ مِنهُما اللُّؤلُؤُ والمَرْجانُ**﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: «يُخْرَجُ» على وجه ما لم يسمّ فاعله. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة وبعض المكيين بفتح الياء.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، لتقارب معنييهما.

وقوله: ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نِعم ربكما معشر الثقلين التي أنعم بها عليكم فيما أخرج لكم من منافع هذين البحرين تكذّبان.

وقوله: ﴿**وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَئاتُ فِي البَحْرِ كالأَعْلامِ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولربّ المشرقين والمغربين الجواري، وهي السفن الجارية في البحار.

وقوله: ﴿**المُنْشَئاتُ فِي البَحْرِ**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة «المُنْشِئاتُ» بكسر الشين، بمعنى: الظاهرات السير اللاتي يقبلن ويدبرن. وقرأ ذلك عامة قرّاء البصرة والمدينة وبعض الكوفيين ﴿**المُنْشَئاتُ**﴾ بفتح الشين، بمعنى المرفوعات القلاع اللاتي تقبل بهنّ وتدبر.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى متقاربتاه، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. ذكر من قال في تأويل ذلك ما ذكرناه فيه:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**المُنْشَئاتُ فِي البَحْرِ**﴾ قال: ما رفع قلعه من السفن فهي منشئات، وإذا لم يرفع قلعها فليست بمنشأة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَئاتُ فِي البَحْرِ كالأَعْلامِ**﴾ يعني: السفن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلَهُ الجوَارِ المُنْشَئاتُ فِي البَحْرِ كالأَعْلامِ**﴾ يعني السفن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَئاتُ فِي البَحْرِ كالأعْلامِ**﴾ قال السفن.

وقوله: ﴿**كالأعْلام**﴾ يقول: كالجبال، شبَّه السفن بالجبال، والعرب تسمي كل جبل طويل علماً ومنه قول جرير:

إذا قَطَعْنا عَلَماً بَدَا عَلَمْ(١)

وقوله: ﴿**فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبان**﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس التي أنعمها عليكم بإجرائه الجواري المنشئات في البحر جارية بمنافعكم تكذّبان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كلّ من على ظهر الأرض من جنّ وإنس فإنه هالك، ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام وذو الجلال والإكرام من نعت الوجه فلذلك رفع ذو. وقد ذُكر أنها في قراءة عبد الله بالياء «ذي الجَلال والإكْرَام» على أنه من نعت الربّ وصفته.

وقوله: ﴿**فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نِعَم ربكما معشر الثقلين من هذه النعم تكذّبان.

وقوله: ﴿**يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَواتِ والأرْضِ**﴾ يقول تعالى ذكره: إليه يَفْزع بمسألة الحاجات كلّ من في السموات والأرض، من مَلَك وإنس وجنّ وغيرهم، لا غنى بأحد منهم عنه. كما:

---

(١) البيت من مقطوعة من الرجز لجرير الخطفي (ديوانه ٥٢٠) وتمامه:

حتى تناهين بنا إلى الحكم

يمدح الحكم بن أيوب الثقفي صهر الحجاج وابن عمه. يصف النوق إلى حملته إليه، ولذلك نرجح روايته «قطعن» بنون جمع النسوة على رواية «قطعنا» بمضير جماعة الذكور، وإن كانت جائزة في المعنى. والأعلام: جمع علم، وهو الجبل الطويل، سمي علماً، لأن المسافر يجعله علامة وأمارة على الطريق. وأنشده أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ١٧٣ ـ ١) وقال: كالأعلام: كالجبال، قال جرير يصف الإبل:

«إذ قطعن..... البيت».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَسْئَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شأنٍ﴾ لا يستغني عنه أهل السماء ولا أهل الأرض، يُحْيي حَياً، ويُمِيت ميتاً ويربي صغيراً، ويذلّ كبيراً، وهو مَسْأَل حاجات الصالحين، ومنتهى شكواهم، وصريخ الأخيار.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَسْئَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ والأرضِ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شأنٍ﴾ قال: يعني مسألة عباده إياه الرزق والموت والحياة، كلّ يوم هو في ذلك.

وقوله: ﴿كُلَّ يَومٍ هُوَ فِي شأنٍ﴾يقول تعالى ذكره هو كلّ يوم في شأن خلقه، فيفرج كرب ذي كرب ويرفع قوماً ويَخفض آخرين، وغير ذلك من شؤون خلقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن يونس بن خباب، والأعمش عن مجاهد، عن عبيد بن عمير ﴿كُلَّ يَومٍ هُوَ فِي شأنٍ﴾ قال: يجيب داعياً، ويعطي سائلاً، أو يفكّ عانياً، أو يشفي سقيماً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير في قوله: ﴿كُلَّ يَومٍ هُوَ فِي شأنٍ﴾ قال: يفكّ عانياً، ويشفي سقيماً، ويجيب داعياً.

وحدثني إسماعيل بن إسرائيل اللآل، قال: ثنا أيوب بن سويد، عن سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، في قوله: ﴿كُلَّ يَومٍ هُوَ فِي شأنٍ﴾ قال: من شأنه أن يطعي سائلاً، ويفكّ عانياً، ويجيب داعياً، ويشفي سقيماً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿كُلَّ يَومٍ هُوَ فِي شأنٍ﴾ قال: كلّ يوم هو يجيب داعياً، ويكشف كرباً، ويجيب مضطرّاً، ويغفر ذنباً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شأنٍ﴾ يجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويفكّ عانياً، ويتوب على قوم ويغفر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة **﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَواتِ والأرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شأْنٍ﴾** قال: يخلق مخلقاً، ويميت ميتاً، ويحدث أمراً.

حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي، قال: ثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي، قال: ثنا عمرو بن بكر السكسكي، قال: ثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني، عن أبيه عبدة بن رباح، عن منيب بن عبد الله الأزدي، عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: **﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شأْنٍ﴾** فقلنا: يا رسول الله، وماذلك الشأن؟ قال: «يَغْفِرُ ذَنْباً، ويُفَرِّجُ كَرْباً، ويَرْفَعُ أقْوَاماً، وَيَضَعُ آخَرِينَ».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي حمزة الثمالي، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درّة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، عرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كلّ يوم ثلاث مئة وستين نظرة، يخلق بكل نظرة، ويُحيي ويميت، ويُعزّ ويُذلّ، ويفعل ما يشاء.

وقوله: **﴿فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ﴾** يقول تعالى ذكره: فبأيّ نِعَم ربكما معشر الجنّ والإنس التي أنعم عليكم من صرفه إياكم في مصالحكم، وما هو أعلم به منكم من تقليبه إياكم فيما هو أنفع لكم تكذبان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿سَنَفْرُغُ لَكُم أيُها الثّقَلانِ﴾** فقرأته قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين **﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾** بالنون. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة «سَيَفْرُغُ لَكُمْ» بالياء وفتحها ردّاً على قوله: **﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾** ولم يقل: يسألنا من في السموات، فأتبعوا الخبر الخبر.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وأما تأويله: فإنه وعيد من الله لعباده وتهدّد، كقول القائل الذي يتهدّد غيره ويتوعده، ولا شغل له يشغله عن عقابه، لأتفرغنّ لك، وسأتفرّغ لك، بمعنى: سأجدّ في أمرك وأعاقبك، وقد يقول القائل للذي لا شغل له، قد فرغت لي، وقد فرغت لشتمي: أي أخذت فيه وأقبلت عليه،

وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ سنحاسبكم، ونأخذ في أمركم أيها الإنس والجنّ، فنعاقب أهل المعاصي، ونثيب أهل الطاعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أيُّها الثَّقَلانِ﴾ قال: وَعيد من الله للعباد، وليس بالله شغل، وهو فارغ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة أنه تلا ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أيُّها الثَّقَلانِ﴾ قال: دنا من الله فراغ لخلقه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جُويبر، عن الضحاك ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أيُّها الثَّقَلانِ﴾ قال: وعيد، وقد يُحتمل أن يوجه معنى ذلك إلى: سنفرُغ لكم من وعدناكم ما وعدناكم من الثواب والعقاب.

وقوله: ﴿فَبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾: فبأيّ نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعمها عليكم، من ثوابه أهل طاعته، وعقابه أهل معصيته تكذّبان؟.

وقوله: ﴿يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ فانْفُذُوا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض، فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم، فجوزوا ذلك، فإنكم لا تجوزونه إلا بسلطان من ربكم، قالوا: وإنما هذا قول يقال لهم يوم القيامة. قالوا: ومعنى الكلام: سنفرغ لكم أيها الثقلان، فيقال لهم: ﴿يا مَعْشَرَ الجِنّ وَالإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَواتِ وَالأرْضِ فانْفُذُوا﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقيّ، قال: ثنا أبو أسامة، عن الأجلح، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم، قال: «إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقَّقت بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، فأحاطوا بالأرض ومن عليها بالثانية، ثم بالثالثة، ثم بالرابعة، ثم بالخامسة، ثم بالسادسة، ثم بالسابعة، فصفوا صفاً دون صف، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنّبته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا، فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه فذلك قول الله: ﴿إنِّي أخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ، وذلك قوله: وَجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، وقوله: ﴿يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ فانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ﴾، وذلك قوله: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ والمَلَكُ على أرْجائها﴾.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض، فانفدوا هاربين من الموت، فإن الموت مُدرككم، ولا ينفعكم هربكم منه.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: ﴿**يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ**﴾... الآية، يعني بذلك أنه لا يجيرهم أحد من الموت، وأنهم ميتون لا يستطيعون فراراً منه، ولا محيصاً، لو نفذوا أقطار السموات والأرض كانوا في سُلطان الله، ولأخذهم الله بالموت.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني أبي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُم أن تَنْفُذُوا مِن أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ فانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إلاَّ بسُلْطانٍ**﴾ يقول: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموه، لن تعلموه إلا بسلطان، يعني البينة من الله جلّ ثناؤه.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿**لا تَنْفُذُونَ**﴾ لا تخرجون من سلطاني.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**لا تَنْفُذُونَ إلاَّ بسُلْطانٍ**﴾ يقول: لا تخرجون من سلطاني.

وأما الأقطار فهي جمع قُطْر، وهي الأطراف. كما:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ**﴾ قال: من أطرافها.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿**وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطارِها**﴾ يقول: من أطرافها.

وأما قوله: ﴿**إلاَّ بسُلْطانٍ**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: معناه: الا ببينة وقد ذكرنا ذلك قبل.

وقال آخرون: معناه: إلا بحجة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن رجل، عن عِكرمة ﴿**لا تَنْفُذُونَ إلاَّ**

بِسُلْطانٍ﴾ قال: كلّ شيء في القرآن سلطان فهو حجة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿بِسُلْطانٍ﴾** قال: بحجة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلا بملك وليس لكم ملك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة **﴿فانفُذُوا لا تَنفُذُون إلاَّ بِسُلْطانٍ﴾** قال: لا تنفذون إلا بملك وليس لكم ملك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿لا تَنفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ﴾** قال: إلا بسلطان من الله، إلا بملكة منه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿لا تَنفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ﴾** يقول إلا بملكة من الله.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: إلا بحجة وبينة، لأن ذلك هو معنى السلطان في كلام العرب، وقد يدخل الملك في ذلك، لأن الملك حجة.

وقوله: **﴿فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ﴾** يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما تكذّبان معشر الثقلين التي أنعمت عليكم، من التسوية بين جميعكم، لا يقدرون على خلاف أمر أراده بكم تكذّبان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿يُرْسَلُ عَليكُمَا﴾** أيها الثقلان يوم القيامة **﴿شُوَاظٌ مِن نَارٍ﴾** وهو لهبها من حيث تشتعل وتؤجّج بغير دخان كان فيه ومنه قول رُؤْبة بن العجّاج:

إنَّ لَهُمْ مِنْ وَقْعِنا أقْياطا ... ونارُ حَرْبٍ تُسْعِرُ الشُّوَاظا[1]

---

(١) البيتان في ديوان العجاج (طبع ليبسج ٨١) وفي «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة (الورقة ١٧٣) ولم يظهر اسم الشاعر، قال عند قوله تعالى: ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس﴾ شواظ (بضم أوله) وشواظ بكسر أوله (ضبط قلم): واحد. وهو النار التي تأجج لا دخان فيها. قال: =

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**شُوَاظٌ مِنْ نارٍ**﴾ يقول: لَهَب النار.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ**﴾ يقول: لهب النار.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**شُوَاظٌ مِنْ نارٍ**﴾ قال: لهب النار.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد الزُّبيري، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ**﴾ قال: اللهب المتقطع[(١)].

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو، عن منصور، عن مجاهد ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ**﴾ قال: الشُّواظ: الأخضر المتقطع من النار.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد في قوله ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ**﴾ قال الشُّواظ: هذا اللهب الأخضر المتقطع[(١)] من النار.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، في قوله: ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ**﴾ قال: الشواظ: اللهب الأخضر المتقطع من النار.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الضحاك: ﴿**الشُّوَاظُ**﴾: اللهب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ**﴾: أي لهب من نار.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**شُوَاظٌ مِنْ نارٍ**﴾ قال:

= «إن لهم من وقعنا..... البيتين.

وفي «**اللسان**»: شوظ الشواظ والشواظ (بضم الأول وكسر الثاني): اللهب الذي لا دخان فيه. وقال رؤبة:

«إن لهم..... البيتين».

وفي التنزيل العزيز: ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس﴾. قال الفراء: أكثر القراء قرأوا شواظ (بالضم) وكسر الحسن الشين، كما قالوا لجماعة البقر صوار وصوار. ا هـ.

(١) المتقطع: كذا في الأصل. و كذلك بالشو[illegible] (٥/١٣٤).

لهب من نار.

وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِن نارٍ**﴾ قال: الشواظ: اللهب، وأما النحاس فالله أعلم بما أراد به.

وقال آخرون: الشُّواظ: هو الدخان الذي يخرج من اللهب.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**شُوَاظٌ مِنْ نارٍ**﴾ الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**شُوَاظٌ**﴾، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة، غير ابن أبي إسحاق ﴿**شُوَاظٌ**﴾ بضم الشين، وقرأ ذلك ابن أبي إسحاق، وعبد الله بن كثير «شِوَاظٌ مِنْ نارٍ» بكسر الشين، وهما لغتان، مثل الصِوار من البقر، والصُّوار بكسر الصاد وضمها. وأعجب القراءتين إليّ ضمّ الشين، لأنها اللغة المعروفة، وهي مع ذلك قراءة القرّاء من أهل الأمصار.

وأما قوله: ﴿**ونُحاسٌ**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به، فقال بعضهم: عُنِي به الدخان.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا موسى بن عمير، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**ونُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ**﴾ قال: النحاس: الدخان.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ونُحاسٌ**﴾ دخان النار.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، قوله: ﴿**ونُحاسٌ**﴾ قال: دخان.

وقال آخرون: عني بالنحاس في هذا الموضع: الصُفر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿**ونُحاسٌ**﴾ قال: النحاس: الصفر يعذّبون به.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**ونُحاسٌ**﴾

قال: يذاب الصفر من فوق رؤوسهم.

قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد ﴿**ونُحاسٌ**﴾ قال: يذاب الصفر فيصبّ على رأسه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**ونُحاسٌ**﴾ يذاب الصفر فيصبّ على رؤوسهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ونُحاسٌ**﴾ قال: توعدهما بالصُّفر كما تسمعون أن يعذّبهما به.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ ونُحاسٌ**﴾ قال: يخوّفهم بالنار وبالنحاس.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُنِي بالنحاس: الدخان، وذلك أنه جلّ ثناؤه ذكر أنه يرسل على هذين الحيَّين شواظ من نار، وهو النار المحضة التي لا يخلطها دخان. والذي هو أولى بالكلام أنه توعدهم بنار هذه صفتها أن يُتبع ذلك الوعد بما هو خلافها من نوعها من العذاب دون ما هو من غير جنسها، وذلك هو الدخان، والعرب تسمي الدخان نُحاساً بضم النون، ونِحاساً بكسرها، والقرّاء مجمعة على ضمها، ومن النُّحاس بمعنى الدخان، قول نابغة بني ذُبيان:

يَضُوءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيـ ... ـطِ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ فيهِ نُحاسا[1]

يعني: دخاناً.

وقوله: ﴿**فَلا تَنْتَصِرَانِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فلاتنتصران أيها الجن والإنس منه إذا هو عاقبكما هذه العقوبة، ولا تُستنقذان منه. كما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**فَلا تَنْتَصِرَانِ**﴾ قال: يعني الجنّ والإنس.

---

(١) البيت لنابغة بني جعدة «**مجاز القرآن**» (الورقة ١٧٣ ـ ب) وحرف الناسخ اسمه، فقال كنابغة بني ذبيان في تفسير المؤلف هذا. قال أبو عبيدة عند قوله تعالى: ﴿ونحاس﴾ نحاس ونحاس (بضم أوله وكسره، ضبط قلم) والنحاس: الدخان؛ قال نابغة بني جعدة:

«تضيء كضوء..... البيت».

وفي **أوله**، تضيء بالياء، لا بالواو، كما كتبه ناسخ التفسير. وفي «**اللسان**» ضوأ ضاء السراج يضوء، وأضاء يضيء قال: واللغة الثانية هي المختارة ا هـ.

قال: وقوله: ﴿فإذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كالدِّهانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا انشقَّت السماء وتفطَّرت، وذلك يوم القيامة، فكان لونها لون البرذون الورد الأحمر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿فَكانَتْ وَرْدَةً كالدِّهانِ﴾ قال: كالفرس الورد.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فإذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كالدِّهانِ﴾ يقول: تغير لونها.

حدثنا عبد الله بن أحمد بن حبويه، قال: ثنا شهاب بن عباد، قال: ثنا إبراهيم بن حميد، عن إسماعيل ابن أبي خالد عن أبي صالح في قوله: ﴿وَرْدَةً كالدِّهانِ﴾ قال كلون البرذون الورد، ثم كانت بعد كالدهان.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فَكانَتْ وَرْدَةً كالدِّهانِ﴾ يقول: تتغير السماء فيصير لونها كلون الدابة الوردة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَرْدَةً كالدِّهانِ﴾ هي اليوم خضراء كما ترون، ولونها يوم القيامة لون آخر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا ابن العوّام، عن قتادة، في قوله: ﴿فإذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كالدِّهانِ﴾ قال: هي اليوم خضراء، ولونها يومئذٍ الحمرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَرْدَةً كالدِّهانِ﴾ قال: إنها اليوم خضراء، وسيكون لها يومئذٍ لون آخر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَكانَتْ وَرْدَةً كالدِّهانِ﴾ قال: مشرقة كالدهان.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿كالدِّهانِ﴾ فقال بعضهم: معناه كالدهن صافية الحمرة مشرقة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَرْدَةً كالدِّهانِ﴾ قال:

كالدهن.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**كالدّهانِ**﴾ يعني: خالصة.

وقال آخرون: عني بذلك: فكانت وردة كالأديم، وقالوا: الدهان: جماع، واحدها دهن.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني به الدهن في إشراق لونه، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب.

وقوله: ﴿**فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ قدرة ربكما معشر الجنّ والإنس على ما أخبركم بأنه فاعل بكم تكذّبان.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فيومئذٍ لا يسأل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم، لأن الله قد حفظها عليهم، ولا يسأل بعضهم عن ذنوب بعض ربهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إنْسٌ وَلا جانّ**﴾ يقول تعالى ذكره: لا يسألهم عن أعمالهم، ولا يسأل بعضهم عن بعض وهو مثل قوله: وَلا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ ومثل قوله لمحمد ﷺ وَلا تُسْئَلُ عَنْ أصحَابِ الجَحِيمِ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إنْسٌ وَلا جانّ**﴾ قال: حفظ الله عزّ وجلّ عليهم أعمالهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إنْسٌ وَلا جانّ**﴾ قال: كان مجاهد يقول: لا يسأل الملائكة عن المجرم يعرفون بسيماهم.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة ﴿**فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إنْسٌ وَلا جانّ**﴾ قال: قد كانت مسألة ثم ختم على ألسنة القوم فتتكلم

أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما معشر الثقلين، التي أنعم عليكم من عدله فيكم، أنه لم يعاقب منكم إلاّ مجرماً(١)...

وقوله: ﴿يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره تعرف الملائكة المجرمين بعلاماتهم وسيماهم التي يسوّمهم الله بها من اسوداد الوجوه، وازرقاق العيون. كما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور عن معمر، عن الحسن، في قوله: ﴿يُعْرَفُ المُجْرِمونَ بِسِيماهُمْ﴾ قال: يعرفون باسوداد الوجوه، وزُرقة العيون.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة ﴿يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ﴾ قال: زرق العيون، سود الوجوه.

وقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بالنَّوَاصِي والأقْدَامِ﴾ يقول تعالى ذكره: فتأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم فتسحبهم إلى جهنم، وتقذفهم فيها ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس التي أنعم عليكم بها من تعريفه ملائكته أهل الإجرام من أهل الطاعة منكم حتى خصوا بالإذلال والإهانة المجرمين دون غيرهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء المجرمين الذين أخبر جلّ ثناؤه أنهم يعرفون يوم القيامة بسيماهم حين يؤخذ بالنواصي والأقدام: هذه جهنم التي يكذّب بها المجرمون، فترك ذكر «يقال» اكتفاء بدلالة الكلام عليه منه. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «هذه جهنم التي كنتما بها تكذّبان تصليانها، لا تموتان فيها ولا تحييان»(٢).

وقوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَينَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ يقول تعالى ذكره: يطوف هؤلاء المجرمون الذين وصف صفتهم في جهنم بين أطباقها ﴿وَبَينَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ يقول: وبين ماء قد أسخن وأغلي حتى

---

(١) لعله سقط من قلم الناسخ كلمة «تكذبان»، التي اعتاد المؤلف أن يختم بها مثل هذا التعبير فيما مضى من قول الله سبحانه ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

(٢) ذكر الفراء في «معاني القرآن» (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ص ـ ٣٢١) قراءة عبد الله، وزاد فيها بعد قوله: «تحييان»: تطوفان. ا هـ. و«تطوفان» هي بدء الآية التي بعدها:

«يطوفون بينها...... الخ».

انتهى حرّه وأنى طبخه وكل شيء قد أدرك وبلغ فقد أنى ومنه قوله: غَيرَ ناظِرِينَ إناهُ يعني: إدراكه وبلوغه، كما قال نابغة بني ذُبيان:

ويُخْضَبُ لِحْيَةٌ غَدَرَتْ وخانَتْ بأحمَرَ مِنْ نَجِيعِ الجَوْفِ آني[1]

يعني: مدرك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَبينَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ يقول: انتهى حرُّه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَبَين حَمِيم آنٍ﴾ يقول: غلي حتى انتهى غليه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَبينَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ قال: قد بلغ إناه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: الآني الذي قد انتهى حرّه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا شبيب، عن بشر، عن عكرِمة، عن ابن عباس ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَينَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ قال: الآني: ما اشتدّ غليانه ونضجه.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿حَمِيمٍ آنٍ﴾ هو الذي قد انتهى غَلْيه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة ﴿وَبَينَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ قال: أنى طبخها منذ يوم خلق الله السموات والأرض.

---

(١) البيت لنابغة بني ذبيان «**مختار الشعر الجاهلي**» بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي (١٩٤) من قصيدة يهجو بها يزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي في قصة ذكرها شارحه في ١٩٣ عند بدء القصيدة وانظر شرح الأعلم، والوزير أبي بكر البطليوسي على الأشعار الستة، والجزء الأول من «**خزانة الأدب الكبرى**» لعبد القادر البغدادي (٢٠٤ ـ ٢٠٥) وقال شارح البيت: نجيع الجوف: الدم الخالص. والآني: الشديد الحرارة، وهو الذي بلغ أناه ا هـ. وقال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ١٧٣ ـ ب) عند قوله تعالى: ﴿وبين حمم آن﴾ بلغ أناه في شدة الحر ا هـ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَينَ حَمِيمٍ آنٍ**﴾ يقول: حميم قد أنى طبخه منذ خلق الله السموات والأرض.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿**حَمِيمٍ آنٍ**﴾ يقول: حميم قد آن منتهى حرّه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**حَمِيمٍ آنٍ**﴾ قال: قد انتهى حرّه.

وقال بعضهم: عني بالآني: الحاضر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ**﴾ قال: يطوفون بينها وبين حميم حاضر، الآني: الحاضر.

وقوله: ﴿**فَبأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ**﴾ يقول: فبأيّ نِعَم ربكما معشر الجنّ والإنس التي أنعمها عليكم بعقوبته أهل الكفر به وتكريمه أهل الإيمان به تكذّبان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولمن اتقى الله من عباده، فخاف مقامه بين يديه، فأطاعه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه جنتان، يعني بستانين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عن تأويله، غير أن معنى جميعهم يقود إلى هذا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبّهِ جَنّتانِ**﴾ قال: وعد الله جلّ ثناؤه المؤمنين الذين خافوا مقامه، فأدّوا فرائضه الجنة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبّهِ جَنّتانِ**﴾ يقول: خاف ثم اتقى، والخائف: من ركب طاعة الله، وترك معصيته.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن مجاهد، في قوله: ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبّهِ جَنّتانِ**﴾ هو الرجل يهم بالذنب فيذكر مقام ربه فينزع.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن منصور، عن مجاهد، قوله: ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ قال: الرجل يهمّ بالذنب فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركه، فله جنتان.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قوله: ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ قال: الرجل يهمّ بالمعصية، فيذكر الله عزّ وجلّ فيدعها.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**ولَمنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ قال: في الذي إذا همّ بمعصية تركها.

حدثنا نصر بن عليّ، قال: ثنا إسحاق بن منصور، عن مجاهد، قوله: ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ قال: هو الرجل يهمّ بمعصية الله تعالى، ثم يتركها مخافة الله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ قال: يذنب الذنب فيذكر مقام ربه فيدعه.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن إبراهيم في هذه الآية ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ قال: إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ قال: إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له، ودانوا له، وتعبَّدوا بالليل والنهار.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، قال: ثنا قتادة، في قوله: ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ قال: إن لله مقاماً قد خافه المؤمنون.

حدثني محمد بن موسى، قال: ثنا عبد الله بن الحارث القرشيّ، قال: ثنا شعبة بن الحجاج، قال: ثنا سعيد الجريريّ، عن محمد بن سعد، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ»قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإنْ زَنى وسَرَقَ وإنْ رَغِمَ أنْفِ أبي الدَّرْداءِ».

وحدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا محمد بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة، عن عطاء بن يسار، قال: أخبرني أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ، قرأ يوماً هذه الآية ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ فقلت وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال: ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ قال: فقلت: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق؟ قال: ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «وَإنْ زَنى وإنْ سَرَقَ رَغْمَ أنْفِ أبي الدَّرْدَاءِ».

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي بكر، عن أبي موسى، عن أبيه، قال حماد لا أعلمه إلا رفعه في قوله: ﴿**وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ قال جنتان من ذهب للمقرّبين أو قال: للسابقين، وجنتان من ورِق لأصحاب اليمين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: ثنا سيار، قال: قيل لأبي الدرداء في هذه الآية ﴿**وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ فقيل: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: وإن زنى وإن سرق. وقال: إنه إن خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن ابن المبارك، عن سعيد الجريريّ، عن رجل، عن أبي الدرداء ﴿**وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ فقال أبو الدرداء: وإن زنى وإن سرق، قال: نعم، وإن رَغِمَ أنْفُ أبي الدرداء».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن الصلت، عن عمرو بن ثابت، عمن ذكره، عن أبي وائل، عن ابن مسعود في قوله: ﴿**وَلِمَنْ خافَ مقامَ رَبهِ جَنَّتانِ**﴾ قال: وإن زنى وإن سرق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ قال: جنتا السابقين، فقرأ ﴿**ذَوَاتا أفْنانٍ**﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿**كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ**﴾ ثم رجع إلى أصحاب اليمين، فقال: ﴿**وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ**﴾ فذكر فضلهما وما فيهما.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ قال: مقامه حين يقوم العباد يوم القيامة، وقرأ ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالَمِينَ**﴾ وقال: ذاك مقام ربك.

وقوله: ﴿**فَبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما أيها الثقلان التي أنعم عليكم بإثابته المحسن منكم ما وصف جلّ ثناؤه في هذه الآيات تكذّبان.

وقوله: ﴿**ذَوَاتا أفْنانٍ**﴾ يقول: ذواتا ألوان، واحدها فن، وهو من قولهم: افتنّ فلان في حديثه: إذا أخذ في فنون منه وضروب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسين بن يزيد الطحان، قال: ثنا عبد السلام بن حرب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**ذَوَاتا أفْنانٍ**﴾ قال: ذواتا ألوان.

حدثنا الفضل بن إسحاق، قال: ثنا أبو قُتيبة، قال: ثنا عبد الله بن النعمان، عن عكرمة ﴿**ذَوَاتا أفْنانٍ**﴾ قال: ظلّ الأغصان على الحيطان، قال: وقال الشاعر:

مـا هـاجَ شَـوْقَـكَ مِـنْ هَـديـلِ حَـمـامَـةٍ تَـدْعُـو عـلـى فَـنـن الـغُـصُـونِ حَـمـامـا
تَـدْعُـو أبـا فَـرْخَـيـن صَـادَفَ ضَـاريـاً ذا مـخْـلَـبَـيـن مِـنَ الـصُّـقُـورِ قَـطـامـا(١)

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مجاهد ﴿**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**﴾ قال: ذواتا ألوان.

قال: ثنا مهران، عن أبي سنان ﴿**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**﴾ قال: ذواتا ألوان.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**﴾ يقول: ألوان من الفاكهة.

وقال آخرون: ذواتا أغصان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن رجل من أهل البصرة، عن مجاهد ﴿**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**﴾ قال: ذواتا أغصان.

وقال آخرون: معنى ذلك: ذواتا أطراف أغصان الشجر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**﴾ يقول: فيما بين أطراف شجرها، يعني: يمسّ بعضها بعضاً كالمعروشات، ويقال ذواتا فضول عن كلّ شيء.

وقال آخرون: بل عنى بذلك فضلهما وسعتهما على ما سواهما.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**﴾ يعني:

---

(١) لم أقف على قائل البيتين وأنشد ابن بري في «**اللسان**» هدر البيت الأول منهما ولم ينسبه قال صاحب «**اللسان**» عن ابن سيده: في المحكم: الهديل صوت الحمام، وخص بعضهم به وحشها، كالدباسي والقماري ونحوهما هدل يهدل هديلا. وأنشد ابن بري: البيت قال: وقد جاء الهديل في صوت الهدهد ا هـ. والفنن الغصن المستقيم طولا وعرضاً وقيل الغصن: القضيب، يعني المقضوب، والفنن: ما تشعب منه. والجمع: الأفنان ثم الأفانين. وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿ذواتا أفنان﴾ قال: ظل الأغصان على الحيطان. وقال أبو الهيثم: فسره بعضهم: ذواتا أغصان. وفسره بعضهم: ذواتا ألوان واحدها حينئذ: فن، وفنن قال أبو منصور: واحد الأفنان أردت بها ألوان فن، وإذا أردت بها الأغصان: فواحدها فنن ا هـ. وقال في قطم: والقطامي الصقر، ويفتح. وصقر قطام (كسحاب) وقطامي وقطامي. (بفتح أوله وضمه): لحم. قيس يفتحون وسائر العرب يضمون، وقد غلب عليه اسماً، وهو مأخوذ من القطم، وهو المشتهى: اللحم وغيره ا هـ.

فضلهما وسعتهما على ما سواهما.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**ذَوَاتا أفْنانٍ**﴾ قال: ذواتا فضل على ما سواهما.

وقوله: ﴿**فَبِأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعم عليكما بإثابته هذا الثواب أهل طاعته تكذّبان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره في هاتين الجنتين عينا ماء تجريان خلالهما، فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان.

وقوله: ﴿**فِيهِما مِنْ كُلّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فيهما من كلّ نوع من الفاكهة ضربان، فبأيّ آلاء ربكما التي أنعم بها على أهل طاعته من ذلك تكذّبان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَلِمَنْ خافَ مَقَامَ رَبّه جَنّتانِ**﴾ يتنعمون فيهما ﴿**مُتّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ**﴾، فنصب متكئين على الحال من معنى الكلام الذي قبله لأن الذي قبله بمعنى الخبر عمن خاف مقام ربه أنه في نَعْمة وسرور، يتنعمون في الجنتين.

وقوله: ﴿**على فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ اسْتَبْرَقٍ وَجَنى الجَنّتَين**﴾ يقول تعالى ذكره: بطائن هذه الفرش من غليظ الديباج، والاستبرق عند العرب: ما غلظ من الديباج وخشن.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: يسمى المتاع الذي ليس في صفاقة الديباج ولا خفة العَرَقة استبرقاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عمران بن موسى القَزّاز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا يحيى بن أبي إسحاق، قال قال لي سالم بن عبد الله: ما الاستبرق؟ قال: قلت: ما غلظ من الديباج وخشن منه.

حدثنا محمد بن بشار قال: ثنا يحيى بن أبي عَرُوبة، عن قتادة، عن عكرِمة، في قوله: ﴿اسْتَبْرَق﴾ قال: الديباج الغليظ.

وحدثنا إسحاق بن زيد الخطابيّ، قال: ثنا الفريابيّ، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم عن ابن مسعود في قوله: ﴿فُرُشٍ بَطائِنُها مِن اسْتَبرَقٍ﴾ قال: قد أخبرتم بالبطائن، فكيف لو أخبرتم بالظواهر؟.

حدثنا الرفاعيّ، قال: ثنا ابن اليمان، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن هبيرة، قال: هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر؟.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا أبو داود، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: قيل له: هذه البطائن من استبرق فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِن قُرَّةِ أعْيُنٍ﴾ وقد زعم أهل العربية أن البطانة قد تكون ظهارة، والظهارة تكون بطانة، وذلك أن كل واحد منهما قد يكون وجهاً. قال: وتقول العرب: هذا ظهر السماء، وهذا بطن السماء لظاهرها الذي نراه.

وقوله: ﴿وَجَنى الجَنَّتَينِ دانٍ﴾ يقول: وثمر الجنتين الذي يجتني قريب منهم، لأنهم لا يتعبون بصعود نخلها وشجرها، لاجتناء ثمرها، ولكنهم يجتنونها من قعود بغير عناء. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَجَنى الجَنَّتَينِ دَانٍ﴾ ثمارهم دانية، لا يردّ أيديهم عنه بعد ولا شوك. ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يَقْطَعُ رَجُلٌ ثَمَرَة مِنَ الجَنَّةِ، فَتَصِلُ إلى فِيهِ حتى يُبَدِّلَ اللّهُ مَكانَها خَيْراً مِنْها».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَجَنى الجَنَّتَينِ دَانٍ﴾ قال: لا يردّ يده بعد ولا شوك.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَجَنى الجَنَّتينِ دَانٍ﴾ يقول: ثمارها دانية.

وقوله: ﴿فَبأيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ﴾ يقول تعالى ذكره فبأيّ آلاء ربكما معشر الثقلين التي أنعم عليكما من أثاب أهل طاعته منكم هذا الثواب، وأكرمهم هذه الكرامة تكذّبان.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره في هذه الفرش التي بطائنها من استبرق ﴿قاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ وهنّ النساء اللاتي قد قُصِرَ طرفهنّ على أزواجهنّ، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثني أبي، عن أبي يحيى، عن مجاهد، في قوله: ﴿فِيهِنَّ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ قال: قَصُر طرفهنّ عن الرجال، فلا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فِيهِنَّ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ...﴾ الآية، يقول: قُصِر طرفهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾ قال: لا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ، تقول: وعزّة ربي وجلاله وجماله، إن أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي، وجعلني زوجَك.

وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ﴾ يقول: لم يمسهن إنس قبل هؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم، وهم الذين قال فيهم ﴿ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ﴾ ولا جان يقال منه: ما طَمث هذا البعيرَ حبلٌ قطّ: أي ما مَسَّهُ[1] حبل.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول: الطمث هو النكاح بالتدمية، ويقول: الطمث هو الدم، ويقول: طمثها إذا دماها بالنكاح. وإنما عنى في هذا الموضع أنه لم يجامعهنّ إنس قبلهم ولا جانّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ﴾ يقول: لم يُدمِهنّ إنس ولا جانّ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل، عن رجل عن عليّ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ﴾ قال: منذ خلقهنّ.

(١) كذا في «اللسان» طمث. وفي الأصل: مشطه، ولعله تحريف من الناسخ.

حدثنا الحسين بن يزيد الطحان، قال: ثنا أبو معاوية الضرير، عن مغيرة بن مسلم، عن عكرمة، قال: لا تقل للمرأة طامث، فإن الطَّمْث هو الجماع، إن الله يقول: **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌ﴾**.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌ﴾** قال: لم يَمَسَّهنّ شيء إنس ولا غيره.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌ﴾** قال: لم يَمَسَّهنّ.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن عاصم، قال: قلت لأبي العالية امرأة طامث، قال: ما طامث؟ فقال رجل: حائض، فقال أبو العالية: حائض، أليس يقول الله عزّ وجل **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌ﴾**.

فإن قال قائل: وهل يجامع النساء الجنّ، فيقال: **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌ﴾**؟ فإن مجاهداً روي عنه ما.

حدثني به محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا سهل بن عامر، قال: ثنا يحيى بن يَعْلَى الأسلميّ عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: إذا جامع ولم يسمّ، انطوى الجانّ على إحليله فجامع معه، فذلك قوله: **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنس قَبْلَهُمْ وَلا جانٌ﴾**.

وكان بعض أهل العلم ينتزع بهذه الآية في أن الجنّ يدخلون الجنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو حُمَيد أحمد بن المغيرة الحمصي، قال: ثني أبو حَيْوة شريح بن يزيد الحضرمي، قال: ثني أرطاة بن المنذر، قال: سألت ضَمْرة بن حبيب: هل للجنّ من ثواب؟ قال: نعم، ثم نزع بهذه الآية **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌ﴾** فالإنسيات للإنس، والجنيات للجنّ.

وقوله: **﴿فَبِأَيّ آلاءِ رَبّكُما تُكَذّبانِ﴾** يقول تعالى ذكره فبأيّ آلاء ربكما معشر الجنّ والإنس من هذه النعم التي أنعمها على أهل طاعته تكذّبان.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا

ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره كأن هؤلاء القاصرات الطرف اللواتي هنّ في هاتين الجنتين في صفائهن الياقوت الذي يرى السلك الذي فيه من ورائه، فكذلك يرى مخّ سوقهنّ من وراء أجسامهنّ، وفي حسنهنّ الياقوت والمرجان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر الأثر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ بذلك:

حدثني محمد بن حاتم، قال: ثنا عبيدة، عن حُمَيد، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود عن النبيّ ﷺ قال: «إنَّ المَرأةَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ لَيُرَى بَياضُ ساقِها مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حَرِيرٍ ومُخُّها، وذلكَ أنَّ اللّهَ تَبارَكَ وَتَعالى يَقُولُ: كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ أمَّا الياقُوتُ فإنَّهُ لَوْ أدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكاً ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ لرأيْتَهُ مِنْ وَرَائِهِ».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون، قال: قال ابن مسعود: إن المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير، يرى بياض ساقها وحسن ساقها من ورائهنّ، ذلكم بأن الله يقول: ﴿**كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ**﴾ ألا وإنما الياقوت حجر فلو جعلت فيه سلكاً ثم استصفيته، لنظرت إلى السلك من وراء الحجر.

قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿**كأنَّهُنَّ الياقُوتُ والمَرْجانُ**﴾ في بياض المرجان.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون، قال: أخبرنا عبد الله: إن المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير، فيرى بياض ساقها وحسنه، ومخّ ساقها من وراء ذلك، وذلك لأن الله قال: ﴿**كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ**﴾ ألا ترى أن الياقوت حجر فإذا أدخلت فيه سلكاً، رأيت السلك من وراء الحجر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: «إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة، فيرى مخّ ساقها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء».

حدثني محمد بن عبيد المحاربيّ، قال: ثنا المطلب بن زياد، عن السديّ، في قوله: ﴿**كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ**﴾ قال: صفاء الياقوت وحسن المرجان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ**﴾ صفاء الياقوت في بياض المرجان. ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال: «مَنْ دَخَلَ الجَنَّةَ فَلَهُ فِيها زَوْجَتانِ يُرَى

مُخُّ سُوقِهِما مِنْ وَرَاءِ ثِيابِهِما».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة ﴿**كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ**﴾ قال: شبَّه بهنّ صفاء الياقوت في بياض المرجان.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ**﴾ في صفاء الياقوت وبياض المرجان.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ**﴾ قال: كأنهنّ الياقوت في الصفاء، والمرجان في البياض، الصفاء: صفاء الياقوتة، والبياض: بياض اللؤلؤ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ**﴾ قال: في صفاء الياقوت وبياض المرجان.

وقوله: ﴿**فَبِأيّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما التي أنعم عليكم معشر الثقلين من إثابته أهل طاعته منكم بما وصف في هذه الآيات تكذّبان.

وقوله: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإحْسانِ إلاَّ الإحْسانُ**﴾ يقول تعالى ذكره: هل ثواب خوف مقام الله عزّ وجلّ لمن خافه فأحسن في الدنيا عمله، وأطاع ربه، إلا أن يحسن إليه في الآخرة ربُّهُ، بأن يجازيه على إحسانه ذلك في الدنيا ما وصف في هذه الآيات من قوله: ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ...**﴾ إلى قوله: ﴿**كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ**﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة ﴿**هَلْ جَزاءُ الإحْسانِ إلاَّ الإحْسانُ**﴾ قال: عملوا خيراً فجوزوا خيراً.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا عبيدة بن بكار الأزدي، قال: ثني محمد بن جابر، قال: سمعت محمد بن المنكدر يقول في قول الله جلّ ثناؤه: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإحْسانِ إلاَّ الإحْسانُ**﴾ قال: هل جزاء من أنعمت عليه بالإسلام إلا الجنة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**هَلْ جَزاءُ الإحْسانِ إلاَّ الإحْسانُ**﴾ قال: ألا تراه ذكرهم ومنازلهم وأزواجهم، والأنهار التي أعدّها لهم، وقال: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإحْسانِ إلاَّ الإحْسانُ**﴾ حين أحسنوا في هذه الدنيا أحسنا إليهم أدخلناهم الجنة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا سفيان، عن سالم بن أبي حفصة، عن أبي يعلى، عن محمد بن الحنفية ﴿**هَلْ جَزاءُ الإِحْسانِ إلا الإِحْسانُ**﴾ قال: هي مسجَّلة للبرّ والفاجر.

وقوله: ﴿**فَبِأَيّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ يقول: فبأيّ نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعم عليكم من إثابته المحسن منكم بإحسانه تكذّبان؟

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن دون هاتين الجنتين اللتين وصف الله جلّ ثناؤه صفتهما التي ذكر أنهما لمن خاف مقام ربه جنتان. ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿**وَمِنْ دُونِهِما**﴾ في هذا الموضع، فقال بعضهم: معنى ذلك: ومن دونهما في الدَّرَج.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن منصور الطوسيّ، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، قال: ثنا عمرو بن أبي قيس، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ**﴾ قال: كان عرش الله على الماء، ثم اتخذ لنفسه جنة، ثم اتخذ دونها جنة أخرى، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة قال: ﴿**وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ**﴾ وهي التي لا تعلم، أو قال: وهما التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون. قال: وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيهما، أو ما فيها، يأتيهم كلّ يوم منها أو منهما تحفة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب، عن عنبسة، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جُبَير بنحوه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ومن دونهما في الفضل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ**﴾ هما أدنى من هاتين لأصحاب اليمين.

وقوله: ﴿**فَبِأَيّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبان**﴾ يقول: فبأيّ نعم ربكما التي أنعم عليكم بإثابته أهل الإحسان ما وصف من هاتين الجنتين تكذّبان؟.

وقوله: ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ يقول تعالى ذكره. مسوادّتان من شدة خضرتهما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ يقول: خضراوان.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ قال: خضراوان من الريّ، ويقال: ملتفتان.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: أخبرنا محمد بن بشر، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن حارثة بن سليمان السلميّ، قال: سمعت ابن الزُّبَير وهو يفسّر هذه الآية على المنبر، وهو يقول: هل تدرون ما ﴿مُدْهامَّتانِ؟﴾ خضراوان من الريّ.

حدثني محمد بن عمارة هو الأسديّ، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن حارثة بن سليمان، هكذا قال، قال ابن الزُّبَير ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ خضراوان من الريّ.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حارثة بن سليمان، أن ابن الزُّبَير قال: ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ قال: هما خضراوان من الريّ.

حدثنا الفضل بن الصباح، قال: ثنا ابن فضيل، عن عطاء، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ قال: خضراوان.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ قال: خضراوان من الرّيّ.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح في قوله: ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ قال: خضراوان من الريّ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب، عن عنبسة، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جُبَير ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ قال: علاهما الريّ من السواد والخضرة.

قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جُبَير ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ قال: خضراوان.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ قال:

مسوادّتان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**مُدْهامَّتانِ**﴾ يقول: خضراوان من الريّ ناعمتان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**مُدْهامَّتانِ**﴾ قال: خضراوان من الريّ: إذا اشتدت الخضرة ضربت إلى السواد.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿**مُدْهامَّتانِ**﴾ قال: ناعمتان.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان ﴿**مُدْهامَّتانِ**﴾ قال: مسوادّتان من الريّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ**﴾ قال: جنتا السابقين، فقرأ ﴿**ذَوَاتا أفْنانٍ**﴾، وقرأ ﴿**كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ**﴾، ثم رجع إلى أصحاب اليمين فقال ﴿**وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ**﴾ فذكر فضلهما وما فيهما، قوله: ﴿**مُدْهامَّتانِ**﴾ من الخضرة من شدة خضرتهما، حتى كادتا تكونان سَوْداوين.

حدثني محمد بن سنان القزّاز، قال: ثنا الحسين بن الحسن الأشقر، قال: ثنا أبو كُدَينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**مُدْهامَّتانِ**﴾ قال: خضراوان.

وقوله: ﴿**فَبِأيّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ يقول: فبأيّ نِعَم ربكما التي أنعم عليكم بإثابته أهل الإحسان ما وصف في هاتين الجنتين تكذّبان.

وقوله: ﴿**فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ**﴾ يقول تعالى ذكره في هاتين الجنتين اللتين من دون الجنتين اللتين هما لمن خاف مقام ربه، عينان نضاختان، يعني فوّارتان.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي تنضخان به، فقال بعضهم: تنضخان بالماء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك عن عكرمة، في قوله: ﴿**فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ**﴾ قال: ينضخان بالماء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**نَضَّاخَتانِ**﴾ قال: تنضخان بالماء.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ**﴾ يقول: نضاختان بالماء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهما ممتلئتان.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ**﴾ قال: ممتلئتان لا تنقطعان.

وقال آخرون: تنضخان الماء والفاكهة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿**فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ**﴾ قال: بالماء والفاكهة.

وقال آخرون: نضاختان بألوان الفاكهة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد ﴿**فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ**﴾ قال: نضاختان بألوان الفاكهة.

وقال آخرون: نضاختان بالخير.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ**﴾ يقول: نضاختان بالخير.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُني بذلك أنهما تنضخان بالماء، لأنه المعروف بالعيون إذ كانت عيون ماء.

وقوله: ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نِعَم ربكما التي أنعم عليكم بإثابته محسنكم هذا الثواب الجزيل تكذّبان؟.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وفي هاتين الجنتين المدهامّتين فاكهة ونخل ورمّان.

وقد اختلف في المعنى الذي من أجله أعيد ذكر النخل والرمان وقد ذُكر قبل أن فيهما الفاكهة، فقال بعضهم: أعيد ذلك لأن النخل والرمان ليسا من الفاكهة.

وقال آخرون: هما من الفاكهة وقالوا: قلنا هما من الفاكهة، لأن العرب تجعلهما من الفاكهة، قالوا: فإن قيل لنا: فكيف أعيدا وقد مضى ذكرهما مع ذكر سائر الفواكه؟ قلنا: ذلك كقوله: ﴿حافِظوا على الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى﴾ فقد أمرهم بالمحافظة على كلّ صلاة، ثم أعاد العصر تشديداً لها، كذلك أعيد النخل والرمَّان ترغيباً لأهل الجنة. وقال: وذلك كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾، ثم قال: ﴿وكَثِيرٌ مِنَ النَّاس وكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العذَابُ﴾، وقد ذكرهم في أوّل الكلمة في قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن رجل، عن سعيد بن جُبير، قال: نخل الجنة جذوعها من ذهب، وعروقها من ذهب، وكرانيفها من زمرد، وسعفها كسوة لأهل الجنة، ورطبها كالدلاء، أشدّ بياضاً من اللبن، وألين من الزبد، وأحلى من العسل، ليس له عَجَم.

قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن زيد بن أسلم، عن وهب الذماري، قال: بلغنا أن في الجنة نخلاً جذوعها من ذهب، وكرانيفها من ذهب، وجريدها من ذهب، وسعفها كسوة لأهل الجنة، كأحسن حلل رآها الناس قط، وشماريخها من ذهب، وعراجينها من ذهب، وثفاريقها من ذهب، ورطبها أمثال القِلال، أشدّ بياضاً من اللبن والفضة، وأحلى من العسل والسكر، وألين من الزُبد والسَّمْن.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكما تكَذِّبانِ﴾ يقول: فبأيّ نِعَم ربكما تكذّبان، يقول: فبأيّ نعم ربكما التي أنعمها عليكم بهذه الكرامة التي أكرم بها محسنكم تكذّبان.

وقوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسانٌ﴾ يقول تعالى ذكره: في هذه الجنان الأربع اللواتي اثنتان منهنّ لمن يخاف مقام ربه، والأُخريان منهنّ من دونهما المدهامتان خيرات الأخلاق، حِسان الوجوه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسانٌ﴾ يقول: في هذه الجنان خيرات الأخلاق، حِسان الوجوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿خَيراَتٌ حِسانٌ﴾ قال: خيرات في الأخلاق، حِسان في الوجوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسانٌ﴾ قال: الخيرات الحسان: الحور العين.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوام، عن قتادة ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسانٌ﴾ قال: خيرات الأخلاق، حِسان الوجوه.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن جابر، عن القاسم بن أبي بزّة، عن أبي عبيد، عن مسروق، عن عبد الله ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسانٌ﴾ قال: في كل خيمة زوجة.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا محمد بن الفرج الصّدَفيّ الدمياطي عن عمرو بن هاشم، عن ابن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أمّ سلمة قالت قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسانٌ﴾ قال: «خَيْرَاتُ الأَخْلاقِ، حِسانُ الوُجُوهِ».

قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ يقول: فبأيّ نِعَم ربكما التي أنعم عليكما بما ذكر تكذّبان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء الخيرات الحسان ﴿حُورٌ﴾ يعني بقول حور: بِيض، وهي جمع حوراء، والحوراء: البيضاء.

وقد بيَّنا معنى الحور فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادتها في هذا الموضع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد ﴿حُورٌ﴾ قال: بيض.

قال: ثنا أبو نعيم، عن إسرائيل، عن مسلم، عن مجاهد ﴿حُورٌ﴾ قال: بيض.

قال: ثنا وكيع، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿حُورٌ﴾ قال: النساء.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿حُورٌ مَقْصُوراتٌ﴾ الحوراء: العَيْناء الحسناء.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان: الحور: سواد في بياض.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ**﴾ قال: الحور: البيض قلوبهم وأنفسهم وأبصارهم.

وأما قوله: ﴿**مَقْصُورَاتٌ**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: تأويله أنهنّ قُصِرْن على أزواجهنّ، فلا يبغين بهم بدلاً، ولا يرفعن أطرافهنّ إلى غيرهم من الرجال.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد: ﴿**مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ**﴾ قال: قُصِر طرفهنّ وأنفسهنّ على أزواجهنّ.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**مَقْصُورَاتٌ**﴾ قال: قُصِر طرفهنّ على أزواجهنّ فلا يردن غيرهم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، ﴿**مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ**﴾ قال: قَصَرْن أنفسَهنّ وأبصارهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا عبيد الله وابن اليمان، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿**مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ**﴾ قال: قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد ﴿**مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ**﴾ قال: قصرن أنفسهنّ وقلوبهنّ وأبصارهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ**﴾ قال: قصر طرفهنّ على أزواجهنّ فلا يردن غيرهم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن منصور عن مجاهد، قوله: ﴿**مَقْصُورَاتٌ**﴾ قال: مقصورات على أزواجهنّ فلا يردن غيرهم.

وقال آخرون: عُنِي بذلك أنهنّ محبوسات في الحِجال.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ**﴾ قال: محبوسات في الخيام.

حدثنا جعفر بن محمد البزوري، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي جعفر، عن الربيع، بمثله.

حدثنا أبو هشام الرفاعيّ، قال: ثنا أبو نعيم، عن إسرائيل، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ قال: محبوسات.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، قال: أخبرنا أبو معشر السندي، عن محمد بن كعب، قال: محبوسات في الحِجال.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ﴾ قال: لا يبرحن الخيام.

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، قال: ثنا عثام بن عليّ، عن إسماعيل، عن أبي صالح، في قوله: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ﴾ قال: عَذارَى الجنة.

حدثنا أبو كُرَيب وأبو هشام قالا: ثنا عثام بن عليّ، عن إسماعيل، عن أبي صالح، مثله.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ قال: المحبوسات في الخيام لا يخرجن منها.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ﴾ قال: محبوسات، ليس بطوّافات في الطرق.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وصفهنّ بأنهنّ مقصورات في الخيام والقصر: هو الحبس ولم يخصص وصفهنّ بأنهنّ محبوسات على معنى من المعنيين اللذين ذكرنا دون الآخر بل عمّ وصفهنّ بذلك. والصواب أن يعمّ الخبر عنهنّ بأنهنّ مقصورات في الخيام على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم، كما عمّ ذلك.

وقوله: ﴿فِي الخِيامِ﴾ يعني بالخيام: البيوت، وقد تسمي العرب هوادج النساء خياماً ومنه قول لبيد:

شاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... فَتَكَنَّسُوا قُطُنا تُصِرُّ خِيامُها[1]

---

(١) هذا البيت للبيد، قاله أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ١٧٤ ـ ١) أنشده عند قوله تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ قال: الحوراء: الشديدة بياض العين، الشديدة سواد العين. مقصورات: أي خدرت في الخيام. والخيام: البيوت. والهوادج أيضاً خيام، قال لبيد:

شاقتك ظعن الحي يوم تحملت ... قد كنست قطنا تصر خيامها

هذه رواية أبي عبيدة للبيت. =

وأما في هذه الآية فإنه عُنِيَ بها البيوت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى، عن سعيد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا عبد الملك بن ميسرة، عن أبي الأحوص، عن عبد الله ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾ قال: الدرّ المجوّف.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا شعبة، عن عبد الملك، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، مثله.

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعيّ، قال: ثنا فضيل بن عياش، عن هشام، عن محمد، عن ابن عباس في قوله: ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾ قال: الخيمة لؤلؤة أربعة فراسخ في أربعة فراسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا أبو نعيم، عن إسرائيل، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿**فِي الْخِيَامِ**﴾ قال: بيوت اللؤلؤ.

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسيّ، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا إدريس الأودي، عن شمر بن عطية، عن أبي الأحوص، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أتدرون ما حور مقصورات في الخيام؟ الخيام: درّ مجوّف.

قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا مسعر، عن عبد الملك، عن أبي الأحوص، في قوله: ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾ قال: درّ مجوّف.

وبه عن أبي الأحوص قال: الخيمة: درّة مجوّفة فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا همام، عن قتادة، عن عكرِمة، عن ابن عباس، قال: الخيمة في الجنة من درّة مجوّفة، فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع.

حدثني أحمد بن المقدام، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت أبي يحدّث، عن قتادة، عن

= وأما روايته في شرحي الزوزني والتبريزي للمعلقات، فهي كرواية المؤلف في «تحملوا»، «تكنست» ومعنى شاقتك دعتك إلى الشوق إليها. والظعن: النساء اللواتي في الهوادج، وأصله الظعن، بضمتين. وهو جمع ظعينة، وهي المرأة الظاعنة مع زوجها، ثم يقال لها وهي في بيتها: تلاحظ احتمالاً: ظعنية، وقد تجمع على الظعائن. وتحملوا ارتحلوا بأحمالهم. وتكنسوا: دخلوا في الهوادج، وأصله دخول الكناس، والاستكنان به. والقطن؛ جمع قطين، وهم الجماعة، والقطن أيضاً الحشم، والعبيد، والعيال. والصرير: صوت الباب والرحل وغير ذلك، يقول: حننت إلى نساء الحي، يوم ارتحل الحي، ودخلوا في الكنس، أي الهوادج وكانت خيامهم تصر لجدتها، وتعجلهم في سيرهم انظر شرحي الزوزني والتبريزي على المعلقات ا هـ.

خليد العصريّ قال: لقد ذكر لي أن الخيمة لؤلؤة مجوّفة لها سبعون مِصْراعاً، كلّ ذلك من درّ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جُبير أنه قال: الخيام: درّ مجوّف.

قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: الخيام: درّ مجوّف.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا وكيع ويعلى عن منصور، عن مجاهد: في الخيام: قال: الدرّ المجوف.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد **﴿فِي الخِيامِ﴾** قال: خيام درّ مجوّف.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن حرب بن بشير، عن عمرو بن ميمون، قال: الخيام: الخيمة: درّة مجوّفة.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا وكيع، عن سَلَمة بن نُبَيط، عن الضحاك، قال: الخيمة: درّ مجوّفة.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا ابن اليمان، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب **﴿فِي الخِيامِ﴾**: في الحجال.

قال: ثنا عبيد الله وابن اليمان، عن أبي جعفر، عن الربيع **﴿فِي الخِيامِ﴾** قال: في الحجال.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن عمرو بن أبي قيس، عن منصور، عن مجاهد: **﴿في الخِيامِ﴾** قال: خيام اللؤلؤ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿فِي الخِيامِ﴾** الخيام اللؤلؤ والفضة، كما يقال والله أعلم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ﴾** ذُكر لنا أن ابن عباس كان يقول: الخيمة درّ مجوّفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف باب من ذهب.

وقال قتادة: كان يقال: مسكن المؤمن في الجنة، يسير الراكب الجواد فيه ثلاث ليال وأنهاره

وجنانه وما أعدّ الله له من الكرامة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال ابن عباس: الخيمة: درّة مجوّفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف باب من ذهب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ**﴾ قال يقال: خيامهم في الجنة من لؤلؤ.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿**مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ**﴾ قال: الخيام: الدرّ المجوّف.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثني جِرْميّ بن عمارة، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عمارة، عن أبي مجلز أن رسول الله ﷺ قال في قول الله: ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ**﴾ قال: «دُرّ مُجَوّفٌ».

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول كان ابن مسعود يحدّث، عن نبيّ الله ﷺ أنه قال: «هِيَ الدُّرّ المُجَوَّفُ» يعني الخيام في قوله: ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ**﴾.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ**﴾ قال: في خيام اللؤلؤ.

وقوله: ﴿**فَبِأيّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ يقول: فبأيّ نعم ربكما التي أنعم عليكما من الكرامة بإثابة محسنكم هذه الكرامة تكذّبان.

وقوله: ﴿**لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانّ**﴾ يقول تعالى ذكره: لم يمسهنّ بنكاح فيدميهن إنس قبلهم ولا جانّ.

وقرأت قرّاء الأمصار ﴿**لَمْ يَطْمِثْهُنَّ**﴾ بكسر الميم في هذا الموضع وفي الذي قبله. وكان الكسائي يكسر إحداهما، ويضمّ الأخرى.

والصواب من القراءة في ذلك: ما عليه قرّاء الأمصار لأنها اللغة الفصيحة، والكلام المشهور من كلام العرب.

وقوله: ﴿**فَبِأيّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نِعَم ربكما التي أنعم عليكم بها مما وصف تكذبان.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ

رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ينعم هؤلاء الذين أكرمهم جلّ ثناؤه هذه الكرامة التي وصفها في هذه الآيات في الجنتين اللتين وصفهما ﴿مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى الرفرف، فقال بعضهم: هي رياض الجنة، واحدتها: رفرفة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَير أنه قال في هذه الآية ﴿مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قال: رياض الجنة.

حدثنا عباس بن محمد، قال: ثنا أبو نوح، قال: أخبرنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَير، مثله.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا سعيد بن جُبَير، في قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قال: الرفرف: رياض الجنة.

وقال آخرون: هي المحابس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ يقول: المحابس.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قال: الرفرف: فضول المحابس والبسط.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قال: هي البسط أهل المدينة يقولون: هي البسط.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سلمة بن كُهيل الحضرميّ، عن رجل يقال له غزوان ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قال: فضول المحابس.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن هارون، عن عنترة، عن أبيه، قال: فضول الفُرُش والمحابس.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن مروان، في قوله: ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قال: فضول المحابس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ

خُضرٍ﴾ قال: الرفرف الخضر: المحابس.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قال: محابس خضر.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿رَفْرَفٍ خُضرٍ﴾ قال: هي المحابس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ على رَفرَفٍ خُضرٍ﴾ قال: الرفرف: المحابس.

وقال آخرون: بل هي المرافق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن: الرفرف: مرافق خُضر، وأما العبقريّ، فإنه الطنافس الثخان، وهي جماع، واحدها: عبقرية. وقد ذُكر أن العرب تسمي كل شيء من البسط عبقرياً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وعَبقَرِيّ حِسانٍ﴾ قال: الزرابيّ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿وعَبْقَرِيّ حِسانٍ﴾ قال: العبقريّ: الزرابيّ الحسان.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَير، في قوله: ﴿عَبقَرِيّ حِسانٍ﴾ قال: العبقريّ: عتاق الزرابيّ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: العبقريّ. الزرابيّ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان، قال: ثنا أبو العوّام، عن قتادة ﴿عَبقَرِيّ حِسانٍ﴾ قال: الزرابيّ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وعَبقَرِيّ حِسانٍ﴾ قال: زرابيّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَعَبقَرِيّ حِسانٍ﴾ قال: العبقريّ: الطنافس.

وقال آخرون: العبقريّ: الديباج.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مجاهد ﴿**وَعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ**﴾ قال: هو الديباج. والقرّاء في جميع الأمصار على قراءة ذلك ﴿**على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ**﴾ بغير ألف في كلا الحرفين. وذُكر عن النبيّ ﷺ خبر غير محفوظ، ولا صحيح السند «على رَفارِفَ خُضْرٍ وعَباقِرِيّ» بالألف والإجراء. وذُكر عن زُهير الفرقبي أنه كان يقرأ «على رَفارِفَ خُضْرٍ» بالألف وترك الإجراء «وَعَباقِرِيّ حِسانٍ» بالألف أيضاً، وبغير إجراء. وأما الرفارف في هذه القراءة، فإنها قد تحتمل وجه الصواب. وأما العباقريّ، فإنه لا وجه له في الصواب عند أهل العربية، لأن ألف الجماع لا يكون بعدها أربعة أحرف، ولا ثلاثة صحاح. وأما القراءة الأولى التي ذُكرت عن النبيّ ﷺ، فلو كانت صحيحة، لوجب أن تكون الكلمتان غير مجراتين.

وقوله: ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نِعم ربكما التي أنعم عليكم من إكرامه أهل الطاعة منكم هذه الكرامة تكذّبان.

وقوله: ﴿**تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ**﴾ يقول تعالى ذكره: تبارك ذكر ربك يا محمد ﴿**ذي الجَلالِ**﴾ يعني ذي العظمة ﴿**والإكْرَامِ**﴾ يعني: ومن له الإكرام من جميع خلقه. كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ذِي الجَلالِ والإكْرَامِ**﴾ يقول: ذو العظمة والكبرياء.

آخر تفسير سورة الرحمن عزّ وجلّ

(٥٦) سورة الواقعة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ﴾: إذا نزلت صيحة القيامة، وذلك حين يُنفخ في الصور لقيام الساعة. كما:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿إِذَا وَقَعتِ الوَاقِعَةُ﴾ يعني: الصيحة.

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةِ﴾ الواقعة والطامة والصاخة، ونحو هذا من أسماء القيامة، عظّمه الله، وحذّره عباده.

وقوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ﴾ يقول تعالى: ليس لوقعة الواقعة تكذيب ولا مردودية ولا مثنوية، والكاذبة في هذا الموضع مصدر، مثل العاقبة والعافية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ﴾: أي ليس لها مثنوية، ولا رجعة، ولا ارتداد.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ﴾ قال: مثنوية.

وقوله: ﴿خافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: الواقعة حينئذٍ خافضة، أقواماً كانوا في الدنيا، أعزّاء إلى نار الله.

وقوله: ﴿رَافِعَةٌ﴾ يقول: رفعت أقواماً كانوا في الدنيا وُضَعاء إلى رحمة الله وجنته. وقيل: خفضت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى. ذكر من قال في ذلك ما قلنا:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله، يعني العَتَكيّ، عن عثمان بن عبد الله بن سُراقة ﴿خافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ قال: الساعة خفضت أعداء الله إلى النار، ورفعت أولياء الله إلى الجنة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿خافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ يقول: تخللت كلّ سهل وجبل، حتى أسمعت القريب والبعيد، ثم رفعت أقواماً في كرامة الله، وخفضت أقواماً في عذاب الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿خافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ قال: أسمعت القريب والبعيد، خافضة أقواماً إلى عذاب الله، ورافعة أقواماً إلى كرامة الله.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرِمة، قوله: ﴿خافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ قال: خفضت وأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى قال: فكان القريب والبعيد من الله سواء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿خافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ قال: سمَّعت القريب والبعيد.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿خافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ خفضت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الأقصى، فكان فيها القريب والبعيد سواء.

وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾ يقول تعالى ذكره: إذا زلزلت الأرض فحرّكت تحريكاً من قولهم السهم يرتجّ في الغرض، بمعنى: يهتزّ ويضطرب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾ يقول: زلزلها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قول الله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾ قال: زلزلت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا**﴾ يقول: زلزلت زلزلة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**إذا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا**﴾ قال: زلزلت زلزالاً.

وقوله: ﴿**وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا**﴾ يقول تعالى ذكره: فتتت الجبال فتاً، فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول، كما قال جلّ ثناؤه: وكانَتِ الجِبالُ كَثِيباً مَهِيلاً والبسيسة عند العرب: الدقيق والسويق تُلَتُّ وتُتَخَذُ زاداً.

وذُكر عن لصّ من غَطَفان أنه أراد أن يخبز، فخاف أن يعجل عن الخبز قبل الدقيق وأكله عجيناً، وقال:

لا تَـخْـبِـزَا خَـبْـزاً وبُـسَّـا بَـسَّـا
مَـلْـسـاً بِـذَوْدِ الـحَـلَـسِـيّ مَـلْـسـا(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) هذا الشاهد من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ١٧٤ ـ ب) عند قوله تعالى: ﴿وبست الجبال بساً﴾ قال: مجازها كمجاز السويق المبسوس، أي المبلول والعجين. قال لص من غطفان وأراد أن يخبز، فخاف أن يعجل عن الخبز قبل الدقيق، فأكله عجيناً، فقال: «لا تخبزا خبزاً وبسا بسا» ا هـ. وفي «**اللسان**» ملس والملس: السوق الشديد. وفي بس: وقال ثعلب: معنى: وبست الجبال بسا: خلطت بالتراب. وقال بعضهم: فتتت. وقال بعضهم: سويت ا هـ. ولم يورد أبي عبيدة البيت الثاني وأنشد صاحب «**اللسان**» البيت الأول، وجاء بعده ببيت آخر، وهو:

ولا تـطـيـلا بـمـنـاخ حـبـسـا

وأنشد في «ملس» البيت الثاني قال: والملس: السوق الشديد. يقال ملست بالإبل أملس (من باب قتل) ملساً: إذا سقتها سوقاً في خفية، قال الراجز:

مـلـسـا يـذود الـحـلـسـي مـلـسـاً

وقال ابن الأعرابي: الملس: ضرب من السير الرقيق. والملس: اللين من كل شيء. ا هـ.
وأنشد الفراء في «**معاني القرآن**» البيتين كرواية المؤلف. وقال (الورقة ٣٢٢) «وبست الجبال بساً»: صارت كالدقيق، وذلك قوله «وسيرت الجبال». وسميت العرب تنشد:

«لا تـخـبـزا خـبـزاً...... الـبـيـتـيـن».

والبسيسة عندهم: الدقيق أو السويق، يليت ويتخذ زاداً ا هـ. وفي النوادر لأبي زيد بيروت (١١).

مـعـلْـسـا بِـذَوحـدِ الـحُـمَـسِـيِّ مَـلْـسـا مِـنْ غَـدْوَةٍ حـتـى كـأنَّ الـشَّـمْـسـا
بـالأُفُـقِ الـغَـرْبِـيّ تُـطْـلَـى وَرَسَـا

قال أبو زيد: الملس: السير الشديد. قال أبو حاتم: وأقول أنا لا عن أبي زيد: الملس السير السريع السهل. وقوله «تطلى ورساً قد اصفرت للغروب» ا هـ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَبُسَّت الجِبالُ بَسًّا﴾** يقول: فتتت فتاً.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا﴾** قال: فتتت.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا﴾** قال: كما يبس السويق.

حدثني أحمد بن عمرو البصريّ، قال: ثنا حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة **﴿وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا﴾** قال: فُتَّتْ فتاً.

حدثني إسماعيل بن موسى بن بنت السديّ، قال: أخبرنا بشر بن الحكم الأحمسيّ، عن سعيد بن الصلت، عن إسماعيل السديّ وأبي صالح **﴿وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا﴾** قال: فُتتت فتاً.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد **﴿وَبُسَّتِ الجِبالِ بَسًّا﴾** قال: كما يبس السويق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: **﴿وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا﴾** قال: صارت كثيباً مهيلاً كما قال الله.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا﴾** قال: فُتتت فتاً.

وقوله: **﴿فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا﴾** اختلف أهل التأويل في معنى الهباء، فقال بعضهم: هو شعاع الشمس الذي يدخل من الكوّة كهيئة الغبار.

ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: **﴿فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا﴾** يقول: شعاع الشمس.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد **﴿هَباءً مُنْبَثًّا﴾** قال: شعاع الشمس حين يدخل من الكوّة.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿**فَكَانَتْ هَبَاءً مُنبَثًّا**﴾ قال: شعاع الشمس يدخل من الكوّة، وليس بشيء.

وقال آخرون: هو رهج الدوابّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليّ رضي الله عنه، قال: رهج الدوابّ.

وقال آخرون: هو ما تطاير من شرر النار الذي لا عين له.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنبَثًّا﴾ قال: الهباء: الذي يطير من النار إذا اضطرمت، يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئاً.

وقال آخرون: هو يبيس الشجر الذي تذروه الرياح.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿**فَكَانَتْ هَبَاءً مُنبَثًّا**﴾ كَيبيس الشجر، تذروه الرياح يميناً وشمالاً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**هَبَاءً مُنبَثًّا**﴾ يقول: الهباء: ما تذروه الريح من حطام الشجر.

وقد بيَّنا معنى الهباء في غير هذا الموضع بشواهده، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وأما قوله: ﴿مُنبَثًّا﴾ فإنه يعني متفرّقاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: وكنتم أيها الناس أنواعاً ثلاثة وضروباً. كما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وكُنْتُمْ أزْوَاجاً ثَلاثَةً**﴾ قال: منازل الناس يوم القيامة.

وقوله: ﴿**فأصحَابُ المَيمَنَةِ ما أصحَابُ المَيمَنَةِ**﴾ وهذا بيان من الله عن الأزواج الثلاثة، يقول، جل ثناؤه: وكنتم أزواجاً ثلاثة: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون، فجعل الخبر عنهم، مغنياً عن البيان عنهم، على الوجه الذي ذكرنا، لدلالة الكلام على معناه، فقال: ﴿**فأصحَابُ المَيمَنَةِ ما أصحَابُ المَيمَنَةِ**﴾ يعجّب نبيه محمداً منهم، وقال: ما أصحَابُ اليَمِينِ الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، أيّ شيء أصحاب اليمين ﴿**وأصحَابُ المَشأَمَةِ ما أصحَابُ المَشأَمَةِ**﴾ يقول تعالى ذكره: وأصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، والعرب تسمي اليد اليسرى: الشُّؤمى ومنه قول أعشى بني ثعلبة:

فأنْحَى على شُؤمَى يَدَيهِ فَذادَها ... بأظْمأَ مِنْ فَرْعِ الذُّؤَابَةِ أسْحَما[1]

وقوله: ﴿**والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**﴾ وهم الزوج الثالث وهم الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله، وهم المهاجرون الأوّلون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله، يعني العتكي، عن عثمان بن عبد الله بن سُراقة، قوله: ﴿**وكُنْتُمْ أزْوَاجاً ثَلاثَةً**﴾ قال: اثنان في الجنة وواحد في النار، يقول: الحور العين للسابقين، والعُرُب الأتراب لأصحاب اليمين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وكُنْتُمْ أزْوَاجاً ثَلاثَةً**﴾ قال: منازل الناس يوم القيامة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿**وكُنْتُمْ أزْوَاجاً ثَلاثَةً فأصحَابُ المَيمَنَةِ ما أصحَابُ المَيمَنَةِ وأصحَابُ المَشأَمَةِ ما أصحَابُ المَشأَمَةِ والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ. .**﴾ إلى ﴿**ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ**﴾ فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٢٩٥) من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطابي. ورويت في مدح قيس بن معدي كرب. وأنحى: اعتمد، يقال: أنحى البعير: اعتمد في سيره على أيسره. واليد الشؤمي: اليسرى. وأظمأ: أسمر ذابل. والفرع: الشعر. والذؤابة: شعر الناصية. وأسحم: أسود يصف ثوراً اجتمعت عليه كلاب الصيد، فذادها عنه بقرنه الذابل المحدد، وهو أشد سواداً من خصلة الشعر. والشاهد في قوله: شؤمي يديه أي يسراهما. وقال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» عند قوله تعالى: ﴿وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ أصحاب الميسرة، ويقال لليد اليسرى: الشؤمى؛ ويقال: هو الجانب الأيسر. وسميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة، والشأم أنها عن شمال الكعبة ا هـ.

«سَوَّى بَيْنَ أصحَابِ اليَمِينِ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ، وَبَيْنَ أصحَابِ اليَمِينِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّة، وكانَ السَّابِقُونَ مِنَ الأُمَمِ أَكْثَرُ مِنْ سَابِقِي هَذِهِ الأُمَّةِ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ**﴾: أي ماذا لهم، وماذا أعدّ لهم ﴿**وأصحَابُ المَشأَمَةِ ما أصحَابُ المَشأَمَةِ**﴾: أي ماذا لهم وماذا أعدّ لهم ﴿**والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**﴾: أي من كلّ أمة.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد يقول: وجدت الهوى ثلاثة أثلاث، فالمرء يجعل هواه علمه، فيديل هواه على علمه، ويقهر هواه علمه، حتى إن العلم مع الهوى قبيح ذليل، والعلم ذليل، الهوى غالب قاهر، فالذي قد جعل الهوى والعلم في قلبه، فهذا من أزواج النار، وإذا كان ممن يريد الله به خيراً استفاق واستنبه، فإذا هو عون للعلم على الهوى حتى يديل الله العلم على الهوى، فإذا حسُنت حال المؤمن، واستقامت طريقته كان الهوى ذليلاً، وكان العلم غالباً قاهراً، فإذا كان ممن يريد الله به خيراً، ختم عمله بإدالة العلم، فتوفاه حين توفاه، وعلمه هو القاهر، وهو العامل به، وهواه الذليل القبيح، ليس له في ذلك نصيب ولا فعل. والثالث: الذي قبح الله هواه بعلمه، فلا يطمع هواه أن يغلب العلم، ولا أن يكون معه نصف ولا نصيب، فهذا الثالث، وهو خيرهم كلهم، وهو الذي قال الله عزّ وجلّ في سورة الواقعة: ﴿**وكُنْتُمْ أزوَاجاً ثَلاثَةً**﴾ قال: فزوجان في الجنة، وزوج في النار، قال: والسابق الذي يكون العلم غالباً للهوى، والآخر: الذي ختم الله بإدالة العلم على الهوى، فهذان زوجان في الجنة، والآخر: هواه قاهر لعلمه، فهذا زوج النار.

واختلف أهل العربية في الرافع أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، فقال بعض نحويي البصرة: خبر قوله: ﴿**فأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَة وأصحَابُ المَشأَمَةِ ما أصحَابُ المَشأَمَةِ**﴾ قال: ويقول زيد: ما زيد، يريد: زيد شديد. وقال غيره: قوله: ﴿**ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ**﴾ لا تكون الجملة خبره، ولكن الثاني عائد على الأوّل، وهو تعجب، فكأنه قال: أصحاب الميمنة ما هم، والقارعة ما هي، والحاقة ما هي؟ فكان الثاني عائد على الأوّل، وكان تعجباً، والتعجب بمعنى الخبر، ولو كان استفهاماً لم يجز أن يكون خبراً للابتداء، لأن الاستفهام لا يكون خبراً، والخبر لا يكون استفهاماً، والتعجب يكون خبراً، فكان خبراً للابتداء. وقوله: زيد وما زيد، لا يكون إلا من كلامين، لأنه لا تدخل الواو في خبر الابتداء، كأنه قال: هذا زيد وما هو: أي ما أشدّه وما أعلمه.

واختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله: ﴿**والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**﴾ فقال بعضهم: هم الذين صلوا للقبلتين.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خارجة، عن قرة، عن ابن سيرين

﴿والسَّابقون السَّابِقُونَ﴾ الذين صلوا للقبلتين. وقال آخرون في ذلك بما:

حدثني به عبد الكريم بن أبي عمير، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا أبو عمرو، قال: ثنا عثمان بن أبي سودة، قال: ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أوّلهم رواحاً إلى المساجد، وأسرعهم خفوقاً في سبيل الله.

والرفع في السابقين من وجهين: أحدهما: أن يكون الأوّل مرفوعاً بالثاني، ويكون معنى الكلام حينئذٍ والسابقون الأوّلون، كما يقال: السابق الأوّل، والثاني أن يكون مرفوعاً بأولئك المقرّبون يقول جلّ ثناؤه: أولئك الذين يقرّبهم الله منه يوم القيامة إذا أدخلهم الجنة.

وقوله: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ يقول: في بساتين النعيم الدائم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١)﴾.

يقول تعالى ذكره: جماعة من الأمم الماضية، وقليل من أمة محمد ﷺ، وهم الآخرون وقيل لهم الآخرون: لأنهم آخر الأمم ﴿على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ يقول: فوق سُرر منسوجة، قد أدخل بعضها في بعض، كما يوضن حلق الدرع بعضها فوق بعض مضاعفة ومنه قول الأعشى:

وَمِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً ... تُساقُ مَعَ الحَيِّ عِيْراً فَعِيْرَا[1]

---

(١) وهذا البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٩٩) من قصيدة يمدح بها هوذة بن علي الحنفي. وقبل البيت:

وأعْدَدْتَ لِلْحَرْبِ أوْزارَها ... رِماحاً طِوَالاً وَخَيْلاً ذُكُورا

وأوزار الحرب: عدتها، ودرع موضونة منسوج بعضها على بعض، وتساق مع الحي: تحمل. يقول: أعددت للحرب عدتها، من الرماح الطوال، والخيل الجياد والدروع الكثيفة التي نسجت نسجاً مضاعفاً، تحمل فوق الجمال، عيرا من ورائها عير. وقال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ١٧٤ ـ ب) عند قوله تعالى: ﴿**على سرر موضونة**﴾ بعضها على بعض، مداخلة كما توضن حلق الدرع بعضها في بعض مضاعفة. وقال الأعشى:

«ومن نسج داود..... البيت»

والوضين: البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفا، كالحلق حلق الدروع، فهو وضين، وضع في موضع موضون، كما يقولون قتيل في موضع مقتول قال:

إليك تعدو قلقاً وضينها

ومنه وضين الناقة، وهو البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفاً كالحلق حلق الدرع. وقيل: وضين، وإنما هو موضون، صرف من مفعول إلى فعيل، كما قيل: قتيل لمقتول. وحُكي سماعاً من بعض العرب أزيار الآجرّ موضون بعضها على بعض، يراد مشرج صفيف.

وقيل: إنما قيل لها سُرر موضونة، لأنها مشبكة بالذهب والجوهر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿**على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ**﴾ قال: مرمولة بالذهب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الحصين، عن مجاهد ﴿**على سُرُر مَوْضُونَةٍ**﴾ قال: مرمولة بالذهب.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ**﴾ قال: يعني الأسرة المرملة.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن حصين، عن مجاهد، قال: الموضونة: المرملة بالذهب.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد، عن عكرِمة، قوله: ﴿**على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ**﴾ قال: مشبكة بالدرّ والياقوت.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**مَوْضُونَةٍ**﴾ قال: مرمولة بالذهب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**على سُرُرٍ مَوْضُونَةَ**﴾ والموضونة: المرمولة، وهي أوثر السرر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة، في قوله: ﴿**مَوْضُونَةٍ**﴾ قال مرمولة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، في قوله: ﴿**على سُرُرٍ مَوْضُونَةَ**﴾ قال: مرملة مشبكة.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ**﴾ الوضن: التشبيك والنسج، يقول: وسطها مشبك منسوج.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ**﴾ الموضونة: المرمولة بالجلد ذاك الوضين منسوجة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنها مصفوفة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ**﴾ يقول: مصفوفة.

وقوله: ﴿**مُتَّكِئِينَ عليها مُتَقابِلِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره متكئين على السُّرر الموضونة، متقابلين بوجوههم، لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض. كما:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**على سُرُرٍ متَقابِلينَ**﴾ قال: لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «مُتَّكِئِينَ عَلَيْها ناعِمِينَ».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن أبي إسحاق، في قراءة عبد الله، يعني ابن مسعود «مُتَّكِئِينَ عَلَيْها ناعِمِينَ».

وقد بينا ذلك في غير هذا الموضع، وذكرنا ما فيه من الرواية.

وقوله: ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: يطوف على هؤلاء السابقين الذين قرّبهم الله في جنات النعيم، ولدان على سنّ واحدة، لا يتغيرون ولا يموتون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**مُخَلَّدُونَ**﴾ قال: لا يموتون.

وقال آخرون: عنى بذلك أنهم مقرّطون مسوّرون.

والذي هو أولى بالصواب في ذلك قول من قال معناه: إنهم لا يتغيرون، ولا يموتون، لأن ذلك أظهر معنييه، والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلد، وإنما هو مفعل من الخلد.

وقوله: ﴿**بأكْوَابٍ وأبارِيقَ**﴾ والأكواب: جمع كوب، وهو من الأباريق ما اتسع رأسه، ولم يكن له خرطوم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**بأكواب**﴾ قال: الأكواب: الجرار من الفضة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**بأكْوَابٍ وأبارِيقَ**﴾ قال: الأباريق: ما كان لها آذان، والأكواب ما ليس لها آذان.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: الأكواب ليس لها آذان.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سئل الحسن عن الأكواب، قال: هي الأباريق التي يصبّ لهم منها.

حدثنا أبو كُرَيب، وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي، قال: مر أبو صالح صاحب الكلبي قال: فقال أبي، قال لي الحسن وأنا جالس: سله، فقلت: ما الأكواب؟ قال: جرار الفضة المستديرة أفواهها، والأباريق ذوات الخراطيم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**بأكْوَابٍ**﴾ قال: ليس لها عرى ولا آذان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**بأكْوَابٍ وأبارِيقَ**﴾ والأكواب التي يغترف بها ليس لها خراطيم، وهي أصغر من الأباريق.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**بأكْوَابٍ وأبارِيقَ**﴾ قال: الأكواب التي دون الأباريق ليس لها عُرىً.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: الأكواب جرار ليست لها عرى، وهي بالنبطية كوباً، وإياها عنى الأعشى بقوله:

صَرِيفِيَّةٌ طَيِّبٌ طَعْمُها لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوب ودَنّ[1]

---

(١) وهذا الشاهد كذلك لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ١٧) والصريفية: الخمر المنسوبة إلى صريفون، وهو موضع بالعراق مشهور بجودة خمره. وقيل سماها صريفية لأنها أخذت من الدن ساعتئذ كاللبن الصريف. وقيل نسبت إلى صريفين، وهو نهر يتخلج من الفرات. والصريف أيضاً: الخمر التي لم تمزج بالماء. والكوب: الكوز لا عروة له. والدن: وعاء الخمر. والزبد ما يعلو الخمر من الرغوة إذا تحركت في الدن، أو صبت من الإبريق في الكأس.

وأما الأباريق: فهي التي لها عرى.

وقوله: ﴿وكأسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ وكأس خمر من شراب معين، ظاهر العيون، جار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وكأسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾: قال الخمر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَكأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ أي من خمر جارية.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وكأسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ الكأس: الخمر.

حدثنا أبو سنان، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة، في قوله: ﴿وكأسٍ مِن مَعِينٍ﴾ قال: الخمر الجارية.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك، مثله.

وقوله: ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنها﴾ يقول: لا تصدع رؤوسهم عن شربها فتسكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني إسماعيل بن موسى السديّ، قال: أخبرنا شريك، عن سالم، عن سعيد، قوله: ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنها﴾ قال: لا تصدّع رؤوسهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنها﴾ ليس لها وجع رأس.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنها﴾ قال: لا تصدّع رؤوسهم.

حدثنا ابن حمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنها﴾ يقول: لا تصدّع رؤوسهم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنها﴾ يعني: وجع الرأس.

وقوله: ﴿وَلا يُنْزِفُونَ﴾ اختلفت القرّاء في قراءته، فقرأت عامة قرّاء المدينة والبصرة «يُنْزَفُونَ» بفتح الزاي، ووجهوا ذلك إلى أنه لا تنزف عقولهم. وقرأته عامة قرّاء الكوفة ﴿لا يُنْزِفُونَ﴾ بكسر الزاي بمعنى: ولا ينفد شرابهم.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب فيها الصواب.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على نحو اختلاف القرّاء فيه. وقد ذكرنا اختلاف أقوالهم في ذلك، وبيّنا الصواب من القول فيه في سورة الصافات، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع، غير أنا سنذكر قول بعضهم في هذا الموضع لئلا يظنّ ظانّ أن معناه في هذا الموضع مخالف معناه هنالك. ذكر قول من قال منهم: معناه لا تنزف عقولهم.

حدثنا إسماعيل بن موسى، قال: أخبرنا شريك، عن سالم، عن سعيد ﴿وَلا يُنْزِفُونَ﴾ قال: لا تنزف عقولهم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَلا يُنْزِفُونَ﴾ قال: لا تنزف عقولهم.

وحدثنا ابن حميد، مرة أخرى فقال ولا تذهب عقولهم.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَلا يُنْزِفُونَ﴾ لا تنزف عقولهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿وَلا يُنْزِفُونَ﴾ قال: لا يغلب أحد على عقله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، في قوله: ﴿وَلا يُنْزِفُونَ﴾ قال: لا يغلب أحد على عقله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة في قول الله: ﴿وَلا يُنْزِفُونَ﴾ قال: لا تغلب على عقولهم.

وقوله: ﴿وَفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويطوف هؤلاء الولدان المخلدون على هؤلاء السابقين بفاكهة من الفواكه التي يتخيَّرونها من الجنة لأنفسهم، وتشتهيها نفوسهم ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ يقول: ويطوفون أيضاً عليهم بلحم طير مما يشتهون من الطير الذي تشتهيه نفوسهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا (٢٦)﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وحُورٌ عِينٌ﴾ فقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض المدنيين «وحُورٍ عِينٍ» بالخفض اتباعاً لإعرابها إعراب ما قبلها من الفاكهة واللحم، وإن كان ذلك مما لا يُطاف به، ولكن لما كان معروفاً معناه المراد أتبع الآخر الأوّل في الإعراب، كما قال بعض الشعراء:

إذَا مَا الغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْماً وَزَجَّجْنَ الحَوَاجِبَ والعُيُونا[1]

فالعيون تكَحَّل، ولا تزجَّج إلا الحواجب، فردّها في الإعراب على الحواجب، لمعرفة السامع معنى ذلك وكما قال الآخر:

---

(١) هذا الشاهد من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٢٣) وتقدم الكلام عليه مع الشاهد:

«ورأيت زوجك الوغى..... البيتين».

وفي «اللسان» زجج وزججت المرأة حاجبها بالمزج: دققته وطولته. وقيل: أطالته الإثمد. وقوله:

إذا ما الغانيات...... البيت»

إنما أراد: وكحلن العيونا، كما قال:

شراب ألبان وتمر وأقط

أراد: وآكل تمر وأقط، ومثله كثير.

وقال الشاعر:

«علفتها تبنا...... البيت»

أو وسقيتها ماء بارداً. يريد أن ما جاء من هذا، فإنما يجيء على إضمار فعل آخر يصح المعنى عليه. ومثله قول الآخر:

«يا ليت زوجك.... البيت».

تقديره؛ وحاملا رمحاً. قال ابن بري ذكر الجوهري عجز بيت على زججت المرأة حاجبيها:

وزججن الحواجب والعيونا

قال: هو للراعي وصوابه: يزججن. وصدره:

وهِزَّةِ نَشْوَةٍ مِنْ حَيِّ صِدْقٍ يُزَجِّجْنَ الحَوَاجِبَ والعُيُونا

وبعده:

أَنَخْنَ جِمَالَهُنَّ بذَاتِ غِسْلٍ سَرَاةَ اليَوْمِ يَمْهَدْنَ الكُدُونا

ذات غسل: موضع. ويمهدن: يوطئن. والكدون: جمع كدن، وهو ما توطىء به المرأة مركبها، من كساء ونحوه.

تَسْمَعُ لِلأَحْشَاءِ مِنْهُ لَغَطَا ولِلْيَدَيْنِ جُسْأَةً وَبَدَدَا[1]

والجسأة: غلظ في اليد، وهي لا تُسمع.

وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة ومكة والكوفة وبعض أهل البصرة بالرفع ﴿وحُورٌ عِينٌ﴾ على الابتداء، وقالوا: الحور العين لا يُطاف بهنّ، فيجوز العطف بهنّ في الإعراب على إعراب فاكهة ولحم، ولكنه مرفوع بمعنى: وعندهم حور عين، أو لهم حور عين.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء مع تقارب معنييهما، فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب. والحور جماعة حَوْراء: وهي النقية بياض العين، الشديدة سوادها. والعين: جمع عيناء، وهي النجلاء العين في حُسن.

وقوله: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ﴾ يقول: هنّ في صفاء بياضهنّ وحسنهن، كاللؤلؤ المكنون الذي قد صين في كِنّ.

وقوله: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثواباً لهم من الله بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا، وعوضاً من طاعتهم إياه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام الرفاعيّ، قال: ثنا ابن يمان، عن ابن عُيينة، عن عمرو، عن الحسن ﴿وحُورٌ عِينٌ﴾ قال: شديدة السواد: سواد العين، شديدة البياض: بياض العين.

قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن رجل، عن الضحاك ﴿وحُورٌ عِينٌ﴾ قال: بِيض عِين، قال: عظام الأعين.

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٣٢٣) وفي «**اللسان**» (لغط) اللغط (بسكون الغين وتحريكها): الأصوات المبهمة المختلفة، والجلبة لا تفهم. وفي «**اللسان**» جسأ جسأ الشيء يجسأ جسوءاً فهو جاسىء: صلب وخشن. وجسأت يده من العمل تجسأ جسأ: صلبت. والاسم الجسأة. مثل الجرعة. والجسأة في الدواب: يبس المعطف، ودابة جاسئة القوائم. وفي «**اللسان**» بدد وفرس أبد: بين البدد أي بعيد ما بين اليدين. وقيل هو الذي في يديه تباعد عن جنبيه، وهو البدد، وبعير أبد، وهو الذي في يديه فتل (بالتحريك) وموضع الشاهد في البيت: أنه عطف الجسأة والبدد. وهما مما يرى لا مما يسمع، على «لغطا» وهو مما يسمع، وذلك على تقدير فعل، أي وترى لليدين جسأة وبددا. كنظائره من الشواهد التي ذكرها الفراء في هذا الموضع. وفي الأصل (دئدا) في موضع (بددا) وهو من تحريف الناسخين.

حدثنا ابن عباس الدوريّ، قال: ثنا حجاج، قال: قال ابن جُرَيج، عن عطاء الخُراسانيّ، عن ابن عباس، قال: الحُور: سُود الحَدَق.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا إبراهيم بن محمد الأسلميّ، عن عباد بن منصور الباجيّ، أنه سمع الحسن البصريّ يقول: الحُور: صوالح نساء بني آدم.

قال: ثنا إبراهيم بن محمد، عن ليث بن أبي سليم، قال: بلغني أن الحور العين خُلقن من الزعفران.

حدثنا الحسن بن يزيد الطحان، قال: حدثتنا عائشة امرأة ليث، عن ليث، عن مجاهد، قال: خلق الحُور العين من الزعفران.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا عمرو بن سعد، قال: سمعت ليثاً، ثني، عن مجاهد، قال: حور العين خُلقن من الزعفران.

وقال آخرون: بل معنى قوله: ﴿حُورٌ﴾ أنهنّ يحار فيهنّ الطرف.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد ﴿**وحُورٌ عِينٌ**﴾ قال: يحار فيهنّ الطرف.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿**كأمْثالِ اللُّؤْلُؤِ**﴾ قال أهل التأويل، وجاء الأثر عن رسول الله ﷺ.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، قال: ثنا أحمد بن الفرج الصَّدَفيّ الدِّمْياطيّ، عن عمرو بن هاشم، عن ابن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أمّ سلمة، قالت: قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله ﴿**كأمْثالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ**﴾ قال: «صفاؤُهُنَّ كَصَفاءِ الدُّرّ الَّذِي فِي الأصْدَافِ الَّذِي لا تَمَسُّهُ الأيْدي».

وقوله: ﴿**لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا تأْثِيماً**﴾ يقول: لا يسمعون فيها باطلاً من القول ولا تأثيماً، يقول: ليس فيها ما يُؤثمهم.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: ﴿**لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا تَأْثِيماً**﴾ والتأثيم لا يُسمع، وإنما يُسمع اللغو، كما قيل: أكلت خبزاً ولبناً، واللبن لا يُؤكل،

فجازت إذ كان معه شيء يؤكل.

وقوله: ﴿إلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً﴾ يقول: لا يسمعون فيها من القول إلا قيلاً سلاماً: أي أسلم مما تكره. وفي نصب قوله: ﴿سَلاماً سَلاماً﴾ وجهان: إن شئت جعلته تابعاً للقيل، ويكون السلام حينئذٍ هو القيل، فكأنه قيل: لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً، إلا سلاماً سلاماً، ولكنهم يسمعون سلاماً سلاماً. والثاني: أن يكون نصبه بوقوع القيل عليه، فيكون معناه حينئذٍ: إلا قيلَ سلامٍ فإن نوّن نصب قوله: ﴿سَلاماً سَلاماً﴾ بوقوع قِيلٍ عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿وأصحَابُ اليَمِينِ﴾ وهم الذين يُؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين، الذين أُعطوا كتبهم بأيمانهم يا محمد ﴿ما أصحَابُ اليَمِينَ﴾ أيّ شيء هم وما لهم، وماذا أعدّ لهم من الخير، وقيل: إنهم أطفال المؤمنين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن معمر، قال: ثنا أبو هشام المخزوميّ، قال: ثنا عبد الواحد، قال: ثنا الأعمش، قال: ثنا عثمان بن قيس، أنه سمع زاذان أبا عمرو يقول: سمعت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ﴿وأصحَابُ اليَمِينِ ما أصحَابُ اليَمِينِ﴾ قال: أصحاب اليميين: أطفال المؤمنين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿وأصحَابُ اليَمِينِ ما أصحَابُ اليَمِينِ﴾: أي ماذا لهم، وماذا أعدّ لهم، ثم ابتدأ الخبر عما ذا أعدّ لهم في الجنة، وكيف يكون حالهم إذا هم دخلوها؟ فقال: هم ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ يعني: في ثمر سدر موقر حملاً قد ذهب شوكه.

وقد اختلف في تأويله أهل التأويل، فقال بعضهم: يعني بالمخضود: الذي قد خُضد من الشوك، فلا شوك فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ قال: خضده وقره من الحمل، ويقال: خُضِد حتى ذهب شوكه فلا شوك

فيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ قال: زعم محمد بن عكرِمة قال: لا شوك فيه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، عن عكرمة، في قوله: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ قال: لا شوك فيه.

حدثنا ابن بشار، ثنا هوذة بن خليفة، قال: ثنا عوف، عن قسامة بن زُهَير، في قوله: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ قال: خُضِد من الشوك، فلا شوك فيه.

حدثنا أبو حُمَيد الحمصي أحمد بن المغيرة، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا عمرو بن عمرو بن عبد الله الأحموسيّ، عن السفر بن نُسَير في قول الله عزّ وجلّ ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ قال: خُضِد شوكه، فلا شوك فيه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ قال: كنا نحدّث أنه المُوقَر الذي لا شوك فيه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا قتادة، في قوله: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ قال: ليس فيه شوك.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ قال: لا شوك له.

حدثنا مهران، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عكرِمة ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ قال: لا شوك فيه.

وحدثني به ابن حُمَيد مرّة أخرى، عن مهران بهذا الإسناد، عن عكرِمة، فقال: لا شوك له، وهو المُوقَر.

وقال آخرون: بل عُنِي به أنه المُوقَر حَمْلاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿مَخْضُودٍ﴾ قال: يقولون هذا الموقَرُ حَمْلاً.

حدثني محمد بن سنان القزّاز، قال: ثنا أبو حُذَيفة، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ قال: الموقَر.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ قال: الموقَر.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ يقول: مُوقَر.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ قال: ثمرها أعظم من القِلال.

وقوله: ﴿وَطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾ أما القرّاء فعلى قراءة ذلك بالحاء ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ وكذا هو في مصاحف أهل الأمصار. ورُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقرأ «وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ» بالعين.

حدثنا عبد الله بن محمد الزهريّ، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا زكريا، عن الحسن بن سعد، عن أبيه رضي الله عنه، قرأها «طَلْعٍ مَنْضُودٍ».

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثني أبي، قال: ثنا مجاهد، عن الحسن بن سعد، عن قيس بن سعد، قال: قرأ رجل عند عليّ ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ فقال عليّ: ما شأن الطلح، إنما هو: «وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ»، ثم قرأ «طَلْعُها هَضِيمٌ» فقلنا أوَ لا نحوّلُها، فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحوّل. وأما الطلح فإن المعمر بن المثنى كان يقول: هو عند العرب شجر عظام كثير الشوك، وأنشد لبعض الحُداة:

بَشَّرَها دَلِيلُها وَقالا غَداً تَرَيْنَ الطَّلْحَ والْحِبالا[1]

وأما أهل التأويل من الصحابة والتابعين فإنهم يقولون: إنه هو الموز.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا سليمان التيميّ، عن أبي

(١) هذا الشاهد من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ١٧٥ ـ ١ من المصورة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة «مراد منشلا» بالآستانة). أنشده عند قوله تعالى: ﴿وطلح منضود﴾ قال: زعم المفسرون أنه الموز. وأما العرب فالطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك. وقال الحادي:

«بشرها دليلها..... البيتين». ا هـ.

وأما الحبال بالحاء كما في رواية المؤلف فهي جمع حبل وهو الرمل المرتفع ينقاد مسافة طويلة في الأرض. وبالجيم في رواية أبي عبيدة، وهي جمع جبل. يبشر ناقته بأنها ستبلغ وطنها غداً وترى فيه ما ألفته من شجر الطلح والرمال أو الجبال.

سعيد، مولى بني رَقاشِ، قال: سألت ابن عباس عن الطلح، فقال: هو الموز.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا سليمان التيميّ، قال: ثنا أبو سعيد الرقاشيّ، أنه سمع ابن عباس يقول: الطلح المنضود: هو الموز.

حدثني يعقوب وأبو كُرَيب، قالا: ثنا ابن عُلَية، عن سليمان، قال: ثنا أبو سعيد الرَّقاشيّ، قال قلت لابن عباس: ما الطلح المنضود؟ قال: هو الموز.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: ثنا أبو سعيد الرقاشيّ، قال: سألت ابن عباس عن الطلح، فقال: هو الموز.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن التيمي، عن أبي سعيد الرقاشيّ، عن ابن عباس ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ قال: الموز.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الكلبيّ، عن الحسن بن سعيد، عن عليّ رضي الله عنه ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ قال: الموز.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن رجل من أهل البصرة أنه سمع ابن عباس يقول في الطلح المنضود: هو الموز.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ قال: موزكم لأنهم كانوا يُعجبون بوجٍّ وظلاله من طلحه وسدره.

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو حُذيفة، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، في قوله: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ قال: الموز.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوذة بن خليفة، عن عوف، عن قسامة، قال: الطلح المنضود: هو الموز.

قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة، في قول الله: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ قال: الموز.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ قال: الموز.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ كنا نحدَّث أنه الموز.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾ قال الله أعلم، إلا أن أهل اليمن يسمون الموز الطلح.

وقوله: ﴿مَنضُودٍ﴾ يعني أنه قد نُضِدَ بعضُه على بعض، وجمع بعضه إلى بعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾ قال: بعضه على بعض.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾ متراكم، لأنهم يعجبون بوجّ وظلاله من طلحه وسدره.

وقوله: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ يقول: وهم في ظلّ دائم لا تنسخه الشمس فتذهبه، وكلّ ما لا انقطاع له فإنه ممدود، كما قال لبيد:

غَلَبَ البَقاءَ وكنْتُ غيرَ مُغَلَّبٍ دَهْرٌ طَوِيلٌ دائم مَمْدُودُ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار، وقال به أهل العلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ قال: خمس مئة ألف سنة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى بني مخزوم، عن أبي هريرة، قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام، اقرأوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ فبلغ ذلك كعباً، فقال: صدق والذي أنزل التوراة على لسان موسى، والفرقان على لسان محمد، لو أن رجلاً ركب حِقَّة أو جَذَعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها، حتى يسقط هَرِماً، إن الله غرسها بيده، ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة.

---

(١) البيت للبيد نسبه إليه أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ١٧٥ ـ ب) وفي روايته: «الغراء» في موضع «البقاء» في رواية المؤلف. يقول: غلب الدهر الطويل البقاء في الدنيا ولم يكن شيء ليغلبني غير الدهر. أنشده أبو عبيدة عند قوله تعالى: ﴿وظل ممدود﴾ قال: أي لا تنسخه الشمس، دائم. يقال للدهر الممدود والعيش إذا كان لا ينقطع. قال لبيد:

«غلب البقاء.... البيت».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى لبني مخزوم، أنه سمع أبا هريرة يقول: ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: وما في الجنة من نهر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾ قال: مسيرة سبعين ألفَ سنة.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو يحيى بن سليمان، عن هلال بن عليّ، عن عبد الرحن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ سَنَةَ، اقْرَأُوا إنْ شِئْتُمْ ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن محمد، عن زياد، قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «إنَّ فِي الجَنَّة شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ، اقْرَأُوا إنْ شِئْتُمْ ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن محمد، عن زياد، قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها، وَاقْرَأُوا إنْ شِئْتُمْ ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا شعبة، عن أبي الضحى، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها، شَجَرَةُ الخُلْدِ».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت أبا الضحاك يحدّث، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها سَبْعِينَ أو مِئَةَ عامٍ، هِيَ شَجَرَةُ الخُلْدِ».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا عمران، عن قتادة، عن أنس، أن النبيّ ﷺ قال: «إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يقْطَعُها».

قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا عمران، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ، مثل ذلك.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن حماد بن سلمة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ مثله.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عبدة وعبد الرحمن، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ سَنَةٍ لا

يَقْطَعُها، وَاقْرَأُوا إنْ شِئْتُمْ قَوْلَهُ: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا فردوس، قال: ثنا ليث، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبِ فِي ظِلِّها مِئَةَ سَنَة».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا المحاربيّ، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، مثله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا خالد بن الحارث، قال: ثنا عوف، عن الحسن، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا خالد، قال: ثنا عوف، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ، وبمثله عن خلاس.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا أبو حصين، قال: كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق، يعني الضبيّ، فحدّث أبو صالح، فقال: حدثني أبو هريرة، قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً، فقال أبو صالح أتكذّب أبا هريرة، فقال: ما أكذّب أبا هريرة، ولكني أكذّبك قال: فشقّ على القرّاء يومئذٍ.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ قال: حدثنا، عن أنس بن مالك، قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها.

قال: ثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ قال قتادة: حدثنا أنس بن مالك، أن نبيّ الله ﷺ قال: «إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أنس، أن النبيّ ﷺ قال: «إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يقْطَعُها».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، مثل ذلك أيضاً.

وقوله: ﴿وَماءٍ مَسْكُوبٍ﴾ يقول تعالى ذكره وفيه أيضاً ماء مسكوب، يعني مصبوب سائل في غير أخدود. كما:

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وماءٍ مَسْكُوبٍ﴾ قال: يجري في غير أخدود.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾.

يقول ﴿وَفاكِهَةٍ كَثِيرةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره وفيها ﴿فاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ لا ينقطع عنهم شيء منها أرادوه في وقت من الأوقات، كما تنقطع فواكه الصيف في الشتاء في الدنيا، ولا يمنعهم منها، ولايحول بينهم وبينها شوك على أشجارها، أو بعدها منهم، كما تمتنع فواكه الدنيا من كثير ممن أرادها ببعدها على الشجرة منهم، أو بما على شجرها من الشوك، ولكنها إذا اشتهاها أحدهم وقعت في فيه أو دنت منه حتى يتناولها بيده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقد ذكرنا الرواية فيما مضى قبل، ونذكر بعضاً آخر منها:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة، في قوله: ﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ قال: لا يمنعه شوك ولا بعد.

وقوله: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ولهم فيها فرش مرفوعة طويلة، بعضها فوق بعض، كما يقال: بناء مرفوع. وكالذي:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن درّاج أبي السمح عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ، في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ قال: «إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمس مئة عام».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا عمرو، عن درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّ ارْتِفاعها...» ثم ذكر مثله.

وقوله: ﴿إنَّا أنْشأناهُنَّ إنْشاءً فجَعَلْناهُنَّ أبْكاراً عُرُباً﴾ يقول تعالى ذكره: إنا خلقناهن خلقاً فأوجدناهنّ قال أبو عبيدة: يعني بذلك: الحور العين اللاتي ذكرهنّ قبل، فقال: ﴿وَحُورٌ عِينٌ كأمْثالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ إنَّا أنْشأناهُنَّ إنْشاءً﴾، وقال الأخفش: أضمرهنّ ولم يذكرهنّ قبل ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً**﴾ قال: خلقناهنّ خَلقاً.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا معاوية بن هشام، عن شيبان، عن جابر الجُعفي، عن يزيد بن مرّة، عن سلمة بن يزيد، عن رسول الله ﷺ في هذه الآية ﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً**﴾ قال: «مِنَ الثَّيِّبِ والأبْكارِ».

وقوله: ﴿**فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً**﴾ يقول: فصيرناهنّ أبكاراً عذارى بعد إذ كنّ[1]. كما:

حدثنا حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن موسى بن عبيدة، عن يزيد بن أبان الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ: ﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً**﴾ قال: «عَجائِزَكُنَّ فِي الدُّنيا عُمْشاً رُمْصاً».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن موسى بن عُبيدة، عن يزيد بن أبان الرقاشيّ، عن أنس بن مالك، قال: قال النبيّ ﷺ: «إنَّا أنْشأناهُنَّ إنْشاءً قال: أنشأ عَجائِزَكُنَّ فِي الدُّنيا عُمْشاً رُمْصاً».

حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجالد، قال: ثنا محمد بن ربيعة الكلابيّ، عن موسى بن عُبيدة الرَّبَذِيّ، عن يزيد الرَّقاشيّ، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ، في قوله: ﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً**﴾ قال: «مِنْهُنَّ العَجائِزُ اللاَّتِي كُنَّ فِي الدُّنْيا عُمْشاً رُمْصاً».

حدثنا سوار بن عبد الله بن داود، عن موسى بن عبيدة الرَّبَذِيّ، عن يزيد الرَّقاشيّ، عن أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ، في قوله: ﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً**﴾ قال: «هُنَّ اللَّوَاتِي كُنَّ فِي الدُّنْيا عَجائِزَ عُمْشاً رُمْصاً».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عمرو بن عاصم، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن قتادة، عن صفوان بن محرز في قوله: ﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً**﴾ قال: فهنّ العُجز الرُّمْصُ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة، في قوله: ﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً**﴾ قال: إن منهن العُجُزَ الرُّجَّفَ، أنشأهن الله في هذا الخلق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً**﴾ قال قتادة: كان صفوان بن محرز يقول: إن منهنّ العُجُزَ الرُّجَّف، صيرهنّ الله كما تسمعون.

---

(١) لعله حذف خبر «كن» اعتماداً على التصريح به في الحديث الذي بعده؛ أي بعد إذ كن عجائز.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: قوله: ﴿**أبْكاراً**﴾ يقول: عَذَارى.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن الفرج الصَّدَفي الدِّمياطيّ، عن عمرو بن هاشم، عن ابن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمّ سلمة، زوج النبيّ ﷺ أنها قالت: قلت يا رسول الله، أخبرني عن قول الله: ﴿**إنَّا أنشأْناهُنَّ إنْشاءً فَجَعَلْناهُنَّ أبْكاراً عُرُباً أتْرَاباً لأصحَابِ اليَمِينِ**﴾ قال: «هُنَّ اللَّوَاتي قُبِضْنَ فِي الدُّنْيا عَجائِزَ رُمْصاً شُمْطاً، خَلَقَهُنَّ اللَّهُ بَعْدَ الكِبَرِ فَجَعَلَهُنَّ عَذَارَى».

حدثنا أبو عبيد الوَصَّابيّ، قال: ثنا محمد بن حمير، قال: ثنا ثابت بن عجلان، قال: سمعت سعيد بن جبير، يحدّث عن ابن عباس، في قوله: ﴿**إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً فَجَعَلْناهُنَّ أبْكاراً عُرُباً أتْرَاباً**﴾ قال: هن من بني آدم، نساءكنّ في الدنيا ينشئهنّ الله أبكاراً عذارى عرباً.

وقوله: ﴿**عُرُباً**﴾ يقول تعالى ذكره: فجعلناهنّ أبكاراً غنجات متحببات إلى أزواجهنّ يحسنّ التبعل وهي جمع، واحدهن عَرُوب، كما واحد الرسل رسول، وواحد القطف قطوف ومنه قول لبيد:

وفِـي الـحُـدُوجِ عَـرُوبٌ غـيـرُ فـاحِـشَـةٍ ... رَيَّـا الرَّوَادِفِ يَـغْـشَـى دونَـهـا الـبَـصَـرُ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا إسماعيل بن أبان، وإسماعيل بن صبيح، عن أبي إدريس، عن ثور بن زيد، عن عكرِمة، عن ابن عباس ﴿**عُرُباً أتْرَاباً**﴾ قال: المَلِقَة.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**عُرُباً**﴾ يقول: عواشق.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

(١) هذا البيت للبيد الشاعر، نسبه إليه أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ١٧٥ ـ ب) أنشده عند قوله تعالى: ﴿عربا أترابا﴾ قال: واحدها عروب، وهي الحسنة التبعل (أي المودة للزوج) قال لبيد:
«وفـي الـحـدوج. . . . الـبـيـت.
وفي الأصل: الجزوع، وهو خطأ من الناسخ. وفي القرطبي (١٧/ ٢١١) الخباء، ولا بأس بها. ورواية البيت في «**فتح القدير**» للشوكاني (٥/ ١٤٩).
رَيَّـا الـرَّوادِفِ يُـغْـشِـي ضَـوْءُهـا الـبَـصَـرَا

ابن عباس ﴿عُرُباً﴾ قال: العرب المتحببات المتودّدات إلى أزواجهنّ.

حدثني سليمان بن عبيد الله الغيلاني، قال: ثنا أيوب، قال: أخبرنا قرة، عن الحسن، قال: العرب: العاشق.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن عكرِمة، أنه قال في هذه الآية ﴿عُرُباً﴾ قال: العرب المغنوجة.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن شعبة، عن سماك بن عكرِمة قال: هي المغنوجة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا عُمارة بن أبي حفصة، عن عكرِمة، في قوله: ﴿عُرُباً﴾ قال: غنِجات.

حدثني عليّ بن الحسن الأزديّ، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن أبي إسحاق التيميّ، عن صالح بن حيان، عن أبي بريدة ﴿عُرُباً﴾ قال: الشَّكِلة بلغة مكة، والغِنجة بلغة المدينة.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، قال: سمعت إبراهيم التيمي يعني ابن الزبرقان، عن صالح ابن حيان، عن أبي يزيد بنحوه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عثمان بن بشار، عن تميم بن حذلم، قوله: ﴿عُرُباً﴾ قال: حسن تبعُّل المرأة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن عثمان بن بشار، عن تميم بن حذلم في ﴿عُرُباً﴾ قال: العَرِبة: الحسنة التبعل. قال: وكانت العرب تقول للمرأة إذا كانت حسنة التبعل: إنها لعَرِبة.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن أُسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه ﴿عُرُباً﴾ قال: حسنات الكلام.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد، قال: عواشق.

قال: ثنا ابن يمان، عن شريك، عن خصيف، عن مجاهد، وعكرِمة، مثله.

قال: ثنا ابن إدريس، عن حصين، عن مجاهد في ﴿عُرُباً﴾ قال: العرب المتحببات.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد ﴿عُرُباً﴾ قال: العرب: العواشق.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جُبير، مثله.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن غالب أبي الهُذَيل، عن سعيد بن جُبَير ﴿**عُرُباً**﴾ قال: العرب اللاتي يشتهين أزواجهنّ.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن، قال: المشتهية لبعولتهنّ.

قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا عثمان بن الأسود، عن عبد الله بن عبيد الله، قال: العرب: التي تشتهي زوجها.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن عثمان بن الأسود، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ﴿**عُرُباً**﴾ قال: العَرِبة: التي تشتهي زوجها ألا ترى أن الرجل يقول للناقة: إنها لعَرِبة؟

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**عُرُباً**﴾ قال: عُشَّقاً لأزواجهنّ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**عُرُباً أتْرَاباً**﴾ يقول: عشَّق لأزواجهنّ، يحببن أزواجهنّ حباً شديداً.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، يقول: سمعت الضحاك يقول: العُرُب: المتحببات.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**عُرُباً أتْرَاباً**﴾ قال: متحببات إلى أزواجهن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**عُرُباً**﴾ قال: العُرُب: الحسنة الكلام.

حدثنا ابن البرقيّ، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: سُئل الأوزاعيّ، عن ﴿**عُرُباً**﴾ قال: سمعت يحيى يقول: هنّ العواشق.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن الفرج الصَّدَفيّ الدِّمياطِيّ، عن عمرو بن هاشم، عن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أمّ سلمة، قالت: قلت يا رسول الله، أخبرني عن قوله: ﴿**عُرُباً أتْرَاباً**﴾ قال: «عُرُباً مُتَعَشِّقاتٍ مُتَحَبِّباتٍ، أتْرَاباً على مِيلادٍ وَاحِدٍ».

حدثني محمد بن حفص أبو عبيد الوصّابيُّ، قال: ثنا محمد بن حمير، قال: ثنا ثابت بن عجلان، قال: سمعت سعيد بن جُبَير يحدّث عن ابن عباس ﴿عُرُباً﴾ والعَرَب: الشَّوْق.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قرّاء المدينة وبعض قرّاء الكوفيين عُرُباً بضم العين والراء. وقرأه بعض قرّاء الكوفة والبصرة «عُرْباً» بضم العين وتخفيف الراء، وهي لغة تميم وبكر، والضم في الحرفين أولى القراءتين بالصواب لما ذكرت من أنها جمع عروب، وإن كان فعول أو فعيل أو فعال إذا جُمع جُمع على فُعُل بضم الفاء والعين، مذكراً كان أو مؤنثاً، والتخفيف في العين جائز، وإن كان الذي ذكرت أقصى الكلامين عن وجه التخفيف.

وقوله: ﴿أتْرَاباً﴾ يعني أنهنّ مستويات على سنّ واحدة، واحدتهنّ تِرْب، كما يقال: شِبَه وأشْباه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن الحسين بن الحارث، قال: ثنا محمد بن ربيعة، عن سلمة بن سابور، عن عطية، عن ابن عباس، قال: الأتراب: المستويات.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿أتْرَاباً﴾ قال: أمثالاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أتْرَاباً﴾ يعني: سنًّا واحدة.

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿أتْرَاباً﴾ قال: الأتراب: المستويات.

وقوله: ﴿لأَصحَابِ اليَمِينِ﴾ يقول تعالى ذكره: أنشأنا هؤلاء اللواتي وصف صفتهنّ من الأبكار للذين يؤخذ بهم ذات اليمين من موقف الحساب إلى الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ (٤٠) وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ (٤١) فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ (٤٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: الذين لهم هذه الكرامة التي وصف صفتها في هذه الآيات ثُلّتان، وهي جماعتان وأمتان وفرقتان: ﴿**ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ**﴾، يعني جماعة من الذين مضوا قبل أمة محمد ﷺ، ﴿**وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ**﴾، يقول: وجماعة من أمة محمد ﷺ، وقال به أهل التأويل. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: قال الحسن ﴿**ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ**﴾ من الأمم ﴿**وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ**﴾: أمة محمد ﷺ.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ**﴾ قال: أمة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، قال: ثنا قتادة، قال: ثنا الحسن، عن حديث عمران بن حصين، عن عبد الله بن مسعود قال: «تحدثنا عند رسول الله ﷺ ذات ليلة حتى أكرينا في الحديث، ثم رجعنا إلى أهلينا، فلما أصبحنا غدونا على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ عَليَّ الأنْبِياءُ اللَّيْلَةَ بأتْباعِها مِنْ أُمَمِها، فَكانَ النَّبِيُّ يَجِيءُ مَعَهُ الثُّلَّةُ مِنْ أُمَّتِهِ، والنَّبِيُّ مَعَهُ العِصَابَةُ مِنْ أُمَّتِهِ والنَّبِيُّ مَعَهُ النَّفَرُ مِن أُمَّتِهِ، والنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِهِ، والنَّبِيُّ ما مَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ أحَد مِنْ قَوْمِهِ، حتى أتى عَليَّ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ في كَبْكَبَةٍ مِنْ بني إسْرَائِيلَ فَلَمَّا رأيْتُهُمْ أعْجَبُوني، فَقُلْتُ أيْ رَبّ مَنْ هَؤُلاءِ؟ قال: هَذَا أخُوكَ مُوسَى بنُ عِمْرَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَني إسْرائِيلَ فقُلْتُ ﴿رَبِّ، فأيْنَ أُمَّتِي؟﴾ فَقِيلَ: انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ، فإذَا ظِرَابُ مَكَّةَ قَدْ سُدَّتْ بِوُجُوهِ الرِّجالِ فَقُلْتُ: «مَنْ هَؤُلاءِ؟» قِيلَ: هَؤُلاء أُمَّتُكَ، فَقِيلَ: أرَضِيتَ؟ فَقُلْتُ: «رَبِّ رَضِيتُ رَبِّ رَضِيتُ» قِيلَ: انْظُر عَنْ يَسارِكَ، فَإذَا الأفُقُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ، فَقُلْتُ: «رَبِّ مَنْ هَؤُلاءِ؟» قِيلَ: هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ، فَقِيلَ: أرَضِيتَ؟ «فَقُلْتُ رَضِيتُ، رَبِّ رَضِيتُ» فَقِيلَ: إنَّ مَعَ هَؤُلاءِ سَبْعِينَ ألْفاً مِنْ أُمَّتِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ لا حِسابَ عَلَيْهِمْ قال: فأنشأ عُكّاشة بن محصن، رجل من بني أسد بن خُزيمة، فقال: يا نبيّ الله ادعُ ربك أن يجعلني منهم، قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، ثم أنشأ رجل آخر فقال: يا نبيّ الله ادع ربك أن يجعلني منهم، قال: سَبَقَك بها عُكّاشَةُ، فقال نبيّ الله ﷺ: فَدىً لَكُمْ أبي وأمّي إنْ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَكُونوا مِنَ السَّبْعِينَ فَكُونُوا، فإن عَجَزْتم وقَصّرتم فكونوا من أهل الظراب، فإن عجزتم وقصرّتم فكونوا مِنْ أهلِ الأُفُقِ، فإنّي رأيتُ ثمَّ أُناساً يَتَهرَّشُونَ[1] كَثِيراً، أو قال: يَتَهَوَّشُونَ قال: فتراجع المؤمنون، أو قال فتراجعنا على هؤلاء السبعين، فصار من أمرهم أن قالوا: نراهم

(١) كذا في الأصل. وفي «النهاية» هرش يتهارشون، هكذا رواه بعضهم، وفسره بالتقاتل. وهو في مسند أحمد بالواو بدل الراء، والتهاوش: الاختلاط ا هـ. (وقال في هوش) وفي حديث الإسراء: فإذا بشر كثير يتهاوشون، الهوش: الاختلاط، أي يدخل بعضهم في بعضه.

ناساً وُلدوا في الإسلام، فلم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه، فنمى حديثهم ذاك إلى نبيّ الله ﷺ، فقال: «لَيْسَ كَذاكَ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يكْتَوُون، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». ذُكر أن نبيّ الله ﷺ قال يومئذٍ: «إنّي لأَرْجُو أنْ يَكُونَ مَنْ تَبِعَنِي مِنْ أُمَّتِي رُبْعَ أهْلِ الجَنَّةِ»، فكبَّرنا، ثم قال: «إنّي لأَرْجُو أنْ تَكُونُوا الشَّطْرَ»، فكبرنا، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا الحسن بن بشر البجَليُّ، عن الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن الحسن عن عمران بن حصين، عن عبد الله بن مسعود، قال: «تحدّثنا لَيْلَةً عند رسول الله ﷺ، حتى أكرينا أو أكثرنا، ثم ذكر نحوه، إلاَّ أنه قال: فإذَا الظِّرَابُ ظِرابُ مَكَّةَ مَسْدُودَةٌ بِوُجُوهِ الرِّجالِ وقال أيضاً: فإني رأيْتُ عِنْدَهُ أُناساً يَتَهاوَشُونَ كَثِيراً قال: فقلنا: من هؤلاء السبعون ألفاً فاتفق رأينا على أنهم قوم وُلدوا في الإسلام ويموتون عليه قال: فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لا، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَكْتَوُونَ» وقال أيضاً: ثم قال رسول الله ﷺ: «إني لأرْجُو أنْ تكُونُوا رُبْعَ أهْلِ الجَنَّةِ»، فكبر أصحابه ثم قال: «إنّي لأَرْجُوا أنْ تكُونُوا ثُلُثَ أهْلِ الجَنَّةِ»، فكبر أصحابه ثم قال: «إنّي لأرْجُو أنْ تَكُونُوا شَطْرَ أهْلِ الجَنَّةِ»، ثم قرأ ﴿ثُلَّةٌ مِن الأوَّلِين وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عوف، عن عبد الله بن الحارث، قال: كلهم في الجنة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، أنه بلغه أن النبيّ ﷺ قال: «أتَرْضَوْنَ أنْ تَكُونُوا رُبُعَ أهْلِ الجَنَّةِ؟» قالوا: نعم، قال: «أتَرْضَوْنَ أنْ تكونُوا ثُلُثَ أهْلِ الجَنَّةِ؟» قالوا: نعم، «قال وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنّي لأَرْجُو أنْ تَكُونُوا شَطْرَ أهْل الجَنَّةِ»، ثم تلا هذه الآية ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن بُدَيل بن كعب أنه قال: أهل الجنة عشرون ومئة صفّ، ثمانون صفاً منها من هذه الأمة.

وفي رفع ﴿ثُلَّةٌ﴾ وجهان: أحدهما الاستئناف، والآخر بقوله: لأصحاب اليمين ثلتان، ثلة من الأوّلين وقد رُوي عن النبيّ ﷺ خبر من وجه عنه صحيح أنه قال: «الثُّلَّتانِ جَمِيعاً مِنْ أُمَّتِي».

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ قال: قال النبيّ ﷺ: «هُمَا جَمِيعاً مِنْ أُمَّتِي».

وقوله: ﴿**وأصحَابُ الشّمالِ ما أصحَابُ الشّمالِ**﴾ يقول تعالى ذكره معجباً نبيه محمداً من أهل النار ﴿**وأصحَابُ الشّمالِ**﴾ الذين يؤخذ بهم ذات الشمال من موقف الحساب إلى النار ﴿**ما أصحَابُ الشَّمالِ**﴾ ماذا لهم، وماذا أعدّ لهم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وأصحَابُ الشّمال ما أصحَابُ الشمّالِ**﴾: أي ماذا لهم، وماذا أُعدّ لهم.

قوله: ﴿**في سَمُوم وحمَيم**﴾ هم في سموم جهنم وحميمها.

وقوله: ﴿**وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: وظلّ من دُخان شديد السواد. والعرب تقول لكلّ شيء وصَفَتْه بِشدّة السواد: أسود يَحْموم. وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني بن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا سليمان الشيبانيّ، قال: ثني يزيد بن الأصمّ، قال: سمعت ابن عباس يقول في ﴿**وَظِلّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾ قال: هو ظلّ الدخان.

حدثنا محمد بن عبيد المحاربيّ، قال: ثنا قبيصة بن ليث، عن الشيبانيّ، عن يزيد بن الأصمّ، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت الشيباني، عن يزيد بن الأصمّ، عن ابن عباس، بمثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الشيباني، عن يزيد بن الأصمّ، عن ابن عباس ﴿**وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾ قال: هو الدخان.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إبراهيم بن طُهمان، عن سماك بن حرب، عن عكرِمة، عن ابن عباس ﴿**وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾ قال: الدخان.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾ يقول: من دخان حَميم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن عكرمة، أنه قال في هذه الآية ﴿**وَظِلّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾ قال: الدخان.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عثام، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي مالك، في قوله: ﴿**وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾ قال: دخان حميم.

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثنا ابن المبارك، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي مالك بمثله.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد ﴿**وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾ قال: الدخان.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿**مِنْ يَحْمُومٍ**﴾ قال: من دخان حميم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سليمان الشيباني، عن يزيد بن الأصمّ، عن ابن عباس، ومنصور، عن مجاهد ﴿**وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾ قالا: دخان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾ قال: من دخان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَظِلٍّ مِنْ يَحْمومٍ**﴾ كنا نحدَّث أنها ظلّ الدخان.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾ قال: ظلّ الدخان دخان جهَنم، زعم ذلك بعض أهل العلم.

وقوله: ﴿**لا بارِدٍ وَلا كَرِيمٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: ليس ذلك الظلّ ببارد، كبرد ظلال سائر الأشياء، ولكنه حارّ، لأنه دخانٌ من سعير جهنم، وليس بكريم لأنهم مؤلم من استظلّ به، والعرب تتبع كلّ منفيّ عنه صفة حمد نفي الكرم عنه، فتقول: ما هذا الطعام بطيب ولا كريم، وما هذا اللحم بسمين ولا كريم وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا النضر، قال: ثنا جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿**لا بارِدٍ ولاَ كَرِيمٍ**﴾ قال: كلّ شراب ليس بعذب فليس بكريم. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**لا بارِدٍ وَلا كَرِيمٍ**﴾ قال: لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُتْرَفِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الذين وصف صفتهم من أصحاب الشمال، كانوا قبل أن يصيبهم من عذاب الله ما أصابهم في الدنيا مترفين، يعني منعمين. كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُتْرَفِينَ﴾ يقول: منعمين.

وقوله: ﴿وكانُوا يُصِرُّونَ على الْحِنْثِ العَظِيمِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وكانوا يقيمون على الذنب العظيم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، يُصِرّون: يدمنون.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: يدهنون، أو يدمنون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وكانُوا يُصِرُّونَ﴾ قال: لا يتوبون ولا يستغفرون، والإصرار عند العرب على الذنب: الإقامة عليه، وترك الإقلاع عنه.

وقوله: ﴿عَلى الْحِنْثِ العَظِيمِ﴾ يعني: على الذنب العظيم، وهو الشرك بالله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿على الْحِنْثِ العَظِيمِ﴾ قال: على الذنب.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا أبو تُمَيلة، قال: ثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك، في قوله: ﴿الْحِنْثِ العَظِيمِ﴾ قال: الشرك.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿على الْحِنْثِ العَظِيمِ﴾ يعني: الشرك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿الْحِنْثِ العَظِيمِ﴾ قال: الذنب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿**وكانُوا يُصِرُّونَ على الْحِنْثِ العَظِيمِ**﴾ قال: الحنث العظيم: الذنب العظيم، قال: وذلك الذنب العظيم الشرك لا يتوبون ولا يستغفرون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وكانُوا يُصِرُّونَ على الْحِنْثِ العَظِيمِ**﴾ وهو الشرك.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، ﴿**على الْحِنْثِ العَظِيمِ**﴾ قال: الذنب العظيم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَ ءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠)﴾.

يقول تعالى ذكره: وكانوا يقولون كفراً منهم بالبعث، وإنكاراً لإحياء الله خلقه من بعد مماتهم: أئذا كنا تراباً في قبورنا من بعد مماتنا، وعظاماً نخرة، أئنا لمبعوثون منها أحياء كما كنا قبل الممات، أو آباؤنا الأوّلون الذين كانوا قبلنا، وهم الأوّلون، يقول الله لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء إن الأوّلين من آبائكم والآخرين منكم ومن غيركم، لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم، وذلك يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣)﴾.

يقول تعالى ذكره لأصحاب الشمال: ثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى، المكذّبون بوعيد الله ووعده، لآكلون من شجر من زقوم:

وقوله: ﴿**فَمالِئُونَ مِنْها البُطُونَ**﴾ يقول: فمالئون من الشجر الزّقوم بطونهم:

واختلف أهل العربية في وجه تأنيث الشجر في قوله: ﴿**فَمالِئُونَ مِنْها البُطُونَ**﴾: أي من الشجر، ﴿**فَشارِبُونَ عَلَيْهِ**﴾ لأن الشجر تؤنث وتذكر، وأنث لأنه حمله على الشجرة، لأن الشجرة قد تدلّ على الجميع، فتقول العرب: نبتت قبلنا شجرة مرّة وبقلة رديئة، وهم يعنون الجميع. وقال بعض نحويي الكوفة ﴿**لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ**﴾، وفي قراءة عبد الله «لآكِلُونَ مِنْ شَجَرَةٍ مِنْ زَقُّومٍ» على واحدة، فمعنى شجر وشجرة واحد، لأنك إذا قلت أخذت من الشاء، فإن نويت

واحدة أو أكثر من ذلك، فهو جائز، ثم قال: ﴿**فَمالِئُونَ مِنها البُطُونَ**﴾ يريد من الشجرة ولو قال: فمالئون منه إذا لم يذكر الشجر كان صواباً يذهب إلى الشجر في منه، ويؤنث الشجر، فيكون منها كناية عن الشجر والشجر يؤنث ويذكر، مثل التمر يؤنث ويذكر.

والصواب من القول في ذلك عندنا القول الثاني، وهو أن قوله: ﴿**فَمَالِئُونَ مِنْها**﴾ مراد به من الشجر أنث للمعنى، وقال ﴿**فَشارِبُونَ عَلَيْهِ**﴾ مذكراً للفظ الشجر.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فشاربٌ أصحابُ الشمال على الشجر من الزَّقوم إذا أكلوه، فملأوا منه بطونهم من الحميم الذي انتهى غليه وحرّه. وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿**فَشارِبُونَ عَلَيْهِ**﴾: فشاربون على الأكل من الشجر من الزقوم.

وقوله: ﴿**فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة ﴿**شُرْبَ الهِيمِ**﴾ بضم الشين، وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة والبصرة والشأم «شَرْبَ الهِيمِ»[1] اعتلالاً بأن النبيّ ﷺ قال لأيام منى: «إنَّها أيَّامُ أكْلٍ وشُرْبٍ».

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء مع تقارب معنييهما، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب في قراءته، لأن ذلك في فتحه وضمه نظير فتح قولهم: الضَّعف والضُّعف بضمه. وأما الهِيم، فإنها جمع أهيم، والأنثى هيماء والهيم: الإبل التي يصيبها داء فلا تروى من الماء. ومن العرب من يقول: هائم، والأنثى هائمة، ثم يجمعونه على هيم، كما قالوا: عائط وعِيط، وحائل وحول ويقال: إن الهيم: الرمل، بمعنى أن أهل النار يشربون الحميم شرب الرمل الماء. ذكر من قال عنى بالهيم الإبل العطاش:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**شُرْبَ الهِيمْ**﴾ يقول: شرب الإبل العطاش.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

---

(١) يريد بفتح الشين، يفهم من كلامه بعد في توجيه القراءة. وقد صرح الفراء بكلمة «بالفتح» فيما نقله عن الكسائي عن يحيى بن سعيد الأموي، عن ابن جريج «**معاني القرآن**» (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ـ ٣٢٤).

ابن عباس، قوله: ﴿فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾ قال: الإبل الظماء.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن عمران بن حدير، عن عكرمة، في قوله: ﴿فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾ قال: هي الإبل المِراض، تَمَصّ الماء مَصًّا ولا تَرْوَى.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، في قوله: ﴿فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾ قال: الإبل يأخذها العُطاش، فلا تزال تشرب حتى تهلك.

حدثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصيف، عن عكرِمة ﴿فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾ قال: هي الإبل يأخذها العطاش.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن عباس، قال: هي الإبل العطاش.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿شُرْبَ الهِيمِ﴾ قال: الإبل الهيم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾ الهيم: الإبل العطاش، تشرب فلا تروى، يأخذها داء يقال له الهُيام.

حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾ قال: داء بالإبل لا تَرْوَى معه. ذكر من قال هي الرملة:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾ قال: السِّهْلة(١).

وقوله: ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصفت لكم أيها الناس، أن هؤلاء المكذّبين الضالين يأكلونه من شجر من زقوم، يشربون عليه من الحميم، هو نزلهم الذي ينزلهم ربهم يوم الدين، يعني: يوم يدين الله عباده.

وقوله: ﴿نَحنُ خَلَقْناكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقونَ﴾ يقول تعالى ذكره لكفار قريش والمكذّبين بالبعث: نحن خلقناكم أيها الناس ولم تكونوا شيئاً، فأوجدناكم بشراً، فهلا تصدّقون من فعل ذلك بكم في قيله لكم: إنه يبعثكم بعد مماتكم وبِلاكم في قبوركم، كهيأتكم قبل مماتكم.

---

(١) في «اللسان» سهل عن الجوهري: السهلة، بكسر السين: رمل ليس بالدقاق، وقال قبله: السهلة والسهل: تراب كالرمل يجيء به الماء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث: أفرأيتم أيها المُنكرون قُدرة الله على إحيائكم من بعد مماتكم النطف التي تمنون في أرحام نسائكم، أأنتم تخلقون تلك أم نحن الخالقون.

وقوله: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: نحن قدرنا بينكم أيها الناس الموت، فعجَّلناه لبعض، وأخَّرناه عن بعض إلى أجل مسمى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ المَوْتَ﴾ قال: المستأخر والمستعجل.

وقوله: ﴿وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلى أنْ نُبَدِّل أمْثالَكُمْ﴾، يقول تعالى ذكره: ﴿وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أيها الناس في أنفسكم وآجالكم، فمفتات علينا فيها في الأمر الذي قدّرناه لها من حياة وموت بل لا يتقدم شيء من أجلنا، ولا يتأخر عنه.

وقوله: ﴿على أنْ نُبَدِّل أمْثالَكُمْ﴾ يقول: على أنْ نُبَدّل منكم أمْثالَكُمْ بعد مهلككم فنجيء بآخرين من جنسكم.

وقوله: ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِيما لا تَعْلَمُونَ﴾ يقول: ونبدلكم عما تعلمون من أنفسكم فيما لا تعلمون منها من الصور. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَنُنْشِئَكُمْ﴾ في أيّ خلق شئنا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ

أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد علمتم أيها الناس الإحداثة الأولى التي أحدثناكموها، ولم تكونوا من قبل ذلك شيئاً. وبنحو الذين قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿النَّشأَةَ الأولى﴾** قال: إذ لم تكونوا شيئاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشأَةَ الأُولى﴾** يعني خلق آدم لستَ سائلاً أحداً من الخلق إلا أنبأك أن الله خلق آدم من طين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشأَةَ الأُولى﴾** قال: هو خلق آدم.

حدثني محمد بن موسى الحرسي، قال: ثنا جعفر بن سليمان، قال: سمعت أبا عمران الجوني يقرأ هذه الآية **﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشأَةَ الأُولى﴾** قال: هو خلق آدم.

وقوله: **﴿فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: فهلا تذكرون أيها الناس، فتعلموا أن الذي أنشأكم النشأة الأولى، ولم تكونوا شيئاً، لا يتعذّر عليه أن يعيدكم من بعد مماتكم وفنائكم أحياء.

وقوله: **﴿أفرأيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها الناس الحرث الذي تحرثونه **﴿أأنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾** يقول: أأنتم تصيرونه زرعاً، أم نحن نجعله كذلك؟ وقد:

حدثني أحمد بن الوليد القرشي، قال: ثنا مسلم بن أبي مسلم الحرميّ، قال: ثنا مخلد بن الحسين، عن هاشم، عن محمد، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُولَنَّ زَرَعْتُ وَلَكِنْ قُلْ حَرَثْتُ» قال أبو هريرة ألم تسمع إلى قول الله: «أفَرأيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ ءأنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ؟».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لو نشاء جعلنا ذلك الزرع الذي زرعناه حُطاماً، يعني هشيماً لا يُنتفع به في مطعم وغذاء.

وقوله: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: فظلتم تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم من المصيبة باحتراقه وهلاكه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ قال: تعجبون.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ قال: تعجبون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ قال: تعجبون.

وقال آخرون: معنى ذلك: فظلتم تلاومون بينكم في تفريطكم في طاعة ربكم جلّ ثناؤه، حتى نالكم بما نالكم من إهلاك زرعكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرِمة، في قوله: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ يقول: تلاومون.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سماك بن حرب البكري، عن عكرِمة ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ قال: تلاومون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فظلتم تندمون على ما سلف منكم من معصية الله التي أوجب لكم عقوبته، حتى نالكم في زرعكم ما نالكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثني ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ قال: تندمون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ قال تندمون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فظلتم تعجبون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾

قال: تعجبون حين صنع بحرثكم ما صنع به، وقرأ قول الله عزّ وجلّ ﴿**إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومونَ**﴾ وقرأ قول الله: ﴿**وَإِذَا انقَلَبُوا إلى أهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِين**﴾ قال: هؤلاء ناعمين، وقرأ قول الله جل ثناؤه: ﴿**فأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . .**﴾ إلى قوله: ﴿**كانُوا فِيها فاكِهِينَ**﴾.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ﴿**فَظَلْتُم**﴾: فأقمتم تعجبون مما نزل بزرعكم وأصله من التفكه بالحديث إذا حدّث الرجلُ الرجلَ بالحديث يعجب منه، ويلهى به، فكذلك ذلك. وكأن معنى الكلام: فأقمتم تتعجبون يُعَجِّب بعضكم بعضاً مما نزل بكم.

وقوله: ﴿**إِنَّا لَمُغْرَمُونَ**﴾ اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: إنا لموَلع بنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا زيد بن الحباب، قال: أخبرني الحسين بن واقد، قال: ثني يزيد النحويّ، عن عكرِمة، في قول الله تعالى ذكره: ﴿**إِنَّا لَمُغْرَمُونَ**﴾ قال: إنا لمولَع بنا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: قال مجاهد، في قوله: ﴿**إِنَّا لَمُغْرَمُونَ**﴾ أي لمولع بنا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنا لمعذّبون.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إِنَّا لَمَغْرَمُونَ**﴾: أي معذّبون وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنا لملقون للشرّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**إِنَّا لَمُغْرَمُونَ**﴾ قال: مُلْقون للشرّ.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إنا لمعذّبون، وذلك أن الغرام عند العرب: العذاب ومنه قول الأعشى:

إنْ يُعاقِبْ يَكُنْ غَراماً وَإنْ يُعْـ ... ـطِ جَزِيلاً فإنَّهُ لا يُبالي[1]

---

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة. وقد مر الاستشهاد به في الجزء التاسع عشر (ص ـ ٣٥) من هذه الطبعة. فراجعه ثمة وأنشده المؤلف هنا عند قوله تعالى: ﴿إنا لمغرمون﴾ وقال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة =

يعني بقوله: يكن غراماً: يكن عذاباً. وفي الكلام متروك اكتفى بدلالة الكلام عليه، وهو: فظلتم تفكهون «تقولون» إنا لمغرمون، فترك تقولون من الكلام لما وصفنا.

وقوله: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ يعني بذلك تعالى ذكره أنهم يقولون: ما هلك زرعنا وأصبنا به من أجل ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ ولكنا قوم محرومون، يقول: إنهم غير مجدودين، ليس لهم جَدّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ قال: حُورِفنا فحرمنا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ قال: أي محارَفون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها الناس الماء الذي تشربون، ءأنتم أنزلتموه من السحاب فوقكم إلى قرار الأرض، أم نحن منزلوه لكم. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله المُزن، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿مِنَ الْمُزْنِ﴾ قال السحاب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ أي من السَّحاب.

= ١٧٦ ـ ١) معذبون، وأنشد بيت بشر بن أبي خازم:

ويوم النسار ويوم الجفا ... ر كان عذاباً وكان غراماً

وقد مر تفسير هذا البيت في (١٩/ ٣٦) من هذه الطبعة، فراجعه ثمة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾** قال: المزن: السحاب اسمها، أنزلتموه من المزن، قال: السحاب.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: **﴿أنزلتموه من المزن﴾** قال: المزن: السماء والسحاب.

وقوله: **﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً﴾** يقول تعالى ذكره: لو نشاء جعلنا ذلك الماء الذي أنزلناه لكم من المزن مِلحاً، وهو الأجاج، والأجاج من الماء: ما اشتدّت ملوحته، يقول: لو نشاء فعلنا ذلك به فلم تنتفعوا به في شرب ولا غرس. ولا غرس ولا زرع.

وقوله: **﴿فلولا تشكرون﴾** يقول تعالى ذكره: فهلا تشكرون ربكم على إعطائه ما أعطاكم من الماء العذب لشربكم ومنافعكم، وصلاح معايشكم، وتركه أن يجعله أُجاجاً لا تنتفعون به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ (٧١) ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها الناس النار التي تستخرجون من زَنْدكم **﴿أأنتم أنشأتم شجرتها﴾** يقول: أأنتم أحدثتم شجرتها واخترعتم أصلها **﴿أم نحن المنشئون﴾**؟ يقول: أم نحن اخترعنا ذلك وأحدثناه؟.

وقوله: **﴿نحن جعلناها تذكرة﴾** يقول: نحن جعلنا النار تذكرة لكم تذكرون بها نار جهنم، فتعتبرون وتتعظون بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿تذكرة﴾** قال: تذكرة النار الكبرى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿أفرأيتم النّار التي تورُونَ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة﴾** للنار الكبرى.

ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال: «نارُكُم هَذِهِ التي تُوقِدُونَ جُزءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزءاً مِنْ نارِ جَهَنَّم،» قالوا: يا نبيّ الله إن كانت لكافية، قال: «قَدْ ضُرِبَتْ بالمَاءِ ضَرْبَتَيْن أوْ مَرَّتَين، لِيَسْتَنْفِعَ بِها بَنُوا آدَمَ وَيَدْنُو مِنْها».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد ﴿تَذْكِرَةً﴾ قال: للنار الكبرى التي في الآخرة.

وقوله: ﴿وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى المقوين، فقال بعضهم: هم المسافرون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ قال: للمسافرين.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ قال: يعني المسافرين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ قال للمُرْمل: المسافر.

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ قال: للمسافرين.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ قال: للمسافرين.

وقال آخرون: عُنِي بالْمُقْوِين: المستمتعون بها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، قوله: ﴿وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ للمستمتعين الناس أجمعين.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد ﴿وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ للمستمتعين المسافر والحاضر.

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الشهيد، قال: ثنا عتاب بن بشر، عن خصيف في قوله: ﴿وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ قال: للخلق.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك: الجائعون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ قال:

المقوي: الجائع. في كلام العرب، يقول: أقويت منه كذا وكذا: ما أكلت منه كذا وكذا شيئاً.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عُنِي بذلك للمسافر الذي لازاد معه، ولا شيء له، وأصله من قولهم: أقوت الدار: إذا خلت من أهلها وسكانها كما قال الشاعر:

أقْوَى وأقْفَرَ مِنْ نُعْمٍ وغَيَّرَهـا هُوجُ الرِّياحِ بِهابي التُّرْبِ مَوَّارِ(١)

يعني بقوله: «أقوى»: خلا من سكانه، وقد يكون المقوي: ذا الفرس القويّ، وذا المال الكثير في غير هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فسبح يا محمد بذكر ربك العظيم، وتسميته.

وقوله: ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**﴾ فقال بعضهم: عُنِي بقوله: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ**﴾: أقسم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن جُرَيج، عن الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جُبَير ﴿**فَلا أُقْسِمُ**﴾ قال: أقسم.

وقال بعض أهل العربية: معنى قوله: ﴿**فَلا**﴾ فليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد فقيل أُقسم.

---

(١) البيت للنابغة الذبياني من قصيدته التي مطلعها:

«عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار»

وهو البيت الثاني بعد المطلع. ذكرها وليم الورد البروسي في العقد الثمين، (ص ـ ٢٦٩) وجعلها من الشعر المنحول إلى النابغة. والقصيدة سبعة وأربعون بيتاً. واستشهد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى: ﴿ومتاعاً للمقوين﴾ قال: عنى بذلك المسافر الذي لا زاد معه ولا شيء، وأصله من أقوت الدار: إذا خلت من أهلها وسكانها، كما قال الشاعر:

«أقوى وأقفر....... البيت»

يعني بقوله «أقفر»: خلا من سكانه ا هـ.

وقوله: ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: فلا أقسم بمنازل القرآن، وقالوا: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ نجوماً متفرّقة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حُصَين، عن حكيم بن جُبَير، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: نزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم فرق في السنين بعد. قال: وتلا ابن عباس هذه الآية ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ قال: نزل متفرّقاً.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرِمة، في قوله: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾ قال: أنزل الله القرآن نجوماً ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن عكرِمة: إن القرآن نزل جميعاً، فوضع بمواقع النجوم، فجعل جبريل يأتي بالسورة، وإنما نزل جميعاً في ليلة القدر.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن مجاهد ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ قال: هو مُحْكَم القرآن.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُوم وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ قال: مستقرّ الكتاب أوّله وآخره.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾ قال في السماء ويقال مطالعها ومساقطها.

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾: أي مساقطها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بمنازل النجوم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ

النُّجُومِ﴾ قال: بمنازل النجوم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بانتثار النجوم عند قيام الساعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجومِ﴾** قال: قال الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيامة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم ومغايبها في السماء، وذلك أن المواقع جمع موقع، والموقع المفعل، من وقع يقع موقعاً، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا في ذلك، ولذلك قلنا: هو أولى معانيه به.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة بموقع على التوحيد، وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين بمواقع: على الجماع.

والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: **﴿وَإِنَّهُ لَقَسمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾** يقول تعالى ذكره وإن هذا القسم الذي أقسمت لقسم لو تعلمون ما هو، وما قدره، قسم عظيم من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما هو: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون عظمه.

وقوله: **﴿إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ﴾** يقول تعالى ذكره: فلا أقسم بمواقع النجوم أن هذا القرآن لقرآن كريم، والهاء في قوله: «إنه» من ذكر القرآن.

وقوله: **﴿فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ﴾** يقول تعالى ذكره: هو في كتاب مصون عند الله لا يمسه شيء من أذى من غبار ولا غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني إسماعيل بن موسى، قال: أخبرنا شريك، عن حكيم، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس **﴿لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ﴾** الكتاب الذي في السماء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ﴾** قال: القرآن في كتابه المكنون الذي لا يمسه شيء من تراب ولا غبار.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ﴾** زعموا أن الشياطين تنزّلت به على محمد، فأخبرهم الله أنها لا

تقدر على ذلك، ولا تستطيعه، وما ينبغي لهم أن ينزلوا بهذا، وهو محجوب عنهم، وقرأ قول الله: ﴿**وَما يَنْبَغِي لَهُمْ وَما يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ**﴾.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله، يعني العتكي، عن جابر بن زيد وأبي نهيك، في قوله: ﴿**فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ**﴾ قال: هو كتاب في السماء.

قوله: ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: لا يمسّ ذلك الكتاب المكنون إلا الذين قد طهَّرهم الله من الذنوب. واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله: ﴿**إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ فقال بعضهم: هم الملائكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: إذا أراد الله أن ينزل كتاباً نسخته السفرة، فلا يمسه إلا المطهرون، قال: يعني الملائكة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الربيع بن أبي راشد، عن سعيد بن جُبَير ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ قال: الملائكة الذين في السماء.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الربيع بن أبي راشد، عن سعيد بن جُبَير ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ قال: الملائكة.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن الربيع بن أبي راشد، عن سعيد بن جُبَير. ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ قال: الملائكة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله، يعني العتكي، عن جبار بن زيد وأبي نهيك في قوله: ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ يقول: الملائكة.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ قال الملائكة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ قال الملائكة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن عاصم، عن أبي العالية ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾

قال: الملائكة.

وقال آخرون: هم حملة التوراة. والإنجيل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن أبيه، عن عكِرمة ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ قال: حملة التوراة والإنجيل.

وقال آخرون في ذلك: هم الذين قد طهروا من الذنوب كالملائكة والرسل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا مروان، قال: أخبرنا عاصم الأحول، عن أبي العالية الرياحي، في قوله: ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ قال: ليس أنتم، أنتم أصحاب الذنوب.

حدثني يونس، قال أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ قال: الملائكة والأنبياء والرسل التي تنزل به من عند الله مطهرة، والأنبياء مطهرة، فجبريل ينزل به مُطَهَّر، والرسل الذين تجيئهم به مُطَهَّرون فذلك قوله: ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ والملائكة والأنبياء والرسل من الملائكة، والرسل من بني آدم، فهؤلاء ينزلون به مطهرون، وهؤلاء يتلونه على الناس مطهرون، وقرأ قول الله: ﴿**بأيْدِي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ**﴾ قال: بأيدي الملائكة الذين يحصون على الناس أعمالهم.

وقال آخرون: عنى بذلك: أنه لا يمسه عند الله إلا المطهرون.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ ذاكم عند ربّ العالمين، فأما عندكم فيمسه المشرك النجس، والمنافق الرِّجس.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ قال لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسيّ النجس، والمنافق الرجس. وقال في حرف ابن مسعود «ما يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ».

والصواب من القول من ذلك عندنا، أن الله جلّ ثناؤه، أخبر أن لا يمسّ الكتاب المكنون إلا المطهرون فعمّ بخبره المطهرين، ولم يخصص بعضاً دون بعض فالملائكة من المطهرين، والرسل والأنبياء من المطهرين وكل من كان مطهراً من الذنوب، فهو ممن استثني، وعني بقوله: ﴿**إلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾.

وقوله: ﴿**تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ العالَمِينَ**﴾ يقول: هذا القرآن تنزيل من ربّ العالمين، نزّله من

الكتاب المكنون. كما:

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله العتكي، عن جابر بن زيد وأبي نهيك، في قوله: ﴿**تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ العالَمِينَ**﴾ قال: القرآن من ذلك الكتاب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أفبهذا القرآن الذي أنبأتكم خبره، وقصصت عليكم أمره أيها الناس أنتم تلينون القول للمكذّبين به، ممالأة منكم لهم على التكذيب به والكفر.

واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم في ذلك نحو قولنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿**أَفَبِهَذَا الحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ**﴾ قال: تريدون أن تمالئوهم فيه، وتركنوا إليهم.

وقال آخرون: بل معناه: أفبهذا الحديث أنتم مكذّبون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ**﴾ يقول: مكذّبون غير مصدّقين.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿**أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ**﴾ يقول: مكذّبون.

وقوله: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزقَكمْ أنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ يقول: وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم التكذيب، وذلك كقول القائل الآخر: جعلت إحساني إليك إساءة منك إليّ، بمعنى: جعلت: شكر إحساني، أو ثواب إحساني إليك إساءة منك إليّ.

وقد ذُكر عن الهيثم بن عديّ: أن من لغة أزد شنوءة: ما رزق فلان: بمعنى ما شكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف فيه منهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، قال: ثني عبد الأعلى الثعلبي، عن أبي عبد الرحمن السلميّ، عن عليّ رضي الله عنه ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ قال: شكركم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن عبد الأعلى الثعلبي، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عليّ رفعه ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ قال: «شكركم تقولون مُطرنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا يحيى بن أبي بكر، عن إسرائيل، عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن، عن عليّ، عن النبيّ ﷺ قال: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبون**﴾ قال: «شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ»، قال: «يَقُولُونَ مُطِرْنا بِنَوْءِ كَذا وكَذا».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: ما مُطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً، يقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا، وقرأ ابن عباس ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن عطية، قال: ثنا معاذ بن سليمان، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُون**﴾ ثم قال: ما مُطر الناس ليلة قطّ، إلا أصبح بعض الناس مشركين يقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا. قال: وقال وتجعلون شكركم أنكم تكذّبون.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ**﴾ يقول: شكركم على ما أنزلت عليكم من الغيث والرحمة تقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا قال: فكان ذلك منهم كفراً بما أنعم عليهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية، قال: أحسبه أو غيره «أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً ومطروا يقول: مُطرنا ببعض عثانين الأسد، فقال: «كَذَبْتَ بَلْ هُوَ رِزْقُ اللّهِ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللّهَ لَيُصَبِّحُ القَوْمَ بالنِّعْمَةِ، أوْ يُمَسِّيهِم بِها، فَيُصْبِحُ بِها قَوْمٌ كافِرِينَ يَقُولُونَ: مُطِرْنا بَنْوْءِ كَذَا وكَذا» قال محمد: فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب، فقال: ونحن قد سمعنا من أبي هريرة، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي، فلما استسقى التفت إلى العباس فقال: يا

عباس يا عمّ رسول الله ﷺ، كم بقي من نوء الثريا؟ فقال: العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعاً، قال: فما مضت سابعة حتى مُطروا.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن، عن عليّ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: كان يقرأها «وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُم تُكَذِّبُونَ» يقول: جعلتم رزق الله بنوء النجم، وكان رزقهم في أنفسهم بالأنواء أنواء المطر إذا نزل عليهم المطر، قالوا: رزُقنا بنوء كذا وكذا، وإذا أمسك عنهم كذّبوا، فذلك تكذيبهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن عطاء الخراساني، في قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: كان ناس يمطرون فيقولون: مُطرنا بنوء كذا، مُطرنا بنوء كذا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبونَ﴾ قال: قولهم في الأنواء: مُطرنا بنوء كذا ونوء كذا، يقول: قولوا هو من عند الله وهو رزقه.

حُدثت ، عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ يقول: جعل الله رزقكم في السماء، وأنتم تجعلونه في الأنواء.

حدثني أبو صالح الصراري، قال: ثنا أبو جابر «محمد بن عبد الملك الأزدي» قال: ثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم بن أبي أُمامة، عن النبيّ ﷺ قال: «ما مُطِر قَوْمٌ مِنْ لَيْلَةٍ إلاَّ أصْبَحَ قَوْمٌ بِها كافِرِينَ، ثم قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِبُون﴾ يقول قائِلٌ مُطِرْنا بِنَجْمِ كَذَا وكَذَا».

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وتجعلون حظكم منه التكذيب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُم تُكَذِّبُونَ﴾ أما الحسن فكان يقول: بئسما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب به.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن، في قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب.

وقوله: ﴿فَلَوْلا إذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهلا إذا بلغت النفوس عند خروجها

من أجسادكم أيها الناس حلاقيمكم ﴿وأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ يقول ومن حضرهم منكم من أهليهم حينئذٍ إليهم ينظر، وخرج الخطاب ها هنا عاماً للجميع، والمراد به: من حضر الميت من أهله وغيرهم وذلك معروف من كلام العرب وهو أن يخاطب الجماعة بالفعل، كأنهم أهله وأصحابه، والمراد به بعضهم غائباً كان أو شاهداً، فيقول: قتلتم فلاناً، والقاتل منهم واحد، إما غائب، وإما شاهد. وقد بيَّنا نظائر ذلك في مواضع كثيرة من كتابنا هذا.

يقول: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ يقول: ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم، ﴿وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: قيل ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقومَ وأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ كأنه قد سمع منهم، والله أعلم: إنا نقدر على أن لا نموت، فقال: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ﴾، ثم قال ﴿فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيرَ مَدِينِينَ﴾ أي غير مجزيين ترجعون تلك النفوس وأنتم ترون كيف تخرج عند ذلك إن كنتم صادقين بأنكم تمتنعون من الموت.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فهلاً إن كنتم أيها الناس غير مدينين.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿مَدِينِينَ﴾ فقال بعضهم: غير محاسبين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيرَ مَدِينِينَ﴾ يقول: غير محاسبين.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿غَيرَ مَدِينِينَ﴾ قال: محاسبين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيرَ مَدِينِينَ﴾: أي محاسبين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيرَ مَدِينِينَ﴾ قال: كانوا يجحدون أن يُدانوا بعد الموت، قال: وهو مالك يوم الدين، يوم يُدان الناس بأعمالهم، قال: يدانون: يحاسبون.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿فَلَوْلا إنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ قال: غير محاسبين.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة ﴿فَلَوْلا إنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ قال: غير مبعوثين، غير محاسبين.

وقال آخرون: معناه: غير مبعوثين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن ﴿فَلَوْلا إنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير مبعوثين يوم القيامة، ترجعونها إن كنتم صادقين.

وقال آخرون: بل معناه: غير مجزيين بأعمالكم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: غير محاسبين فمجزيين بأعمالكم من قولهم: كما تدين تدان، ومن قول الله: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدّينِ﴾.

وقوله: ﴿تَرْجِعُونَها إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول: تردّون تلك النفوس من بعد مصيرها إلى الحلاقيم إلى مستقرّها من الأجساد إن كنتم صادقين، إن كنتم تمتنعون من الموت والحساب والمجازاة، وجواب قوله: ﴿فَلَوْلا إذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾، وجواب قوله: ﴿فَلَوْلا إنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ جواب واحد وهو قوله: ﴿تَرْجِعُونَها﴾ وذلك نحو قوله: ﴿فإمّا يأْتِيَنَّكُمْ مِنّي هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ جعل جواب الجزاءين جواباً واحداً. وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿تَرْجِعُونَها﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿تَرْجِعُونَها﴾ قال: لتلك النفس ﴿إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وقوله: ﴿فأمّا إنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فأما إن كان الميت من المقرّبين الذين قرّبهم الله من جواره في جنانه ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ﴾ يقول: فله روح وريحان.

واختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار ﴿فَرَوْحٌ﴾ بفتح الراء، بمعنى: فله برد. ﴿وَرَيْحانٌ﴾ يقول: ورزق واسع في قول بعضهم، وفي قول آخرين فله راحة وريحان وقرأ ذلك الحسن البصريّ «فَرُوحٌ» بضم الراء، بمعنى: أن روحه تخرج في ريحانة.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالفتح لإجماع الحجة من القرّاء عليه، بمعنى: فله الرحمة والمغفرة، والرزق الطيب الهنّي.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَرَوْحٌ ورَيْحانٌ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: فراحة ومستراح.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ﴾ يقول: راحة ومستراح.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ﴾ قال: يعني بالريحان: المستريح من الدنيا ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ يقول: مغفرة ورحمة.

وقال آخرون: الرَّوح: الراحة، والرَّيْحان: الرزق.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ﴾ قال: راحة. وقوله: وريحان قال: الرزق.

وقال آخرون: الرَّوْح: الفرح، والرَّيْحان: الرزق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا إدريس، قال: سمعت أبي، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جُبَير، في قوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ﴾ قال: الرَّوْح: الفرح، والرَّيحان: الرزق.

وأما الذين قرأوا ذلك بضم الراء فإنهم قالوا: الرُّوح: هي رُوح الإنسان، والرَّيحان: هو الريحان المعروف. وقالوا: معنى ذلك: أن أرواح المقرّبين تخرج من أبدانهم عند الموت برَيحان تشمه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن الحسن ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ﴾ قال: تخرج رُوحه في ريحانة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية ﴿فأما إنْ كانَ مِنَ المقرّبين﴾ قال: لم يكن أحد من المقرّبين يفارق الدنيا، والمقرّبون السابقون، حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه، ثم يُقبض.

وقال آخرون ممن قرأ ذلك بفتح الراء: الرَّوْح: الرحمة، والرَّيحان: الريحان المعروف.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَرَوْحٌ وَرَيحانٌ**﴾ قال: الروح: الرحمة، والريحان: يُتَلَقى به عند الموت.

وقال آخرون منهم: الرَّوْح: الرحمة، والرَّيحان: الاستراحة.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول ﴿**فَرَوْحٌ ورَيحانٌ**﴾ الرَّوْح: المغفرة والرحمة، والرَّيحان: الاستراحة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن منذر الثوريّ، عن الربيع بن خثيم ﴿**فأمَّا إنْ كانَ مِنَ المُقَرّبِينَ**﴾ قال: هذا عند الموت ﴿**فَرَوْحٌ وَرَيحانٌ**﴾ قال: يُجاء له من الجنة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا قرة، عن الحسن، في قوله: ﴿**فأمَّا إنْ كانَ مِنَ المُقَرّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيحانٌ وَجَنةُ نَعِيمٍ**﴾ قال: ذلك في الآخرة، فقال له بعض القوم قال: أما والله إنهم ليرون عند الموت.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا حماد، قال: ثنا قُرة، عن الحسن، بمثله.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي: قول من قال: عُني بالرَّوْح: الفرح والرحمة والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدت رَوْحاً: إذا وجد نسيماً يَستَرْوِح إليه من كَرَبِ الحرّ. وأما الرَّيحان، فإنه عندي الريحان الذي يُتَلقى به عند الموت، كما قال أبو العالية والحسن، ومن قال في ذلك نحو قولهما، لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه.

وقوله: ﴿**وَجَنَّةُ نَعِيمٍ**﴾ يقول: وله مع ذلك بستان نعيم يتنعم فيه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وجنة نعيم، قال: قد عُرِضت عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وأمَّا إنْ كانَ**﴾ الميت ﴿**مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ**﴾ الذين يُؤخذ بهم إلى الجنة من ذات أيمانهم ﴿**فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ**﴾. ثم اختلف في معنى قوله: ﴿**فَسَلامٌ لَكَ مِنْ**

أصحَابِ اليَمِينِ﴾ فقال أهل التأويل فيه ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وأمَّا إنْ كانَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ﴾** فسلام لك من أصحاب اليمين قال: سلام من عند الله، وسلَّمت عليه ملائكة الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وأمَّا إنْ كانَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَاب اليَمِينِ﴾** قال: سلم مما يكره.

وأما أهل العربية، فإنهم اختلفوا في ذلك(١)، فقال بعض نحويِّي البصرة **﴿وأمَّا إنْ كانَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ﴾**: أي فيقال سلم لك. وقال بعض نحويِّي الكوفة: قوله: **﴿فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ﴾**: أي فذلك مسلم لك أنك من أصحاب اليمين، وألقيت «أن» ونوى معناها، كما تقول: أنت مصدّق مسافر عن قليل، إذا كان قد قال: إني مسافر عن قليل، وكذلك يجب معناه أنك مسافر عن قليل، ومصدّق عن قليل. قال: وقوله: **﴿فَسَلامٌ لَكَ﴾** معناه: فسلم لك أنت من أصحاب اليَمين. قال: وقد يكون كالدعاء له، كقوله: فسُقياً لك من الرجال. قال: وإن رفعت السلام فهو دعاء، والله أعلم بصوابه.

وقال آخر منهم قوله: **﴿فأمَّا إنْ كانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ﴾** فإنه جمع بين جوابين، ليعلم أن أمَّا جزاء. قال: وأما قوله: **﴿فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَاب اليَمِينِ﴾** قال: وهذا أصل الكلمة مسلم لك هذا، ثم حذفت «أن» وأقيم «مِنْ» مَقامها. قال: وقد قيل: فسلام لك أنت من أصحاب اليَمِينِ، فهو على ذاك: أي سلام لك، يقال: أنت من أصحاب اليمين، وهذا كله على كلامين. قال: وقد قيل مسلم: أي كما تقول: فسلام لك من القوم، كما تقول: فسُقياً لك من القوم، فتكون كلمة واحدة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معناه: فسلام لك إنك من أصحاب اليمين، ثم حُذفت واجتزىء بدلالة مِنْ عليها منها، فسلمت من عذاب الله، ومما تكره، لأنك من أصحاب اليمين.

وقوله: **﴿وأمَّا إنْ كانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾** يقول تعالى: وأما إن كان الميت من المكذّبين بآيات الله، الجائرين عن سبيله، فله نُزل من حميم قد أغلي حتى انتهى حرّه، فهو شرابه. **﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾** يقول: وحريق النار يحرق بها والتصلية: التفعلة من صلاّه الله النار فهو يصليه تصلية، وذلك إذا أحرقه بها.

(١) جمهور كلام المؤلف الذي نقله عن أهل العربية من نحاة الكوفة هنا: هو كلام الفراء في **«معاني القرآن»** (الورقة ٣٢٥ من مصورة الجامعة) نقل بعضه بنصه وتصرف في بعضه بلفظه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أخبرتكم به أيها الناس من الخبر عن المقرّبين وأصحاب اليمين، وعن المكذّبين الضالّين، وما إليه صائرة أمورهم ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ يقول: لهو الحقّ من الخبر اليقين لا شكّ فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾ قال: الخبر اليقين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وأَمَّا إنْ كانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾ حتى ختم، إن الله تعالى ليس تاركاً أحداً من خلقه حتى يوقفه على اليَقين من هذا القرآن. فأما المؤمن فأيقن في الدنيا، فنفعه ذلك يوم القيامة. وأما الكافر، فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه.

واختلف أهل العربية في وجه إضافة الحقّ إلى اليقين، والحقّ يقين، فقال بعض نحويي البصرة، قال: حقّ اليقين، فأضاف الحقّ إلى اليقين، كما قال: ﴿ذلكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾: أي ذلك دين الملّة القيمة، وذلك حقّ الأمر اليقين. قال: وأما هذا رجل السَّوء، فلا يكون فيه هذا الرجل السَّوء، كما يكون في الحقّ اليقين، لأن السوء ليس بالرجل، واليقين هو الحقّ. وقال بعض أهل الكوفة: اليقين نعت للحقّ، كأنه قال: الحقّ اليقين، والدين القيم، فقد جاء مثله في كثير من الكلام والقرآن ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةُ﴾ و﴿الدارُ الآخِرَةُ﴾ قال: فإذا أضيف توهم به غير الأوّل.

وقوله: ﴿فَسَبِّحْ باسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: فسبح بتسمية ربك العظيم بأسمائه الحسنى.

آخر تفسير سورة الواقعة

(٥٧) سورة الحديد مدنية

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها الحديد:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ما في السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ أن كلّ ما دونه من خلقه يسبحه تعظيماً له، وإقراراً بربوبيته، وإذعاناً لطاعته، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ والأرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

وقوله: ﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ يقول: ولكنه جلّ جلاله العزيز في انتقامه ممن عصاه، فخالف أمره مما في السموات والأرض من خلقه ﴿الحَكِيمُ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ أمرهم، وتصريفه إياهم فيما شاء وأحبّ.

وقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: له سلطان السموات والأرض وما فيهنّ ولا شيء فيهنّ يقدر على الامتناع منه، وهو في جميعهم نافذ الأمر، ماضي الحكم.

وقوله: ﴿يُحْيِي ويُمِيتُ﴾ يقول يحيي ما يشاء من الخلق بأن يوجده كيف يشاء، وذلك بأن يحدث من النطفة الميتة حيواناً بنفخ الروح فيها من بعد تارات يقلبها فيها، ونحو ذلك من الأشياء، ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة بعد بلوغه أجله فيفنيه ﴿وَهُوَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من الأمور.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿هو الأوّل﴾ قبل كل شيء بغير حدّ ﴿والآخر﴾ يقول: والآخر بعد كل شيء بغير نهاية. وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جلّ ثناؤه: كُلُّ شَيْءٍ هالكٌ إلاَّ وَجْهَهُ. وقوله: ﴿والظَّاهِرُ﴾ يقول: وهو الظاهر عل كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه ﴿والباطِنُ﴾ يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ، وقال به أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك، والخبر الذي روي فيه:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ﴾ ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ بينما هو جالس في أصحابه، إذ ثار عليهم سحاب، فقال: «هَلْ تَدْرُونَ ما هَذَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنَّها الرَّقِيعُ[(١)] مَوْجٌ مَكْفُوفٌ، وَسَقْفٌ مَحْفُوظٌ،» قال: «فَهَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَها»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: «مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ»، قال: «فَهَلْ تَدْرُونَ ما فَوْقَ ذلكَ؟» فقالوا مثل ذلك، قال: «فَوْقَها سَماءٌ أُخْرَى وَبَيْنَهُما مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ»، قال: «هَلْ تَدْرُونَ ما فَوْقَ ذلكَ؟» فقالوا مثل قولهم الأوّل، قال: «فإنَّ فَوْقَ ذلكَ العَرْشَ، وَبَيْنَهُ وَبينَ السَّماءِ السَّابِعَةِ مِثْلُ ما بينَ السَّماءَيْنِ»، قال: هَلْ «تَدْرُونَ ما الَّتِي تَحْتَكُمْ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «فإنَّها الأرْضُ»، قال: «فَهَلْ تَدْرُونَ ما تَحْتَها؟» قالوا له مثل قولهم الأوّل، قال: «فإنَّ تَحْتَها أرْضاً أُخْرَى، وَبَيْنَهُما مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ»، حتى عدّ سبع أرضين، بين كلّ أرضيْنِ مسيرة خمس مئة سنة، ثم قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دُلِّيَ أحَدُكُمْ بِحَبْلٍ إلى الأرْضِ الأُخْرَى لَهَبَطَ على اللّهِ»، ثُمَّ قرأ ﴿هُوَ الأوَّلُ والآخَرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ وَهُوَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وهو بكلّ شيء ذو علم، لا يخفى عليه شيء، فلا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، إلا في كتاب مبين.

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَواتِ والأرْضَ فِي سِتَّةِ أيَّامٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هو الذي أنشأ السموات السبع والأرضين، فدبرهنّ وما فيهنّ، ثم استوى على عرشه، فارتفع عليه وعلا.

وقوله: ﴿يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الأرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن صفته، وأنه لا يخفى عليه خافية من خلقه ﴿يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الأرْضِ﴾ من خلقه. يعني بقوله: ﴿يَلِجُ﴾: يدخل

---

(١) فيه سقط كما لا يخفى وفي الدر وابن كثير: قال هذا العنان، هذه روايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه، ثم قال تدرون ما فوقكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال فإنها الرقيع الخ.

﴿وَما يَخْرُجُ مِنها وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ﴾ إلى الأرض من شيء قطّ ﴿وَما يَعْرُجُ فِيها﴾ فيصعد إليها من الأرض ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَما كُنْتُمْ﴾ يقول: وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم، ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول: والله بأعمالكم التي تعملونها من حسن وسيء، وطاعة ومعصية، ذو بصر، وهو لها محص، ليجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته ﴿يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦﴾.

يقول تعالى ذكره: له سلطان السموات والأرض نافذ في جميعهنّ، وفي جميع ما فيهنّ أمره ﴿وَإِلى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وإلى الله مصير أمور جميع خلقه، فيقضي بينهم بحكمه.

وقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ﴾ يعني بقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ﴾ يدخل ما نقص من ساعات الليل في النهار، فيجعله زيادة في ساعاته ﴿وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ﴾ يقول: ويدخل ما نقص من ساعات النهار في الليل، فيجعله زيادة في ساعات الليل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل:

وقد ذكرنا الرواية بما قالوا فيما مضى من كتابنا هذا، غير أن نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر هنالك إن شاء الله تعالى:

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ﴾ قال: قصر هذا في طول هذا، وطول هذا في قصر هذا.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، في قوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ﴾ قال: دخول الليل في النهار، ودخول النهار في الليل.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، في قوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ﴾ قال: قصر أيام الشتاء في طول ليله، وقصر ليل الصيف في طول نهاره.

وقوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يقول: وهو ذو علم بضمائر صدور عباده، وما عزمت عليه نفوسهم من خير أو شرّ، أو حدّثت بهما أنفسهم، لا يخفى عليه من ذلك خافية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: آمنوا بالله أيها الناس، فأقرّوا بوحدانيته وبرسوله محمد ﷺ فصدّقوه فيما جاءكم به من عند الله واتبعوه، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، يقول جلّ ثناؤه: وأنفقوا مما خوّلكم الله من المال الذي أورثكم عمن كان قبلكم، فجعلكم خلفاءهم فيه في سبيل الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ قال: المعمرين فيه بالرزق.

وقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا﴾ يقول: فالذين آمنوا بالله ورسوله منكم أيها الناس وأنفقوا مما خولهم الله عمن كان قبلهم ورزقهم من المال في سبيل الله ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ يقول: لهم ثواب عظم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما لكم لا تؤمنون بالله، وما شأنكم أيها الناس لا تقرّون بوحدانية الله، ورسوله محمد ﷺ يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك، ما قطع عذركم، وأزال الشكّ من قلوبكم، وقد أخذ ميثاقكم، قيل: عني بذلك وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صُلب آدم، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾

قال: في ظهر آدم.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق غير أبي عمرو ﴿**وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ**﴾ بفتح الألف من أخذ ونصب الميثاق، بمعنى: وقد أخذ ربكم ميثاقكم. وقرأ ذلك أبو عمرو: «وقَدْ أُخِذَ مِيثاقُكُمْ» بضمّ الألف ورفع الميثاق، على وجه ما لم يسمّ فاعله.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، وإن كان فتح الألف من أخذ ونصب الميثاق أعجب القراءتين إليّ في ذلك لكثرة القرأة بذلك، وقلة القراء بالقراءة الأخرى.

وقوله: ﴿**إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ يقول: إن كنتم تريدون أن تؤمنوا بالله يوماً من الأيام، فالآن أحرى الأوقات، أن تؤمنوا لتتابع الحجج عليكم بالرسول وإعلامه، ودعائه إياكم إلى ما قد تقرّرت صحته عندكم بالإعلام والأدلة والميثاق المأخوذ عليكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الله الذي ينزّل على عبده محمد ﴿**آياتٍ بَيِّناتٍ**﴾ يعني مفصّلات ﴿**لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: ليخرجكم أيها الناس من ظُلمة الكفر إلى نور الإيمان، ومن الضلالة إلى الهُدى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ**﴾ قال: من الضلالة إلى الهدى.

وقوله: ﴿**وَإنَّ اللّهَ بِكم لَرَءوفٌ رَحِيمٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: وإن الله بإنزاله على عبده ما أنزل عليه من الآيات البيّنات لهدايتكم، وتبصيركم الرشاد، لذو رأفة بكم ورحمة، فمن رأفته ورحمته بكم فعل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ

وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما لكم أيها الناس لا تنفقوا مما رزقكم الله في سبيل الله وإلى الله صائرٌ أموالكم إن لم تنفقوها في حياتكم في سبيل الله، لأن له ميراث السموات والأرض، وإنما حثهم جلّ ثناؤه بذلك على حظهم، فقال لهم: أنفقوا أموالكم في سبيل الله، ليكون ذلكم لكم ذخراً عند الله من قبل أن تموتوا، فلا تقدروا على ذلك، وتصير الأموال ميراثاً لمن له السموات والأرض.

وقوله: ﴿**لا يَسْتَوِي مِنْكُم مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْح وَقاتَلَ**﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: لا يستوي منكم أيها الناس من آمن قبل فتح مكة وهاجر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَلَ**﴾ قال: آمن فأنفق، يقول: من هاجر ليس كمن لم يهاجر.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿**لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ**﴾ يقول: من آمن.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: يقول غير ذلك.

وقال آخرون: عني بالفتح فتح مكة، وبالنفقة: النفقة في جهاد المشركين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقاتَلُوا وكُلاً وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى**﴾ قال: كان قتالان، أحدهما أفضل من الآخر، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كانت النفقة والقتال من قبل الفتح «فتح مكة» أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ**﴾ قال: فتح مكة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الله بن عياش، قال: قال زيد بن أسلم في هذه الآية ﴿**لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الفَتحِ**﴾ قال: فتح مكة.

وقال آخرون: عني بالفتح في هذا الموضع: صلح الحديبية.

ذكر من قال ذلك:

حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن عامر، قال: فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية، يقول تعالى ذكره: ﴿**لا يَسْتَوِي مِنكُم مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَلَ...**﴾ الآية.

حدثني حُمَيد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عامر، في هذه الآية، قوله: ﴿**لا يَستَوِي مِنكُمْ منْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَل**﴾ قال: فتح الحديبية، قال: فصل ما بين العمرتين فتح الحديبية.

حدثني ابن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عامر، قال: فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية. وأُنزلت ﴿**لا يَستَوِي مِنكُم مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ...**﴾ إلى ﴿**وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ فقالوا: يا رسول الله فتحٌ هو؟ قال: «نَعَمْ عَظِيمٌ».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، قال: فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية، ثم تلا هنا الآية ﴿**لا يَستَوِي مِنكُمْ...**﴾ الآية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قال لنا رسول الله ﷺ عام الحديبية: «يُوشِكُ أنْ يأتِي قَوْمٌ تَحقِرُونَ أعمالَكُمْ مَعَ أعمالِهِمْ»، قلنا: من هم يا رسول الله، أقريش هم؟ قال: «لا، وَلَكِنْ أهْلُ اليَمَنِ أرَقُّ أفْئِدَةً وألْيَنُ قُلُوباً»، فقلنا: هم خير منا يا رسول الله، فقال: «لَوْ كانَ لأحَدِهِمْ جَبَلٌ مِنْ ذَهَب فأنْفَقَهُ ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِكُمْ وَلا نَصِيفَهُ، ألا إنَّ هَذَا فَصْلُ ما بَيْنَنا وَبينَ النَّاسِ، ﴿**لا يَستَوِي مِنكُم مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ...**﴾ الآية، إلى قوله: ﴿**وَاللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾.

حدثني ابن البَرْقيّ، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: أخبرني زيد بن أسلم، عن أبي سعيد التمار، أن رسول الله ﷺ قال: «يُوشِكُ أنْ يأتِي قَوْمٌ تَحقِرُونَ أعمالَكُمْ مع أعمالِهِمْ»، فقلنا: من هم يا رسولَ الله، أقريش؟ قال: «لا، هُمْ أرَقُّ أفْئِدَةً وألْيَنُ قُلُوباً»، وأشار بيده إلى اليمن، فقال: «هُمْ أهْلُ اليَمَنِ، ألا إنَّ الإيمانَ يمانٍ، والحِكْمَةُ يمانِيَةٌ» فقلنا: يا رسول الله هم خير منا؟ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَده لَوْ كان لأحَدِهِمْ جَبَلُ ذَهَب يُنْفِقُهُ ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِكُمْ وَلا نَصِيفَهُ»، ثم جمع أصابعه، ومدّ خنصره وقال: «إلا إنَّ هَذَا فَصْلُ ما بَيْنَنا وَبَينَ النَّاسِ» ﴿**لا يَستَوِي مِنكُم مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَل أُولَئِكَ أعْظَمُ دَرَجةً مِنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا وكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الحُسْنَى**﴾.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: معنى ذلك لا يستوي منكم أيها الناس من

أنفق في سبيل الله من قبل فتح الحُدَيبية للذي ذكرنا من الخبر عن رسول الله ﷺ، الذي رويناه عن أبي سعيد الخُدريّ عنه، وقاتل المشركين بمن أنفق بعد ذلك، وقاتل وترك ذكر من أنفق بعد ذلك، وقاتل استغناء بدلالة الكلام الذي ذُكر عليه من ذكره ﴿**أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا**﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين أنفقوا في سبيل الله من قبل فتح الحديبية، وقاتلوا المشركين أعظم درجة في الجنة عند الله من الذين أنفقوا من بعد ذلك، وقاتلوا.

وقوله: ﴿**وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**﴾ يقول تعالى ذكره: وكلّ هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وعد الله الجنة بإنفاقهم في سبيله، وقتالهم أعداءه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا وآمَنُوا وكُلاً وَعَدَ الله الْحُسْنَى**﴾ قال: الجنة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**﴾ قال: الجنة.

وقوله: ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: والله بما تعملون من النفقة في سبيل الله، وقتال أعدائه، وغير ذلك من أعمالكم التي تعملون، خبير لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميع ذلك يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: من هذا الذي ينفق في سبيل الله في الدنيا محتسباً في نفقته مبتغياً ما عند الله، وذلك هو القرض الحسن، يقول: فيضاعف له ربه قرضه ذلك الذي أقرضه، بإنفاقه في سبيله، فيجعل له بالواحدة سبع مئة. وكان بعض نحويّي البصرة يقول في قوله: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً**﴾ فهو كقول العرب: لي عندك قرض صدق، وقرض سَوْء إذا فعل به خيراً وأنشد ذلك بيتاً للشنفري:

سَنَجْزِي سَلامانَ بنَ مُفْرِجَ قَرْضَها ... بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فأَزَلَّتِ[1]

---

(١) نسب المؤلف البيت إلى الشنفري. وسلامان بن مفرج قبيلة من العرب، والقرض كما في «اللسان»: قرض ـ

﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يقول: وله ثواب وجزاء كريم، يعني بذلك الأجر: الجنة، وقد ذكرنا الرواية عن أهل التأويل في ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: **﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَينَ أَيْدِيهِمْ وبأيمانِهِمْ﴾** فقال بعضهم: معنى ذلك: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يضيء نورهم بين أيديهم وبأيمانهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ...﴾** الآية، ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «مِنَ المُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورُهُ مِن المَدِينَةِ إلى عَدَنَ أَبْيَنَ فَصَنْعاءَ، فَدُونَ ذلكَ، حتى إنَّ مِنَ المُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُضِيءُ نُورُهُ إلاَّ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، بنحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي يذكر عن المنهال، عن عمرو، عن قيس بن سكن، عن عبد الله، قال: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نوراً على إبهامه يطفأ مرة ويقدُ مرّة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى إيمانهم وهداهم بين أيديهم، وبأيمانهم: كتبهم.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَينَ أيْدِيهِمْ وَبأيمانِهِمْ﴾**: كتبهم، يقول الله: فأما من أوتي كتابه بيمينه،

= بفتح القاف وكسرها: ما يتجازى به الناس بينهم، ويتقاضونه، وجمعه قروض، وهو ما أسلفه من إحسان، ومن إساءة. قال أمية بن أبي الصلت:

كلُّ امْرِئٍ سَوفَ يُجْزَى قَرْضَه حسَنا … أَوْ سَيِّئاً ومَدِيناً مِثْلَ ما دانا

قد سبق استشهاد المؤلف ببيت أمية هذا في (٢/ ٥٩٢) من هذه الطبعة.

وأما نورهم فهداهم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن الضحاك، وذلك أنه لو عنى بذلك النور الضوء المعروف، لم يخصّ عنه الخبر بالسعي بين الأيدي والأيمان دون الشمائل، لأن ضياء المؤمنين الذي يؤتونه في الآخرة يضيء لهم جميع ما حولهم، وفي خصوص الله جلّ ثناؤه الخبر عن سعيه بين أيديهم وبأيمانهم دون الشمائل، ما يدلّ على أنه معنيّ به غير الضياء، وإن كانوا لا يخلون من الضياء.

فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا: وكلاً وعد الله الحسنى يوم ترون المؤمنين والمؤمنات يسعى ثواب إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم، وفي أيمانهم كتب أعمالهم تتطاير.

ويعني بقوله: ﴿يَسْعَى﴾ يمضي، والباء في قوله: ﴿وبأيمانِهِمْ﴾ بمعنى في. وكان بعض نحويي البصرة يقول: الباء في قوله: ﴿وبأيمانِهِمْ﴾ بمعنى على أيمانهم.

وقوله: ﴿يَومَ تَرَى﴾ من صلة وعد.

وقوله: ﴿بُشْرَاكُمُ اليَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهم: بشارتكم اليوم أيها المؤمنون التي تبشرون بها جنات تجري من تحتها الأنهار، فأبشروا بها.

وقوله: ﴿خالِدِينَ فِيها﴾ يقول: ماكثين في الجنات، لا ينتقلون عنها ولا يتحولون.

وقوله: ﴿ذلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيم﴾ يقول: خلودهم في الجنات التي وصفها هو النجح العظيم الذي كانوا يطلبونه بعد النجاة من عقاب الله، ودخول الجنة خالدين فيها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هو الفوز العظيم في يوم يقول المنافقون والمنافقات، واليوم من صلة الفوز للذين آمنوا بالله ورسله: انظرونا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿انْظُرُونا﴾ فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ﴿انْظُرُونا﴾ موصولة بمعنى: انتظرونا، وقرأته عامة قرّاء الكوفة «أنْظِرُونا» مقطوعة الألف من أنظرت بمعنى: أخرونا، وذكر الفرّاء أن العرب تقول: أنظرني وهم يريدون: انتظرني

قليلاً وأنشد في ذلك بيت عمرو بن كلثوم:

أبا هِنْدٍ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْنا وأنظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقِينا[١]

قال: فمعنى هذا: انتظرنا قليلاً نخبرك، لأنه ليس ها هنا تأخير، إنما هو استماع كقولك للرجل: اسمع مني حتى أخبرك.

والصواب من القراءة في ذلك عندي الوصل، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب إذا أريد به انتظرنا، وليس للتأخير في هذا الموضع معنى، فيقال: أنظرونا، بفتح الألف وهمزها.

وقوله: ﴿**نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ**﴾ يقول: نستصبح من نوركم، والقبس: الشعلة.

وقوله: ﴿**قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً**﴾ يقول جلّ ثناؤه: فيجابون بأن يقال لهم: ارجعوا من حيث جئتم، واطلبوا لأنفسكم هنالك نوراً، فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يَوْمَ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالمُنافِقاتُ...**﴾ إلى قوله: ﴿**وَبِئْسَ المَصِيرُ**﴾ قال ابن عباس: بينما الناس في ظلمة، إذ بعث الله نوراً فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا، تبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذٍ: انظرونا نقتبس من نوركم، فإنا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون: ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة، فالتمسوا هنالك النور.

---

(١) هذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي (انظره في شرحي الزوزني والتبريزي) يخاطب عمرو بن هند مالك الحيرة. وهو من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**». قال عند قوله تعالى: ﴿للذين آمنوا انظرونا﴾. وقرأها يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة: «أنظرونا» من أنظرت. وسائر القراء على (انظرونا) بتخفيف الألف. ومعنى (انظرونا) انتظرونا. ومعنى «أنظرونا» أخرونا، كما قال: «أنظرني إلى يوم يبعثون». وقد تقول العرب «أنظرني» وهم يريدون انتظروني، تقوية لقراءة يحيى. قال الشاعر:

«أبا هند...... البيت».

فمعنى هذه: انتظرنا قليلاً نخبرك، لأنه ليس هاهنا تأخير، إنما هو استماع كقولك للرجل: اسمع مني حتى أخبرك اهـ. وفي «**اللسان**» نظر والنظر: الانتظار. يقال: نظرت فلانا وانتظرته: بمعنى واحد فإذا قلت: انتظرت، فلم يجاوزك فعلك، فمعناه: وقفت وتمهلت ومنه قوله تعالى: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ قرىء انظرونا وأنظرونا بقطع الألف. فمن قرأ «انظرونا» بضم الألف، فمعناه: انتظرونا. ومن قرأ «أنظرونا» فمعناه: أخرونا. وقال الزجاج: قيل معنى «أنظرونا» انتظرونا أيضاً. ومنه قول عمر بن كلثوم:

«أبا هند.... البيت». اهـ.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا...**﴾ الآية، كان ابن عباس يقول: بينما الناس في ظلمة، ثم ذكر نحوه.

وقوله: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ**﴾ يقول تعالى ذكره: فضرب الله بين المؤمنين والمنافقين بسُور، وهو حاجز بين أهل الجنة وأهل النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**بِسُورٍ لَهُ بَابٌ**﴾ قال: كالحجاب في الأعراف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ**﴾ السور: حائط بين الجنة والنار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ**﴾ قال: هذا السور الذي قال الله ﴿**وَبَيْنَهُما حِجابٌ**﴾.

وقد قيل: إن ذلك السور ببيت المقدس عند وادي جهنم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا الحسن بن بلال، قال: ثنا حماد، قال: أخبرنا أبو سنان، قال: كنت مع عليّ بن عبد الله بن عباس، عند وادي جهنم، فحدّث عن أبيه أنه قال: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ**﴾ فقال: هذا موضع السور عند وادي جهنم.

حدثني إبراهيم بن عطية بن رُدَيح بن عطية، قال: ثني عمي محمد بن رُدَيح بن عطية، عن سعيد بن عبد العزيز، عن أبي العوّام، عن عُبادة بن الصامت أنه كان يقول: ﴿**بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾، قال: هذا باب الرحمة.

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد بن عطية بن قيس، عن أبي العوّام مؤذِن بيت المقدس، قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إن السور الذي ذكره الله في القرآن: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ**﴾ هو السور الشرقيّ، باطنه المسجد، وظاهره وادي جهنم.

حدثني محمد بن عوف، قال: ثنا أبو المُغيرة، قال: ثنا صفوان، قال: ثنا شريح أن كعباً كان يقول في الباب الذي في بيت المقدس: إنه الباب الذي قال الله: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾.

وقوله: ﴿**لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ**﴾ يقول تعالى ذكره: لذلك السور باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبل ذلك الظاهر العذاب: يعني النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾: أي النار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ**﴾ قال: الجنة وما فيها.

وقوله: ﴿**يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾ يقول تعالى ذكره: ينادي المنافقون المؤمنين حين حُجز بينهم بالسور، فبقوا في الظلمة والعذاب، وصار المؤمنون في الجنة، ألم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم، ونناكحكم ونوارثكم؟ قالوا: بلى، يقول: قال المؤمنون: بلى، بل كنتم كذلك، ولكنكم فَتَنتم أنفسكم، فنافقتم، وفِتْنتهم أنفسَهم في هذا الموضع كانت النفاق. وكذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ**﴾ قال: النفاق، وكان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم، ويغشَوْنهم، ويعاشرونهم، وكانوا معهم أمواتاً، ويعطون النور جميعاً يوم القيامة، فيطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور، ويماز بينهم حينئذٍ.

وقوله: ﴿**وَتَرَبَّصْتُمْ**﴾ يقول: وتلبثتم بالإيمان، ودافعتم بالإقرار بالله ورسوله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَتَرَبَّصْتُمْ**﴾ قال: بالإيمان برسول الله ﷺ، وقرأ ﴿**فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ**﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَتَرَبَّصْتُمْ**﴾ يقول: تربصوا بالحق

وأهله وقوله: ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ يقول: وشككتم في توحيد الله، وفي نبوّة محمد ﷺ. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾: شكوا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ كانوا في شكّ من الله.

وقوله: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأمانِيُّ﴾ يقول: وخدعتكم أمانيّ نفوسكم، فصدتكم عن سبيل الله وأضلتكم ﴿حتى جاءَ أمْرُ اللّهِ﴾ يقول: حتى جاء قضاء الله بمناياكم، فاجتاحتكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأمانِيُّ حتى جاءَ أمْرُ اللّهِ﴾ كانوا على خُدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار.

وقوله: ﴿وَغَرَّكُمْ باللّهِ الغَرُورُ﴾ يقول: وخدعكم بالله الشيطان، فأطمعكم بالنجاة من عقوبته، والسلامة من عذابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: ﴿الغَرُورُ﴾: أي الشيطان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَغَرَّكُمْ باللّهِ الغَرُورُ﴾: أي الشيطان.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَغَرَّكُمْ باللّهِ الغَرُورِ﴾: الشيطان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمنين لأهل النفاق، بعد أن ميز بينهم في القيامة ﴿فالْيَوْمَ﴾ أيها المنافقون ﴿لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ يعني: عوضاً وبدلاً يقول: لا يؤخذ ذلك منكم بدلاً من عقابكم وعذابكم، فيخلصكم من عذاب الله ﴿وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: ولا تؤخذ

الفدية أيضاً من الذين كفروا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** يعني المنافقين، ولا من الذين كفروا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿فالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ﴾** من المنافقين **﴿وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** معكم **﴿مأْوَاكُمُ النَّارُ﴾**.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿فالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾** فقرأت ذلك عامة القرّاء بالياء **﴿يُؤْخَذُ﴾**، وقرأه أبو جعفر القارىء بالتاء.

وأولى القراءتين بالصواب الياء وإن كانت الأخرى جائزة.

وقوله: **﴿مأْوَاكُمُ النَّارُ﴾** يقول: مثواكم ومسكنكم الذي تسكنونه يوم القيامة النار.

وقوله: **﴿هِيَ مَوْلاكُمْ﴾** يقول: النار أولى بكم.

وقوله: **﴿وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾** يقول: وبئس مصير من صار إلى النار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾**: ألم يحن للذين صدّقوا الله ورسوله أن تلين قلوبهم لذكر الله، فتخضع قلوبهم له، ولما نزل من الحقّ، وهو هذا القرآن الذي نزّله على رسوله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾** قال: تطيع قلوبهم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرِمة **﴿أَلَمْ يأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾**[1].

---

(١) سقط التفسير من قلم الناسخ، وفي الدر عن عكرمة: ألم يحن للذين آمنوا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ...﴾ الآية. ذُكر لنا أن شدّاد بن أوس كان يروي عن رسول الله ﷺ، قال: «إن أوّلَ ما يُرْفَعُ مِنَ النَّاس الخُشُوعُ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: كان شدّاد بن أوس يقول أوّل ما يرفع من الناس الخشوع.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَما نَزَّلَ مِنَ الحَقّ﴾ فقرأته عامة القرّاء غير شيبة ونافع بالتشديد «نَزَّل»، وقرأه شيبة ونافع، ﴿وما نزل﴾ بالتخفيف، وبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب، لتقارب معنييهما.

وقوله: ﴿وَلا يَكُونُوا كالَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبْل فَطالَ عَلَيْهِمُ الأمَدُ﴾ يقول تعالى ذكره: ألم يأن لهم أن ولا يكونوا، يعني الذين آمنوا من أمة محمد ﷺ ﴿كالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني من بني إسرائيل، ويعني بالكتاب الذي أوتوه من قبلهم التوراة والإنجيل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن مُغيرة، عن أبي معشر، عن إبراهيم، قال: جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود، فقال: يا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، فقال عبد الله: هلك من لم يعرف قلبه معروفاً، ولم ينكر قلبه منكراً، إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد، وقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من بين أيديهم وأرجلهم، استهوته قلوبهم، واستحلته ألسنتهم، وقالوا: نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب، فمن آمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه قال: فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن، ثم جعل القَرْن بين ثندُوَتَيْهِ فلما قيل له: أتؤمن بهذا؟ قال: آمنت به، ويومىء إلى القرن الذي بين ثندُوَتَيْهِ، ومالي لا أومن بهذا الكتاب، فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن.

ويعني بقوله: ﴿فَطالَ عَلَيْهِمُ الأمَدُ﴾ ما بينهم وبين موسى ﷺ، وذلك الأمد الزمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿الأمَدُ﴾ قال: الدهر.

وقوله: ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ عن الخيرات، واشتدّت على السكون إلى معاصي الله ﴿وَكَثِيرٌ

مِنهُمْ فاسِقُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وكثير من هؤلاء الذين أوتوا الكتاب من قبل أمة محمد ﷺ فاسقون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿اعْلَمُوا﴾** أيها الناس **﴿أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأرْضَ﴾** الميتة التي لا تنبت شيئاً **﴿بَعْدَ مَوْتِها﴾** يعني: بعد دثورها ودروسها، يقول: وكما نحيي هذه الأرض الميتة بعد دروسها، كذلك نهدي الإنسان الضّالّ عن الحقّ إلى الحقّ، فنوفّقه ونسدّده للإيمان حتى يصير مؤمناً من بعد كفره، ومهتدياً من بعد ضلاله.

وقوله: **﴿قَدْ بَيّنا لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** يقول: قد بيَّنا لكم الأدلة والحجج لتعقلوا.

وقوله: **﴿إنَّ المُصَّدِّقِينَ وَالمُصَّدِّقاتِ﴾** اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار، خلا ابن كثير وعاصم بتشديد الصاد والدال، بمعنى أن المتصدّقين والمتصدّقات، ثم تُدغم التاء في الصاد، فتجعلها صاداً مشدّدة، كما قيل: يا أيها المُزَّمِّلُ يعني المتزمل. وقرأ ابن كثير وعاصم «إنَّ المُصَدِّقِينَ والمُصَدقاتِ» بتخفيف الصاد وتشديد الدال، بمعنى: إن الذين صدقوا الله ورسوله.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان صحيح معنى كلّ واحدة منهما فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

فتأويل الكلام إذن على قراءة من قرأ ذلك بالتشديد في الحرفين: أعني في الصاد والدال، أن المتصدّقين من أموالهم والمتصدّقات **﴿وأقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾** يعني بالنفقة في سبيله، وفيما أمر بالنفقة فيه، أو فيما ندب إليه **﴿يُضاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أجْرٌ كَرِيمٌ﴾** يقول: يضاعف الله لهم قروضهم التي أقرضوها إياه، فيوفيهم ثوابها يوم القيامة، **﴿وَلَهُمْ أجْرٌ كَرِيمٌ﴾** يقول: ولهم ثواب من الله على صدقهم، وقروضهم إياه كريم، وذلك الجنة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والذين أقرّوا بوحدانية الله وإرساله رسله، فصدّقوا الرسل وآمنوا بما

جاؤوهم به من عند ربهم، أولئك هم الصِّدِّيقون.

وقوله: ﴿**والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: والشهداء عند ربهم منفصل من الذي قبله، والخبر عن الذين آمنوا بالله ورسله، متناه عند قوله: ﴿**الصِّدِّيقُونَ**﴾، والصدِّيقون مرفوعون بقوله: هم، ثم ابتدىء الخبر عن الشهداء فقيل: والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم، والشهداء في قولهم مرفوعون بقوله: ﴿**لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا باللَّهِ وَرُسِلِهِ أُولَئِكَ هُمْ الصِّدِّيقُونَ**﴾ قال: هذه مفصولة ﴿**والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِيقُونَ والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾ قال: هي للشهداء خاصة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: هي خاصة للشهداء.

قال: ثنا مهران، عن سفيان عن أبي الضحى ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ**﴾ ثم استأنف الكلام فقال: والشهداء عند ربهم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا باللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُون**﴾ هذه مفصولة، سماهم الله صدِّيقين بأنهم آمنوا بالله وصدّقوا رسله، ثم قال: ﴿**والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾ هذه مفصولة.

وقال آخرون: بل قوله: ﴿**والشهداء**﴾ من صفة الذين آمنوا بالله ورسله قالوا: إنما تناهى الخبر عن الذين آمنوا عند قوله: ﴿**والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ ثم ابتدىء الخبر عما لهم، فقيل: لهم أجرهم ونورهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرنا أبو قيس أنه سمع هذيلاً يحدّث، قال: ذكروا الشهداء، فقال عبد الله: الرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، والرجل يقاتل للدنيا، والرجل يقاتل للسمعة، والرجل يقاتل للمغنم قال شعبة شيئاً هذا معناه: والرجل يقاتل يريد وجه الله، والرجل يموت على فراشه وهو شهيد، وقرأ عبد الله

هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا باللَّهِ وَرُسُلِهِ أولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، وليث عن مجاهد ﴿والَّذِينَ آمَنُوا باللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أجْرُهُم وَنُورُهُمْ﴾ قال: كلّ مؤمن شهيد، ثم قرأها.

حدثني صالح بن حرب أبو معمر، قال: ثنا إسماعيل بن يحيى، قال: ثنا ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن البراء بن عازب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مُؤمِنُو أُمَّتِي شُهَداءُ». قال: ثم تلا النبيّ ﷺ هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا باللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿الصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: بالإيمان على أنفسهم بالله.

وقال آخرون: الشهداء عند ربهم في هذا الموضع: النبيون الذين يشهدون على أممهم من قول الله عزّ وجلّ ﴿فَكَيْفَ إذَا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ على هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾.

والذي هو أولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال: الكلام والخبر عن الذين آمنوا، متناه عند قوله: ﴿أولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ وإن قوله: ﴿والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خبر مبتدأ عن الشهداء.

وإنما قلنا: إن ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن ذلك هو الأغلب من معانيه في الظاهر، وأنّ الإيمان غير موجب في المتعارف للمؤمن اسم شهيد لا بمعنى غيره، إلا أن يُراد به شهيد على ما آمن به وصدّقه، فيكون ذلك وجهاً، وإن كان فيه بعض البعد، لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه، إذا أطلق بغير وصل، فتأويل قوله: ﴿والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ إذن والشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله، أو هلكوا في سبيله عند ربهم، لهم ثواب الله إياهم في الآخرة ونورهم.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتِنا أُولَئِكَ أصحَابُ الجَحِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين كفروا بالله وكذّبوا بأدلته وحججه، أولئك أصحاب الجحيم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ

شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس أن متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم، ما هي إلا لعب ولهو تتفكّهون به، وزينة تتزيَّنون بها، وتفاخر بينكم، يفخر بعضكم على بعض بما أولى فيها من رياشها **﴿وَتكاثُرٌ في الأمْوَالِ والأوْلادِ﴾** يقول تعالى ذكره: ويباهي بعضكم بعضاً بكثرةِ الأموال والأولاد **﴿كَمَثَلِ غَيثٍ أعْجَبَ الكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾** يقول تعالى ذكره: ثم ييبس ذلك النبات **﴿فَتَراهُ مُصْفَرّاً﴾** بعد أن كان أخضرَ نضِراً.

وقوله: **﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً﴾** يقول تعالى ذكره: ثم يكون ذلك النبات حطاماً، يعني به أنه يكون نبتاً يابساً متهشماً **﴿وفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾** يقول تعالى ذكره: وفي الآخرة عذاب شديد للكفار **﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٌ﴾** لأهل الإيمان بالله ورسوله. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿اعْلَمُوا أنَّمَا الْحَياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ولَهْوٌ...﴾** الآية، يقول: صار الناس إلى هذين الحرفين في الآخرة.

وكان بعض أهل العربية يقول في قوله: **﴿وفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٌ﴾** ذكر ما في الدنيا، وأنه على ما وصف، وأما الآخرة فإنها إما عذاب، وإما جنة. قال: والواو فيه وأو بمنزلة واحدة.

وقوله: **﴿وَما الْحَياةُ الدُّنيا إلاَّ مَتاعُ الغُرُورِ﴾** يقول تعالى ذكره: وما زينة الحياة الدنيا المعجلة لكم أيها الناس، إلا متاع الغرور.

حدثنا عليّ بن حرب الموصلي، قال: ثنا المحاربيّ: عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال النبيّ ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَما فِيها».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿سابِقُوا﴾** أيها الناس **﴿إلى﴾** عمل يوجب لكم **﴿مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ والأرْضِ أُعِدَّتْ﴾** هذه الجنة **﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا باللّهِ وَرُسُلِهِ﴾** يعني الذين وحَّدوا الله، وصدّقوا رسله.

وقوله: **﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ﴾** يقول جلّ ثناؤه: هذه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض التي أعدّها الله للذين آمنوا بالله ورسله، فضل الله تفضل به على المؤمنين، والله

يؤتي فضله من يشاء من خلقه، وهو ذو الفضل العظيم عليهم، بما بسط لهم من الرزق في الدنيا، ووهب لهم من النِّعم، وعرّفهم موضع الشكر، ثم جزاهم في الآخرة على الطاعة ما وصف أنه أعدّه لهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في الأرض بجدوبها وقحوطها، وذهاب زرعها وفسادها ﴿وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ بالأوصاب والأوجاع والأسقام ﴿إلاَّ فِي كِتابٍ﴾ يعني إلا في أمّ الكتاب ﴿مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرأها﴾ يقول: من قبل أن نبرأ الأنفس، يعني من قبل أن نخلقها. يقال: قد برأ الله هذا الشيء، بمعنى: خلقه فهو بارئه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ما أصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأرْضِ وَلا فِي أنْفُسِكُمْ إلاَّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرَأها﴾ قال: هو شيء قد فرغ منه من قبل أن نبرأ النفس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿ما أصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأرْضِ﴾ أما مصيبة الأرض: فالسنون. وأما في أنفسكم: فهذه الأمراض والأوصاب ﴿مِنْ قَبْلِ أن نَبْرَأَها﴾: من قبل أن نخلقها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿ما أصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأرْضِ﴾ قال: هي السنون ﴿وَلا فِي أنْفُسِكُمْ﴾ قال: الأوجاع والأمراض. قال: وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود، ولا نَكْبة قدم، ولاخَلَجانُ عِرْقٍ إلا بذنب، وما يعفو عنه أكثر.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن منصور بن عبد الرحمن، قال: كنت جالساً مع الحسن، فقال رجل: سله عن قوله: ﴿ما أصَابَ مِنْ مُصِيبَة فِي الأرْضِ وَلا في أنْفُسِكُم إلاَّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْل أنْ نَبرَأها﴾ فسألته عنها، فقال: سبحان الله، ومن يشكّ في هذا؟ كلّ مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن تبرأ النسمة.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿ما أصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأرْضِ وَلا فِي أنْفُسِكُمْ إلاَّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْل أن نبرَأها﴾

يقول: هو شيء قد فرغ منه من قبل أن نبرأها: من قبل أن نبرأ الأنفس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله جلّ ثناؤه: **﴿فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرَأها﴾** قال: من قبل أن نخلقها، قال: المصائب والرزق والأشياء كلها مما تحبّ وتكره فرغ الله من ذلك كله قبل أن يبرأ النفوس ويخلقها.

وقال آخرون: عُنِي بذلك: ما أصاب من مصيبة في دين ولا دنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: **﴿ما أصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأرْضِ وَلا فِي أنْفُسِكُمْ إلاَّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرَأَها﴾** يقول: في الدين والدنيا إلا في كتاب من قبل أن نخلقها.

واختلف أهل العربية في معنى **﴿في﴾** التي بعد قوله: **﴿إلا﴾** فقال بعض نحويّي البصرة: يريد والله أعلم بذلك: إلا هي في كتاب، فجاز فيه الإضمار. قال: ويقول: عندي هذا ليس إلا يريد إلا هو. وقال غيره منهم، قوله: **﴿فِي كِتابٍ﴾** من صلة ما أصاب، وليس إضمار هو بشيء، وقال: ليس قوله عندي هذا ليس إلا مثله، لأن إلاّ تكفي من الفعل، كأنه قال: ليس غيره.

وقوله: **﴿إنَّ ذلكَ على اللّهِ يَسِيرٌ﴾** يقول تعالى ذكره: إن خلق النفوس، وإحصاء ما هي لاقية من المصائب على الله سهل يسير.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾.

يعني تعالى ذكره: ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في أموالكم ولا في أنفسكم، إلا في كتاب قد كُتب ذلك فيه من قبل أن نخلق نفوسكم **﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا﴾** يقول: لكيلا تحزنوا **﴿على ما فاتَكُمْ﴾** من الدنيا، فلم تدركوه منها **﴿وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾** منها.

ومعنى قوله: **﴿بِما آتاكُمْ﴾** إذا مدّت الألف منها: بالذي أعطاكم منها ربكم وملّككم وخَوّلكم وإذا قُصرت الألف، فمعناها: بالذي جاءكم منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس **﴿لِكَيْلا**

تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ﴾ من الدنيا **﴿وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾** منها.

حُدثت عن الحسين بن يزيد الطحان، قال: ثنا إسحاق بن منصور، عن قيس، عن سماك، عن عكرِمة، عن ابن عباس **﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ﴾** قال: الصبر عند المصيبة، والشكر عند النعمة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سماك البكري، عن عكرِمة، عن ابن عباس **﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ﴾** قال: ليس أحد إلا يحزن ويفرح، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبراً، ومن أصابه خير فجعله شكراً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عزّ وجلّ: **﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾** قال: لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم منها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿بِما آتاكُمْ﴾** فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والكوفة **﴿بِما آتاكُمْ﴾** بمدّ الألف. وقرأه بعض قرّاء البصرة «بِما أتاكُمْ» بقصر الألف وكأن من قرأ ذلك بقصر الألف اختار قراءته كذلك، إذ كان الذي قبله على ما فاتكم، ولم يكن على ما أفاتكم، فيردّ الفعل إلى الله، فألحق قوله: «بِمَا أتاكُمْ» به، ولم يردّه إلى أنه خبر عن الله.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان صحيح معناهما، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، وإن كنت أختار مدّ الألف لكثرة قارئي ذلك كذلك، وليس للذي اعتلّ به منه معتلو قارئيه بقصر الألف كبير معنى، لأن ما جعل من ذلك خبراً عن الله، وما صرف منه إلى الخبر عن غيره، فغير خارج جميعه عند سامعيه من أهل العلم أنه من فعل الله تعالى، فالفائت من الدنيا من فاته منها شيء، والمدرك منها ما أدرك عن تقدّم الله عزّ وجلّ وقضائه، وقد بين ذلك جلّ ثناؤه لمن عقل عنه بقوله: **﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُم إلاَّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها﴾** فأخبر أن الفائت منها بإفاتته إياهم فاتهم، والمدرك منها بإعطائه إياهم أدركوا، وأن ذلك محفوظ لهم في كتاب من قبل أن يخلقهم.

وقوله: **﴿واللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُختالٍ فَخورٍ﴾** يقول: والله لا يحبّ كلّ متكبر بما أوتي من الدنيا، فخور به على الناس.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والله لا يحبّ كلّ مختال فخور، الباخلين بما أوتوا في الدنيا على اختيالهم به وفخرهم بذلك على الناس، فهم يبخلون بإخراج حق الله الذي أوجبه عليهم فيه، ويشِحُّون به، وهم مع بخلهم به أيضاً يأمرون الناس بالبخل.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَولَّ فإنَّ اللّهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يُدْبِرْ مُعْرِضاً عن عظة الله ﴿فإنَّ اللّهَ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يدبر معرضاً عن عظة الله، تاركاً العمل بما دعاه إليه من الإنفاق في سبيله، فرِحاً بما أوتي من الدنيا مختالاً به فخوراً بخيلاً، فإن الله هو الغنيّ عن ماله ونفقته، وعن غيره من سائر خلقه، الحميد إلى خلقه بما أنعم به عليهم من نِعمه.

واختلف أهل العربية في موضع جواب قوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيأْمُرُونَ النَّاس بالبُخْلِ﴾ فقال بعضهم: استغنى بالأخبار التي لأشباههم، ولهم في القرآن، كما قال: ﴿وَلَوْ أنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ أوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرْضُ أوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى﴾، ولم يكن في ذا الموضع خبر والله أعلم بما ينزل، هو كما أنزل، أو كما أراد أن يكون. وقال غيره من أهل العربية: الخبر قد جاء في الآية التي قبل هذه ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيأْمُرُونَ النَّاسَ بالبُخْلِ وَمَنْ يَتَولَّ فإنَّ اللّهَ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ عطف بجزاءين على جزاء، وجعل جوابهما واحداً، كما تقول: إن تقم وإن تحسن آتك، لا أنه حذف الخبر.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿فإنَّ اللّهَ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة «فإنَّ اللّهَ الغَنِيُّ» بحذف ﴿هو﴾ من الكلام، وكذلك ذلك في مصاحفهم بغير ﴿هو﴾. وقرأته عامة قرّاء الكوفة ﴿فإنَّ اللّهَ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ بإثبات هو في القراءة، وكذلك ﴿هو﴾ في مصاحفهم.

والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: لقد أرسلنا رسلنا بالمفصَّلات من البيان والدلائل، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، والميزان بالعدل. كما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿الكِتابَ وَالمِيزَانَ﴾ قال: الميزان: العدل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وأنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ والميزان**﴾ بالحق[1] قال: الميزان: ما يعمل الناس، ويتعاطون عليه في الدنيا من معايشهم التي يأخذون ويعطون، يأخذون بميزان، ويعطون بميزان، يعرف ما يأخذ وما يعطي. قال: والكتاب فيه دين الناس الذي يعملون ويتركون، فالكتاب للآخرة، والميزان للدنيا.

وقوله: ﴿**لِيَقُومَ النَّاسُ بالقِسْطِ**﴾ يقول تعالى ذكره: ليعمل الناس بينهم بالعدل.

وقوله: ﴿**وأنْزَلْنا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: وأنزلنا لهم الحديد فيه بأس شديد: يقول: فيه قوّة شديدة، ومنافع للناس، وذلك ما ينتفعون به منه عند لقائهم العدوّ، وغير ذلك من منافعه. وقد:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن علباء بن أحمر، عن عكرِمة عن ابن عباس، قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم صلوات الله عليه: السندان والكلبتان، والميقعة، والمطرقة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وأنْزَلْنا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**﴾ قال: البأس الشديد: السيوف والسلاح الذي يقاتل الناس بها ﴿**وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ بعد، يحفرون بها الأرض والجبال وغير ذلك.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: قوله: ﴿**وأنْزَلْنا الْحَدِيدَ فِيهِ بأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ وجُنّة وسلاح، وأنزله ليعلم الله من ينصره.

وقوله: ﴿**وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بالغَيْبِ**﴾ يقول تعالى ذكره: أرسلنا رسلنا إلى خلقنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليعدلوا بينهم، وليعلم حزب الله من ينصر دين الله ورسله بالغيب منه عنهم.

وقوله: ﴿**إنَّ اللَّهَ قَوِيٌ عَزِيزٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله قويّ على الانتصار ممن بارزه بالمعاداة، وخالف أمره ونهيه، عزيز في انتقامه منهم، لا يقدر أحد على الانتصار منه مما أحلّ به من العقوبة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ

---

(١) لعله والميزان، والميزان بالحق.

مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا أيها الناس نوحاً إلى خلقنا، وإبراهيم خليله إليهم رسولاً ﴿وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ﴾ وكذلك كانت النبوّة في ذرّيتهما، وعليهم أنزلت الكتب: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وسائر الكتب المعروفة ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ﴾ يقول: فمن ذرّيتهما مهتدٍ إلى الحقّ مستبصر ﴿وكَثِيرٌ مِنهُمْ﴾ يعني من ذرّيتهما ﴿فاسِقُونَ﴾ يعني ضُلاَّل، خارجون عن طاعة الله إلى معصيته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم أتبعنا على آثارهم برسلنا الذين أرسلناهم بالبيِّنات على آثار نوح إبراهيم برسلنا، وأتبعنا بعيسى ابن مريم ﴿وَجَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ يعني: الذين اتبعوا عيسى على منهاجه وشريعته ﴿رأْفَةً﴾ وهو أشدّ الرحمة ﴿وَرَحْمَةً وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها﴾ يقول: أحدثوها ﴿ما كَتَبْناها عَلَيهِمْ﴾ يقول: ما افترضنا تلك الرهبانية عليهم ﴿إلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوَانِ اللّهِ﴾ يقول: لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿فَمَا رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها﴾.

واختلف أهل التأويل في الذين لم يرعوا الرهبانية حقّ رعايتها، فقال بعضهم: هم الذين ابتدعوها، لم يقوموا بها، ولكنهم بدّلوا وخالفوا دين الله الذي بعث به عيسى: فتنصّروا وتهوّدوا.

وقال آخرون: بل هم قوم جاؤوا من بعد الذين ابتدعوها فلم يرعوها حقّ رعايتها، لأنهم كانوا كفاراً ولكنهم قالوا: نفعل كالذي كانوا يفعلون من ذلك أوّلياً، فهم الذين وصف الله بأنهم لم يرعوها حق رعايتها.

وبنحو الذي قلنا في تأويل هذه الأحرف إلى الموضع الذي ذكرنا أن أهل التأويل فيه مختلفون في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَجَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوه رأْفَةً ورَحْمَةً﴾ فهاتان من الله، والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم، ولم تُكتب عليهم، ولكن ابتغوا

بذلك وأرادوا رضوان الله، فما رعوها حقّ رعايتها، ذُكر لنا أنهم رفضوا النساء، واتخذوا الصوامع.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وَرهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها**﴾ قال: لم تُكتب عليهم، ابتدعوها ابتغاء رضوان الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ**﴾ قال فلم؟ قال: ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تطوّعاً، فما رَعوْها حقّ رعايتها. ذكر من قال: الذين لم يرعوا الرهبانية حقّ رعايتها كانوا غير الذين ابتدعوها. ولكنهم كانوا المريدي الاقتداء بهم.

حدثنا الحسين بن الحريث أبو عمار المَرْوَزيّ قال: ثنا الفضل بن موسى، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: كانت ملوك بعد عيسى بدّلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرأون التوراة والإنجيل، فقيل لملكهم: ما نجد شيئاً أشدّ علينا من شتم يشتُمناه هؤلاء أنهم يقرأون: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّهَ فأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ**﴾ هؤلاء الآيات مع ما يعيبوننا به في قراءتهم، فادعهم فليقرأوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنا به، قال: فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل، أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدّلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك فدعونا قال: فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة، ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا نردّ عليكم، وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض، ونهيم ونشرب كما تشرب الوحوش، فإن قدرتم علينا بأرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنوا لنا دوراً في الفيافي، ونحتفر الآبار، ونحترث البقول، فلا نردّ عليكم، ولا نمرّ بكم، وليس أحد من أولئك إلا وله حميم فيهم قال: ففعلوا ذلك، فأنزل الله جلّ ثناؤه ﴿**وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوَانِ اللّهِ فَما رَعَوْها حَق رِعايَتِها**﴾ الآخرون قالوا: نتعبد كما تعبد فلان، ونسيح كما ساح فلان. ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم قال: فلما بعث النبيّ ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل، انحطّ رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وجاء صاحب الدار من داره، وآمنوا به وصدّقوه، فقال الله جلّ ثناؤه ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وآمِنُوا برسوله يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ قال: أجرين لإيمانهم بعيسى، وتصديقهم بالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم به. قال ﴿**وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ**﴾ القرآن، واتباعهم النبيّ ﷺ وقال: ﴿**لِئَلاَّ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ على شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللّهِ وأنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾.

حدثنا يحيى بن أبي طالب، قال: ثنا داود بن المحبر، قال: ثنا الصعق بن حزن، قال: ثنا عقيل الجعديّ، عن أبي إسحاق الهمدانيّ، عن سويد بن غفلة، عن عبد الله بن مسعود، قال:

قال رسول الله ﷺ: «اخْتَلَفَ مَنْ كانَ قَبْلَنا على إحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، نَجا مِنْهُمْ ثَلاثٌ وَهَلَكَ سائِرُهُمْ: فِرْقَةٌ مِنَ الثَّلاثِ وَازَتِ المُلُوكَ وَقاتَلَتْهُمْ على دِينِ اللَّهِ وَدِينِ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَقَتَلَتْهُمُ المُلُوكُ وَفِرْقَةٌ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ طاقَةٌ بِموَازَاة المُلُوكِ، فأقامُوا بَينَ ظَهْرَانَيْ قَوْمِهِمْ يَدْعُونَهُمْ إلى دِينِ اللّهِ وَدِينِ عِيسَى ابن مَرْيَم صَلَوَاتُ اللّهُ عَلَيْهِ، فَقَتَلَتْهُمُ المُلُوكُ، وَنَشَرَتْهُمْ بالمَناشِير وَفِرْقَةٌ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ طاقَةٌ بِمُوَازَاةِ المُلُوكِ، وَلا بالمُقام بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمِهِمْ يَدْعُونَهُمْ إلى دِينِ اللّه وَدِينِ عِيسَى صَلَواتُ اللّهُ عَلَيْهِ، فَلَحِقُوا بالبَرَارِي والجِبالِ، فَتَرَهَّبُوا فِيها» فَهُوَ قَوْلُ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيهِمْ﴾ قال: «ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله» ﴿فَمَا رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها﴾ قال: «ما رعاها الذين من بعدهم حقّ رعايتها» ﴿فآتَينا الَّذِينَ آمَنُوا مِنهُمْ أجْرَهُمْ﴾ قال: «وهم الذين آمنوا بي، وصدّقوني». قال ﴿وكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾ قال: «فهم الذين جحدوني وكذّبوني».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها﴾ قال الآخرون ممن تعبد من أهل الشرك، وفني من فني منهم، يقولون: نتعبَّد كما تعبد فلان، ونسيح كما ساح فلان، وهم في شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم. ذكر من قال: الذين لم يرعوها حقّ رعايتها: الذين ابتدعوها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَجَعَلْنا فِي قُلُوب الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رأفَةً وَرَحْمَةً...﴾ إلى قوله: ﴿حَقَّ رِعايَتِها﴾ يقول: ما أطاعوني فيها، وتكلَّموا فيها بمعصية الله، وذلك أن الله عزّ وجلّ كتب عليهم القتال قبل أن يبعث محمداً ﷺ، فلما استخرج أهل الإيمان، ولم يبق منهم إلا قليل، وكثر أهل الشرك وذهب الرسل وقهروا، اعتزلوا في الغيران، فلم يزل بهم ذلك حتى كفرت طائفة منهم، وتركوا أمر الله عزّ وجلّ ودينه، وأخذوا بالبدعة وبالنصرانية وباليهودية، فلم يرعوها حقّ رعايتها وثبتت طائفة على دين عيسى ابن مريم صلوات الله عليه، حين جاءهم بالبينات وبعث الله عزّ وجلّ محمداً رسولاً ﷺ وهم كذلك فذلك قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ إلى ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيهِمْ﴾ كان الله عزّ وجل كتب عليهم القتال قبل أن يبعث محمد ﷺ فلما استخرج أهل الإيمان، ولم يبق منهم إلا القليل، وكثر أهل الشرك، وانقطعت الرسل، اعتزلوا الناس، فصاروا في الغيران، فلم يزالوا كذلك حتى غيرت طائفة منهم، فتركوا دين الله وأمره وعهده الذي عهده إليهم، وأخذوا بالبدع، فابتدعوا النصرانية واليهودية، فقال الله عزّ وجلّ لهم: ﴿ما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها﴾ وثبتت طائفة منهم على دين عيسى صلوات الله عليه، حتى

بَعث الله محمداً ﷺ، فآمنوا به.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا زكريا بن أبي مريم، قال: سمعت أبا أمامة الباهليّ يقول: إن الله كتب عليكم صيام رمضان، ولم يكتب عليكم قيامه، وإنما القيام شيء ابتدعتموه، وإن قوماً ابتدعوا بدعة لم يكتبها الله عليهم، ابتغوا بها رضوان الله، فلم يرعوها حقّ رعايتها، فعابهم الله بتركها، فقال: **﴿وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إلاّ ابْتِغاءَ رِضْوَانِ اللّهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها﴾**.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الذين وصفهم الله بأنهم لم يرعوا الرهبانية حقّ رعايتها، بعض الطوائف التي ابتدعتها، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر أنه آتى الذين آمنوا منهم أجرهم قال: فدلّ بذلك على أن منهم من قد رعاها حقّ رعايتها، فلو لم يكن منهم من كان كذلك لم يكن مستحقّ الأجر الذي قال جلّ ثناؤه: **﴿فآتَيْنا الَّذِينَ آمَنوا مِنْهُمْ أجْرَهُمْ﴾** إلا أن الذين لم يرعوها حقّ رعايتها ممكن أن يكونوا كانوا على عهد الذين ابتدعوها، وممكن أن يكونوا كانوا بعدهم، لأن الذين هم من أبنائهم إذا لم يكونوا رعوها، فجائز في كلام العرب أن يقال: لم يرعها القوم على العموم. والمراد منهم البعض الحاضر، وقد مضى نظير ذلك في مواضع كثيرة من هذا الكتاب.

وقوله: **﴿فآتَيْنا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أجْرَهُمْ﴾** يقول تعالى ذكره: فأعطينا الذين آمنوا بالله ورسله من هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية ثوابهم على ابتغائهم رضوان الله، وإيمانهم به وبرسوله في الآخرة، وكثير منهم أهل معاص، وخروج عن طاعته، والإيمان به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد **﴿فآتَيْنا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أجْرَهُمْ﴾** قال: الذين رعوا ذلك الحقّ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والإنجيل، خافوا الله بأداء طاعته، واجتناب معاصيه، وآمنوا برسوله محمد ﷺ. كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن

عباس ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ يعني الذين آمنوا من أهل الكتاب.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ يعني: الذين آمنوا من أهل الكتاب.

وقوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ يُعطكم ضعفين من الأجر لإيمانكم بعيسى ﷺ، والأنبياء قبل محمد ﷺ، ثم إيمانكم بمحمد ﷺ حين بعث نبياً. وأصل الكِفل: الحظّ، وأصله: ما يكتفل به الراكبُ، فيحبسه ويحفظه عن السقوط يقول: يُحَصِّنكم هذا الكِفْل من العذاب، كما يُحَصِّن الكِفل الراكب من السقوط. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو عمار المَرْوَزِيّ، قال: ثنا الفضل بن موسى، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال: أجرين، لإيمانهم بعيسى ﷺ، وتصديقهم بالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد ﷺ، وتصديقهم به.

قال: ثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال: أجْرَين: إيمانهم بمحمد ﷺ، وإيمانهم بعيسى ﷺ، والتوراة والإنجيل.

وبه عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس وهارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال: أجرين.

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ يقول: ضعفين.

قال: ثنا مهران، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جُبَير، قال: بعث النبيّ ﷺ جعفراً في سبعين راكباً إلى النجاشيّ يدعوه، فقدم عليه، فدعاه فاستجاب له وآمن به فلما كان عند انصرافه، قال ناس ممن قد آمن به من أهل مملكته، وهم أربعون رجلاً: ائذن لنا، فنأتي هذا النبيّ، فنسلم به، ونساعد هؤلاء في البحر، فإنَّا أعلم بالبحر منهم، فقدموا مع جعفر على النبي ﷺ، وقد تهيأ النبيّ ﷺ لوقعة أُحُدُ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخَصاصة وشدّة الحال، استأذنوا النبيّ ﷺ، قالوا: يا نبيّ الله إن لنا أموالاً، ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة، فإن أذِنت لنا انصرفنا، فجئنا بأموالنا، وواسينا المسلمين بها. فَأَذنَ لهم، فانصرفوا، فأتوا بأموالهم، فواسوا بها المسلمين، فأنزل الله فيهم ﴿الَّذِينَ آتيناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ فكانت النفقة التي واسَوْا بها المسلمين فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بقوله: ﴿يُؤْتَوْنَ أجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ فَخَروا على المسلمين،

فقالوا: يا معشر المسلمين، أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا فله أجره مرّتين، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فما فضلكم علينا، فأنزل الله ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ فجعل لهم أجرهم، وزادهم النورَ والمغفرة، ثم قال: ﴿**لِكَيْلا يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ**﴾. وهكذا قرأها سعيد بن جُبَير ﴿**لِكَيْلا يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ على شَيْءٍ**﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ قال: ضعفين.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ قال والكفلان أجران بإيمانهم الأوّل، وبالكتاب الذي جاء به محمد ﷺ.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ**﴾ يعني الذين آمنوا من أهل الكتاب ﴿**يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ يقول: أجرين بإيمانكم بالكتاب الأوّل، والذي جاء به محمد ﷺ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَحْمَتِهِ**﴾ قال: أجرين: أجر الدنيا، وأجر الآخرة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن سفيان، قال: ثنا عنبسة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص عن أبي موسى ﴿**يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ قال: الكفلان: ضعفان من الأجر بلسان الحَبَشة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الشعبيّ، قال: إن الناس يوم القيامة على أربع منازل: رجل كان مؤمناً بعيسى، فآمن بمحمد ﷺ، فله أجران. ورجل كان كافراً بعيسى، فآمن بمحمد ﷺ، فله أجر. ورجل كان كافراً بعيسى، فكفر بمحمد ﷺ، فباء بغضب على غضب. ورجل كان كافراً بعيسى من مشركي العرب، فمات بكفره قبل محمد فباء بغضب.

حدثني العباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي، قال: سألت سعيد بن عبد العزيز، عن الكفل كم هو؟ قال: ثلاث مئة وخمسون حسنة، والكفلان: سبع مئة حسنة. قال سعيد: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حبراً من أحبار اليهود: كم أفضل ما ضعفت لكم الحسنة؟ قال: كفل ثلاث مئة وخمسون حسنة قال: فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين، ثم ذكر سعيد قول الله عزّ وجل في سورة الحديد ﴿**يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ فقلت له: الكفلان في الجمعة مثل هذا؟ قال: نعم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك صحّ الخبر عن رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا معمر بن راشد، عن فراس، عن الشعبيّ، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أجْرَهُمْ مَرَّتَيْن: رَجُلٌ آمَنَ بالكِتابِ الأوَّلِ والكِتابِ الآخِرِ، وَرَجُلٌ كانَت لَهُ أمَةٌ فأدَّبَها وأحْسَنَ تَأدِيبَهَا، ثُمَّ أعْتَقَها فَتزَوَّجَها، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أحْسَنَ عِبادَةَ رَبِّهِ، وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ».

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: ثني صالح بن صالح الهمداني، عن عامر، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبي موسى، عن النبيّ ﷺ، بنحوه.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثني عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، عن صالح بن صالح، سمع الشعبيّ يحدّث، عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري، عن رسول الله ﷺ، بنحوه.

حدثني محمد بن عبد الحكم، قال: أخبرنا إسحاق بن الفرات، عن يحيى بن أيوب، قال: قال يحيى بن سعيد أخبرنا نافع، أن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّمَا آجالُكُم فِي آجالِ مَن خَلا مِنَ الأُمَم، كمَا بَيْنَ صَلاةِ العَصْرِ إلى مَغْرِبِ الشَّمْس، وإنما مَثَلُكُم وَمَثَلُ اليَهُودِ والنَّصارَى كمَثَلِ رَجُلٍ اسْتأجَرَ عُمَّالاً، فَقالَ: مَن يَعْمَل مِن بُكْرَةٍ إلى نِصفِ النَّهارِ على قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ألا فَعَمِلَت اليَهُودُ ثُمَّ قالَ: مَن يَعْمَلُ مِنْ نِصفِ النَّهارِ إلى صَلاةِ العَصْر على قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ألا فَعَمِلَتِ النَّصارَى ثُمَّ قالَ: مَن يعْمَل مِن صَلاةِ العَصْر إلى مَغارِبِ الشَّمْس على قِيرَاطَيْن قِيرَاطَيْن، ألا فَعَمِلْتُم».

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ هَذهِ الأُمَّةِ**»، أو قال «**أُمَّتِي وَمَثَلُ اليَهُودِ والنَّصارَى، كمَثَلِ رَجُلٍ قالَ: مَنْ يَعْمَلُ لي مِن غَدوَةٍ إلى نِصْفِ النَّهارِ على قِيرَاط**» قالَتِ اليَهودُ: نَحْنُ، فَعَملُوا قال: «**فَمَن يَعْمَلُ مِن نِصفِ النَّهارِ إلى صَلاة العَصْر على قِيرَاطٍ؟**» قالَتِ النَّصَارَى: نَحْنُ، فَعَمِلُوا، «**وأنْتُم المُسْلِمُونَ تَعْمَلُونَ مِن صَلاةِ العَصْر إلى اللَّيلِ على قِيرَاطَين**»، فَغَضِبَتِ اليَهودُ والنَّصارَى وقالُوا: نَحنُ أكْثَرُ عَمَلاً، وأقَلُّ أجراً، قالَ «**هَل ظَلَمْتُكُمْ مِن أُجُورِكُمْ شَيْئاً؟**» قالُوا: لا، قال: «**فَذاكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أشاءُ**».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني الليث وابن لهيعة، عن سليمان بن عبد الرحمن، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أُمامة الباهليّ، أنه قال: شهدت خطبة رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع، فقال قولاً كثيراً حسناً جميلاً، وكان فيها: «**مَن أسْلَمَ مِن أهْلِ الكِتابَيْنِ فَلَهُ أجْرُهُ مَرَّتَيْنِ، وَلَهُ مِثْلُ الَّذِي لَنَا، وَعَلَيْهِ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَا وَمَن أسْلَمَ مِنَ المُشْرِكينَ فَلَهُ أجْرُهُ، وَلَهُ**

مِثْلُ الذِي لَنا، وَعَلَيهِ مِثْلُ الَّذِي عَلَينا».

وقوله: ﴿ويَجْعَلْ لَكُم نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي عنى به النور في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى به القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو عمار المروزي، قال: ثنا الفضل بن موسى، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس **﴿ويَجْعَل لَكُم نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾** قال: الفرقان واتباعهم النبيّ ﷺ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس **﴿ويَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾** قال: الفرقان، واتباعهم النبيّ ﷺ.

حدثنا أبو كُرَيب، وأبو هشام، قالا: ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس **﴿ويَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾** قال: القرآن.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء، عن سعيد، مثله.

وقال آخرون: عُنِي بالنور في هذا الموضع: الهدى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾** قال: هدى.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نوراً يمشون به، والقرآن، مع اتباع رسول الله ﷺ نور لمن آمن بهما وصدّقهما وهدى، لأن من آمن بذلك، فقد اهتدى.

وقوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ يقول: ويصفح لكم عن ذنوبكم فيسترها عليكم **﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** يقول تعالى ذكره: والله ذو مغفرة ورحمة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٢٩)﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبمحمد ﷺ من أهل الكتاب، يفعل بكم ربكم هذا لكي يعلم

أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله الذي آتاكم وخصّكم به، لأنهم كانوا يرون أن الله قد فضّلهم على جميع الخلق، فأعلمهم الله جلّ ثناؤه أنه قد آتى أمة محمد ﷺ من الفضل والكرامة، ما لم يؤتهم، وأن أهل الكتاب حسدوا المؤمنين لما نزل قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ويَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُون بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** فقال الله عزّ وجلّ: فعلت ذلك ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ...﴾** الآية، قال: لما نزلت هذه الآية، حَسدَ أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله عزّ وجلّ **﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ...﴾** الآية، قال: ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «**إنَّما مَثَلُنا وَمَثَلُ أهْلِ الكِتابَيْنِ قَبْلَنا، كمَثَلِ رَجُلٍ اسْتأْجَرَ أُجَرَاءَ يَعْمَلُونَ إلى اللَّيْلِ على قِيرَاطٍ، فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهارُ سَئِمُوا عَمَلَهُ وَمَلُّوا، فحاسَبَهُمْ، فأَعطاهُمْ عَلى قَدْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ اسْتأْجَرَ أُجَرَاءَ إلى اللَّيْلِ عَلى قِيرَاطَيْنِ، يَعْمَلُونَ لَهُ بَقِيَّةَ عَمَلِهِ، فَقِيلَ لَهُ: ما شأْنُ هَؤُلاءِ أقَلُّهُمْ عَمَلاً، وأكْثَرُهُمْ أجْراً؟ قال: مالي أُعْطِي مَنْ شِئْتُ، فأرْجُوا أنْ نَكُونَ نَحْنُ أصحَابَ القِيرَاطَيْنِ**».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾** قال: بلغنا أنها حين نزلت حسد أهل الكتاب المسلمين، فأنزل الله **﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ على شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللّهِ﴾**.

حدثنا أبو عمار، قال: ثنا الفضل بن موسى، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس **﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ﴾** الذين يتسمعون **﴿ألاَّ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللّهِ﴾**.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، مثله.

وقيل: **﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ﴾** إنما هو ليعلم. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «لِكَيْ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ» لأن العرب تجعل «لا» صلة في كلّ كلام دخل في أوّله أو آخره جحد غير مصرّح، كقوله في الجحد السابق، الذي لم يصرّح به **﴿ما مَنَعَكَ ألاَّ تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُكَ﴾**، وقوله: **﴿وَما يُشْعِرُكُمْ أنَّها إذَا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾**، وقوله: **﴿وَحَرَامٌ عَلى قَرْيَةٍ أهْلَكْناها...﴾** الآية، ومعنى ذلك: أهلكناها أنهم يرجعون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، قال: أخبرنا أبو هارون الغَنويّ، قال: قال: خطاب بن عبد الله ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾.

قال: ثنا ابن عُلَية، عن أبي المعلَّى، قال: كان سعيد بن جُبَير يقول «لِكَيْلا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ».

وقوله: ﴿وأنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وليعلموا أن الفضل بيد الله دونهم، ودون غيرهم من الخلق ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ﴾ يقول: يعطي فضله ذلك من يشاء من خلقه، ليس ذلك إلى أحد سواه ﴿وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: والله ذو الفضل على خلقه، العظيم فضله.

آخر تفسير سورة الحديد

تمّ الجزء السابع والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه الجزء الثامن والعشرون

وأوله: تفسير سورة المجادلة

محتوى الجزء السابع والعشرون من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	تفسير سورة الذاريات	
٣٠	قالوا كذلك قال ربك	٥
٣١	قال فما خطبكم أيها المرسلون	٥
٣٢	قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين	٥
٣٣	لنرسل عليهم حجارة من طين	٥
٣٤	مُسَوَّمة عند ربك للمسرفين	٥
٣٥	فأخرجنا من كان فيها من المؤمنون	٥
٣٦	فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين	٦
٣٧	وتركنا فيها آية للذين يخافون	٦
٣٨	وفي موسى إذ أرسلنا إلى فرعون	٦
٣٩	فتولى بركته وقال ساحر	٦
٤٠	فأخذناه وجنوده فنبذناهم	٣
٤١	وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم	٣
٤٢	ما تذر من شيء أتت عليه	٣
٤٣	وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا	١٠
٤٤	فعتوا عن أمر ربهم	١٠
٤٥	فما استطاعوا من قيام	١١
٤٦	وقوم نوح من قبل	١١
٤٧	والسماء بنيناها بأيد	١٢
٤٨	والأرض فرشناها	١٢
٤٩	ومن كل شيء خلقنا زوجين	١٣
٥٠	ففروا إلى الله إني لكم	١٤
٥١	ولا تجعلوا مع الله آلٰهاً آخر	١٤
٥٢	كذلك ما أتى الذين من قبلهم	١٤
٥٣	أتواصوا به بل هم قوم طاغون	١٤
٥٤	فتولّ عنهم ما أنت بملوم	١٥
٥٥	وذكر فإن الذكءى تنفع المؤمنين	١٥
٥٦	وما خلقت الجن والإنس	١٦
٥٧	ما أريد منهم من رزق	١٦
٥٨	إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين	١٧
٥٩	فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب	١٧
٦٠	فويل للذين كفروا من يومهم	٢٠
	تفسير سورة الطور	
١	الطور	٢١
٢	وكتاب مسطور	٢١
٣	في رق منشور	٢١
٤	والبيت المعمور	٢١
٥	والسقف المرفوع	٢١
٦	والبحر المسجور	٢١
٧	إن عذاب ربك لواقع	٢١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨	ما له من دافع	٢١
٩	يوم تمور السماء مورا	٢٧
١٠	وتسير الجبال سيراً	٢٧
١١	فويل يومئذٍ للمكذبين	٢٨
١٢	الذين هم في خوض يلعبون	٢٨
١٣	يوم يدعون إلى نار جهنم	٢٨
١٤	هذه النار التي كنتم بها تكذبون	٢٨
١٥	أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون	٣٠
١٦	اصلَوها فاصبروا أولا	٣٠
١٧	إن المتقين في جنات النعيم	٣٠
١٨	فاكهين بما آتاهم ربهم	٣٠
١٩	كلوا واشربوا هنيئاً	٣١
٢٠	متكئين على سرر مصفوفة	٣١
٢١	والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم	٣١
٢٢	وأمددناهم بفاكهة ولحم	٣٦
٢٣	يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها	٣٦
٢٤	ويطوف عليهم غلمان لهم	٣٧
٢٥	وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون	٣٧
٢٦	قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين	٣٨
٢٧	فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السَّموم	٣٨
٢٨	إنا كنا من قبل ندعوه	٣٨
٢٩	فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن	٣٩
٣٠	أم يقولون شاعر نتربص به	٣٩
٣١	قل تربصوا فإني معكم من المتربصين	٣٩
٣٢	أم تأمرهم أحلامهم بهذا	٤١
٣٣	أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون	٤١
٣٤	فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين	٤١
٣٥	أم لقوا من غير شيء	٤٢
٣٦	أم خلقوا السموات والأرض	٤٢
٣٧	أم عندهم خزائن رحمة ربك	٤٢
٣٨	أم لهم سلم يستمعون فيه	٤٢
٣٩	أم له البنات ولكم البنون	٤٣
٤٠	أن تسألهم أجرافهم من مغرم مثقلون	٤٣
٤١	أم عندهم الغيب فهم يكتبون	٣٤
٤٢	أم يريدون كيداً فالذين كفروا	٤٤
٤٣	أم لهم إله غير الله	٤٤
٤٤	وإن يروا كسفاً من السماء	٤٤
٤٥	فذرهم حتى يلاقُوا يومهم	٤٤
٤٦	يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً	٤٥
٤٧	وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك	٤٥
٤٨	واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا	٤٧
٤٩	ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم	٤٧

تفسير سورة النجم

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	والنجم إذا هوى	٥٠
٢	ما ضل صاحبكم وما غوى	٥٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣	وما ينطق عن الهوى	٥٢
٤	إن هو إلا وحي يوحى	٥٢
٥	علمه شديد القوى	٥٢
٦	ذو مرة فاستوى	٥٢
٧	وهو بالأفق الأعلى	٥٢
٨	ثم دنا فتدلى	٥٥
٩	فكان قاب قوسين أو أدنى	٥٥
١٠	فأوحى إلى عبده ما أوحى	٥٥
١١	ما كذب الفؤاد ما رأى	٥٥
١٢	أفتمارونه على ما يرى	٦٠
١٣	ولقد رآه نزلة أخرى	٦٠
١٤	عند سدْرة المنتهى	٦٠
١٥	عندها جنة المأوى	٦٠
١٦	إذ يغشى السدرة ما يغشى	٦٠
١٧	ما زاغ البصر وما طغى	٦٨
١٨	لقد رأى من آيات ربه الكبرى	٦٨
١٩	أفرأيتم اللات والعزى	٦٩
٢٠	ومناة الثالثة الأخرى	٦٩
٢١	ألكم الذكر وله الأنثى	٦٩
٢٢	تلك إذا قسمة ضِيزى	٦٩
٢٣	إن هي إلا أسماء سميتموها	٧٣
٢٤	أم للإنسان ما تمّنى	٧٤
٢٥	فلله الآخرة والأولى	٧٤
٢٦	وكم من ملك في السموات	٧٤
٢٧	إن الذين لا يؤمنون بالآخرة	٧٤
٢٨	وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن	٧٤
٢٩	فأعرض عمن تولى عن ذكرنا	٧٤
٣٠	ذلك مبلغهم من العلم	٧٦
٣١	ولله ما في السموات وما في الأرض	٧٦
٣٢	الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش	٨٢
٣٣	أفرأيت الذي تولى	٨٣
٣٤	وأعطى قليلاً وأكدى	٨٣
٣٥	أعنده علم الغيب فهو يرى	٨٣
٣٦	أم لم ينبأ بما في صحف موسى	٨٣
٣٧	وإبراهيم الذي وفى	٨٣
٣٨	ألا تزر وازرة وزر أخرى	٨٣
٣٩	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى	٨٣
٤٠	وأن سعيه سوف يرى	٨٧
٤١	ثم يجزاه الجزاء الأوفى	٨٧
٤٢	وأن إلى ربك المنتهى	٨٧
٤٣	وأنه هو أضحك وأبكى	٨٧
٤٤	وأنه هو أمات وأحيا	٨٨
٤٥	وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى	٨٨
٤٦	من نطفة إذا تمنى	٨٨
٤٧	وأن عليه النشأة الأخرى	٨٨
٤٨	وأنه هو أغنى وأقنى	٨٩
٤٩	وأنه هو رب الشعري	٨٩
٥٠	وأنه أهلك عادا الأولى	٨٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥١	وثمود فما أبقى	٨٩
٥٢	وقوم نوح من قبل	٩٢
٥٣	والمؤتفكة أهوى	٩٢
٥٤	فغشاها ما غشى	٩٢
٥٥	فبأي آلاء ربك تتمارى	٩٤
٥٦	هذا نذير من النذر الأولى	٩٤
٥٧	أزفت الآزفة	٩٤
٥٨	ليس لها من دون الله كاشفة	٩٤
٥٩	أفمن هذا الحديث تعجبون	٩٦
٦٠	وتضحكون ولا تبكون	٩٦
٦١	وأنتم سامدون	٩٦
٦٢	فاسجدوا لله واعبدوا	٩٦

تفسير سورة القمر

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	اقتربت الساعة وانشق القمر	٩٩
٢	وإن يروا آية يعرضوا	٩٩
٣	وكذبوا واتبعوا أهواءهم	١٠٤
١٠٤	ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر	١٠٤
٥	حكمة بالغة فما تغنى النذر	١٠٤
٦	فتول عنهم يوم يدع الداع	١٠٥
٧	خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث	١٠٥
٨	مهطعين إلى الداع يقول الكافرون	١٠٥
٩	كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا	١٠٧
١٠	فدعا ربه أني مغلوب فانتصر	١٠٧
١١	ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر .	١٠٨
١٢	وفجرنا الأرض عيوناً	١٠٨
١٣	وحملناه على ذات ألواح ودُسُر ..	١٠٩
١٤	تجري بأعيننا	١٠٩
١٥	ولقد تركناها آية فهل من مدكر ...	١١١
١٦	فكيف كان عذابي ونذر	١١١
١٧	ولقد يسرنا القرآن للذكر	١١٢
١٨	كذبت عاد فكيف كان عذابي	١١٤
١٩	إنا أرسلنا عليهم ريحاً	١١٤
٢٠	نزع الناس كأنهم	١١٤
٢١	فكيف كان عذابي ونُذُر	١١٤
٢٢	ولقد يسرنا القرآن للذكر	١١٧
٢٣	كذبت ثمود بالنذر	١١٧
٢٤	فقالوا أبشرا منا واحدا	١١٧
٢٥	أءلقى الذكر عليه	١١٨
٢٦	سيعلمون غداً من الكذاب الأشر .	١١٨
٢٧	إنا مرسلوا الناقة فتنة	١١٨
٢٨	ونبئهم أن الماء قسمة بينهم	١١٨
٢٩	فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر	١١٩
٣٠	فكيف كان عذابي ونذر	١١٩
٣١	إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة	١١٩
٣٢	ولقد يسرنا القرآن للذكر	١٢٢
٣٣	كذبت قوم لوط	١٢٢
٣٤	إنا أرسلنا عليهم حاصبا	١٢٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٥	نعمة من عندنا	١٢٢
٣٦	ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر	١٢٢
٣٧	ولقد راودوه عن ضيفه	١٢٢
٣٨	ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر	١٢٤
٣٩	فذوقوا عابي ونذر	١٢٤
٤٠	ولقد يسرنا القرآن للذكر	١٢٤
٤١	ولقد جاء آل فرعون النذر	١٢٥
٤٢	كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم	١٢٥
٤٣	أكفاركم خير من أولئكم	١٢٥
٤٤	أم يقولون نحن جميع منتصر	١٢٥
٤٥	سيهزم الجمع ويولون الدبر	١٢٥
٤٦	بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر	١٢٧
٤٧	إن المجرمين في ضلال وسعر	١٢٧
٤٨	يوم يسحبون في النار على وجوهم	١٢٧
٤٩	إنا كل شيء خلقناه بقدر	١٢٧
٥٠	وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر	١٣٠
٥١	ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر	١٣٠
٥٢	وكل شيء فعلوه في الزبر	١٣٠
٥٣	وكل صغير وكبير مستطر	١٣٠
٥٤	إن المتقين في جنات ونهر	١٣٠
٥٥	في مقعد صدق عند مليك مقتدر	١٣٠

تفسير سورة الرحمٰن

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	الرحمٰن	١٣٣
٢	علم القرآن	١٣٣
٣	خلق الإنسان	١٣٣
٤	علمه البيان	١٣٣
٥	الشمس والقمر بحسبان	١٣٣
٦	والنجم والشجر يسجدان	١٣٦
٧	والسماء رفعها ووضع الميزان	١٣٦
٨	ألا تطغَوا في الميزان	١٣٣
٩	وأقيموا الوزن بالقسط	١٣٦
١٠	والأرض وضعها للأنام	١٣٩
١١	فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام	١٣٩
١٢	والحب ذو العصف والريحان	١٣٩
١٣	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٤٤
١٤	خلق الإنسان من صلصال كالفخار	١٤٤
١٥	وخلق الجانّ من مارج من نار	١٤٤
١٦	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٤٤
١٧	رب المشرقين ورب المغربين	١٤٨
١٨	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٤٨
١٩	مرج البحرين يلتقيان	١٤٨
٢٠	بينهما برزخ لا يبغيان	١٤٨
٢١	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٤٨
٢٢	يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان	١٥٢
٢٣	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٥٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٤	وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام	١٥٢
٢٥	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٥٢
٢٦	كل من عليها فان	١٥٦
٢٧	ويبقى وجه ربك و الجلال والإكرام	١٥٦
٢٨	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٥٦
٢٩	يسئله من في السموات والأرض	١٥٦
٣٠	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٥٦
٣١	سنفرُغ لكم أيها الثقلان	١٥٨
٣٢	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٥٨
٣٣	يا معشر الجن والإنس	١٥٨
٣٤	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٥٨
٣٥	يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس	١٦١
٣٦	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٦١
٣٧	فإذا انشقت السماء فكانت وردة	١٦١
٣٨	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٦١
٣٩	فيومئذٍ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان	١٦٦
٤٠	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٦٦
٤١	يعرف المجرمون بسيماهم	١٦٦
٤٢	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٦٦
٤٣	هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون	١٦٧
٤٤	يطوفون بينها وبين حميم آن	١٦٧
٤٥	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٦٧
٤٦	ولمن خاف مقام ربه جنتان	١٦٩
٤٧	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٦٩
٤٨	ذواتا أفنان	١٦٩
٤٩	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٦٩
٥٠	فيهما عينان تجريان	١٧٣
٥١	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٧٣
٥٢	فيهما من كل فاكهة زوجان	١٧٣
٣٥	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٧٣
٥٤	متكئين على فرش	١٧٣
٥٥	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٧٣
٥٦	فيهن قاصرات الطرف	١٧٥
٥٧	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٧٥
٥٨	كأنهن الياقوت والمرجان	١٧٦
٥٩	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٧٦
٦٠	هل جزاء الإحسان إلا الإحسان	١٧٧
٦١	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٧٧
٦٢	ومن دونهما جنتان	١٧٩
٦٣	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٧٩
٦٤	مدهامتان	١٧٩
٦٥	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٧٩
٦٦	فيهما عينان نضاختان	١٧٩
٦٧	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٧٩
٦٨	فيهما فاكهة ونخل ورمان	١٨٢
٦٩	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٨٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧٠	فيهن خيرات حسان	١٨٢
٧١	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٨٢
٧٢	حور مقصورات في الخيام	١٨٤
٧٣	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٨٤
٧٤	لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان	١٨٤
٧٥	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٨٤
٧٦	متكئين على رفرف خضر	١٨٩
٧٧	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٨٩
٧٨	تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام	١٧٨

تفسير سورة الواقعة

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	إذا وقعت الواقعة	١٩٣
٢	ليس لوقعتها كاذبة	١٩٣
٣	خافضة رافعة	١٩٣
٤	إذا رُجّت الأرض رجا	١٩٣
٥	وبست الجبال بسا	١٩٣
٦	فكانت هباء منبثا	١٩٣
٧	وكنتم أزواجاً ثلاثة	١٩٧
٨	فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة	١٩٧
٩	وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشأمة	١٩٧
١٠	والسابقون السابقون	١٩٧
١١	أولئك المقربون	١٩٧
١٢	في جنات النعيم	١٩٧
١٣	ثلة من الأولين	٢٠٠
١٤	وقليل من الآخرين	٢٠٠
١٥	على سرر موضونة	٢٠٠
١٦	متكئين عليها متقابلين	٢٠٠
١٧	يطوف عليهم ولدان مخلدون	٢٠٠
١٨	بأكواب وأباريق وكأس من معين	٢٠٠
١٩	لا يصدّعون عنها ولا ينزفون	٢٠٠
٢٠	وفاكهة مما يتخيرون	٢٠٠
٢١	ولحم طير مما يشتهون	٢٠٠
٢٢	وحور عين	٢٠٦
٢٣	كأمثال اللؤلؤ المكنون	٢٠٦
٢٤	لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً	٢٠٦
٢٥	جزاء بما كانوا يعملون	٢٠٦
٢٦	إلا قيلا سلاماً سلاما	٢٠٦
٢٧	وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين	٢٠٩
٢٨	في سدر مخضود	٢٠٩
٢٩	وطلح منضود	٢٠٩
٣٠	وظل ممدود	٢٠٩
٣١	وماء مسكوب	٢٠٩
٣٢	وفاكهة كثيرة	٢١٦
٣٣	لا مقطوعة ولا ممنوعة	٢١٦
٣٤	وفرش مرفوعة	٢١٦
٣٥	إنا أنشأناهن إنشاءاً	٢١٦
٣٦	فجعلناهن أبكاراً	٢١٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٧	عربا أتراباً	٢١٦
٣٨	لأصحاب اليمين	٢١٦
٣٩	ثلة من الأولين	٢٢١
٤٠	وثلة من الآخرين	٢٢١
٤١	وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال	٢٢١
٤٢	في سموم وحميم	٢٢١
٤٣	وظل من يَحموم	٢٢١
٤٤	لا بارد ولا كريم	٢٢١
٤٥	إنهم كانوا قبل ذلك مُترفين	٢٢١
٤٦	وكانوا يصرون على الحِنث العظيم	٢٢١
٤٧	وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً	٢٢٧
٤٨	أو آباؤنا الأولون	٢٢٧
٤٩	قل إن الأولين والآخرين	٢٢٧
٥٠	لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم	٢٢٧
٥١	ثم إنكم أيها الضالون المكذبون	٢٢٧
٥٢	لآكلون من شجر من زَقُّوم	٢٢٧
٥٣	فمالئون منها البطون	٢٢٧
٥٤	فشاربون عليه من الحميم	٢٢٨
٥٥	فشاربون شرب الهيم	٢٢٨
٥٦	هذا نُزُلُهم يومَ الدين	٢٢٨
٥٧	نحن خلقناكم فلولا تصدقون	٢٢٨
٥٨	أفرأيتم ما تمنون	٢٣٠
٥٩	ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون	٢٣٠
٦٠	نحن قدرنا بينكم الموت	٢٣٠
٦١	على أن نبدل أمثالكم	٢٣٠
٦٢	ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تَذَكَّرون	٢٣٠
٦٣	أفرأيتم ما تحرثون	٢٣٠
٦٤	أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون	٢٣١
٦٥	لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون	٢٣١
٦٦	إنا لمغرمون	٢٣١
٦٧	بل نحن محرومون	٢٣١
٦٨	أفرأيتم الماء الذي تشربون	٢٣٤
٦٩	أأنتم أنزلتموه من المُزْن	٢٣٤
٧٠	لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون	٢٣٤
٧١	أفرأيتم النار التي تُورُون	٢٣٥
٧٢	أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون	٢٣٥
٧٣	نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمُقْوِين	٢٣٥
٧٤	فسبح باسم ربك العظيم	٢٣٧
٧٥	فلا أقسم بمواقع النجوم	٢٣٧
٧٦	وإنه لقسم لو تعلمون عظيم	٢٣٧
٧٧	إنه لقرآن كريم	٢٣٧
٧٨	في كتاب مكنون	٢٣٧
٧٩	لا يمسُّه إلا المطهَّرون	٢٣٧
٢٨٠	تنزيل من رب العالمين	٢٣٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨١	أفبهذا الحديث أنتم مدهنون	٢٤٢
٨٢	وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون	٢٤٢
٨٣	فلولا إذا بلغت الحلقوم	٢٤٢
٨٤	وأنتم حينئذٍ منظرون	٢ط٢
٨٥	ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون	٢٤٢
٨٦	فلولا إن كنتم غير مَدِينين	٢٤٥
٨٧	ترجعونها إن كنتم صادقين	٢٤٥
٨٨	فأما إن كان من المقربين	٢٤٥
٨٩	فرَوح وريحان وجنة نعيم	٢٤٥
٩٠	وأما إن كان من أصحاب اليمين ..	٢٤٨
٩١	فسلام لك من أصحاب اليمين	٢٤٨
٩٢	وأما إن كان من المكذبين الضالين	٢٤٨
٩٣	فَنُزُل من حميم	٢٤٨
٩٤	وتصلية جحيم	٢٤٨
٩٥	إن هذا لهو حق اليقين	٢٥٠
٩٦	فسبح باسم ربك العظيم	٢٥٠

تفسير سورة الحديد

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	سبح لله ما في السموات والأرض	٢٥١
٢	له ملك السموات والأرض	٢٥١
٣	هو الأول والآخر والظاهر والباطن	٢٥١
٤	هو الذي خلق السموات والأرض	٢٥١
٥	له ملك السموات والأرض	٢٥٣
٦	يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل	٢٥٣
٧	آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم	٢٥٤
٨	وأما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله .	٢٥٦
٩	هو الذي ينزّل على عبده آيات	٢٥٥
١٠	وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ..	٢٥٦
١١	من ذا الذي يُقرِض الله قرضاً حسناً	٢٥٨
١٢	يوم ترى المؤمنين والمؤمنات	٢٥٩
١٣	يوم يقول المنافقون والمنافقات ...	٢٦٠
١٤	ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى	٢٦٠
١٥	فاليوم لا يُؤخذ منكم فدية	٢٦٤
١٦	ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم	٢٦٥
١٧	اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها	٢٦٧
١٨	إنّ المصّدِّقين والمصّدِّقات	٢٦٧
١٩	والذين آمنوا بالله ورسوله	٢٦٧
٢٠	اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو	٢٧٠
٢١	سابقوا إلى مغفرة من ربكم	٢٧٠
٢٢	ما أصاب من مصيبة في الأرض .	٢٧١
٢٣	لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا	٢٧٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٤	الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل	٢٧٣
٢٥	لقد أرسلنا رسلنا بالبينات	٢٧٤
٢٦	ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم	٢٧٦
٢٧	ثم قفينا على آثارهم برسلنا	٢٧٦
٢٨	يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله	٢٧٩
٢٩	لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون	٢٨٣

جَامِعُ البَيَان
عَنْ تَأْوِيلِ آيِ القُرْآنِ

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفاسير

الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء الثامن والعشرون

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان ـ شارع دكاش ـ هاتف: ٢٧٢٦٥٢ ـ ٢٧٢٦٥٥ ـ ٢٧٢٧٨٢ ـ ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ ـ ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧
Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

(٥٨) سورة المجادلة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى (جل ثناؤه وتقدست اسماؤه)

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ①﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: **﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾** يا محمد **﴿قَوْلَ الَّتي تجادلُكَ فِي زَوْجِها﴾** والتي كانت تجادل رسول الله ﷺ في زوجها امرأة من الأنصار.

واختلف أهل العلم في نسبها واسمها، فقال بعضهم: خولة بنت ثعلبة، وقال بعضهم: اسمها خُوَيلة بنت ثعلبة.

وقال آخرون: هي خويلة بنت خويلد. وقال آخرون: هي خويلة بنت الصامت. وقال آخرون: هي خويلة ابنة الدليج وكانت مجادلتها رسول الله ﷺ في زوجها، وزوجها أوس بن الصامت، مراجعتها إياه في أمره، وما كان من قوله لها: أنتِ عليّ كظهر أمي. ومحاورتها إياه في ذلك، وبذلك قال أهل التأويل، وتظاهرت به الرواية.

ذكر من قال ذلك، والآثار الواردة به:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا أبو داود، قال: سمعت أبا العالية يقول: إن خويلة ابنة الدليج أتت النبيّ ﷺ وعائشة تغسل شقّ رأسه، فقالت: يا رسول الله، طالت صحبتي مع زوجي، ونفضت له بطني، وظاهَرَ مني، فقال رسول الله ﷺ: «حَرُمْتِ عَلَيْهِ» فقالت: أشكو إلى الله فاقتي، ثم قالت: يا رسول الله طالت صحبتي، ونفضت له بطني، فقال رسول الله ﷺ: «حَرُمْتِ عَلَيْهِ» فجعل إذا قال لها: «حرمت عليه»، هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي، قال: فنزل الوحي، وقد قامت عائشة تغسل شقّ رأسه الآخر، فأومأت إليها عائشة أن اسكتي، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات، فلما قضي الوحي، قال: «ادعي زَوْجَكِ»، فَتَلاها عَلَيْهِ رسول الله ﷺ: **﴿قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللَّهِ واللَّهُ يَسْمَع تَحاوُرَكُما﴾** . . . إلى قوله: **﴿والَّذِين يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا**

قالُوا﴾: أي يرجع فيه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أن يَتماسَّا﴾ أتَسْتَطِيعُ رَقَبَةً؟ قال: لا، قال: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ﴾ قال: يا رسول الله، إني إذا لم آكل في اليوم ثلاث مرّات خشيت أن يعشو بصري قال: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾ قال: «أتَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِيناً؟» قال: لا يا رسول الله إلا أن تعينني، فأعانه رسول الله ﷺ فأطعم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، . قال: ذُكر لنا أن خويلة ابنة ثعلبة، وكان زوجها أوس بن الصامت قد ظاهر منها، فجاءت تشتكي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: ظاهر مني زوجي حين كبر سني، ورقّ عظمي فأنزل الله فيها ما تسمعون: ﴿قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿لَعَفُوٌّ غَفُورٌ وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا﴾ يريد أن يغشى بعد قوله ذلك، فدعاه رسول الله ﷺ فقال له: «أتَسْتَطِيعُ أنْ تحرّرَ مُحَرَّراً؟» قال: مالي بذلك يدان، أو قال: لا أجد، قال: «أتَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ؟» قال: لا والله إنه إذا أخطأه المأكل كل يوم مراراً يكلّ بصره، قال: «أتَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِيناً؟» قال: لا والله، إلا أن تعينني منك بعون وصلاة. قال بشر، قال يزيد: يعني دعاء فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً، فجمع الله له، والله غفور رحيم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قول الله: ﴿قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ واللَّهُ يَسْمَع تَحاوُرَكُما﴾ قال: ذاك أوس بن الصامت ظاهر من امرأته خويلة ابنة ثعلبة قالت: يا رسول الله كبر سني، ورق عظمي، وظاهر مني زوجي، قال: فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ﴾ . . . إلى قوله ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا﴾ يريد أن يغشى بعد قوله ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أنْ يَتماسَّا﴾ فدعاه إليه نبيّ الله ﷺ فقال: هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً؟ قال: لا قال: أفَتَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعينَ؟ قال: إنه إذا أخطأه أن يأكل كلّ يوم ثلاث مرّات يكلّ بصره قال: أتَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِيناً؟ قال: لا، إلا أن يعينني فيه رسول الله ﷺ بعون وصلاة، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً، وجمع الله له أمره، والله غفور رحيم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي حمزة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليّ كظهر أمي حَرُمت في الإسلام، فكان أوّل من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت، وكانت تحته ابنة عمّ له يقال لها خويلة بنت خُوَيلد وظاهر منها، فأُسْقِطَ في يديه وقال: ما أراكِ إلا قد حَرُمْتِ عليّ، وقالت له مثلَ ذلك، قال: فانطلقي إلى رسول الله ﷺ قال: فأتت رسول الله ﷺ، فوجدتْ عنده ماشطة تمشطُ رأسه، فأخبرته، فقال: «يا خُوَيْلَة ما أُمِرْنا فِي أمْرِكِ بِشَيْءٍ»، فأنزل الله على رسول الله ﷺ، فقال: «يا

خُوَيْلَةُ أَبْشِرِي»، قالت: خيراً، قال: فقرأ عليها رسول الله ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تجادِلُك فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ﴾... إلى قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أنْ يَتَماسَّا﴾ قالت: وأيُّ رقبة لنا، والله ما يجد رقبة غيري، قال: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيام شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَين﴾ قالت: والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرّات لذهب بصره، قال: ﴿فَمَنْ لم يَسْتَطِعْ فإطعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾ قالت: من أين؟ ما هي إلا أكلة إلى مثلها، قال: فرعاه بشطر وَسْق ثلاثين صاعاً والوَسْق ستون صاعاً فقال: «لِيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِيناً وَلْيُرَاجِعْكِ».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ﴾... إلى قوله: ﴿فإطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾، وذلك أن خولة بنت الصامت امرأة من الأنصار ظاهر منها زوجها، فقال: أنت عليّ مثل ظهر أمي، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إن زوجي كان تزوّجني، وأنا أحَبّ[1]، حتى إذا كبرت ودخلت في السنّ قال: أنت عليّ مثل ظهر أمي، فتركني إلى غير أحد، فإن كنت تجد لي رُخصة يا رسول الله تَنْعَشني وإياه بها فحدّثني بها، فقال رسول الله ﷺ: «ما أُمِرْتُ فِي شأنِكِ بِشَيْءٍ حتى الآنَ، وَلَكِنْ ارْجِعي إلى بَيْتِكِ، فإنْ أُومَرْ بِشَيْءٍ لا أغْمِمْهُ عَلَيْكِ إنْ شاءَ اللَّهُ» فرجعت إلى بيتها، وأنزل الله على رسوله ﷺ في الكتاب رخصتها ورخصة زوجها: ﴿قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها﴾... إلى قوله: ﴿وَللكافِرِينَ عَذَابٌ إليمٌ﴾ فأرسل رسول الله ﷺ إلى زوجها فلما أتاه قال له رسول الله ﷺ: «ما أرَدْتَ إلى يَمِينِكَ الَّتِي أقْسَمْتَ عَلَيْها؟» فقال: وهل لها كفّارة؟ فقال له رسول الله ﷺ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً؟» قال: إذاً يذهب مالي كله، الرقبة غالية وأنا قليل المال، فقال له رسول الله ﷺ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَين؟» قال: لا والله لولا أني آكل في اليوم ثلاث مرّات لكلّ بصري، فقال له رسول الله ﷺ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِيناً؟» قال: لا والله إلا أن تعينني على ذلك بعون وصلاة، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي مُعِينُكَ بِخَمْسَةَ عَشَرَ صَاعاً، وأنا دَاعٍ لَكَ بالبَرَكَةِ» فأصلح ذلك بينهما.

قال: وجعل فيه تحرير رقبة لمن كان مُوسراً لا يكفر عنه إلا تحرير رقبة إذا كان موسراً من قبل أن يتماسا، فإن لم يكن موسراً فصيام شهرين متتابعين، لا يصلح له إلا الصوم إذا كان معسراً، إلا أن لا يستطيع، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، وذلك كله قبل الجماع.

حدثنا ابن حَميد، قال: ثنا مهران، عن أبي معشر المدني، عن محمد بن كعب القرظيّ، قال: كانت خولة ابنة ثعلبة تحت أوس بن الصامت، وكان رجلاً به لمم، فقال في بعض

(١) الذي في الدر: وأنا أحب الناس إليه.
(٢) الهجرة، بكسر الهاء: اسم من الهجر بفتحها، وهو صرمه لزوجه.

هجراته[١]: أنت عليّ كظهر أمي، ثم ندم على ما قال، فقال لها: ما أظنك إلا قد حرمتِ عليّ قالت: لا تقل ذلك، فوالله ما أحبّ الله طلاقاً. قالت: أئت رسول الله ﷺ فسله، فقال: إني أجدني أستحي منه أن أسأله عن هذا، فقالت: فدعني أن أسأله، فقال لها: سليه فجاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا نبيّ الله إن أوس بن الصامت أبو ولدي، وأحبّ الناس إليّ، قد قال كلمة، والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً، قال: أنت عليّ كظهر أمي، فقال النبي ﷺ: «ما أَرَاكِ إلاَّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ»، قالت: لا تقل ذلك يا نبيّ الله، والله ما ذكر طلاقاً فرادت النبي ﷺ مراراً، ثم قالت: اللهم إنّي أشكو اليوم شدّة حالي ووحدتي، وما يشقّ عليّ من فراقه، اللهم فأنزل على لسان نبيك، فلم تَرِمْ[٢] مكانها حتى أنزل الله **﴿قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللَّهِ﴾** إلى أن ذكر الكفارات، فدعاه النبيّ ﷺ فقال: «أَعْتِقْ رَقَبَةً»، فقال لا أجد، فقال: «صُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْن» قال: لا أستطيع، إني لأصوم اليوم الواحد فيشقّ عليّ قال: «أطعمْ سِتِّينَ مِسْكِيناً؟» قال: أما هذا فَنَعَمْ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر عن أبي إسحاق **﴿قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها﴾** قال نزلت في امرأة اسمها خولة، وقال عكرمة اسمها خويلة، ابنة ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت جاءت النبيّ ﷺ، فقالت: إن زوجها جعلها عليه كظهر أمه، فقال النبي ﷺ: «ما أَرَاكِ إلاَّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ»، وهو حينئذ يغسل رأسه، فقالت: انظر جُعلت فداك يا نبيّ الله، فقال: «ما أَرَاكِ إلاَّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ»، فقالت: انظر في شأني يا رسول الله، فجعلت تجادله، ثم حوّل رأسه ليغسله، فتحوّلت من الجانب الآخر، فقالت: انظر جعلني الله فداك يا نبيّ الله، فقالت الغاسلة: أقصري حديثك ومخاطبتك يا خويلة، أما ترين وجه رسول الله ﷺ متربداً ليوحى إليه؟ فأنزل الله: **﴿قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها﴾**... حتى بلغ **﴿ثُمَّ يَعُودونَ لِمَا قالُوا﴾** قال قتادة: فحرمها، ثم يريد أن يعود لها فيطأها **﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾**... حتى بلغ **﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** قال أيوب: أحسبه ذكره عن عكرمة، أن الرجل قال: يا نبيّ الله ما أجد رقبة، فقال النبيّ ﷺ: «ما أنا بِزَائِدِكَ»، فأنزل الله عليه: **﴿صِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَينِ مِنْ قَبْلِ أنْ يَتَماسَّا﴾** فقال: والله يا نبيّ الله ما أطيق الصوم، إني إذا لم آكل في اليوم كذا وكذا أكلة لقيت ولقيت، فجعل يشكو إليه، فقال: «ما أنا بِزَائِدِكَ»، فنزلت: **﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإطْعامُ سِتينَ مِسْكِيناً﴾**.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ: **﴿الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها﴾** قال: تجادل محمداً ﷺ، فهي تشتكي إلى الله عند كبره وكبرها حتى انتفض وانتفض رحمها.

(١) لم ترم مكانها: لم تبرحه. رام المكان يريمه: من باب ضرب.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ﴿الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها﴾ قال: محمداً في زوجها قد ظاهر منها، وهي تشتكي إلى الله، ثم ذكر سائر الحديث نحوه.

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أبان العطار، قال: ثنا هشام بن عروة، عن عروة، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: كتبت إليّ تسألني عن خويلة ابنة أوس بن الصامت، وإنها ليست بابنة أوس بن الصامت، ولكنها امرأة أوس، وكان أوس امرأ به لمم، وكان إذا اشتدّ به لممه تظاهر منها، وإذا ذهب عنه لممه لم يقل من ذلك شيئاً، فجاءت رسول الله ﷺ تستفتيه وتشتكي إلى الله، فأنزل الله ما سمعت، وذلك شأنهما.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا أبي، قال: سمعت محمد بن إسحاق، يحدّث عن معمر بن عبد الله، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: حدثتني خويلة امرأة أوس بن الصامت قالت: كان بيني وبينه شيء، تعني زوجها، فقال: أنت عليّ كظهر أمي، ثم خرج إلى نادي قومه، ثم رجع فراودني عن نفسي، فقالت: كلا والذي نفسي بيده حتى ينتهي أمري وأمرك إلى رسول الله ﷺ، فيقضي فيّ وفيك أمره، وكان شيخاً كبيراً رقيقاً، فغلبته بما تغلب به المرأة القوية الرجل الضعيف، ثم خرجت إلى جارة لها، فاستعارت ثيابها، فأتت رسول الله ﷺ حتى جلست بين يديه، فذكرت له أمره، فما برحت حتى أنزل الوحي على رسول الله ﷺ، ثم قالت: لا يقدر على ذلك، قال: «إنا سنعينه على ذلك بفرق من تمر» قلت: وأنا أعينه بفرق آخر، فأطعم ستين مسكيناً.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن تميم، عن عروة، عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله ﷺ، وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ﴾... إلى آخر الآية.

حدثني عيسى بن عثمان الرملي، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة، قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها، إن المرأة لتناجي النبيّ ﷺ أسمع بعض كلامها، ويخفى عليّ بعض كلامها، إذ أنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها﴾.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة بن الزبير، قال: قالت عائشة: تبارك الذي وسع سمعه كلّ شيء،

إني لأسمع كلام خولة ابنة ثعلبة، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهمّ إني أشكو إليك، قال: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات ﴿**قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها**﴾ قال: زوجها أوس بن الصامت.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة، قالت: الحمد الله الذي وسع سمعه الأصوات، إن خولة تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، فيخفى عليّ أحياناً بعض ما تقول، قالت: فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿**قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ**﴾.

حدثنا الربيع بن سليمان، قال: ثنا أسد بن موسى، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن جميلة كانت امرأة أوس بن الصامت، وكان أمرأ به لمم، وكان إذا اشتد به لممه ظاهر من امرأته، فأنزل الله عزّ وجلّ آية الظهار.

حدثني يحيى بن بشر القرقساني، قال: ثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن الأموي، قال: ثنا خَصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كان ظهار الجاهلية طلاقاً، فأول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت من امرأته الخزرجية، وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك فلما ظاهر منها حسبت أن يكون ذلك طلاقاً، فأتت به نبيّ الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن أوساً ظاهر مني، وإنَّا إن افترقنا هلكنا، وقد نثرت بطني منه، وقدمت صحبته فهي تشكو ذلك وتبكي، ولم يكن جاء في ذلك شيء، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها**﴾ . . . إلى قوله: ﴿**وَلِلْكافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «أَتَقْدِرُ عَلى رَقَبَةٍ تُعْتِقُها؟» فقال: لا والله يا رسول الله، ما أقدر عليها، فجمع له رسول الله ﷺ حتى أعتق عنه، ثم راجع أهله.

وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله بن مسعود: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ التِي تُحاوِلُكَ فِي زَوْجِها».

وقوله: ﴿**وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ**﴾ يقول: وتشتكي المجادلة ما لديها من الهمّ بظهار زوجها منها إلى الله وتسأله الفرج ﴿**وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما**﴾ يعني تحاور رسول الله ﷺ، والمجادلة خولة ابنة ثعلبة ﴿**إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه، وغير ذلك من كلام خلقه، بصير بما يعملون، ويعمل جميع عباده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾.

يقول تعالى ذكره: الذين يحرّمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم، فيقولون لهنّ: أنتن علينا كظهور أمهاتنا، وذلك كان طلاق الرجل امرأته في الجاهلية. كذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أيوب، عن أبي قلابة، قال: كان الظهار طلاقاً في الجاهلية، الذي إذا تكلم به أحدهم لم يرجع في امرأته أبداً، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه ما أنزل.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة سوى نافع، وعامة قرّاء الكوفة خلا عاصم: «يَظَّاهَرُونَ» بفتح الياء وتشديد الظاء وإثبات الألف، وكذلك قرأوا الأخرى بمعنى يتظاهرون، ثم أدغمت التاء في الظاء فصارتا ظاء مشدّدة. وذكر أنها في قراءة أُبي: «يَتَظاهَرُونَ» وذلك تصحيح لهذه القراءة وتقوية لها وقرأ ذلك نافع وأبو عمرو وكذلك بفتح الياء وتشديد الظاء، غير أنهما قرآه بغير ألف: «يَظَّهَّرونَ». وقرأ ذلك عاصم: ﴿**يُظاهِرُونَ**﴾ بتخفيف الظاء وضم الياء وإثبات الألف.

والصواب من القول في ذلك عندي أن كلّ هذه القراءات متقاربات المعاني. وأما «يَظَّاهَرُونَ» فهو من تظاهر، فهو يتظاهر. وأما «يَظَّهَّرُونَ» فهو من تظهّر فهو يتظهّر، ثم أدغمت التاء في الظاء فقيل: يظَّهر. وأما ﴿**يُظاهِرُونَ**﴾ فهو من ظاهر يظاهر، فبأية هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿**ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: ما نساؤهم اللائي يُظاهرن منهنّ بأمهاتهم، فيقولوا لهنّ: أنتن علينا كظهر أمهاتنا، بل هنّ لهم حلال.

وقوله: ﴿**إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إلاَّ اللاَّئي وَلَدْنَهُمْ**﴾ لا اللائي قالوا لهنّ ذلك.

وقوله: ﴿**وإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ القَوْلِ وَزُوراً**﴾ يقول جلّ ثناؤه: وإن الرجال ليقولون منكراً من القول الذي لا تُعرف صحته وزوراً: يعني كذباً، كما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**مُنْكَراً مِنَ القَوْلِ وَزُوراً**﴾ قال: الزور: الكذب ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: إن الله لذو عفو وصفح عن ذنوب عباده إذا تابوا منها وأنابوا، غفور لهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣)﴾.

يقول جلّ ثناؤه: والذين يقولون لنسائهم: أنتنّ علينا كظهور أمهاتنا.

وقوله: **﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لمَا قالُوا﴾** اختلف أهل العلم في معنى العود لما قال المظاهر، فقال بعضهم: هو الرجوع في تحريم ما حرّم على نفسه من زوجته التي كانت له حلالاً قبل تظاهره، فيحلها بعد تحريمه إياها على نفسه بعزمه على غشيانها ووطئها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا﴾** قال: يريد أن يغشى بعد قوله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، مثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا﴾** قال: حرّمها، ثم يريد أن يعود لها فيطأها.

وقال آخرون نحو هذا القول، إلا أنهم قالوا: إمساكه إياها بعد تظهيره منها، وتركه فراقها عود منه لما قال، عَزَم على الوطء أو لم يعزم. وكان أبو العالية يقول: معنى قوله: **﴿لِمَا قالُوا﴾**: فيما قالوا.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: ثنا داود، قال: سمعت أبا العالية يقول في قوله: **﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا﴾**: أي يرجع فيه.

واختلف أهل العربية في معنى ذلك، فقال بعض نحويي البصرة في ذلك المعنى: فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا، فمن لم يجد فصيام، فإطعام ستين مسكيناً، ثم يعودون لما قالوا إنا لا نفعله فيفعلونه هذا الظهار، يقول: هي عليّ كظهر أمي، وما أشبه هذا من الكلام، فإذا أعتق رقبة أو أطعم ستين مسكيناً عاد لما قد قال: هو عليّ حرام يفعله. وكأن قائل هذا القول كان يرى أن هذا من المقدّم الذي معناه التأخير.

وقال بعض نحويي الكوفة **﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا﴾** يصلح فيها في العربية: ثم يعودون إلى ما قالوا، وفيما قالوا، يريدون النكاح، يريد: يرجعون عما قالوا، وفي نقض ما قالوا، قال: ويجوز في العربية أن تقول: إن عاد لما فعل، تريد إن فعل مرّة أخرى، ويجوز إن عاد لما فعل: إن نقض

ما فعل، وهو كما تقول: حلف أن يضربك، فيكون معناه: حلف لا يضربك، وحلف ليضربنك.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معنى اللام في قوله ﴿**لِمَا قَالُوا**﴾ بمعنى إلى أو في، لأن معنى الكلام: ثم يعودون لنقض ما قالوا من التحريم فيحللونه. وإن قيل معناه: ثم يعودون إلى تحليل ما حرّموا، أو في تحليل ما حرّموا فصواب، لأن كلّ ذلك عود له، فتأويل الكلام: ثم يعودون لتحليل ما حرّموا على أنفسهم مما أحله الله لهم.

وقوله: ﴿**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يتمَاسَّا**﴾ يقول: فعليه تحرير رقبة، يعني عتق رقبة عبد أو أمة، من قبل أن يماسّ الرجل المظاهر امرأته التي ظاهر منها أو تماسه.

واختلف في المعنى بالمسيس في هذا الموضع نظير اختلافهم في قوله: ﴿**وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ**﴾ وقد ذكرنا ذلك هنالك. وسنذكر بعض ما لم نذكره هنالك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا**﴾ فهو الرجل يقول لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي فإذا قال ذلك، فليس يحلّ له أن يقربها بنكاح ولا غيره حتى يكفّر عن يمينه بعتق رقبة ﴿**فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا**﴾ والمسّ: النكاح ﴿**فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً**﴾ وإن هو قال لها: أنت عليّ كظهر أمي إن فعلت كذا وكذا، فليس يقع في ذلك ظهار حتى يحنث، فإن حنث فلا يقربها حتى يكفّر، ولا يقع في الظهار طلاق.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، قال: ثنا أشعث، عن الحسن أنه كان لا يرى بأساً أن يغشى المظاهِرُ دون الفرج.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا زيد، قال: قال سفيان: إنما المظاهرة عن الجماع ولم ير بأساً أن يقضي حاجته دون الفرج أو فوق الفرج، أو حيث يشاء، أو يباشر.

وقال آخرون: عني بذلك كلّ معاني المسيس، وقالوا: الآية على العموم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا وهيب، عن يونس، قال: بلغني عن الحسن أنه كره للمظاهر المسيس.

وقوله: ﴿**ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ**﴾ يقول تعالى ذكره: أوجب ربكم ذلك عليكم عظة لكم تتعظون به، فتنتهون عن الظهار وقول الزور ﴿**واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: والله بأعمالكم التي تعملونها أيها الناس ذو خبرة لا يخفى عليه شيء منها، وهو مجازيكم عليها، فانتهوا عن قول المنكر والزور.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فمن لم يجد منكم ممن ظاهر من امرأته رقبة يحرّرها، فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا والشهران المتتابعان هما اللذان لا فصل بينهما بإفطار في نهار شيء منهما إلا من عذر، فإنه إذا كان الإفطار بالعذر ففيه اختلاف بين أهل العلم، فقال بعضهم: إذا كان إفطاره لعذر فزال العذر بنى على ما مضى من الصوم.

وقال آخرون: بل يستأنف، لأن من أفطر بعذر أو غير عذر لم يتابع صوم شهرين. ذكر من قال: إذا أفطر بعذر وزال العذر بنى وكان متابعاً:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن عديّ وعبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب أنه قال في رجلٍ صام من كفارة الظهار، أو كفارة القتل، ومرِضَ فأفطر، أو أفطر من عذر، قال: عليه أن يقضيَ يوماً مكان يوم، ولا يستقبل صومه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، بمثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب في المظاهر الذي عليه صوم شهرين متتابعين، فصام شهراً، ثم أفطر، قال: يتمّ ما بقي.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن وسعيد بن المسيب في رجل صام من كفارة الظهار شهراً أو أكثر ثم مرض، قال: يعتدّ بما مضى إذا كان له عذر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سالم بن نوح، قال: ثنا عمر بن عامر، عن قتادة، عن الحسن في الرجل يكون عليه الصوم في قتل أو نذر أو ظهار، فصام بعضه ثم أفطر، قال: إن كان معذوراً فإنه يقضي.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن إدريس، عن هشام، عن الحسن، قال: إن أفطر من عذر أتمّ، وإن كان من غير عذر استأنف.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن حجاج، عن عطاء، قال: من كان عليه صوم شهرين متتابعين فمرض فأفطر، قال: يقضي ما بقي عليه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن جُرَيج، عن عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار في الرجل يفطر في اليوم الغيم، يظنّ أن الليل قد دخل عليه في الشهرين المتتابعين أنه لا يزيد على أن يبدّله، ولا يستأنف شهرين آخرين.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن عبد الملك، عن عطاء قال: إن جامع المعتكف وقد بقي عليه أيام من اعتكافه قال: يتمّ ما بقي، والمظاهر كذلك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، قال: إذا كان شيئاً ابتلي به بنى على صومه، وإذا كان شيئاً هو فعله استأنف، قال: سفيان: هذا معناه.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل، عن عامر في رجل ظاهر، فصام شهرين متتابعين إلا يومين ثم مرض، قال: يتمّ ما بقي.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت إسماعيل عن الشعبيّ بنحوه.

حدثنا أبو كُرَيب ويعقوب قالا: ثنا هشيم، عن إسماعيل، عن الشعبي في رجل عليه صيام شهرين متتابعين، فصام فمرض فأفطر، قال: يقضي ولا يستأنف.

ذكر من قال: يستقبل من أفطر بعذر أو غير عذر:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم في رجل عليه صيام شهرين متتابعين فأفطر، قال: يستأنف، والمرأة إذا حاضت فأفطرت تقضي.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: إذا مرض فأفطر استأنف، يعني من كان عليه صوم شهرين متتابعين فمرض فأفطر.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا هشيم، عن جابر، عن أبي جعفر، قال: يستأنف.

وأولى القولين عندنا بالصواب قول من قال: يبني المفطر بعذر، ويستقبل المفطر بغير عذر، لإجماع الجميع على أن المرأة إذا حاضت في صومها الشهرين المتتابعين بعذر، فمثله، لأن إفطار الحائض بسبب حيضها بعذر كان من قِبل الله، فكلّ عذر كان من قبل الله فمثله.

وقوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإطْعام سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾ يقول تعالى ذكره: فمن لم يستطع منهم الصيام فعليه إطعام ستين مسكيناً. وقد بيَّنا وجه الإطعام في الكفارات فيما مضى قبل، فأغنى ذلك عن إعادته.

وقوله: ﴿ذَلكَ لِتُؤْمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: هذا الذي فرضتُ على من ظاهر منكم ما فرضت في حال القدرة على الرقبة، ثم خففت عنه مع العجز بالصوم، ومع فقد الاستطاعة على الصوم بالإطعام، وإنما فعلته كي تقرّ الناس بتوحيد الله ورسالة الرسول محمد ﷺ، ويصدّقوا بذلك، ويعملوا به، وينتهوا عن قول الزور والكذب ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذه الحدود التي حدّها الله لكم، والفروض التي بينها لكم حدود الله فلا تتعدّوها أيها الناس ﴿وَلِلْكافِرِينَ﴾ بها، وهم جاحدو هذه الحدود وغيرها من فرائض الله أن تكون من عند الله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: عذاب مؤلم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين يخالفون الله في حدوده وفرائضه، فيجعلون حدوداً غير حدوده، وذلك هو المحادّة لله ولرسوله، وأما قتادة فإنه كان يقول في معنى ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ الله وَرَسُولَهُ﴾ يقول: يعادون الله ورسوله.

وأما قوله: ﴿كُبِتُوا كمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فإنه يعني: غيظوا وأخزوا كما غيظ الذين من قبلهم من الأمم الذين حادّوا الله ورسوله، وخزُوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿كُبِتُوا كما كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ خُزوا كما خزي الذين من قبلهم.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: معنى ﴿كُبِتُوا﴾ أهلكوا.

وقال آخر منهم: يقول: معناه غيظوا وأخزوا يوم الخندق ﴿كمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يريد من قاتل الأنبياء من قبلهم.

وقوله: ﴿وَقَدْ أنْزَلْنا آياتٍ بَيِّناتٍ﴾ يقول: وقد أنزلنا دلالات مفصلات، وعلامات محكمات تدلّ على حقائق حدود الله.

وقوله: ﴿ولِلْكافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ولجاحدي تلك الآيات البيّنات التي أنزلناها على رسولنا محمد ﷺ، ومنكريها عذاب يوم القيامة مهين: يعني مذلّ في جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وللكافرين عذاب مَهين في يوم يبعثهم الله جميعاً، وذلك **﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ اللّهُ جَمِيعاً﴾** من قبورهم لموقف القيامة **﴿فَيُنَبِّئُهُمْ﴾** الله **﴿بِمَا عَمِلُوا أحْصَاهُ اللّهُ وَنَسُوهُ﴾** يقول تعالى ذكره: أحصى الله ما عملوا، فعدّه عليهم، وأثبته وحفظه، ونسيه عاملوه **﴿والله على كلّ شيء شهيد﴾** يقول: **﴿وَاللّهُ﴾** جلّ ثناؤه **﴿على كُلّ شَيْءٍ﴾** عملوه وغير ذلك من أمر خلقه **﴿شهيدٌ﴾** يعني شاهد يعلمه ويحيط به فلا يغرب عنه شيء منه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فترى **﴿أنّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّمَوَاتِ وَما فِي الأرْضِ﴾** من شيء، لا يخفى عليه صغير ذلك وكبيره يقول جلّ ثناؤه: فكيف يخفى على من كانت هذه صفته أعمال هؤلاء الكافرين وعصيانهم ربهم، ثم وصف جلّ ثناؤه قربه من عباده وسماعه نجواهم، وما يكتمونه الناس من أحاديثهم، فيتحدثونه سرّاً بينهم، فقال: **﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ﴾** من خلقه **﴿إلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾** يسمع سرّهم ونجواهم، لا يخفى عليه شيء من أسرارهم **﴿وَلا خَمْسَةٍ إلاَّ هُوَ سادِسُهُمْ﴾** يقول: ولا يكون من نجوى خمسة إلا هو سادسهم كذلك **﴿وَلا أدْنَى مِنْ ذلكَ﴾** يقول: ولا أقلّ من ثلاثة **﴿وَلا أكْثَرَ﴾** من خمسة **﴿إلاَّ هُوَ مَعَهُمْ﴾** إذا تناجوا **﴿أيْنَما كانُوا﴾** يقول: في أيّ موضع ومكان كانوا.

وعنى بقوله **﴿هُو رَابِعُهُمْ﴾** بمعنى أنه مشاهدهم بعلمه، وهو على عرشه، كما:

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثني نصر بن ميمون المضروب، قال: ثنا بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن الضحاك، في قوله: **﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ﴾**... إلى قوله **﴿هُوَ مَعَهُمْ﴾** قال: هو فوق العرش وعلمه معهم **﴿أيْنَما كانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيامَة إنَّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**.

وقوله: **﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيامَةِ﴾** يقول تعالى ذكره: ثم يخبر هؤلاء المتناجين

وغيرهم بما عملوا من عمل مما يحبه أو يسخطه يوم القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: إن الله بنجواهم وأسرارهم، وسرائر أعمالهم، وغير ذلك من أمورهم وأمور عباده عليم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ﴾ فقرأت قرّاء الأمصار ذلك ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى﴾ بالياء، خلا أبي جعفر القارىء، فإنه قرأه: «ما تَكُونُ» بالتاء. والياء هي الصواب في ذلك، لإجماع الحجة عليها، ولصحتها في العربية.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ من اليهود ﴿ثُمَّ يَعودُون﴾ فقد نهى الله عزّ وجلّ إياهم عنها، ويتناجون بينهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ قال: اليهود.

قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ثم يرجعون إلى ما نهوا عنه من النجوى ﴿وَيَتَناجُونَ بالإثْمِ والعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ويتناجون بما حرّم الله عليهم من الفواحش والعدوان، وذلك خلاف أمر الله ومعصية الرسول محمد ﷺ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَيَتَناجَوْنَ﴾ فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين والبصريين ﴿وَيَتَناجَوْنَ﴾ على مثال يتفاعلون، وكان يحيى وحمزة والأعمش يقرأون «وَيَنْتَجُونَ» على مثال يفتعلون. واعتلّ الذين قرأوه: ﴿يَتَناجَوْنَ﴾ بقوله: ﴿إذَا تَناجَيْتُمْ﴾ ولم يقل: إذا انتجيتم.

وقوله: ﴿وَإذا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا جاءك يا محمد هؤلاء الذين نهوا عن النجوى، الذين وصف الله جلّ ثناؤه صفتهم، حيوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية، وكانت تحيتهم التي كانوا يحيونه بها التي أخبر الله أنه لم يحيه بها فيما جاءت به الأخبار، أنهم كانوا يقولون: السام عليك. ذكر الرواية الواردة بذلك:

حدثنا ابن حُمَيد وابن وكيع قالا: ثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: «جاء ناس من اليهود إلى النبيّ ﷺ، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم وفعل، فقال النبيّ ﷺ: «يا عائِشَةُ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الفُحْشَ»، فقلت: يا رسول الله، ألست ترى ما يقولون؟ فقال: «أَلَسْتِ تَرَيْنَنِي أرُدُّ عَلَيْهِمْ ما يَقُولُونَ؟ أقُول: عَلَيْكُمْ» وهذه الآية في ذلك نزلت **﴿وإذَا جاءوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ الله وَيَقُولُونَ فِي أنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنا الله بِمَا نَقُول، حَسْبُهُمْ جَهَنَّم يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المَصِيرِ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: كان اليهود يأتون النبيّ ﷺ فيقولون: السام عليكم، فيقول: «عَلَيْكُمْ» قالت عائشة: السام عليكم وغَضَبُ الله فقال النبيّ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لا يحِبُّ الفاحِشَ المُتَفَحِّشَ»، قالت: إنهم يقولون: السام عليكم، قال: «إنّي أقُول: عَلَيْكُمْ»، فنزلت: **﴿وإذَا جاءوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ الله﴾** قال: فإن اليهود يأتون النبيّ ﷺ، فيقولون: السام عليكم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق **﴿وإذَا جاءوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾** قال: كانت اليهود يأتون النبيّ ﷺ، فيقولون: السام عليكم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿وإذَا جاءوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾**... إلى **﴿فَبِئْسَ المَصِيرُ﴾** قال: كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه: سام عليكم، فقال الله **﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّم يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المَصِير﴾**.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿وإذَا جاءوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾** قال: يقولون: سام عليكم، قال: هم أيضاً يهود.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله **﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ الله﴾** قال: اليهود كانت تقول: سام عليكم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري أن عائشة فطنت إلى قولهم، فقالت: وعليكم السامة واللعنة، فقال النبيّ ﷺ: «مَهْلاً يا عائِشَة إنَّ اللَّهَ يحِبُّ الرِّفْقَ في الأمْرِ كُلِّهِ»، فقالت: يا نبيّ الله ألم تسمع ما يقولون؟ قال: «أفَلَمْ تَسْمَعي ما أرُدُّ عَلَيْهِمْ؟ أقُول: عَلَيْكُمْ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك أنّ نبيّ الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه، إذ أتى عليهم يهوديّ، فسلم عليهم، فردّوا عليه، فقال نبيّ الله ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ ما قالَ؟» قالوا: سلَّم يا رسول الله، قال: «بَلْ قالَ: سأْمٌ عَلَيْكُمْ، أي تسأمون دينكم»، فقال النبيّ ﷺ: «أقُلْت سأْمٌ عَلَيْكُمْ؟» قال: نعم، فقال النبيّ ﷺ: «إذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أحَدٌ مِنْ أهْلِ الكِتابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكَ»: أي عليك ما قلت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وإذَا جاءوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾** قال: هؤلاء يهود، جاء ثلاثة نفر منهم إلى باب النبيّ ﷺ، فتناجوا ساعة، ثم استأذن أحدهم، فأذن له النبيّ ﷺ، فقال: السّام عليكم، فقال النبيّ ﷺ: «عَلَيْكَ»، ثُمّ الثاني، ثُمّ الثّالِثُ» قال ابن زيد: السام: الموت.

وقوله جلّ ثناؤه: **﴿وَيَقُولُونَ فِي أنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾** يقول جل ثناؤه: ويقول محيوك بهذه التحية من اليهود: هلا يعاقبنا الله بما نقول لمحمد ﷺ، فيعجل عقوبته لنا على ذلك، يقول الله: حسبُ قائلي ذلك يا محمد جهنم، وكفاهم بها يصلونها يوم القيامة، فبئس المصير جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله **﴿إذَا تَناجَيْتُمْ﴾** بينكم **﴿فَلا تَتَناجَوا بالإثْم وَالعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَ﴾** لكن **﴿تَنَاجَوْا بالْبِرّ﴾** يعني طاعة الله وما يقرّبكم منه **﴿والتَّقْوَى﴾** يقول: وباتقائه بأداء ما كلّفكم من فرائضه واجتناب معاصيه **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إلَيْهِ تُحْشَرونَ﴾** يقول: وخافوا الله الذي إليه مصيركم، وعنده مجتمعكم في تضييع فرائضه، والتقدّم على معاصيه أن يعاقبكم عليه عند مصيركم إليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٠﴾.

يقول تعالى ذكره: إنما المناجاة من الشيطان، ثم اختلف أهل العلم في النجوى التي أخبر الله أنها من الشيطان، أيّ ذلك هو، فقال بعضهم: عُنِي بذلك مناجاة المنافقين بعضهم بعضاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد،، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِن الشَّيطان لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم، فأنزل الله في ذلك القرآن ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِن الشَّيطان لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً**﴾... الآية.

وقال آخرون بما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عزّ وجلّ ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ قال: كان الرجل يأتي رسول الله ﷺ يسأله الحاجة ليرى الناس أنه قد ناجى رسول الله ﷺ، قال: وكان النبيّ ﷺ لا يمنع ذلك من أحد. قال: والأرض يومئذ حرب على أهل هذا البلد، وكان إبليس يأتي القوم فيقول لهم: إنما يتناجون في أمور قد حضرت، وجموع قد جمعت لكم وأشياء، فقال الله: ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾... إلى آخر الآية.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: كان المسلمون إذا رأوا المنافقين خلوا يتناجون، يشقّ عليهم، فنزلت ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾.

وقال آخرون: عُنِي بذلك أحلام النوم التي يراها الإنسان في نومه فتحزنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن داود البلخي، قال: سئل عطية، وأنا أسمع الرؤيا، فقال: الرؤيا على ثلاث منازل، فمنها وسوسة الشيطان، فذلك قوله ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيطَانِ**﴾ ومنها ما يحدّث نفسه بالنهار فيراه بالليل ومنها كالأخذ باليد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُني به مناجاة المنافقين بعضهم بعضاً بالإثم والعدوان، وذلك أن الله جلّ ثناؤه تقدم بالنهي عنها بقوله ﴿**إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ**﴾ ثم عما في ذلك من المكروه على أهل الإيمان، وعن سبب نهيه إياهم عنه، فقال: ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ فبين بذلك[1] إذ كان النهي عن رؤية المرء في منامه كان كذلك، وكان عقيب نهيه عن النجوى بصفة أنه من صفة ما نهى عنه.

---

(١) المراد من هذه العبارة أن عدم تأتي النهي عن الرؤيا المنامية، وتقدم النهي عن المناجاة بمعنى المسارة، يوضحان ما اختاره، من أن النجوى معناه المسارة، تأمل.

وقوله: ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إلاَّ بإذْنِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وليس التناجي بضارّ المؤمنين شيئاً إلا بإذن الله، يعني بقضاء الله وقَدَره.

وقوله ﴿وَعَلى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وعلى الله فليتوكل في أمورهم أهل الإيمان به، ولا يحزنوا من تناجي المنافقين ومن يكيدهم بذلك، وأن تناجيهم غير ضارّهم إذا حفظهم ربهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجالِسِ﴾ يعني بقوله تفسَّحُوا توسعوا من قولهم مكان فسيح إذا كان واسعاً.

واختلف أهل التأويل في المجلس الذي أمر الله المؤمنين بالتفسح فيه، فقال بعضهم: ذلك كان مجلس النبيّ ﷺ خاصة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿تَفَسَّحُوا فِي المجالس﴾ قال: مجلس النبيّ ﷺ كان يقال ذاك خاصة.

حدثنا الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا قِيلَ لَكُم تَفَسَّحُوا فِي المجالس﴾... الآية، كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنُّوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المجالس﴾ قال: كان هذا للنبيّ ﷺ ومن حوله خاصة يقول: استوسعوا حتى يصيب كلّ رجل منكم مجلساً من النبيّ ﷺ، وهي أيضاً مقاعد للقتال.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿تَفَسَّحُوا فِي

المَجالِسِ﴾ قال: كان الناس يتنافسون في مجلس النبيّ ﷺ فقيل لهم: **﴿إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجالِس فافسَحُوا﴾**.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: **﴿إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجالِس فافسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾** قال: هذا مجلس رسول الله ﷺ، كان الرجل يأتي فيقول: افسحوا لي رحمكم الله، فيضنّ كلّ أحد منهم بقربه من رسول الله ﷺ، فأمرهم الله بذلك، ورأى أنه خير لهم.

وقال آخرون: بل عُني بذلك في مجالس القتال إذا اصطفوا للحرب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المجالس فافسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾** قال: ذلك في مجلس القتال.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسحوا في المجلس، ولم يخصص بذلك مجلس النبيّ ﷺ دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له مجلس، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله ﷺ ومجالس القتال.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: «تَفَسَّحُوا فِي المجْلِسِ» على التوحيد غير الحسن البصري وعاصم، فإنهما قرآ ذلك **﴿فِي المَجالِسِ﴾** على الجماع. وبالتوحيد قراءة ذلك عندنا لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: **﴿فافسَحُوا﴾** يقول: فوسّعوا **﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾** يقول: يوسّع الله منازلكم في الجنة **﴿وإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا﴾** يقول تعالى ذكره: وإذا قيل ارتفعوا، وإنما يُراد بذلك: وإذا قيل لكم قوموا إلى قتال عدوّ، أو صلاة، أو عمل خير، أو تفرّقوا عن رسول الله ﷺ، فقوموا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا﴾** إلى **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلونَ خَبِيرٌ﴾** قال: إذا قيل: انشزوا فانشزوا إلى الخير والصلاة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿فانْشُزُوا﴾** قال:

إلى كلّ خير، قتال عدّو، أو أمر بالمعروف، أو حقّ ما كان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا﴾** يقول: إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا. وقال الحسن: هذا كله في الغزو.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا﴾** كان إذا نودي للصلاة تثاقل رجال، فأمرهم الله إذا نودي للصلاة أن يرتفعوا إليها، يقوموا إليها.

وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا﴾** قال: انشزوا عن رسول الله ﷺ، قال: هذا في بيته إذا قيل انشزوا، فارتفعوا عن النبيّ ﷺ، فإن له حوائج، فأحبّ كلّ رجل منهم أن يكون آخر عهده برسول الله ﷺ، فقال: **﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا﴾**.

وإنما اخترت التأويل الذي قلت في ذلك، لأن الله عزّ وجلّ أمر المؤمنين إذا قيل لهم انشزوا، أن ينشزوا، فعمّ بذلك الأمر جميع معاني النشوز من الخيرات، فذلك على عمومه حتى يخصه ما يجب التسليم له.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة **﴿فانْشُزُوا﴾** بضم الشين، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة بكسرها.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان بمنزلة يعكُفون ويعكِفون، ويعرُشون ويَعْرِشون، فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْم دَرَجاتٍ﴾** يقول تعالى ذكره: يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم فما أمرهم به من التفسح في المجلس إذا قيل لهم تفسحوا، أو بنشوزهم إلى الخيرات إذا قيل لهم انشزوا إليها، ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْم دَرَجاتٍ﴾** إن بالعلم لأهله فضلاً، وإن له على أهله حقاً، ولعمري للحقّ عليك أيها العالم فضل، والله معطى كل ذي فضل فضله.

وكان مطرف بن عبد الله بن الشِّخّير يقول: فضل العلم أحبّ إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع.

وكان عبد الله بن مطرف يقول: إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صوماً وصلاة وصدقة،

والآخر أفضل منه بوناً بعيداً، قيل له: وكيف ذاك؟ فقال: هو أشدّهما ورعاً لله عن محارمه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْم دَرَجاتٍ**﴾ في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به.

وقوله: ﴿**واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة، لا يخفى عليه المطيع منكم ربه من العاصي، وهو مجاز جميعكم بعمله المحسن بإحسانه، والمسيء بالذي هو أهله، أو يعفو.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ياأيها الذين صدقوا الله ورسوله، إذا ناجيتم رسول الله، فقدّموا أمام نجواكم صدقة تتصدّقون بها على أهل المسكنة والحاجة ﴿**ذَلكَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ يقول: وتقديمكم الصدقة أمام نجواكم رسول الله ﷺ، خير لكم عند الله ﴿**وأطْهَرُ**﴾ لقلوبكم من المآثم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**فَقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ قال: نُهُوا عن مناجاة النبيّ ﷺ حتى يتصدّقوا، فلم يناجه إلا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قدّم ديناراً فتصدّق به، ثم أنزلت الرُّخصة في ذلك.

حدثنا محمد بن عبيد بن محمد المحاربي، قال: ثنا المطلب بن زياد، عن ليث، عن مجاهد، قال: قال عليّ رضي الله عنه: إن في كتاب الله عزّ وجلّ لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدّمُوا بينَ يَدَيْ نَجوَاكُمْ صَدَقَة**﴾ قال: فُرضت، ثم نُسخت.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا أبو أسامة، عن شبل بن عباد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ قال: نهوا عن مناجاة النبيّ ﷺ حتى يتصدّقوا، فلم يناجه إلا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قدّم ديناراً صدقةً تصدّق به، ثم أنزلت الرخصة.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا، عن مجاهد، قال: قال عليّ رضي الله عنه: آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا جئت إلى النبيّ ﷺ تصدقت بدرهم، فنسخت فلم يعمل بها أحد قبلي ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ قال: سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، فوعظهم الله بهذه الآية. وكان الرجل تكون له الحاجة إلى نبيّ الله ﷺ، فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدّم بين يديه صدقة، فاشتد ذلك عليهم، فأنزل الله عزّ وجل الرخصة بعد ذلك ﴿**فإنْ لَمْ تَجِدُوا فإنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ قال: إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾... إلى ﴿**فإنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ قال: كان المسلمون يقدّمُونَ بين يدي النجوى صدقة، فلما نزلت الزكاة نُسخ هذا.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فَقَدِّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ وذاك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه فلما قال ذلك صبر كثير من الناس، وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا ﴿**فإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ**﴾ فوسّع الله عليهم، ولم يضيق.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عثمان بن أبي المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن عليّ بن علقمة الأنماريّ، عن عليّ، قال: قال النبيّ ﷺ: «ما تَرَى؟ دِينارٌ؟» قال: لا يطيقون، قال: «نِصْفُ دِينارٍ؟» قال: لا يطيقون؟ قال: «ما تَرَى؟» قال: شعيرة، فقال له النبيّ ﷺ: «إنَّكَ لَزَهِيدٌ» قال عليّ رضي الله عنه: فبي خفف الله عن هذه الأمة، وقوله: ﴿**إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ فنزلت ﴿**أأشْفَقْتُمْ أنْ تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقاتٍ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ**

آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ لئلا يناجي أهل الباطل رسول الله ﷺ، فيشقّ ذلك على أهل الحقّ، قالوا: يا رسول الله ما نستطيع ذلك ولا نطيقه، فقال الله عزّ وجلّ: **﴿أأشْفَقْتُمْ أنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقاتٍ فإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ﴾** وقال: **﴿لا خَيْرَ في كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ، إلاَّ مَنْ أمَرَ بِصدَقَةٍ أوْ مَعْرُوفٍ أوْ إصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾**، من جاء يناجيك في هذا فاقبل مناجاته، ومن جاء يناجيك في غير هذا فاقطع أنت ذاك عنه لا تناجه. قال: وكان المنافقون ربما ناجوا فيما لا حاجة لهم فيه، فقال الله عزّ وجلّ: **﴿ألَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَناجَوْنَ بالإثْم والعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾** قال: لأن الخبيث يدخل في ذلك.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصري قالا: قال في المجادلة: **﴿إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَة ذلكَ خَيْرٌ لَكُمْ وأطْهَرُ فإنْ لَمْ تَجِدُوا فإنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** فنسختها الآية التي بعدها، فقال: **﴿أأشْفَقْتُمْ أنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقاتٍ فإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فأقِيمُوا الصَّلاة وآتُوا الزَّكاةَ وأطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**.

وقوله: **﴿فإنْ لَمْ تَجِدُوا﴾** يقول تعالى ذكره: فإن لم تجدوا ما تتصدّقون به أمام مناجاتكم رسول الله ﷺ **﴿فإنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** يقول: فإن الله ذو عفو عن ذنوبكم إذا تبتم منها، رحيم بكم أن يعاقبكم عليها بعد التوبة، وغير مؤاخذكم بمناجاتكم رسول الله ﷺ قبل أن تقدّموا بين يدي نجواكم إياه صدقة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أشقّ عليكم وخشيتم أيها المؤمنون بأن تقدموا بين يدي نجواكم رسول الله ﷺ صدقات الفاقة، وأصل الإشفاق في كلام العرب: الخوف والحذر، ومعناه في هذا الموضع: أخشيتم بتقديم الصدقة الفاقة والفقر. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿أأشْفَقْتُمْ﴾** قال: شقّ عليكم تقديم الصدقة، فقد وُضِعَتْ عنكم، وأمروا بمناجاة رسول الله ﷺ بغير صدقة حين شقّ عليهم ذلك.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا أبو أُسامة، عن شبل بن عباد المكّي، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أأشْفَقْتُمْ أنْ تُقدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقاتٍ فإذْ لَمْ تَفعَلُوا وَتابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فأقِيمُوا الصَّلاة وآتُوا الزَّكاةَ**﴾ فريضتان واجبتان لا رجعة لأحد فيهما، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر الصدقة في النجوى.

وقوله: ﴿**فإذْ لَمْ تَفعَلُوا وَتابَ اللَّهُ عَلَيكُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: فإذ لم تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات، ورزقكم الله التوبة من ترككم ذلك، فأدّوا فرائض الله التي أوجبها عليكم، ولم يضعها عنكم من الصلاة والزكاة، وأطيعوا الله ورسوله، فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه.

﴿**وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلونَ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: والله ذو خبرة وعلم بأعمالكم، وهو محصيها عليكم ليجازيكم بها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تنظر بعين قلبك يا محمد، فترى إلى القوم الذين تولَّوْا قوماً غضب الله عليهم، وهم المنافقون تولَّوا اليهود وناصحوهم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**ألَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيهِمْ**﴾ إلى آخر الآية، قال: هم المنافقون تولَّوا اليهود وناصحوهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ الله عَلَيهِمْ**﴾ قال: هم اليهود تولاهم المنافقون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عزّ وجلّ ﴿**ألَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ما هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ**﴾ قال: هؤلاء كفرة أهل الكتاب اليهود والذين تولوهم المنافقون تولوا اليهود، وقرأ قول الله: ﴿**ألَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ**﴾ حتى بلغ ﴿**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إنَّهُمْ لَكاذِبُونَ**﴾ لئن كانَ ذلكَ لا يَفْعَلُونَ وقال: هؤلاء المنافقون قالوا: لا ندع حلفاءنا وموالينا يكونوا معاً لنصرتنا وعزّنا، ومن يدفع عنا نخشى أن تصيبنا دائرة، فقال الله عزّ وجلّ: فَعَسَى اللَّهُ أنْ يأتِي بالفَتْحِ أوْ يكونون أمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ حتى بلغ: ﴿**فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ**﴾ وقرأ حتى بلغ: ﴿**أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ**﴾ قال: لا يبرزون.

وقوله: ﴿ما هُمْ مِنكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ما هؤلاء الذين تولَّوا هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم، منكم يعني: من أهل دينكم وملتكم، ولا منهم ولا هم من اليهود الذين غضب الله عليهم، وإنما وصفهم بذلك منكم جلّ ثناؤه لأنهم منافقون إذا لقوا اليهود، قالوا ﴿إِنَّا مَعَكمْ إنَّما نَحنُ مُستَهزِئون وَإذا لَقُوا الذّين آمَنُوا قَالوَا آمَنَّا﴾.

وقوله ﴿ويَحْلِفُونَ على الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويحلفون على الكذب، وذلك قولهم لرسول الله ﷺ: نشهد إنك لرسول الله وهم كاذبون غير مصدّقين به، ولا مؤمنين به، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ﴾ وقد ذُكِر أن هذه الآية نزلت في رجل منهم عاتبه رسول الله ﷺ على أمر بلغه عنه، فحلف كذباً. ذكر الخبر الذي رُوي بذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بعَيْنِ شَيْطانٍ، أو بعَيْنَيْ شَيْطانٍ»، قال: فدخل رجل أزرق، فقال له: «علامَ تسبني أو تشتمني؟» قال: فجعل يحلف، قال: فنزلت هذه الآية التي في المجادلة: ﴿وَيَحْلِفُونَ على الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ والآية الأخرى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أعدّ الله لهؤلاء المنافقين الذين تولَّوْا اليهود عذابا في الآخرة شديداً ﴿إنَّهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا بغشهم المسلمين. ونصحهم لأعدائهم من اليهود.

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أيمانَهُمْ جُنَّةً﴾ يقول جلّ ثناؤه: جعلوا حلفهم وأيمانهم جنة يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم، وذلك أنهم إذا اطلع منهم على النفاق، حلفوا للمؤمنين بالله إنهم لمنهم ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فصدّوا بأيمانهم التي اتخذوها جنة المؤمنين عن سبيل الله فيهم، وذلك أنهم كفرة، وحكم الله وسبيله في أهل الكفر به من أهل الكتاب القتل، أو أخذ الجزية، وفي عبدة الأوثان القتل، فالمنافقون يصدّون المؤمنين عن سبيل الله فيهم بأيمانهم إنهم مؤمنون، وإنهم منهم، فيحولون بذلك بينهم وبين قتلهم، ويمتنعون به مما يمتنع منه أهل الإيمان بالله.

وقوله ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يقول: فلهم عذاب مُذِلّ لهم في النار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لن تغني عن هؤلاء المنافقين يوم القيامة أموالهم، فيفتدوا بها من عذاب الله المهين لهم ولا أولادهم، فينصرونهم ويستنقذونهم من الله إذا عاقبهم **﴿أُولَئِكَ أصحَابُ النَّارِ﴾** يقول: هؤلاء الذين تولوا قوما غضب الله عليهم، وهم المنافقون أصحاب النار، يعني أهلها الذين هم فيها خالدون، يقول: هم في النار ماكثون إلى غير نهاية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين ذكرهم هم أصحاب النار، يوم يبعثهم الله جميعاً، فيوم من صلة أصحاب النار. وعُني بقوله **﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾** من قبورهم أحياء كهيئاتهم قبل مماتهم، فيحلفون له كما يحلفون لكم كاذبين مبطلين فيها، كما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾** قال: إن المنافق حلف له يوم القيامة كما حلف لأوليائه في الدنيا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾**. . . الآية، والله حالفَ المنافقون ربهم يوم القيامة، كما حالفوا أولياءه في الدنيا.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سماك بن حرب البكري، عن سعيد بن جُبَير، قال: كان النبيّ ﷺ في ظلّ حجرة قد كاد يَقْلِصُ عنه الظلّ، فقال: «إنَّهُ سَيأْتِيكُمْ رَجُلٌ، أو يَطْلُعُ رَجُلٌ بعَيْنِ شَيْطانٍ فَلا تُكَلِّمُوهُ» فلم يلبث أن جاء، فاطلع فإذا رجل أزرق، فقال له: «عَلامَ تَشْتُمُنِي أنْتَ وَفُلانٌ وَفُلانٌ»؟ قال: فذهب فدعا أصحابه، فحلفوا ما فعلوا، فنزلت: **﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أنَّهُمْ على شَيْءٍ ألا إنَّهُمْ هُمُ الكاذِبُونَ﴾**.

وقوله: **﴿وَيَحْسَبُونَ أنَّهُمْ على شَيْءٍ﴾** يقول: ويظنون أنهم في أيمانهم وحلفهم بالله كاذبين على شيء من الحقّ، **﴿ألا إنَّهُمْ هُمُ الكاذِبُونَ﴾** فيما يحلفون عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: **﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيهِمُ الشَّيطانُ﴾** غلب عليهم الشيطان **﴿فأنساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزبُ الشَّيطانِ﴾** يعني جنده وأتباعه **﴿ألا إنَّ حِزبَ الشَّيطانِ هُمُ الخاسِرُونَ﴾** يقول: ألا إن جند الشيطان وأتباعه هم الهالكون المغبونون في صَفْقَتِهِمْ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين يخالفون الله ورسوله في حدوده، وفيما فرض عليهم من فرائضه فيعادونه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿إنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** يقول: يعادون الله ورسوله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، بنحوه.

حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿يُحادُّونَ الله وَرَسُولَهُ﴾** قال: يعادون. يشاقُّون.

وقوله: **﴿أُولَئكَ فِي الأذَلِّينَ﴾** يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يحادّون الله ورسوله في أهل الذلة، لأن الغلبة لله ورسوله.

وقوله: **﴿كَتَبَ اللَّهُ لأغْلِبَنَّ أنا وَرُسُلِي﴾** يقول: قضى الله وخطّ في أمّ الكتاب، لأغلبنّ أنا ورسلي مَن حادّني وشاقّني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله **﴿كَتَبَ اللَّهُ لأغْلِبَنَّ أنا وَرُسُلِي﴾**... الآية، قال: كتب الله كتاباً وأمضاه.

وقوله: **﴿إنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** يقول: إن الله جلّ ثناؤه ذو قوّة وقدرة على كلّ من حادّه، ورسوله أن يهلكه، ذو عزّة فلا يقدر أحد أن ينتصر منه إذا هو أهلك وليه، أو عاقبه، أو أصابه في نفسه بسوء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: **﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** لا تجد يا محمد قوماً يصدّقون الله، ويقرّون باليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله وشاقّهما وخالف أمر الله ونهيه **﴿وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ﴾** يقول: ولو كان الذين حادّوا الله ورسوله آباءهم **﴿أوْ أبْناءَهُمْ أوْ إخْوَانَهُمْ أوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾** وإنما أخبر الله جلّ ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام بهذه الآية «ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم» ليسوا من أهل الإيمان بالله ولا باليوم الآخر، فلذلك تولَّوا الذين تولَّوْهم من اليهود. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** لا تجد يا محمد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادّون من حادّ الله ورسوله: أي من عادى اللّهَ ورسولَه.

وقوله: **﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ﴾** يقول جلّ ثناؤه: هؤلاء الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم، كتب الله في قلوبهم الإيمان. وإنما عُنِي بذلك: قضى لقلوبهم الإيمان، ففي بمعنى اللام، وأخبر تعالى ذكره أنه كتب في قلوبهم الإيمان لهم، وذلك لمَّا كان الإيمان بالقلوب، وكان معلوماً بالخبر عن القلوب أن المراد به أهلها، اجتزى بذكرها مِنْ ذكر أهلها.

وقوله: **﴿وأيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾** يقول: وقوّاهم ببرهان منه ونور وهدى **﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ﴾** يقول: ويدخلهم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار **﴿خالِدِينَ**

فِيها﴾ يقول: ماكثين فيها أبداً **﴿رِضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾** بطاعتهم إياه في الدنيا **﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾** في الآخرة بإدخاله إياهم الجنةَ **﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾** يقول: أولئك الذين هذه صفتهم جند الله وأولياؤه **﴿ألا إنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾** يقول: ألا إن جند الله وأولياءه **﴿هُمُ المُفْلِحون** يقول: هم الباقون المُنْجحون بإدراكهم ما طلبوا، والتمسوا ببيعتهم في الدنيا، وطاعتهم ربهم.

آخر تفسير سورة المجادلة

(٥٩) سورة الحشر مدنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه **﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾** صلى لله وسجد له **﴿ما في السموات وما في الأرض﴾** من خلقه **﴿وهو العزيز الحكيم﴾** يقول وهو العزيز في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيتهم إياه الحكيم في تدبيره إياهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ②﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: **﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَروا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾** الله الذي أخرج الذين جحدوا نبوّة محمد ﷺ من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير من ديارهم، وذلك خروجهم عن منازلهم ودورهم، حين صالحوا رسول الله ﷺ على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذراريهم، وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل من أموالهم، ويخلو له دورهم، وسائر أموالهم، فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، فخرجوا من ديارهم، فمنهم من خرج إلى الشام، ومنهم من خرج إلى خيبر، فذلك قول الله عزّ وجلّ **﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَروا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لأَوَّل الْحَشْر﴾**. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ: **﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَروا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾** قال: النضير حتى قوله

﴿وَلِيُخْزِيَ الفاسِقِينَ﴾. ذكر ما بين ذلك كله فيهم:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأوَّلِ الْحَشْرِ﴾** قيل: الشام، وهم بنو النضير حيّ من اليهود، فأجلاهم نبيّ الله ﷺ من المدينة إلى خيبر، مَرْجِعَه من أحد.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري **﴿مِنْ دِيارِهِمْ لأوَّلِ الْحَشْرِ﴾** قال: هم بنو النضير قاتلهم النبيّ ﷺ حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من شيء إلا الحلقة، والحلقة: السلاح، كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عزّ وجلّ قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك عذبهم في الدنيا بالقتل والسباء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأوَّلِ الْحَشْرِ﴾** قال: هؤلاء النضير حين أجلاهم رسول الله ﷺ.

حدثنا ابن حَميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنا ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، قال: نزلت في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله عزّ وجل به من نقمته، وما سلط عليهم به رسول الله ﷺ وما عمل به فيهم، فقال: **﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأوَّلِ الْحَشْرِ﴾**... الآيات.

وقوله: **﴿لأوَّلِ الْحَشْرِ﴾** يقول تعالى ذكره: لأوّل الجمع في الدنيا، وذلك حشرهم إلى أرض الشام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، قوله **﴿لأوَّلِ الْحَشْرِ﴾** قال: كان جلاؤهم أوّل الحشر في الدنيا إلى الشام.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: تجيء نار من مَشرق الأرض، تَحْشُر الناس إلى مغاربها، فتبيت معهم حيث باتُوا، وتَقِيل معهم حيث قالوا، وتأكل من تَخَلَّف.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن عوف، عن الحسن، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ لما أجلى بني النضير، قال: «امْضوا فَهَذَا أوّل الحَشرِ، وَإنَّا عَلى الأثَرِ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لأَوَّلِ الحَشْرِ**﴾ قال: الشام حين ردّهم إلى الشام، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنا مَصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها على أدْبارِها**﴾ قال: من حيث جاءت، أدبارها أن رجعت إلى الشام، من حيث جاءت ردّوا إليه.

وقوله: ﴿**ما ظَنَنْتُمْ أنْ يخرُجُوا**﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ: ما ظننتم أن يخرج هؤلاء الذين أخرجهم الله من ديارهم من أهل الكتاب من مساكنهم ومنازلهم، ﴿**وَظَنُّوا أنَّهُمْ ما نِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ**﴾ وإنما ظنّ القوم فيما ذكر أن عبد الله بن أُبي وجماعة من المنافقين بعثوا إليهم لما حصرهم رسول الله ﷺ يأمرونهم بالثبات في حصونهم، ويعدونهم النصر، كما:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، أن رهطاً من بني عوف ابن الخزرج منهم عبد الله بن أُبي بن سلول ووديعة ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس، بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنّعوا، فإنا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وكانوا قد تحصنوا في الحصون من رسول الله ﷺ حين نزل بهم.

وقوله: ﴿**فأتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا**﴾ يقول تعالى ذكره: فأتاهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا أنه يأتيهم، وذلك الأمر الذي أتاهم من الله حيث لم يحتسبوا، قذف في قلوبهم الرعب بنزول رسول الله ﷺ بهم في أصحابه، يقول جلّ ثناؤه: ﴿**وَقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**﴾.

وقوله: ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِي المُؤْمِنِينَ**﴾ يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ**﴾ بني النضير من اليهود، وأنهم يخربون مساكنهم، وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة فيما ذُكر في منازلهم مما يستحسنونه، أو العمود أو الباب، فينزعون ذلك منها بأيديهم وأيدي المؤمنين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِي المُؤْمِنِينَ**﴾ جعلوا يخربونها من أجوافها، وجعل المؤمنون يخربون من ظاهرها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزُّهريّ، قال: لما صالحوا النبيّ ﷺ كانوا لا يعجبهم خشبة إلا أخذوها، فكان ذلك خرابها. وقال قتادة: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها، وتخربها اليهود من داخلها.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، قال: احتملوا من أموالهم، يعني بني النضير، ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، قال: فذلك قوله: **﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِي المُؤْمِنِينَ﴾** وذلك هدمهم بيوتهم عن نُجف أبوابهم إذا احتملوها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عزّ وجلّ: **﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِي المُؤْمِنِينَ﴾** قال: هؤلاء النضير، صالحهم النبيّ ﷺ على ما حملت الإبل، فجعلوا يقلعون الأوتاد يخربون بيوتهم.

وقال آخرون: إنما قيل ذلك كذلك، لأنهم كانوا يخربون بيوتهم ليبنوا بنقضها ما هدم المسلمون من حصونهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِي المُؤْمِنِينَ فاعْتَبِرُوا يا أُولي الأبْصَارِ﴾** قال: يعني بني النضير، جعل المسلمون كلما هدموا شيئاً من حصونهم جعلوا ينقضون بيوتهم ويخربونها، ثم يبنون ما يخرب المسلمون، فذلك هلاكهم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِي المُؤْمِنِينَ﴾** يعني أهل النضير جعل المسلمون كلما هدموا من حصنهم جعلوا ينقضون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ثم يبنون ما خرّب المسلمون.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والمدينة والعراق سوى أبي عمرو: **﴿يُخْرِبُونَ﴾** بتخفيف الراء، بمعنى يخرجون منها ويتركونها معطلة خراباً، وكان أبو عمرو يقرأ ذلك «يخرّبون» بالتشديد في الراء بمعنى يهدّمون بيوتهم. وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري أنهما كانا يقرآن ذلك نحو قراءة أبي عمرو. وكان أبو عمرو فيما ذكر عنه يزعم أنه إنما اختار التشديد في الراء لما ذكرت من أن الإخراب: إنما هو ترك ذلك خراباً بغير ساكن، وإن بني النضير لم يتركوا منازلهم، فيرتحلواعنها، ولكنهم خرّبوبها بالنقض والهدم، وذلك لا يكون فيما قال إلا بالتشديد.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بالتخفيف لإجماع الحجة من القراء عليه، وقد كان أهل المعرفة بكلام العرب يقول: التخريب والإخراب بمعنى واحد، وإنما ذلك في اختلاف اللفظ لا اختلاف في المعنى.

وقوله: ﴿**فاعْتَبِرُا يا أولي الأبصارِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فاتعظوا يا معشر ذوي الأفهام بما أحلّ الله بهؤلاء اليهود الذين قذف الله في قلوبهم الرعب، وهم في حصونهم من نقمته، واعلموا أن الله ولّي من والاه، وناصر رسوله على كلّ من ناوأه، ومحلّ من نقمته به نظير الذي أحلّ ببني النضير. وإنما عنى بالأبصار في هذا الموضع أبصار القلوب، وذلك أن الاعتبار بها يكون دون الإبصار بالعيون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ولولا أن الله قضى وكتب على هؤلاء اليهود من بني النضير في أمّ الكتاب الجلاء، وهو الانتقال من موضع إلى موضع، وبلدة إلى أخرى.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلَوْلا أنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيهِمُ الجَلاءَ**﴾: خروج الناس من البلد إلى البلد.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه عن ابن عباس ﴿**وَلَوْلا أنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيهِمُ الجَلاءَ**﴾ والجلاء: إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى. قال: ويقال الجَلاء: الفِرار، يقال منه: جلا القوم من منازلهم، وأجْليتهم أنا.

وقوله: ﴿**لَعَذَّبَهُمْ في الدُّنيا**﴾ يقول تعالى ذكره ﴿**ولَوْلا أن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيهِم الجلاءَ**﴾ من أرضهم وديارهم، لعذّبهم في الدنيا بالقتل والسَّبْي، ولكنه رفع العذاب عنهم في الدنيا بالقتل، وجعل عذابهم في الدنيا الجلاء ﴿**ولَهُمْ في الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**﴾ مع ما حلّ بهم من الخزى في الدنيا بالجلاء عن أرضهم ودورهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: كان النضير من سِبْطٍ لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذّبهم في الدنيا بالقتل والسبي.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سَلَمة، قال: ثنى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رُومان ﴿**وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ**﴾ وكان لهم من الله نقمة ﴿**لعذّبهم في الدنيا**﴾ أي بالسيف ﴿**ولَهُمْ في الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**﴾ مع ذلك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ في الدُّنيا ولَهُمْ في الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**﴾ قال: كان رسول الله ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم، وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم، ويسيرهم إلى أذرعات الشام، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ**﴾ أهل النضير، حاصرهم نبيّ الله ﷺ حتى بلغ منهم كلّ مبلغ، فأعطوا نبيّ الله ﷺ ما أراد، ثم ذكر نحوه وزاد فيه: فهذا الجلاء.

وقوله: ﴿**ذلكَ بأَنَّهُمْ شاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل الله بهؤلاء اليهود ما فعل بهم من إخراجهم من ديارهم، وقذف الرعب في قلوبهم من المؤمنين، وجعل لهم في الآخرة عذاب النار بما فعلوا هم في الدنيا من مخالفتهم الله ورسوله في أمره ونهيه، وعصيانهم ربهم فيما أمرهم به من اتباع محمد ﷺ ﴿**وَمَنْ يُشاقّ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقابِ**﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يخالف الله في أمره ونهيه، فإن الله شديد العقاب. القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾

يقول تعالى ذكره: ما قطعتم من ألوان النخل، أو تركتموها قائمة على أصولها.

اختلف أهل التأويل في معنى اللينة، فقال بعضهم: هي جميع أنواع النخل سوى العجوة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن داود بن أبي هند، عن عكرِمة: ﴿**ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ**﴾ قال: النخلة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرِمة أنه قال في هذه الآية ﴿**ما قَطَعْتُم مِنْ لِينَةٍ أو تركتموها**﴾ قال: اللينة: ما دون العجوة من النخل.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، في قوله: ﴿**ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ**﴾ قال: اللينة: ما خالف العجوة من التمر.

وحدثنا به مرّة أخرى فقال: من النخل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿ما قَطَعْتُم مِنْ لِينَةٍ﴾** قال: النخل كله ما خلا العجوة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾** واللينة: ما خلا العجوة من النخل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري **﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾** ألوان النخل كلها إلا العجوة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا سفيان، عن داود بن أبي هند، عن عكرِمة، عن ابن عباس **﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾** قال: النخلة دون العجوة.

وقال آخرون: النخل كله لينة، العجوة منه وغير العجوة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد **﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾** قال: النخلة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾** قال: نخلة. قال: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مغانم المسلمين، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وإنما قطعه وتركه بإذنه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن أبي بكير، قال: ثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون **﴿ما قَطَعْتُم مِنْ لِينَةٍ﴾** قال: النخلة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾** قال: اللينة: النخلة، عجوة كانت أو غيرها، قال الله **﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾** قال: الذي قطعوا من نخل النضير حين غدرت النضير.

وقال آخرون: هي لون من النخل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾** قال: اللينة: لون من النخل.

وقال آخرون: هي كرام النخل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا سفيان في ﴿**ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ**﴾ قال: من كرام نخلهم.

والصواب من القول في ذلك قول من قال: اللينة: النخلة، وهن من ألوان النخل ما لم تكن عجوة، وإياها عني ذو الرُّمَّة بقوله:

طِراقُ الخَوافِي وَاقِعٌ فَوْقَ لِينَةٍ نَدَى لَيْلِهِ في رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ[1]

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: اللينة من اللون، والليان في الجماعة واحدها اللينة. قال: وإنما سميت لينة لأنه فعلة من فَعْل، وهو اللون، وهو ضرب من النخل، ولكن لما انكسر ما قبلها انقلبت إلى الياء. وكان بعضهم ينكر هذا القول ويقول: لو كان كما قال لجمعوه: اللوان لا الليان. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: جمع اللينة لين، وإنما أُنزلت هذه الآية فيما ذُكر من أجل أن رسول الله ﷺ لما قطع نخل بني النضير وحرّقها، قالت بنو النضير لرسول الله ﷺ: إنك كنت تنهى عن الفساد وتعيبه، فما بالك تقطع نخلنا وتُحرقها؟ فأنزل الله هذه الآية، فأخبرهم أن ما قطع من ذلك رسول الله ﷺ أو ترك، فعن أمر الله فعل.

وقال آخرون: بل نزل ذلك لاختلاف كان من المسلمين في قطعها وتركها ذكر من قال: نزل ذلك لقول اليهود للمسلمين ما قالوا

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا يزيد بن رومان، قال: لم نزل رسول الله ﷺ بهم يعني ببني النضير تحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل، والتحريق فيها، فنادوْه يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿**ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائمَةً على أُصُولِهَا فبإذْنِ اللّهِ وَلِيُخْزِيَ الفاسِقِينَ**﴾. ذكر من قال: نزل ذلك لاختلاف كان بين المسلمين في أمرها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها...**﴾ الآية، أي ليعظهم فقطع المسلمون يومئذ النخل، وأمسك آخرون كراهية أن يكون إفساداً، فقالت اليهود: الله أذن لكم في الفساد، فأنزل الله ﴿**ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ**﴾.

---

(١) البيت لذي الرمة «**اللسان**» ريع والرواية فيه «ريعة» في موضع «لينة» واللينة: النخلة، وكل شيء من النخل سوى العجوة فهو من اللين. وقد سبق استشهاد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى: ﴿أتبنون بكل ريع آية﴾، وشرحناه هناك شرحاً مفصلاً فارجع إليه في (١٩/ ٩٣).

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائمَةً على أُصُولِهَا﴾** قال: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مغانم المسلمين، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وإنما قطعه وتركه بإذنه.

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد البرقي، قال ابن المبارك، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر قال: قطع رسول الله ﷺ نخل بني النضير، وفي ذلك نزلت **﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ. . . .﴾** الآية، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

وَهانَ عَلى سَراةَ بَني لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ[1]

وقوله: **﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾** يقول: فبأمر الله قطعتم ما قطعتم، وتركتم ما تركتم، وليغيظ بذلك أعداءه، ولم يكن فساداً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان **﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾**: أي فبأمر اللّه قطعت، ولم يكن فساداً، ولكن نقمة من الله، وليخزى الفاسقين.

وقوله: **﴿وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِينَ﴾** وليذلّ الخارجين عن طاعة الله عزّ وجلّ، المخالفين أمره ونهيه، وهم يهود بني النضير. القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ

---

(١) البيت لحسان بن ثابت «**معجم ما استعجم**» للبكري رسم البويرة ٢٨٥ قال البويرة، بضم أوله، وبالراء المهملة، على لفظ التصغير، وهي من تيماء، قال أبو عبيدة في كتاب الأموال: أحرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير، وقع زهو البويرة، فنزل فيهم: «ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله، وليخزى الفاسقين». قال حسان:

«هان على سراة. . . .

البيت». قال ذلك حسان، لأن قريشاً هم الذين حملوا كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة، على نقض العقد بينه وبين رسول الله ﷺ، حتى خرج معهم إلى الخندق، وعند ذلك اشتد البلاء والخوف على المسلمين ا هـ.

رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾

يقول تعالى ذكره: والذي ردّه الله على رسوله منهم، يعني من أموال بني النضير، يقال منه: فاء الشيء على فلان: إذا رجع إليه، وأفأته أنا عليه: إذا رددته عليه. وقد قيل: إنه عنى بذلك أموال قُرَيظة ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا ركابٍ﴾ يقول: فما أوضعتم فيه من خيل ولا في إبل وهي الركوب وإنما وصف جلّ ثناؤه الذي أفاءه على رسوله منهم بأنه لم يوجف عليه بخيل من أجل أن المسلمين لم يلقوا في ذلك حرباً، ولا كلفوا فيه مؤنة، وإنما كان القوم معهم، وفي بلدهم، فلم يكن فيه إيجاف خيل ولا ركاب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمَا أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِهِ مِنهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ...﴾ الآية، يقول: ما قطعتم إليها وادياً، ولا سرتم إليها سيراً، وإنما كان حوائط لبني النضير طعمة أطعمها الله رسوله ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ كان يقول: ﴿أيُّمَا قَرْيَةٍ أعْطَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَهِيَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وأيُّمَا قَرْيَةٍ فَتَحَها المُسْلِمُونَ عَنْوَةً فإنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِرَسُولِهِ ومَا بَقِيَ غَنِيمةٌ لِمَنْ قاتَلَ عَلَيها﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، في قوله: ﴿فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ﴾ قال: صالح النبيّ ﷺ أهل فدك وقرى قد سماها لا أحفظها، وهو محاصر قوماً آخرين، فأرسلوا إليه بالصلح، قال: ﴿فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ﴾ يقول: بغير قتال. قال الزهريّ: فكانت بنو النضير للنبيّ ﷺ خالصة لم يفتحوها عنوة، بل على صلح، فقسمها النبيّ ﷺ بين المهاجرين لم يعط الأنصار منها شيئاً، إلا رجلين كان بهما حاجة.

حدثنا ابن حَميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان ﴿وَما أفاءَ الله على رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ يعني بني النضير ﴿فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ وَلَكِنَّ الله يُسَلِّط رُسُلَه على مَنْ يَشاءُ وَالله على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله ﴿فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ﴾ قال: يذكر ربهم أنه نصرهم، وكفاهم بغير كراع، ولا عدّة في قريظة وخيبر، ما أفاء الله على رسوله من قريظة، جعلها لمهاجرة قريش.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿وَما أفاءَ الله على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ وَلَكِنَّ الله

يُسَلِّط رُسُلَه على مَنْ يَشاءُ وَالله على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال: أمر الله عزّ وجلّ نبيه بالسير إلى قريظة والنضير وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب فجعل ما أصاب رسول الله ﷺ يحكم فيه ما أراد، ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب يوجف بها. قال: والإيجاف: أن يوضعوا السير وهي لرسول الله ﷺ، فكان من ذلك خيبر وَفدَك وقُرَى عَرَبية، وأمر الله رسوله أن يعد لينبع، فأتاها رسول الله ﷺ، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسَّمها، فأنزل الله عزّ وجلّ عذره، فقال: **﴿ما أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبى وَاليَتامَى وَالمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** ثم قال: **﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا﴾**... الآية.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: **﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ﴾** يعني يوم قُرَيظة.

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ على مَنْ يَشاء﴾ أعلمك أنه كما سلَّط محمداً ﷺ على بني النضير، يخبر بذلك جلّ ثناؤه أن ما أفاء الله عليه من أموال لم يُوجِفِ المسلمون بالخيل والركاب، من الأعداء مما صالحوه عليه له خاصة يعمل فيه بما يرى. يقول: فمحمد ﷺ إنما صار إليه أموال بني النضير بالصلح لا عنوة، ، فتقع فيها القسمة **﴿واللَّه على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** يقول: والله على كلّ شيء أراده ذو قدرة لا يَعجزه شيء، وبقُدرته على ما يشاء سلَّط نبيه محمداً ﷺ على ما سلط عليه من أموال بني النضير، فحازه عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿ما أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِه مِنْ أهْلِ القُرَى﴾ الذي ردّ الله عزّ وجلّ على رسوله من أموال مشركي القرى.

واختلف أهل العلم في الذي عني بهذه الآية من الألوان، فقال بعضهم: عني بذلك الجزية والخراج.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة بن خالد، عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **﴿إِنَّمَا الصَّدَقاتُ**

للْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ﴾ حتى بلغ **﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قال: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُول وَلِذِي القُرْبَى. . .﴾** الآية، ثم قال: هذه الآية لهؤلاء، ثم قرأ: **﴿ما أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِه مِنْ أهْلِ القُرَى﴾** حتى بلغ **﴿للْفُقَراءِ والَّذِينَ تَبَوَّءوا الدَّارَ والَّذِينَ جاءوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾** ثم قال: استوعبت هذه الآية المسلمين عامة، فليس أحد إلا له حق، ثم قال: لئن عشت ليأتين الراعي وهو يسير حُمُرَه نصيبُه، لم يعرق فيها جبينه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، قال: ثنا معمر في قوله: **﴿ما أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِه مِنْ أهْلِ القُرَى﴾** حتى(١) بلغني أنها الجزية، والخراج: خَراج أهل القرى.

وقال آخرون: عني بذلك الغنيمة التي يصيبها المسلمون من عدوّهم من أهل الحرب بالقتال عنوة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان **﴿ما أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِه مِنْ أهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾** ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب، وفتح بالحرب عنوة، **﴿فَلِلَّهِ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى والْيَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأغْنِياءِ مِنْكُمْ وَما آتاكُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْه فانْتَهُوا﴾** قال: هذا قسم آخر فِيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه.

وقال آخرون: عني بذلك الغنيمة التي أوجف عليها المسلمون بالخيل والركاب، وأخذت بالغلبة، وقالوا كانت الغنائم في بدوّ الإسلام لهؤلاء الذين سماهم الله في هذه الآيات دون المرجفين عليها، ثم نسخ ذلك بالآية التي في سورة الأنفال.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿ما أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِه مِنْ أهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى والْيَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** قال: كان الفيء في هؤلاء، ثم نسخ ذلك في سورة الأنفال، فقال: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى والْيَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الأنفال، وجعل الخمس لمن كان له الفيء في سورة الحشر، وكانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس، فأربعة أخماس لمن قاتل عليها، ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس، فخمس لله

(١) لعل لفظ «حتى» زائد من النساخ.

وللرسول، وخمس لقرابة رسول الله ﷺ في حياته، وخمس لليتامى، وخمس للمساكين، وخمس لابن السبيل فلما قضى رسول الله ﷺ وجه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما هذين السهمين: سهم رسول الله ﷺ، وسهم قرابته، فحملا عليه في سبيل الله صدقة عن رسول الله ﷺ.

وقال آخرون: عني بذلك: ما صالح عليه أهل الحرب المسلمين من أموالهم، وقالوا قوله **﴿ما أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِه مِنْ أهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وللرَّسُولِ﴾**... الآيات، بيان قسم المال الذي ذكره الله في الآية التي قبل هذه الآية، وذلك قوله: **﴿ما أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِه مِنْهُمْ فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ﴾** وهذا قول كان يقوله بعض المتفقهة من المتأخرين.

والصواب من القول في ذلك عندي أن هذه الآية حكمها غير حكم الآية التي قبلها، وذلك أن الآية التي قبلها مال جعله الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ خاصة دون غيره، لم يجعل فيه لأحد نصيباً، وبذلك جاء الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: أرسل إليّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدخلت عليه، فقال: إنه قد حضر أهل أبيات من قومك وإنا قد أمرنا لهم برضخ، فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين مر بذلك غيري، قال: اقبضه أيها المرء فبينا أنا كذلك، إذ جاء يرفأ مولاه، فقال: عبد الرحمن بن عوف، والزبير، وعثمان، وسعد يستأذنون، فقال: ائذن لهم ثم مكث ساعة، ثم جاء فقال: هذا عليّ والعباس يستأذنان، فقال: ائذن لهما فلما دخل العباس قال: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الغادر الخائن الفاجر، وهما جاءا يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من أعمال بني النضير، فقال القوم: اقض بينهما يا أمير المؤمنين، وأرح كلّ واحد منهما من صاحبه، فقد طالت خصومتهما، فقال: أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السموات والأرض، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورَثُ ما تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ» قالوا: قد قال ذلك ثم قال لهما: أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال ذلك؟ قالا: نعم قال: فسأخبركم بهذا الفيء إن الله خصّ نبيه ﷺ بشيء لم يعطه غيره، فقال: **﴿وَما أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ﴾** فكانت هذه لرسول الله ﷺ خاصة، فوالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها دونكم، ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله منه سنتهم، ثم يجعل ما بقي في مال الله.

فإذًا كانت هذه الآية التي قبلها مضت، وذكر المال الذي خصّ الله به رسوله ﷺ، ولم يجعل لأحد معه شيئاً، وكانت هذه الآية خبراً عن المال الذي جعله الله لأصناف شتى، كان معلوماً بذلك أن المال الذي جعله لأصناف من خلقه غير المال الذي جعله للنبيّ ﷺ خاصة، ولم يجعل له شريكاً.

وقوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبى﴾ يقول: ولذي قرابة رسول الله ﷺ من بني هاشم وبني المطلب واليتامى، وهم أهل الحاجة من أطفال المسلمين الذين لا مال لهم والمساكين: وهم الجامعون فاقة وذلّ المسئلة وابن السبيل: وهم المنقطع بهم من المسافرين في غير معصية الله عزّ وجلّ.

وقد ذكرنا الرواية التي جاءت عن أهل التأويل بتأويل ذلك فيما مضى من كتابنا.

وقوله: ﴿كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأغْنِياءِ مِنْكُمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه. وجعلنا ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لهذه الأصناف، كيلا يكون ذلك الفيء دُولة يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرّة في حاجات نفسه، وهذا مرّة في أبواب البرّ وسُبُل الخير، فيجعلون ذلك حيث شاءوا، ولكننا سننا فيه سنة لا تُغير ولا تُبدّل.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى أبي جعفر القارىء ﴿كَيْلا يَكُونَ دُولَةً﴾ نصباً على ما وصفت من المعنى، وأن في يكون ذكر الفيء. وقوله: ﴿دُولَةً﴾ نصب خبر يكون، وقرأ ذلك أبو جعفر القارىء: «كَيْلا يَكُونَ دُولَةٌ» على رفع الدولة مرفوعة بيكون، والخبر قوله: ﴿بين الأغنياء منكم﴾ وبضمّ الدال من ﴿دُولة﴾ قرأ جميع قرّاء الأمصار، غير أنه حُكي عن أبي عبد الرحمن الفتح فيها.

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك، إذا ضمت الدال أو فُتحت، فقال بعض الكوفيين: معنى ذلك: إذا فتحت الدولة وتكون للجيش يهزم هذا هذا، ثم يهزم الهازم، فيقال: قد رجعت الدولة على هؤلاء قال: والدولة برفع الدال في الملك والسنين التي تغير وتبدّل على الدهر، فتلك الدولة والدول. وقال بعضهم: فرق ما بين الضمّ والفتح أن الدولة: هي اسم الشيء الذي يتداول بعينه، والدولة الفعل.

والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك: ﴿كَيْلا يَكُونَ﴾ بالياء ﴿دُولَةً﴾ بضم الدال ونصب الدولة على المعنى الذي ذكرت في ذلك لإجماع الحجة عليه، والفرق بين الدُولة والدَولة بضم الدال وفتحها ما ذكرت عن الكوفيّ في ذلك.

وقوله: ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وما أعطاكم رسول الله ﷺ مما أفاء عليه من أهل القرى فخذوه ﴿وَما نهاكُمْ عَنْهُ﴾ من الغَلول وغيره من الأمور ﴿فانْتَهُوا﴾ وكان بعض أهل العلم يقول نحو قولنا في ذلك غير أنه كان يوجه معنى قوله ﴿وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ إلى ما آتاكم من الغنائم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿**وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا**﴾ قال: يؤتيهم الغنائم ويمنعهم الغلول.

وقوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ يقول: وخافوا الله، واحذروا عقابه في خلافكم على رسوله بالتقدّم على ما نهاكم عنه، ومعصيتكم إياه ﴿**إنَّ الله شَدِيدُ العِقابِ**﴾ يقول: إن الله شديد عقابه لمن عاقبه من أهل معصيته لرسوله ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كيلا يكون ما أفاء الله على رسوله دُولة بين الأغنياء منكم، ولكن يكون للفقراء المهاجرين. وقيل: عُني بالمهاجرين: مهاجرة قريش.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**ما أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِهِ**﴾ من قريظة جعلها لمهاجرة قريش.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، قالا: كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحجّ عليها ويغزو، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء، وجعل لهم سهماً في الزكاة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**للْفُقَراءِ المُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ**﴾... إلى قوله ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ قال: هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدّة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها.

وقوله: ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وأمْوَالِهِمْ**﴾، وقوله: ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً**﴾ موضع يبتغون نصب، لأنه في موضع الحال وقوله: ﴿**وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ يقول: وينصرون دين الله الذي بعث به رسوله محمداً ﷺ. وقوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ يقول: هؤلاء الذين وصف صفتهم من الفقراء المهاجرين هم الصادقون فيما يقولون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءوا الدَّارَ والإيمَانَ**﴾ يقول: اتخذوا المدينة مدينة الرسول ﷺ، فابتنوها منازل، ﴿**وَالإيمَانَ**﴾ بالله ورسوله ﴿**مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ يعني: من قبل المهاجرين، ﴿**يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إلَيْهِمْ**﴾: يحبون من ترك منزله، وانتقل إليهم من غيرهم، وعُنِي بذلك الأنصار يحبون المهاجرين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءوا الدَّارَ وَالإيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ قال: الأنصار نعت. قال محمد بن عمرو: سفاطة أنفسهم. وقال الحارث: سخاوة أنفسهم عند ما روى عنهم من ذلك، وإيثارهم إياهم ولم يصب الأنصار من ذلك الفيء شيء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءوا الدَّارَ وَالإيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مِنْ هاجَرَ إلَيْهِمْ، وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا**﴾ يقول: مما أعطوا إخوانهم هذا الحيّ من الأنصار، أسلموا في ديارهم، فابتنوا المساجد والمسجد، قبل قدوم النبيّ ﷺ، فأحسن الله عليهم الثناء في ذلك وهاتان الطائفتان الأوّلتان من هذه الآية، أخذتا بفضلهما، ومضتا على مَهَلهما، وأثبت الله حظهما في الفيء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءوا الدَّارَ وَالإيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ**﴾ قال: هؤلاء الأنصار يحبون من هاجر إليهم من المهاجرين.

وقوله: ﴿**وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا**﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولا يجد الذين تبوّءوا الدار من قبلهم، وهم الأنصار في صدورهم حاجة، يعني حسداً مما أوتوا، يعني مما أوتي المهاجرين من الفيء، وذلك لما ذُكر لنا من أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين الأوّلين دون الأنصار، إلا رجلين من الأنصار، أعطاهما لفقرهما، وإنما فعل ذلك لرسول الله ﷺ خاصة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، أنه حدّث أنّ بني النضير خَلّوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حُنَيف وأبا دُجانة سِماك بن خَرَشة ذكرا فقراً، فأعطاهما رسول الله ﷺ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا**﴾ المهاجرون. قال، وتكلم في ذلك «يعني أموالَ بني النضير» بعضُ من تكلَّم من الأنصار، فعاتبهم الله عزّ وجلّ في ذلك فقال: ﴿**وَما أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِهِ مِنهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلى مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ قال: قال رسول الله ﷺ لهم: «إنَّ إخْوَانَكُمْ قَدْ تَرَكُوا الأمْوَالَ والأولاد وَخَرَجُوا إلَيْكُمْ» فقالوا: أموالنا بينهم قطائع، فقال رسول الله ﷺ: «أوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قالوا: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: «هُمْ قَوْمٌ لا يَعْرِفُونَ العَمَلَ فَتَكْفُونهُمْ وَتُقاسِمُونَهُمْ الثَّمَرَ»، فقالوا: نعم يا رسول الله.

وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿**وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا سليمان أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله ﴿**وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا**﴾ قال: الحسد.

قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن ﴿**حاجَةً فِي صُدُورِهِمْ**﴾ قال: حسداً في صدورهم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا أبو رجاء عن الحسن، مثله.

وقوله: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ على أنْفُسِهِمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: وهو يصف الأنصار الذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين ﴿**وَيُؤْثِرُونَ على أنْفُسِهِمْ**﴾ يقول: ويعطون المهاجرين أموالهم إيثاراً لهم بها على أنفسهم ﴿**وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ يقول: ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم. والخَصاصة مصدر، وهي أيضاً اسم، وهو كلّ ما تخلَّلته ببصرك كالكوّة والفرجة في الحائط، تجمع خَصاصات وخِصاص، كمال قال الراجز:

قَــدْ عَــلِــمَ الــمَــقَــاتِــلاتُ هَــجًّــا
والــنَّــاظِــراتُ مِــنْ خَــصَــاصٍ لَــمْــجَــا
لأَوْرِيَــنْــهَــا دُلَــجــا أوْ مُــنْــجَــا[١]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ ليضيفه، فلم يكن عنده ما يضيفه، فقال: «ألا رجلٌ يضيفُ هذا رَحِمَهُ اللّهُ؟» فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيفَ رسول الله ﷺ، نوّمي الصبية، وأطفئي المصباح وأريه بأنك تأكلين معه واتركيه لضيف رسول الله ﷺ ففعلت فنزلت ﴿**وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن فضيل، عن غزوان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، أن رجلاً من الأنصار بات به ضيف، فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه، فقال لامرأته: نَوِّمي الصِّبْية وأطفئي المصباح، وقرّبي للضيف ما عندك، قال: فنزلت هذه الآية ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ**﴾.

يقول تعالى ذكره: من وقاه الله شحّ نفسه ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾ المخلَّدُونَ في الجنة. والشحّ في كلام العرب: البخل، ومنع الفضل من المال ومنه قول عمرو بن كلثوم:

تَــرَى الــلَّــحِــزَ الــشَّــحِــيــحَ إذَا أُمِــرَّتْ عَــلَــيْــهِ لِــمَــالِــهِ فِــيــهــا مُــهِــيــنــا[٢]

يعني بالشحيح: البخيل، يقال: إنه لشحيح بين الشحّ والشحّ، وفيه شحة شديدة وشحاحة. وأما العلماء فإنهم يرون أن الشحّ في هذا الموضع إنما هو أكل أموال الناس بغير حقّ.

---

(١) هذه ثلاث أبيات من مشطور الرجز لم أجدها في «**معاني القرآن**» للفراء ولا في «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة، ولا في «**اللسان**». ولست على بينة من صحة بعض ألفاظها. والمؤلف استشهد بها في هذا الموضع على أن الخصاص جمع خصاصة. وفي «**اللسان**» الخصاص: الفرج بين الأثا في والأصابع، وقالوا لخروق المصفاة والمنخل خصاص. وخصاص المنخل والباب والبرقع وغيره: خلله، واحدته: خصاصة (وكله بفتح الخاء).

(٢) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي (انظره في شرح الزوزني والتبريزي على المعلقات) واللحز: الضيق الصدر السيىء الخلق اللئيم. والشحيح: البخيل: الحريص. والجمع الأشحة والأشحاء، والفعل: شح يشح. والمصدر: الشح، وهو البخل معه حرص. يقول: ترى الإنسان الضيق الصدر البخيل الحريص مهينا لما له فيها، أي في شربها، إذا أمرت عليه الخمر، أي أديرت. عليه وقد استشهد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا المسعودي، عن أشعث، عن أبي الشعثاء، عن أبيه، قال: أتى رجل ابن مسعود فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكت، قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء، قال: ليس ذاك بالشحّ الذي ذكر الله في القرآن، إنما الشحّ أن تأكل مال أخيك ظلماً، ذلك البخل، وبئس الشيء البخل.

حدثني يحيى بن إبراهيم، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن جامع، عن الأسود بن هلال قال: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود، فقال يا أبا عبد الرحمن، إني أخشى أن تكون أصابتني هذه الآية ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ والله ما أعطي شيئاً أستطيع منعه، قال: ليس ذلك بالشحّ، إنما الشحّ أن تأكل مال أخيك بغير حقه، ولكن ذلك البخل.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن، قالا: ثنا سفيان، عن طارق بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جُبَير، عن أبي الهياج الأسدي، قال: كنت أطوف بالبيت، فرأيت رجلاً يقول: اللهمّ قني شحَّ نفسي، لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شحّ نفسي لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شيئاً، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف.

حدثني محمد بن إسحاق، قال: ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، قال: ثنا مجمع بن جارية الأنصاري، عن عمه يزيد بن جارية الأنصاري، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «بَرِيءَ مِنَ الشُّحّ مَنْ أَدَّى الزَّكاةَ، وَقَرَى الضَّيْفَ، وأَعْطَى في النَّائِبَةِ».

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا زياد بن يونس أبو سلامة، عن نافع بن عمر المكي، عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن عمر، قال: إن نجوت من ثلاث طمعت أن أنجو. قال عبد الله بن صفوان ما هنّ أنبيك فيهنّ، قال: أخرج المال العظيم، فأخرجه ضراراً، ثم أقول: أقرض ربي هذه الليلة، ثم تعود نفسي فيه حتى أعيده من حيث أخرجته، وإن نجوت من شأن عثمان، قال ابن صفوان: أما عثمان فقُتل يوم قُتل، وأنت تحبّ قتله وترضاه، فأنت ممن قتله وأما أنت فرجل لم يقك الله شحّ نفسك، قال: صدقت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ قال: من وقى شحّ نفسه فلم يأخذ من الحرام شيئاً، ولم يقربه، ولم يدعه الشحّ أن يحبس من الحلال شيئاً، فهو من المفلحين، كما قال الله عزّ وجلّ.

وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾** قال: من لم يأخذ شيئاً لشيء نهاه الله عزّ وجلّ عنه، ولم يدعه الشحّ على أن يمنع شيئاً من شيء أمره الله به، فقد وقاه الله شحّ نفسه، فهو من المفلحين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والذين جاءوا من بعد الذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين الأوّلين **﴿يَقُولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ولإِخْوَانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإيمَان﴾** مِنَ الأنصار. وعنى بالذين جاءوا من بعدهم المهاجرون أنهم يستغفرون لإخوانهم من الأنصار.

وقوله: **﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غَلاً للَّذِينَ آمَنُوا﴾** يعني غمراً وضغناً. وقيل: عني بالذين جاءوا من بعدهم: الذين أسلموا من بعد الذين تبوّءوا الدار.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿والَّذِينَ جاءوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾** قال: الذين أسلموا نعتوا أيضاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ثم ذكر الله الطائفة الثالثة، فقال: **﴿والَّذِينَ جاءوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا وَلإِخْوَانِنا﴾** حتى بلغ **﴿إِنَّكَ رؤوفٌ رَحِيمٌ﴾** إنما أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبيّ ﷺ ولم يؤمروا بسبِّهم.

وذُكر لنا أن غلاماً لحاطب بن أبي بلتعة جاء نبيّ الله ﷺ فقال: يا نبيّ الله ليدخلنّ حاطب في حيّ النار، قال: «كذبت إنه شهد بدراً والحُديبية» وذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أغلظ لرجل من أهل بدر، فقال نبيّ الله ﷺ: «وَما يُدْرِيكَ يا عُمَرُ لَعَلَّهُ قَدْ شَهِدَ مَشْهَداً اطَّلَعَ اللَّهُ فِيهِ إلى أهْلِهِ، فأشْهَدَ مَلائِكَتَهُ إني قَدْ رَضِيتُ عَنْ عِبادِي هَؤلاء، فَلْيَعْمَلُوا ما شاءُوا» فما زال بعضُنا منقبضاً من أهل بدر، هائباً لهم، وكان عمر رضي الله عنه يقول: وإلى أهل بدر تهالك المتهالكون، وهذا الحيّ من الأنصار، أحسن الله عليهم الثناء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: **﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾** قال: لا تورث قلوبنا غلاً لأحد من أهل دينك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن ابن أبي ليلى، قال: كان الناس على ثلاث منازل: المهاجرون الأوّلون ﴿**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ولإخْوَانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ يقول جلّ ثناؤه مخبراً عن قيل الذين جاءوا من بعد الذين تبوّءوا الدار والإيمان أنهم قالوا: لا تجعل في قلوبنا غلاً لأحد من أهل الإيمان بك يا ربنا.

قوله: ﴿**إنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ يقول: إنك ذو رأفة بخلقك، وذو رحمة بمن تاب واستغفر من ذنوبه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تنظر بعين قلبك يا محمد، فترى إلى الذين نافقوا وهم فيما ذُكر عبد الله بن أبيّ ابن سلول، ووديعة، ومالك ابنا نوفل وسُوَيد وداعس بَعَثوا إلى بني النضير حين نزل بهم رسول الله ﷺ للحرب أن اثبتُوا وتمنّعوا، فإنا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم، خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم، ويكفّ عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة.

حدثنا بذلك ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رُومان.

وقال مجاهد في ذلك ما:

حدثني به محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نافَقُوا**﴾ قال: عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، ورفاعة أو رافعة بن تابوت. وقال الحارث: رفاعة بن تابوت، ولم يشكّ فيه، وعبد الله بن نَبْتل، وأوس بن قَيْظِيّ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد،

عن عكرمة، أو عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ نافَقُوا﴾ يعني عبد الله بن أُبيّ ابن سلول وأصحابه، ومن كان منهم على مثل أمرهم.

وقوله: ﴿يَقُولُون لإخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ﴾ يعني بني النضير، كما:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ﴾ يعني: بني النضير.

وقوله: ﴿لَئِنْ أُخرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ يقول: لئن أخرجتم من دياركم ومنازلكم، وأُجْليتم عنها لنخرُجَنّ معكم، فنُجلى عن منازلنا وديارنا معكم.

وقوله: ﴿وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً﴾ يقول: ولا نطيع أحداً سألنا خذلانكم، وترك نصرتكم، ولكنا نكون معكم ﴿وَلَئِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ يقول: وإن قاتلكم محمد ﷺ ومن معه لننصرنَّكم معشرَ النضير عليهم.

وقوله: ﴿واللَّهُ يَشْهَدُ إنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ يقول: والله يشهد إن هؤلاء المنافقين الذين وعدوا بني النضير النصرة على محمد ﷺ ﴿لَكَاذِبُونَ﴾ في وعدهم إياهم مَا وَعَدُوهم من ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لئن أُخرج بنو النضير من ديارهم، فأَجْلوا عنها لا يخرج معهم المنافقون الذين وعدوهم الخروج من ديارهم، ولئن قاتلهم محمد ﷺ لا ينصرهم المنافقون الذين وعدوهم النصر، ولئن نصر المنافقون بني النضير ليولُّنّ الأدبار منهزمين عن محمد ﷺ وأصحابه هاربين منهم، قد خذلوهم ﴿ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾ يقول: ثم لا ينصر الله بني النضير على محمد ﷺ، وأصحابه بل يخذلهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: لأنتم أيها المؤمنون أشدّ رهبة في صدور اليهود من بني النضير من الله: يقول: هم يرهبونهم أشدّ من رهبتهم من الله **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: هذه الرهبة التي لكم في صدور هؤلاء اليهود التي هي أشد من رهبتهم من الله من أجل أنهم قوم لا يفقهون، قدر عظمة الله، فهم لذلك يستخفُّون بمعاصيه، ولا يرهبون عقابه قدر رهبته منكم.

وقوله: **﴿لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ﴾** يقول جلّ ثناؤه: لا يقاتلكم هؤلاء اليهود بني النضير مجتمعين إلا في قرى محصنة بالحصون، لا يبرزون لكم بالبراز، **﴿أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾** يقول: أو من خلف حيطان.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة والمدينة **﴿أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾** على الجماع بمعنى الحيطان. وقرأه بعض قرّاء مكة والبصرة: «مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ» على التوحيد بمعنى الحائط.

والصواب من القول عندي في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: **﴿بأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾** يقول جلّ ثناؤه: عداوة بعض هؤلاء الكفار من اليهود بعضاً شديدة **﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً﴾** يعني المنافقين وأهل الكتاب، يقول: تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم، **﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾** يقول: وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضاً.

وقوله: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾** يقول جلّ ثناؤه: هذا الذي وصفت لكم من أمر هؤلاء اليهود والمنافقين، وذلك تشتيت أهوائهم، ومعاداة بعضهم بعضاً من أجل أنهم قوم لا يعقلون ما فيه الحظّ لهم مما فيه عليهم البخس والنقص. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلكَ بأنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾** قال: تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحقّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾** قال: المنافقون يخالف دينهم دين النضير.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾ قال: هم المنافقون وأهل الكتاب.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، مثل ذلك.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾ قال: المشركون وأهل الكتاب.

وذُكر أنها في قراءة عبد الله: «وَقُلُوبُهُمْ أَشَتُّ» بمعنى: أشدّ تشتتاً: أي أشدّ اختلافاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: مثل هؤلاء اليهود من بني النضير والمنافقين فيما الله صانع بهم من إحلال عقوبته بهم ﴿**كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ يقول: كشبههم.

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بالذين من قبلهم، فقال بعضهم: عني بذلك بنو قَيْنُقاع.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قوله ﴿**كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبالَ أمْرِهِمْ وَلهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ**﴾ يعني بني قَيْنُقاع.

وقال آخرون: عُني بذلك مشركو قريش ببدر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبالَ أمْرِهِمْ**﴾ قال: كفار قريش.

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: إن الله عزّ وجلّ مثل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مذيقهم من نكاله بالذين من قبلهم من مكذّبي رسوله ﷺ، الذين أهلكهم بسخطه، وأمر بني قينقاعِ ووقعة بدر، كانا قبل جلاء بني النضير، وكلّ أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم، ولم يخصص الله

عزّ وجلّ منهم بعضاً في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض، وكلّ ذائق وبال أمره، فمن قربت مدته منهم قبلهم، فهم ممثلون بهم فيما عُنُوا به من المثل.

وقوله: ﴿ذاقوا وَبالَ أَمْرِهِمْ﴾ يقول: نالهم عقاب الله على كفرهم به.

وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: ولهم في الآخرة مع ما نالهم في الدنيا من الخزي عذاب أليم، يعني: موجع.

وقوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيطانِ إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قال إنِي بَرِيءٌ مِنْكَ إنِي أخافُ اللَّهَ رَبَّ العَالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود من النضير النصرة، إن قوتلوا، أو الخروج معهم إن أُخرجوا، ومثل النضير في غرورهم إياهم بإخلافهم الوعد، وإسلامهم إياهم عند شدّة حاجتهم إليهم، وإلى نُصرتهم إياهم، كمثل الشيطان الذي غرّ إنسانا، ووعده على اتباعه وكفره بالله، النصرة عند الحاجة إليه، فكفر بالله واتبعه وأطاعه، فلما احتاج إلى نُصرته أسلمه وتبرأ منه، وقال له: ﴿إني أخاف الله ربّ العالمين﴾ في نُصرتك.

وقد اختلف أهل التأويل في الإنسان الذي قال الله جلّ ثناؤه ﴿إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ﴾ هو إنسان بعينه، أم أريد به المثل لمن فعل الشيطان ذلك به، فقال بعضهم: عُنِي بذلك إنسان بعينه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: ثنا النضر بن شميل، قال: شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت عبد الله بن نهيك، قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: إن راهباً تعبَّد ستين سنة، وإن الشيطان أراده فأعياه، فعمد إلى امرأة فأجنها، ولها إخوة، فقال لإخوتها: عليكم بهذا القسّ فيداويها، فجاءوا بها، قال: فداواها، وكانت عنده، فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبته، فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها، فجاء إخوتها، فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك، إنك أعييتني، أنا صنعت بك هذا فأطعني أنجك مما صنعتُ بك، اسجد لي سجدة، فسجد له فلما سجد له قال: إني بريء منك إني أخاف الله ربّ العالمين فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيطَانِ إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إنّي بَرِيءٌ مِنْكَ إنّي أخافُ اللَّهَ رَبَّ العالَمِينَ﴾.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن زيد، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية ﴿كَمَثَلِ الشَّيطَانِ إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إنّي بَرِيءٌ مِنْكَ إنّي أخافُ اللَّهَ رَبَّ العالَمِينَ﴾ قال: كانت امرأة ترعى الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجر بها، فحملت، فأتاه الشيطان، فقال له اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدّق يسمع كلامك، فقتلها ثم دفنها قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر

بأختكم فلما أحبلها قتلها، ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا وما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا، بل قُصَّها علينا قال: فقصها، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك قالوا: فما هذا إلا لشيء، فانطلقوا فاستعدَوْا مَلِكَهُم على ذلك الراهب، فأتَوه فأنزلوه، ثم انطلقوا به، فلقيه الشيطان فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وأنا أنجيك مما أوقعتك فيه قال: فسجد له فلما أَتَوا به ملكَهم تبرأ منه، وأُخِذ فقتل.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿كمَثَلِ الشَّيطَانِ إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ﴾... إلى ﴿وَذَلكَ جزاءُ الظَّالِمِينَ﴾ قال عبد الله بن عباس: كان راهب من بني إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته، وكان يُؤتى من كلّ أرض فيُسئل عن الفقه، وكان عالماً، وإن ثلاثة إخوة كانت لهم أخت حسنة من أحسن الناس، وإنهم أرادوا أن يسافروا، فكبر عليهم أن يخلفوها ضائعة، فجعلوا يأتمرون ما يفعلون بها فقال أحدهم: أدلكم على من تتركونها عنده؟ قالوا: من هو؟ قال: راهب بني إسرائيل، إن ماتت قام عليها. وإن عاشت حفظها حتى ترجعوا إليه فعمدوا إليه فقالوا: إنا نريد السفر، ولا نجد أحداً أوثق في أنفسنا، ولا أحفظ لما وُلّيَ منك لما جعل عندك، فإن رأيت أن نجعل أختنا عندك فإنها ضائعة شديدة الوجع، فإن ماتت فقم عليها، وإن عاشت فأصلح إليها حتى نرجع، فقال: أكفيكم إن شاء الله فانطلقوا فقام عليها فداواها حتى بَرأت، وعاد إليها حسنها، فاطلع إليها فوجدها متصنعة، فلم يزل به الشيطان يزين له أن يقع عليها حتى وقع عليها، فحملت، ثم ندمه الشيطان فزين له قتلها قال: إن لم تقتلها افتضحت وعرف شبهك في الولد، فلم يكن لك معذرة، فلم يزل به حتى قتلها، فلما قدم إخوتها سألوه ما فعلت؟ قال: ماتت فدفنتها، قالوا: قد أحسنت، ثم جعلوا يرون في المنام، ويخبرون أن الراهب هو قتلها، وأنها تحت شجرة كذا وكذا، فعمدوا إلى الشجرة فوجدوها تحتها قد قتلت، فعمدوا إليه فأخذوه، فقال له الشيطان: أنا زيَّنت لك الزنا وقتلها بعد الزنا، فهل لك أن أنجيك؟ قال: نعم، قال: أفتطيعني؟ قال: نعم قال: فاسجد لي سجدة واحدة، فسجد له ثم قتل، فذلك قوله ﴿كمَثَلِ الشَّيطَانِ إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إنِي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ الآية.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: كان رجل من بني إسرائيل عابداً، وكان ربما داوى المجانين، فكانت امرأة جميلة، فأخذها الجنون، فجيء بها إليه، فتركت عنده، فأعجبته، فوقع عليها فحملت، فجاءه الشيطان فقال: إن عُلم بهذا افتضحت، فاقتلها وادفنها في بيتك، فقتلها ودفنها، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه، فقال:

ماتت، فلم يتهموه لصلاحه فيهم، فجاءهم الشيطان فقال: إنها لم تمت، ولكنه وقع عليها فقتلها ودفنها في بيته في مكان كذا وكذا، فجاء أهلها، فقالوا: ما نتهمك، فأخبرنا أين دفنتها، ومن كان معك، فوجدوها حيث دفنها، فأُخذ وسُجن، فجاءه الشيطان فقال: إن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فتخرج منه، فاكفر بالله، فأطاع الشيطان، وكفر بالله، فأُخذ وقتل، فتبرأ الشيطان منه حينئذ. قال: فما أعلم هذه الآية إلا نزلت فيه ﴿**كَمَثَلِ الشَّيطَانِ إذْ قالَ للإنسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إنّي بَرِيءٌ مِنْكَ إنّي أخافُ اللَّهَ رَبَّ العالَمِينَ**﴾.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك الناس كلهم، وقالوا: إنما هذا مثل ضُرِب للنضير في غرور المنافقين إياهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**كَمَثَلِ الشَّيطَانِ إذْ قالَ للإنسانِ اكْفُرْ**﴾ عامّة الناس.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فكان عُقبى أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه، فكفر بالله أنهما خالدان في النار ماكثان فيها أبداً ﴿**وَذَلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ**﴾ يقول: وذلك ثواب اليهود من النضير والمنافقين الذين وعدوهم النصرة، وكلُّ كافر بالله ظالم لنفسه على كفره به أنهم في النار مخلَّدون.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: ﴿**خالِدَيْنِ فِيها**﴾ فقال بعض نحويي البصرة: نصب على الحال، وفي النار الخبر قال: ولو كان في الكلام لكان الرفع أجود في «خالدين» قال: وليس قولهم: إذا جئت مرّتين(١) فهو نصب لشيء، إنما فيها توكيد جئت بها أو لم تجيء بها فهو سواء، إلا أن العرب كثيراً ما تجعله حالاً إذا كان فيها للتوكيد وما أشبهه في غير مكان قال: ﴿**إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ وَالمُشْرِكِينَ فِي نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها**﴾. وقال بعض نحويي الكوفة: في قراءة عبد الله بن مسعود: «فَكَانَ عاقِبَتَهُمَا أنَّهُما في النَّارِ خالِدَيْنِ في النَّارِ» قال: وفي أنهما في

(١) تحرر هذه العبارة فإن فيها من التحريف والتصحيف ما لا يخفى.

النار خالدين فيها نصب قال: ولا أشتهي الرفع وإن كان يجوز، فإذا رأيت الفعل بين صفتين قد عادت إحداهما على موضع الأخرى نصبت، فهذا من ذلك قال: ومثله في الكلام قولك: مررت برجل على نابه متحملاً به ومثله قول الشاعر:

والزَّعْفَرَانُ عَلى تَرائِبِها شَرِقاً بِهِ اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ[(١)]

لأن الترائب هي اللبات ها هنا، فعادت الصفة باسمها الذي وقعت عليه، فإذا اختلفت الصفتان جاز الرفع والنصب على حُسْن، من ذلك قولك: عبد الله في الدار راغب فيك، ألا ترى أن «في» التي في الدار مخالفة لفي التي تكون في الرغبة قال: والحجة ما يُعرف به النصف من الرفع أن لا ترى الصفة الآخرة تتقدم قبل الأولى ألا ترى أنك تقول: هذا أخوك في يده درهم قابضاً عليه، فلو قلت: هذا أخوك قابضاً عليه في يده درهم لم يجز، ألا ترى أنك تقول: هذا رجل قائم إلى زيد في يده درهم، فهذا يدل على أن المنصوب إذا امتنع تقديم الآخر، ويدل على الرفع إذا سهل تقديم الآخر.

وقوله ﴿يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ووحدوه، اتقوا الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

وقوله ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يقول: ولينظر أحدكم ما قدّم ليوم القيامة من الأعمال، أمن الصالحات التي تنجيه أم من السيئات التي توبقه؟. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾**: ما زال ربكم يقرّب الساعة حتى جعلها كغد، وغدٌ يوم القيامة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿ما قَدَّمتْ لِغَدٍ﴾** يعني يوم القيامة.

---

(١) البيت في «اللسان» ترب غير منسوب. والرواية فيه «شرق» بالرفع والمؤلف أورده منصوباً. وأعربه حالاً والزعفران: مما يستعمله العرب في الطيب وزينة النساء. والترائب: موضع القلادة من الصدر. واللبات: جمع لبة، وهي موضع النحر. والثغرة ثغرة النحر، وهي الهزمة بين الترقوتين. وقال:

«والزعفران....

البيت». والبيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن»(الورقة ٣٣٠) قال عند قوله تعالى: ﴿فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها﴾ وهي في قراءة عبد الله بن مسعود: ﴿خالدان في النار﴾، وفي قراءتنا «خالدين فيها» نصب، ولا أشتهي الرفع وإن كان يجوز. وقد نقل المؤلف كلام الفراء كله في توضيح المسألة، على مذهب أهل الكوفة، فنكتفي بهذه الإشارة هنا.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**ما قَدَّمتْ لِغَدٍ**﴾ يعني يوم القيامة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وقرأ قول الله عزّ وجلّ ﴿**وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾ يعني يوم القيامة الخير والشرّ قال: والأمس في الدنيا، وغدٌ في الآخرة، وقرأ: ﴿**كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ**﴾ قال: كأن لم تكن في الدنيا.

وقوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ**﴾ يقول: وخافوا الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿**إنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تعملون**﴾ يقول: إن الله ذو خبرة وعلم بأعمالكم خيرها وشرّها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميعها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولا تكونوا كالذين تركوا أداء حقّ الله الذي أوجبه عليهم ﴿**فأنساهُمْ أنْفُسَهُمْ**﴾ يقول: فأنساهم الله حظوظ أنفسهم من الخيرات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**نَسُوا اللَّهَ فأنساهُمْ أنْفُسَهُمْ**﴾ قال: نَسُوا حقّ الله، فأنساهم أنفسهم قال: حظّ أنفسهم.

وقوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الفاسقون**﴾ يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين نسوا الله، هم الفاسقون، يعني الخارجون من طاعة الله إلى معصيته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لا يعتدل أهل النار وأهل الجنة، أهل الجنة هم الفائزون، يعني أنهم المُدرِكون ما طلبوا وأرادوا، الناجون مما حذروا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

وقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَل لرأيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيته يا محمد خاشعاً يقول: متذللاً، متصدعاً من خشية الله على قساوته، حذراً من أن لا يؤدّي حقّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخفّ، وعنه، عما فيه من العِبَر والذكر، مُعْرض، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وَقْراً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لرأيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خَشْيَةِ اللَّهِ﴾. . . إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ قال: يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه تصدع وخشع من ثِقله ومن خشية الله، فأمر الله عز وجل الناس إذا نزل عليهم القرآن، أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع، قال: ﴿كذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَال للنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَل لرأيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خَشْيَةِ اللَّهِ﴾. . . الآية، يعذر الله الجبل الأصمّ، ولم يعذر شقيّ ابن آدم، هل رأيتم أحداً قطّ تصدّعت جوانحه من خشية الله؟.

﴿وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها للنَّاسِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذه الأشياء نشبهها للناس، وذلك تعريفه جلّ ثناؤه إياهم أن الجبال أشدّ تعظيماً لحقه منهم مع قساوتها وصلابتها.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يقول: يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها، فينيبوا، وينقادوا للحق.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الذي يتصدع من خشيته الجبل أيها الناس، هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والألوهية إلا له، عالم غيب السموات والأرض، وشاهد ما فيهما مما يرى ويحسّ ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يقول: هو رحمن الدنيا والآخرة، رحيم بأهل الإيمان به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هو المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، الملك الذي لا ملك فوقه، ولا شيء إلا دونه، القدّوس، قيل: هو المبارك. وقد بيَّنت فيما مضى قبل معنى التقديس بشواهده، وذكرت اختلاف المختلفين فيه بما أغنى عن إعادته. ذكر من قال: عُني به المبارك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**القُدُّوسُ**﴾: أي المبارك.

وقوله: ﴿**السلامُ**﴾ يقول: هو الذي يسلم خلقه من ظلمه، وهو اسم من أسمائه، كما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**السَّلامُ**﴾: الله السلام.

حدثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله، يعني العَتَكي، عن جابر بن زيد قوله: ﴿**السَّلامُ**﴾ قال: هو الله.

وقد ذكرت الرواية فيما مضى، وبيَّنت معناه بشواهده، فأغنى ذلك عن إعادته. وقوله: ﴿**المُؤْمِنُ**﴾ يعني بالمؤمن: الذي يؤمن خلقه من ظلمه. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**المُؤْمِنُ**﴾ أمن بقوله أنه حقّ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**المُؤْمِنُ**﴾ أمن بقوله أنه حقّ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جُوَيبر عن الضحاك ﴿**المُؤْمِنُ**﴾ قال: المصدق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ﴿**المُؤْمِنُ**﴾ قال: المؤمن: المصدّق الموقن، آمن الناس بربهم فسماهم مؤمنين، وآمن الربّ الكريم لهم بإيمانهم صدّقهم أن يسمى بذلك الاسم.

وقوله: ﴿**المُهَيْمِنُ**﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: المهيمن: الشهيد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**المُهَيْمَنُ**﴾ قال: الشهيد، وقال مرّة أخرى: الأمين.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**المُهَيْمِنُ**﴾ قال: الشهيد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**الْمُهَيْمِنُ**﴾ قال: أنزل الله عزّ وجلّ كتاباً فشهد عليه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**الْمُهَيْمِنُ**﴾ قال: الشهيد عليه.

وقال آخرون: المهيمن: الأمين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جُويبر، عن الضحاك ﴿**الْمُهَيْمِنُ**﴾: الأمين.

وقال آخرون: ﴿**الْمُهَيْمِنُ**﴾: المصدّق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**الْمُهَيْمِنُ**﴾ قال: المصدّق لكلّ ما حدّث، وقرأ: ﴿**وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ**﴾ قال: فالقرآن مصدّق على ما قبله من الكتب، والله مصدّق في كلّ ما حدّث عما مضى من الدنيا، وما بقي، وما حدّث عن الآخرة.

وقد بيَّنت أولى هذه الأقوال بالصواب فيما مضى قبل في سورة المائدة بالعلل الدالة على صحته، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿**الْعَزِيزُ**﴾: الشديد في انتقامه ممن انتقم من أعدائه، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**الْعَزِيزُ**﴾ أي في نقمته إذا انتقم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**الْعَزِيزُ**﴾ في نقمته إذا انتقم. وقوله: ﴿**الْجَبَّارُ**﴾ يعني: المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم. وكان قتادة يقول: جبر خلقه على ما يشاء من أمره.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**الْجَبَّارُ**﴾ قال: جَبَرَ خلقه على ما يشاء.

وقوله: ﴿**الْمُتَكَبِّرُ**﴾ قيل: عُنِي به أنه تكبر عن كلّ شرّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**الْمُتَكَبِّرُ**﴾ قال: تكبر عن كلّ شر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا أبو رجاء، قال: ثني رجل، عن جابر بن زيد، قال: إن اسم الله الأعظم هو الله، ألم تسمع يقول: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوس السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المتكبرُ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ يقول: تنزيهاً لله وتبرئة له عن شرك المشركين به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: هو المعبود الخالق، الذي لا معبود تصلح له العبادة غيره، ولا خالق سواه، البارىء الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته، المصوّر خلقه كيف شاء، وكيف يشاء.

وقوله: ﴿**لَهُ الأسْماءُ الْحُسْنَى**﴾ يقول تعالى ذكره: لله الأسماء الحسنى، وهي هذه الأسماء التي سمى الله بها نفسه، التي ذكرها في هاتين الآيتين ﴿**يُسَبِّحُ لَهُ ما في السَّمَوَاتِ والأرْضِ**﴾ يقول: يسبح له جميع ما في السموات والأرض، ويسجد له طوعاً وكرهاً ﴿**وَهُوَ العَزِيزُ**﴾ يقول: وهو الشديد الانتقام من أعدائه ﴿**الْحَكِيمُ**﴾ في تدبيره خلقه، وصرفهم فيما فيه صلاحهم.

آخر تفسير سورة الحشر

(٦٠) سورة الممتحنة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي﴾** من المشركين **﴿وَعَدُوَّكُمْ أَوْلياءَ﴾** يعني أنصاراً.

وقوله: **﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بالمَوَدَّة﴾** يقول جلّ ثناؤه: تلقون إليهم مودّتكم إياه. ودخول الباء في قوله: **﴿بالمَوَدَّةِ﴾** وسقوطها سواء، نظير قول القائل: أريد بأن تذهب، وأريد أن تذهب سواء، وكقوله: **﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإلْحادٍ بِظُلْمٍ﴾** والمعنى: ومن يرد فيه إلحاداً بظلم ومن ذلك قول الشاعر:

فَلَمَّا رَجَتْ بالشُّرْبِ هَزَّ لَهَا الْعَصَا ... شَحِيحٌ لَهُ عِنْدَ الإزَاءِ نَهِيمُ[1]

بمعنى: فلما رجت الشربَ.

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٣٠) عند قوله تعالى: ﴿تلقون إليهم بالمودة﴾ قال: دخول الباء في مودة وسقوطها سواء، هذا بمنزلة أظن أنك قائم، وبأنك قائم، وأريد أن تذهب، وأريد أن تقوم وقد قال الله: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ فأدخل الباء. والمعنى: ومن يرد فيه إلحاداً، أنشدني أبو الجراح:

«فلما رجت بالشرب....

البيت» معناه فلما رجت أن تشرب ا هـ. والإزاء: الحوض الذي تشرب منه الإبل. والنهيم صوت زجر وتوعد. وقد سبق استشهاد المؤلف بالبيت في سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد﴾ الجزء (١٧/ ١٣٩) ووقع في متن البيت هناك «الأداء» في موضع «الإزاء» هنا، خطأ مطبعياً، فلتصلح الكلمة كما هنا «الإزاء» وهو الحوض.

﴿**وقد كَفَرُوا بِمَا جاءَكُمْ مِنَ الحَقّ**﴾ يقول: وقد كفر هؤلاء المشركون الذين نهيتكم أن تتخذوهم أولياء بما جاءكم من عند الله من الحقّ، وذلك كفرهم بالله ورسوله وكتابه الذي أنزله على رسوله.

وقوله: ﴿**يَخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإيَّاكُمْ أنْ تُؤْمِنُوا باللَّهِ رَبِّكُمْ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: يخرجون رسول الله ﷺ وإياكم، بمعنى: ويخرجونكم أيضاً من دياركم وأرضكم، وذلك إخراج مشركي قريش رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة.

وقوله: ﴿**أن تُؤْمِنُوا باللَّهِ رَبِّكُمْ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: يخرجون الرسول وإياكم من دياركم، لأن آمنتم بالله.

وقوله: ﴿**إنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِي سَبِيلي وَابْتِغاءَ مَرْضَاتِي**﴾ من المؤخر الذي معناه التقديم، ووجه الكلام: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحقّ إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي، وابتغاء مرضاتي ﴿**يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم**﴾. ويعني بقوله تعالى ذكره: ﴿**إنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِي سَبِيلي**﴾: إن كنتم خرجتم من دياركم، فهاجرتم منها إلى مهاجرَكم للجهاد في طريقي الذي شرعته لكم، وديني الذي أمرتكم به. والتماس مرضاتي.

وقوله: ﴿**تُسِرُّونَ إلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ**﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ: تسرّون أيها المؤمنون بالمودّة إلى المشركين بالله ﴿**وأنا أعْلَمُ بِمَا أخْفَيْتُمْ**﴾ يقول: وأنا أعلم منكم بما أخفى بعضكم من بعض، فأسره منه ﴿**وَما أعْلَنْتُمْ**﴾ يقول: وأعلم أيضاً منكم ما أعلنه بعضكم لبعض ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: ومن يسرُّ منكم إلى المشركين بالمودّة أيها المؤمنون فقد ضلّ: يقول: فقد جار عن قصد السبيل التي جعلها الله طريقاً إلى الجنة ومحجة إليها.

وذُكر أن هذه الآيات من أوّل هذه السورة نزلت في شأن حاطب بن أبي بَلتعة، وكان كتب إلى قُرَيش بمكة يطلعهم على أمر كان رسول الله ﷺ قد أخفاه عنهم، وبذلك جاءت الآثار والرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباريّ، والفضل بن الصباح قالا: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار عن حسن بن محمد بن عليّ، أخبرني عبيد الله بن أبي رافع، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزُّبير بن العوّام والمقداد قال الفضل، قال سفيان: نفر من المهاجرين فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها»

فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فوجدنا امرأة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ليس معي كتاب، قلنا: لتخرجنّ الكتاب، أو لنلقينّ الثياب، فأخرجته من عِقَاصها، وأخذنا الكتاب فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطِبُ ما هَذَا؟» قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ كنت امرأ ملصقاً في قريش، ولم يكن لي فيهم قرابة، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات، يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ فيها يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «قَدْ صَدَقَكُمْ» فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «إنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ على أهْلِ بَدْرٍ فَقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» زاد الفضل في حديثه، قال سفيان: ونزلت فيه ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ**﴾ . . . إلى قوله: ﴿**حتَّى تُوءْمِنُوا باللَّهِ وَحْدَهُ**﴾.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان سعيد بن سنان، عن عمرو بن مرّة الجملي، عن أبي البختري الطائي، عن الحارث، عن عليّ رضي الله عنه قال: لما أراد النبيّ ﷺ أن يأتي مكة، أسرّ إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة. فيهم حاطب بن أبي بلتعة، وأفشى في الناس أنه يريد خيبر، فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن النبيّ ﷺ يريدكم، قال: فبعثني النبيّ ﷺ وأبا مرثد وليس منا رجل إلا وعنده فرس، فقال: «ائْتُوا رَوْضَةَ خاخ، فإنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بِها امْرأةً وَمَعَها كِتاب، فَخذُوهُ مِنْها فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر النبيّ ﷺ، فقلنا: هاتي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فوضعنا متاعها وفتشنا، فلم نجده في متاعها، فقال أبو مرثد: لعله أن لا يكون معها، فقلت: ما كذَب النبيّ ﷺ ولا كذبَ، فقلنا: أخرجي الكتاب، وإلا عريناك قال عمرو بن مرّة: فأخرجته من حُجْزَتها، وقال حبيب: أخرجته من قبلها فأتينا به النبيّ ﷺ فإذا الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، فقام عمر فقال: خان الله ورسوله، ائذن لي أضرب عنقه، فقال النبيّ ﷺ: «ألَيسَ قَدْ شَهِدَ بَدْراً؟» قال: بلى، ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك، فقال النبيّ ﷺ: «فَلَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلى أهْلِ بَدْرٍ، فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ»، ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم، فأرسل إلى حاطب، فقال: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا نبيّ الله إني كنت امرأ ملصقاً في قريش، وكان لي بها أهل ومال، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله، فكتبت إليهم بذلك، والله يا نبيّ الله إني لمؤمن بالله وبرسوله، فقال النبيّ ﷺ: «صَدَقَ حاطِبُ بْنُ أبي بَلْتَعَةَ، فَلا تَقُولُوا لِحاطِبَ إلاَّ خَيْراً»، فقال حبيب بن أبي ثابت: فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوَّكُمْ**﴾ . . . الآية.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال ثنا عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياء تُلْقُونَ إلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ**﴾... إلى آخر الآية، نزلت في رجل كان مع النبيّ ﷺ بالمدينة من قريش، كتب إلى أهله وعشيرته بمكة، يخبرهم وينذرهم أن رسول الله ﷺ سائر إليهم، فأخبر رسول الله ﷺ بصحيفته، فبعث إليها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأتاه بها.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا، قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة يزعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب وجعل لها جُعْلاً، على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها. ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت. وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث عليّ بن أبي طالب والزُّبير بن العوّام رضي الله عنهما، فقال: «أدرِكا امْرأةً قَدْ كَتَبَ مَعَها حاطِبٌ بِكِتاب إلى قُرَيْش يُحَذِّرُهُمْ ما قَدِ اجْتَمَعْنا لَهُ فِي أمْرِهِمْ»، فخرجا حتى أدركاها بالحليفة، حليفة ابن أبي أحمد فاستنزلاها فالتمسا في رحلها، فلم يجدا شيئاً، فقال لها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسول الله ﷺ ولا كُذِبنا، ولتخرجِنّ إليّ هذا الكتاب، أو لنكشفنك فلما رأت الجدّ منه، قالت: أعرض عني، فأعرض عنها، فحلّت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب فدفعته إليه فجاء به إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً، فقال: «يا حاطب ما حَمَلَكَ على هَذَا؟» فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدّلت، ولكني كنت امرأ في القوم ليس لي أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد، فصانعتهم عليه، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فلأضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ: «وَما يُدْرِيكَ يا عُمَرُ لَعَلَّ الله قَدِ اطَّلَعَ على أصحَاب بَدْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» فأنزل الله عزّ وجلّ في حاطب ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ**﴾... إلى قوله ﴿**وَإلَيْكَ أنَبْنا**﴾... إلى آخر القصة.

حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن عروة قال: لما نزلت: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ**﴾ في حاطب بن أبي بلتعة، كتب إلى كفار قريش كتاباً ينصح لهم فيه، فأطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك، فأرسل علياً والزُّبير، فقال: «اذْهَبا فإنَّكُما سَتَجِدَنِ امْرأةً بِمَكانِ كَذَا وكَذَا، فأْتِيا بِكِتاب مَعَها»، فانطلقا حتى أدركاها، فقالا: الكتاب الذي معك، قالت: ليس معي كتاب، فقالا: والله لا ندع معك شيئاً إلا فتّشناه، أو تخرجينه، قالت: أولستم مسلمين؟ قالا: بلى، ولكن النبيّ ﷺ أخبرنا أن معك كتاباً قد

أيقنت أنفسنا أنه معك فلما رأت جدّهما أخرجت كتاباً من بين قرونها، فذهبا به إلى النبيّ ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى كفار قريش، فدعاه النبيّ ﷺ فقال: «أَنْتَ كَتَبْتَ هَذَا الكِتابَ؟» قال: نعم، قال: «ما حَمَلَكَ على ذَلكَ؟» قال: أما والله ما ارتبت في الله منذ أسلمت، ولكني كنت امرأ غريباً فيكم أيُّها الحيّ من قريش، وكان لي بمكة مال وبنون، فأردت أن أدفع بذلك عنهم، فقال عمر رضي الله عنه: ائذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال النبيّ ﷺ: «مَهْلاً يا ابْنَ الخَطَّاب، وما يُدْرِيكَ لَعَلَ الله قَدِ اطَّلَع إلى أهْلِ بَدْرٍ فَقالَ «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فإنِّي غافِرٌ لَكُمْ» قال الزهري: فيه نزلت حتى ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله **﴿لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ﴾**... إلى قوله **﴿بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** في مكاتبة حاطب بن أبي بلتعة، ومن معه كفار قريش يحذرهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ﴾**... حتى بلغ **﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾**: ذُكر لنا أن حاطباً كتب إلى أهل مكة يخبرهم سير النبيّ ﷺ إليهم زمن الحديبية، فأطلع الله عزّ وجلّ نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك، وذُكر لنا أنهم وجدوا الكتاب مع امرأة في قرن من رأسها، فدعاه نبيّ الله ﷺ فقال: «ما حَمَلَكَ على الذِي صَنَعْتَ؟» قال: والله ما شَكَكْتُ في أمر الله، ولا ارتددت فيه، ولكن لي هناك أهلاً ومالاً، فأردت مصانعة قريش على أهلي ومالي. وذُكر لنا أنه كان حليفاً لقريش لم يكن من أنفسهم، فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك القرآن، فقال: **﴿إنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أعْداءً وَيَبْسُطُوا إلَيْكُمْ أيْدِيَهُمْ وألْسِنَتَهُمْ بالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن يثقفكم هؤلاء الذين تسرّون أيها المؤمنون إليهم بالمودّة، يكونوا لكم حرباً وأعداء **﴿وَيَبْسُطُوا إلَيْكُمْ أيْدِيَهُمْ﴾** بالقتال **﴿وألْسِنَتَهُمْ بالسُّوءِ﴾**.

وقوله: **﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾** يقول: وتمنوا لكم أن تكفروا بربكم، فتكونوا على مثل الذي هم عليه.

وقوله: **﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أرْحامُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ﴾** يقول تعالى ذكره: لا يدعونكم

أرحامكم وقراباتكم وأولادكم إلى الكفر بالله، واتخاذ أعدائه أولياء تلقون إليهم بالمودّة. فإنه لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم عند الله يوم القيامة، فتدفع عنكم عذاب الله يومئذ، إن أنتم عصيتموه في الدنيا، وكفرتم به.

وقوله: ﴿**يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: يفصل ربكم أيها المؤمنون بينكم يوم القيامة بأن يدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معاصيه والكفر به النار.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة: «يُفْصَلُ بَيْنَكُمْ» بضم الياء وتخفيف الصاد وفتحها، على ما لم يسمّ فاعله. وقرأه عامة قرّاء الكوفة خلا عاصم بضم الياء وتشديد الصاد وكسرها[1] بمعنى: يفصل الله بينكم أيها القوم. وقرأه عاصم بفتح الياء وتخفيف الصاد وكسرها، بمعنى يفصل الله بينكم. وقرأ بعض قرّاء الشام «يُفَصَّلُ» بضم الياء وفتح الصاد وتشديدها على وجه ما لم يسم فاعله.

وهذه القراءات متقاربات المعاني صحيحات في الإعراب، فبأيتها قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿**واللَّهُ بِمَا تَعْمَلونَ بَصِيرٌ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: والله بأعمالكم أيها الناس ذو علم وبصر، لا يخفى عليه منها شيء، هو بجميعها محيط، وهو مجازيكم بها إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ، فاتقوا الله في أنفسكم واحذروه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: قد كان لكم أيها المؤمنون أُسوة حسنة: يقول: قدوة حسنة في إبراهيم خليل الرحمن، تقتدون به، والذين معه من أنبياء الله، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله عزّ وجل: ﴿**قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**﴾ قال: الذين معه الأنبياء.

وقوله: ﴿**إذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إنَّا بُرآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ يقول: حين قالوا لقومهم

---

(١) في الأصل: وضمها، وهو خطأ من الناسخ.

الذين كفروا بالله، وعبدوا الطاغوت: أيها القوم إنا برآء منكم، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد.

وقوله: ﴿**كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ العَدَوَاةُ والبَغْضَاءُ أبَداً حتى تُؤْمِنُوا باللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ يقول جلّ ثناؤه مخبراً عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة: كفرنا بكم، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقاً، وظهر بيننا وبينكم العدواة والبغضاء أبداً على كفركم بالله، وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هوادة، حتى تؤمنوا بالله وحده، يقول: حتى تصدّقوا بالله وحده، فتوحدوه، وتفردوه بالعبادة.

وقوله: ﴿**إلاَّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَما أمْلِكُ لَكَ مِنَ الله مِنْ شَيْءٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في هذه الأمور التي ذكرناها من مباينة الكفار ومعاداتهم، وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه ﴿**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ**﴾ فإنه لا أسوة لكم فيه في ذلك، لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدوّ الله فلما تبين له أنه عدّو لله تبرأ منه. يقول تعالى ذكره: فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله، فتبرّءوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخذوا منهم أولياء يؤمنوا بالله وحده ويتبرّءوا عن عبادة ما سواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**إلاَّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ**﴾ قال: نُهُوا أن يتأسَّوْا باستغفار إبراهيم لأبيه، فيستغفروا للمشركين.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي جعفر، عن مطرِّف الحارثي، عن مجاهد: ﴿**أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبْرَاهِيمَ**﴾... إلى قوله ﴿**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ**﴾ يقول: في كلّ أمره أسوة، إلا الاستغفار لأبيه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبْرَاهِيمَ**﴾... الآية، ائتسوا به في كلّ شيء، ما خلا قوله لأبيه: ﴿**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ**﴾ فلا تأتسوا بذلك منه، فإنها كانت عن موعدة وعدها إياه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**إلاَّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ**﴾ يقول: لا تأسوا بذلك فإنه كان عليه موعداً، وتأسوا بأمره كله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**قَدْ**

كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. . . إلى قوله: ﴿إلاَّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ قال: يقول: ليس لكم في هذا أُسوة.

ويعني بقوله: ﴿وَما أمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يقول: وما أدفع عنك من الله من عقوبة، إن الله عاقبك على كفرك به، ولا أُغْنِي عنك منه شيئاً.

وقوله: ﴿رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا﴾ يقول جلّ ثناؤه مخبراً عن قيل إبراهيم وأنبيائه صلوات الله عليهم: ﴿رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا وَإلَيْكَ أنَبْنا﴾ يعني: وإليك رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ما تحبّ وترضى ﴿وَإلَيْكَ المَصِيرُ﴾ يقول: وإليك مصيرنا ومرجعنا يوم تبعثنا من قبورنا، وتحشرنا في القيامة إلى موقف العَرْض.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل إبراهيم خليله والذين معه: يا ربَّنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بك فجحدوا وحدانيتك، وعبدوا غيرك، بأن تسلطهم علينا، فيروا أنهم على حقّ، وأنا على باطل، فتجعلنا بذلك فتنة لهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال لا تعذّبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حقّ ما أصابهم هذا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: يقول: لا تظهرهم علينا فيَفْتَتنوا بذلك. يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقّ هم عليه.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: لا تسلِّطهم علينا فيفتنونا.

وقوله: ﴿وَاغْفِرْ لَنا رَبَّنا﴾ يقول: واستر علينا ذنوبنا بعفوك لنا عنها يا ربنا، ﴿إنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴾ يعني الشديد الانتقام ممن انتقم منه، الحكيم: يقول الحكيم في تدبيره خلقه، وصرفه إياهم فيما فيه صلاحهم.

وقوله: ﴿**لَقَدْ كانَ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ يقول تعالى ذكره لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة في الذين ذكرهم إبراهيم والذين معه من الأنبياء صلوات الله عليهم والرسل ﴿**لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ**﴾ يقول: لمن كان منكم يرجو لقاء الله، وثواب الله، والنجاة في اليوم الآخر.

وقوله ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ فإِنَّ اللَّهَ هُوَ الغَنِيّ الْحَمِيدُ**﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يتول عما أمره الله به وندبه إليه منكم ومن غيركم، فأعرض عنه وأدبر مستكبراً، ووالى أعداء الله، وألقى أليهم بالمودّة، فإن الله هو الغنيّ عن إيمانه به، وطاعته إياه، وعن جميع خلقه، الحميد عند أهل المعرفة بأياديه، وآلائه عندهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧﴾.

يقول تعالى ذكره: عسى الله أيها المؤمنون أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من أعدائي من مشركي قريش مودّة، ففعل الله ذلك بهم، بأن أسلم كثير منهم، فصاروا لهم أولياء وأحزاباً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**عَسَى اللَّهُ أنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً**﴾ قال: هؤلاء المشركون قد فعل، قد أدخلهم في السلم وجعل بينهم مودّة حين كان الإسلام حين الفتح.

وقوله: ﴿**والله قَدِيرٌ**﴾ يقول: والله ذو قدرة على أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من المشركين مودّة ﴿**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ يقول: والله غفور لخطيئة من ألقى إلى المشركين بالمودّة إذا تاب منها، رحيم بهم أن يعذّبهم بعد توبتهم منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**عَسَى اللَّهُ أنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً واللَّهُ قَدِيرٌ**﴾ على ذلك ﴿**واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ يغفر الذنوب الكثيرة، رحيم بعباده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**لا يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ**﴾ من أهل مكة ﴿**وَلَم يُخْرِجوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أنْ تَبرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إلَيْهِمْ**﴾ يقول: وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم، وبرّكم بهم.

واختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بهذه الآية، فقال بعضهم: عُني بها: الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا، فأذن الله للمؤمنين ببرّهم والإحسان إليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَم يُقَاتِلُوكُم فِي الدّينِ**﴾ أن تستغفروا لهم، و ﴿**تبروّهم وتقسطوا إليهم**﴾ قال: وهم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا.

وقال آخرون: عُني بها من غير أهل مكة مَنْ لم يهاجر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطيّ، قال: ثنا هارون بن معروف، قال: ثنا بشر بن السري، قال: ثنا مصعب بن ثابت، عن عمه عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وكانت لها أمّ في الجاهلية يقال لها قُتَيلة ابنة عبد العُزى، فأتتها بهدايا وصِنَاب وأقط وَسمْن، فقالت: لا أقبل لك هدية، ولا تدخلي عليّ حتى يأذن رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك عائشة لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿**لا يَنهاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ**﴾... إلى قوله: المُقْسِطِينَ.

قال: ثنا إبراهيم بن الحجاج، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، قال: ثنا مصعب بن ثابت، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: قَدِمتْ قُتَيلة بنت عبد العُزى بن سعد من بني مالك بن حِسْل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر، فذكر نحوه.

وقال آخرون: بل عُنِي بها من مشركي مكة من لم يقاتل المؤمنين، ولم يخرجوهم من ديارهم قال: ونسخ الله ذلك بعدُ بالأمر بقتالهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**لا يَنهاكُمُ اللّهُ**﴾... الآية، فقال: هذا قد نسخ، نَسَخه، القتال، أمروا أن يرجعوا إليهم بالسيوف، ويجاهدوهم بها، يضربونهم، وضرب الله لهم أجل أربعة أشهر، إما المذابحة، وإما الإسلام.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**لا يَنهاكُمُ اللّهُ**﴾... الآية، قال: نسختها ﴿**اقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيثُ وَجَدتُمُوهُمْ**﴾.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله ﴿**الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ ولَمْ يُخْرِجُوكمْ مِنْ دِيارِكُمْ**﴾ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصِّصْ به بعضاً دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولانسب غير محرّم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكُراع أو سلاح. قد بين صحة ما قلنا في ذلك، الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها.

وقوله: ﴿**إنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ**﴾ يقول: إن الله يحبّ المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحقّ والعدل من أنفسهم، فيبرّون من برّهم، ويُحْسنون إلى من أحسن إليهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**إنَّمَا يَنهَاكُمُ اللّهُ**﴾ أيها المؤمنون ﴿**عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدّين**﴾ من كفار أهل مكة ﴿**وأخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَظَاهَرُوا على إخْرَاجِكُمْ أنْ تَوَلَّوْهُمْ**﴾ يقول: وعاونوا من أخرجكم من دياركم على إخراجكم أن تولوهم، فتكونوا لهم أولياء ونصراء ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ**﴾ يقول: ومن يجعلهم منكم أو من غيركم أولياء ﴿**فأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ يقول: فأولئك هم الذين تولوا غير الذي يجوز لهم أن يتولوهم، ووضعوا ولايتهم في غير موضعها، وخالفوا أمر الله في ذلك. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿**الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدّين**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**إِنَّمَا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدّين**﴾ قال: كفار أهل مكة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ**﴾ النساء ﴿**المُؤمِناتُ مُهاجِراتٍ**﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿**فامْتَحِنُوهُن**﴾ وكانت محنة رسول الله ﷺ إياهن إذا قَدِمن مهاجرات، كما:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يونس بن بكير، عن قيس بن الربيع، عن الأغرّ بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر الأسديّ، قال: سُئل ابن عباس: كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال: كان يمتحنهنّ بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا الحسن بن عطية، عن قيس، قال: أخبرنا الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر، عن ابن عباس في ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ**﴾ قال كانت المرأة إذا أتت رسول الله ﷺ حلفها بالله ما خرجت... ثم ذكر نحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهريّ، أن عائشة قالت: ما كان رسول الله ﷺ يمتحن المؤمنات إلا بالآية، قال الله: ﴿**إذَا جاءَكَ المُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ على أنْ لا يُشْرِكْنَ باللَّهِ شَيْئاً**﴾ ولا، ولا.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير، أن عائشة زوج النبيّ ﷺ قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحنّ بقول الله: ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ إذَا جاءَكَ المُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ**﴾... إلى آخر الآية، قالت عائشة: فمن أقرّ بهذا من المؤمنات، فقد أقرّ بالمحبة، فكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهنّ قال لهنّ: «انطلقن فقد بايعتكن»، ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة

قطّ، غير أنه بايعهنّ بالكلام قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قطّ، إلا بما أمره الله عزّ وجلّ، وكان يقول لهنّ إذا أخذ عليهن «قد بايعتكنّ كلاماً».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ﴾... إلى قوله: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كان امتحانهنّ أن يشهدن أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فامْتَحِنُوهُنَّ﴾ قال: سلوهنّ ما جاء بهنّ فإن كان جاء بهنّ غضب على أزواجهنّ، أو سخطة، أو غيره، ولم يؤمنّ، فارجعوهنّ إلى أزواجهنّ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فامْتَحِنُوهُنَّ﴾ كانت محنتهنّ أن يستحلفن بالله «ما أخرجكنّ النشوز، وما أخرجكنّ إلاّ حبّ الإسلام وأهله، وحِرْصٌ عليه»، فإذا قلن ذلك قُبل ذلك منهنّ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿فامْتَحِنُوهُنَّ﴾ قال: يحلفن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، وحباً لله ورسوله.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه أو عكرمة ﴿إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ﴾ قال: يقال: ما جاء بك إلا حبّ الله، ولا جاء بك عشق رجل منا، ولا فراراً من زوجك، فذلك قوله ﴿فامْتَحِنُوهُنَّ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كانت المرأة من المشركين إذا غضبت على زوجها، وكان بينه وبينها كلام، قالت: والله لأهاجرنّ إلى محمد ﷺ وأصحابه، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرات فامْتَحِنُوهُنَّ﴾ إن كان الغضب أتى بها فردّوها، وإن كان الإسلام أتى بها فلا تردّوها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني عمرو بن الحارث، عن بكير بن الأشجّ، قال: كان امتحانهنّ إنه لم يُخْرِجْكِ إلا الدين.

وقوله: ﴿اللَّهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنّ﴾ يقول: الله أعلم بإيمان من جاء من النساء مهاجرات إليكم.

وقوله: ﴿فإنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ﴾ يقول: فإن أقررن عند المحنة بما يصح به عقد الإيمان لهنّ، والدخول في الإسلام، فلا تردّوهنّ عن ذلك إلى الكفار. وإنما قيل

ذلك للمؤمنين، لأن العهد كان جرى بين رسول الله ﷺ وبين مشركي قريش في صلح الحديبية أن يردّ المسلمون إلى المشركين من جاءهم مسلماً، فأبطل ذلك الشرط في النساء إذا جئن مؤمنات مهاجرات فامتحنّ، فوجدهنّ المسلمون مؤمنات، وصحّ ذلك عندهم مما قد ذكرنا قبل، وأمروا أن لا يردّوهنّ إلى المشركين إذا علم أنهنّ مؤمنات. وقال جل ثناؤه لهم: **﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّار لاهُنَّ حِلّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾** يقول: لا المؤمنات حلّ للكفار ولا الكفار يحلون للمؤمنات. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار. ذكر بعض ما رُوي في ذلك من الأثر:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، قال: دخلت على عُرْوة بن الزُّبير، وهو يكتب كتاباً إلى ابن أبي هُنيد صاحب الوليد بن عبد الملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ﴾**... إلى قوله **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** وكتب إليه عُرْوة بن الزُّبير: إن رسول الله ﷺ كان صالح قريشاً عام الحديبية على أن يردّ عليهم من جاء بغير إذن وليه فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام، أبى الله أن يُرْدَدْن إلى المشركين، إذا هنّ امتُحنّ محنة الإسلام، فعرفوا أنهنّ إنما جئن رغبة فيه.

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

وقوله **﴿وآتُوهُمْ ما أنْفَقُوا﴾** يقول جلّ ثناؤه: وأعطوا المشركين الذين جاءكم نساؤهم مؤمنات إذا علمتموهنّ مؤمنات، فلم ترجعوهنّ إليهم ما أنفقوا في نكاحهم إياهنّ من الصداق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُوءْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ﴾**... إلى قوله **﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** قال: كان امتحانهنّ أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا علموا أن ذلك حقّ منهنّ لم يرجعوهنّ إلى الكفار، وأعطى بعلها من الكفار الذين عقد لهم رسول الله ﷺ صداقه الذي أصدقها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد **﴿وآتُوهُم ما أنْفَقُوا﴾** وآتوا أزواجهنّ صدقاتهن.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا**

جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِن حتى بلغ **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** هذا حكم حكمه عزّ وجلّ بين أهل الهدى وأهل الضلالة كنّ إذا فررن من المشركين الذي بينهم وبين نبيّ الله ﷺ وأصحابه عهد إلى أصحاب نبيّ الله ﷺ فتزوّجوهنّ بعثوا مهورهنّ إلى أزواجهنّ من المشركين الذي بينهم وبين نبيّ الله ﷺ عهد وإذا فررن من أصحاب نبيّ الله ﷺ إلى المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله ﷺ عهد بعثوا بمهورهنّ إلى أزواجهنّ من أصحاب نبيّ الله ﷺ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهريّ، قال: نزلت عليه وهو بأسفل الحديبية، وكان النبيّ ﷺ صالحهم أنه من أتاه منهم ردّه إليهم فلما جاءه النساء نزلت عليه هذه الآية، وأمره أن يردّ الصداق إلى أزواجهن حكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردّوا الصداق إلى أزواجهنّ فقال **﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ﴾**.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿فامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنَّ﴾** كان نبيّ الله ﷺ عاهد من المشركين ومن أهل الكتاب، فعاهدهم وعاهدوه، وكان في الشرط أن يردّوا الأموال والنساء، فكان نبيّ الله إذا فاته أحد من أزواج المؤمنين، فلحق بالمعاهدة تاركاً لدينه مختاراً للشرك، ردّ على زوجها ما أنفق عليها، وإذا لحق بنبيّ الله ﷺ أحد من أزواج المشركين امتحنها نبيّ الله ﷺ، فسألها: «ما أخرجك من قومك؟» فإن وجدها خرجت تريد الإسلام قبلها رسول الله ﷺ، وردّ على زوجها ما أنفق عليها، وإن وجدت فرّت من زوجها إلى آخر بينها وبينه قرابة، وهي متمسكة بالشرك ردّها رسول الله ﷺ إلى زوجها من المشركين.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُوءْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ﴾**... الآية كلها، قال: لما هادن رسول الله ﷺ المشركين كان في الشرط الذي شُرط: أن تردَّ إلينا من أتاك منا، ونردّ إليك من أتانا منكم، فقال النبيّ ﷺ: «مَنْ أتانا مِنْكُمْ فَنَرُدُّهُ إلَيْكُمْ، وَمَنْ أتاكُمْ مِنَّا فاخْتارَ الكُفْرَ على الإيمَانِ فَلا حاجَةَ لَنا فِيهِمْ» قال: فأبى الله ذلك للنبيّ ﷺ في النساء، ولم يأبه للرجال، فقال الله عزّ وجلّ: **﴿إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ﴾**... إلى قوله **﴿وآتُوهُمْ ما أنْفَقُوا﴾** أزواجهنّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن بكير بن الأشجّ، قال كان بين رسول الله ﷺ والمشركين هدنة فيمن فرّ من النساء، فإذا فرّت المشركة أعطى المسلمون زوجها نفقته عليها وكان المسلمون يفعلون وكان إذا لم يعط هؤلاء ولا هؤلاء أخرج المسلمون للمسلم الذي ذهبت امرأته نفقتها.

وقوله: ﴿وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنْكِحُوهُنَّ إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا حرج عليكم أيها المؤمنون أن تنكحوا هؤلاء المهاجرات اللاتي لحقن بكم من دار الحرب مفارقات لأزواجهنّ، وإن كان لهنّ أزواج في دار الحرب إذا علمتموهنّ مؤمنات إذا أنتم أعطيتموهنّ أجورهن، ويعني بالأجور: الصَّدقات. وكان قتادة يقول: كنّ إذا فررن من المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله ﷺ وأصحابه عهد إلى أصحاب نبيّ الله ﷺ فتزوّجوهنّ، بعثوا بمهورهنّ إلى أزواجهنّ من المشركين الذين بينهم وبين أصحاب نبيّ الله ﷺ عهد.

حدثنا بذلك بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة.

وكان الزهريّ يقول: إنما أمر الله بردّ صداقهنّ إليهم إذا حُبِسن عنهم وإن هم ردّوا المسلمين على صداق من حبسوا عنهم من نسائهم.

حدثنا بذلك ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهريّ.

حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ ولها زوج ثَمَّ، لأنه فرق بينهما الإسلام إذا استبرأتن أرحامهنّ.

وقوله: ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾ يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: لا تمسكوا إيها المؤمنون بحبال النساء الكوافر وأسبابهنّ، والكوافر: جمع كافرة، والعصم: جمع عصمة، وهي ما اعتصم به من العقد والسبب، وهذا نهي من الله للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان، وأمر لهم بفراقهنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا يحيى بن سعيد القطان، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، قال أخبرنا معمر، عن الزهريّ، عن عروة، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن النبيّ ﷺ جاءه نسوة مؤمنات بعد أن كتب كتاب القضية بينه وبين قريش، فأنزل الله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ﴾ حتى بلغ ﴿بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾ فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له بالشرك، فتزوّج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: بلغنا أن آية المحنة التي مادّ فيها رسول الله ﷺ كفار قريش من أجل العهد الذي كان بين كفار قريش وبين النبيّ ﷺ، فكان النبيّ ﷺ يردّ إلى كفار قريش ما أنفقوا على نسائهم اللاتي يسلمن ويهاجرن، وبعولتهنّ كفار للعهد الذي كان بين النبيّ ﷺ وبينهم، ولو كانوا حرباً ليست بينهم وبين النبيّ ﷺ

مدّة وعقد لم يردّ عليهم شيئاً مما أنفقوا، وحكم الله للمؤمنين على أهل المدّة من الكفار بمثل ذلك، قال الله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ﴾ حتى بلغ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فطلق المؤمنون حين أنزلت هذه الآية كلّ امرأة كافرة كانت تحت رجل منهم، فطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته ابنة أبي أمية بن المغيرة من بني مخزوم فتزوّجها معاوية بن أبي سفيان، وابنة جرول من خزاعة، فتزوّجها أبو جهم بن حذافة العَدَوِيّ، وجعل الله ذلك حكماً حكم به بين المؤمنين والمشركين في هذه المدة التي كانت.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: وقال الزهريّ: لما نزلت هذه الآية ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ﴾... إلى قوله: ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾ كان ممن طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته قريبة ابنة أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما على شركهما بمكة وأم كلثوم ابنة جرول الخزاعية أم عبد الله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حُذافة بن غانم رجل من قومه، وهما على شركهما وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو التيمي كانت عنده أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ففرّق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر، وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة على دين قومها، ثم تزوّجها في الاسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن أُمية بن عبد شمس. وكان ممن فرّ إلى رسول الله ﷺ من نساء الكفار ممن لم يكن بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فحبسها وزوّجها رجلاً من المسلمين أميمة بنت بشر الأنصارية، ثم إحدى نساء بني أمية بن زيد من أوس الله، كانت عند ثابت بن الدحداحة، ففرّت منه، وهو يومئذ كافر إلى رسول الله ﷺ، فزوّجها رسول الله ﷺ سهل بن حنيف أحد بني عمرو بن عوف، فولدت عبد الله بن سهل.

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهريّ، قال الله: ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾ قال: الزهريّ: فطلق عمر امرأتين كانتا له بمكة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾ قال: أصحاب محمد أُمروا بطلاق نسائهم كوافر بمكة، قعدن مع الكفار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾ مشركات العرب اللاتي يأبين الإسلام أمر أن يُخَلّى سبِيلُهن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلا تُمْسِكُوا

بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾ إذا كفرت المرأة فلا تمسكوها، خلوها، وقعت الفرقة بينها وبين زوجها حين كفرت.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله **﴿وَلا تُمْسِكُوا﴾** فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والمدينة والكوفة والشام، **﴿وَلا تُمسِكُوا﴾** بتخفيف السين. وقرأ ذلك أبو عمرو «ولاَ تمسّكوا» بتشديدها، وذكر أنها قراءة الحسن، واعتبر من قرأ ذلك بالتخفيف، وإمساك بمعروف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان، محكى عن العرب أمسكت به ومسكت، وتمسَّكت به.

وقوله: **﴿وَاسْئَلُوا ما أنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا ما أنْفقُوا﴾** يقول تعالى ذكره لأزواج اللواتي لحقن من المؤمنين من دار الإسلام بالمشركين إلى مكة من كفار قريش: واسئلوا أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم فلحقن بالمشركين ما أنفقتم على أزواجكم اللواتي لحقن بهم من الصداق من تزوّجهنّ منهم، وليسئلكم المشركون منهم الذين لحق بكم أزواجهم مؤمنات إذا تزوّجن فيكم من تزوّجها منكم ما أنفقوا عليهنّ من الصداق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: أقر المؤمنون بحكم الله، وأدّوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين.

حدثني محمد بن عمرو، قالَ: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: **﴿وَاسْئَلُوا ما أنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا ما أنْفَقوا﴾** قال: ما ذهب من أزواج أصحاب محمد ﷺ إلى الكفار، فليعطهم الكفار صدقاتهنّ، وليمسكوهن، وما ذهب من أزواج الكفار إلى أصحاب النبيّ ﷺ، فمثل ذلك في صلح كان بين محمد ﷺ وبين قريش.

وقوله: **﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾** يقول تعالى ذكره: هذا الحكم الذي حكمت بينكم من أمركم أيها المؤمنون بمسألة المشركين، وما أنفقتم على أزواجكم اللاتي لحقن بهم وأمرهم بمسألتكم مثل ذلك في أزواجهن اللاتي لحقن بكم، حكم الله بينكم فلا تعتدوه، فإنه الحقّ الذي لا يسمع غيره، فانتهى المؤمنون من أصحاب رسول الله ﷺ فيما ذُكر إلى أمر الله وحكمه، وامتنع المشركون منه وطلبوا الوفاء بالشروط التي كانوا شارطوها بينهم في ذلك الصلح، وبذلك جاءت الآثار والأخبار عن أهل السير وغيرهم. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهريّ، قال: أما المؤمنون فأقرّوا بحكم الله، وأما المشركون فأبوا أن يقرّوا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ**﴾... الآية.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، قال: قال الله: ﴿**ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يحكم بينكم**﴾، فأمسك رسول الله ﷺ النساء، وردّه الرجال، وسأل الذي أمره الله أن يسأل من صدقات النساء من حبسوا منهنّ، وأن يردّوا عليهم مثل الذي يردّون عليهم إن هم فعلوا، ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم ردّ رسول الله ﷺ النساء، كما ردّ الرجال، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قريش يوم الحديبية أمسك النساء ولم يرد إليهم صداقاً، وكذلك يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد.

قوله: ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: والله ذو علم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأمور، حكيم في تدبيره إياهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿**وَإِنْ فَاتَكُمْ**﴾ أيها المؤمنون ﴿**شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ**﴾ فلحق بهم.

واختلف أهل التأويل في الكفار الذين عُنُوا بقوله ﴿**إِلَى الْكُفَّارِ**﴾ من هم؟ فقال بعضهم: هم الكفار الذين لم يكن بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، قالوا: ومعنى الكلام: وإن فاتكم شيء من أزواجكم، إلى من ليس بينكم وبينهم عهد من الكفار.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ**﴾ الذين ليس بينكم وبينهم عهد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ**﴾ إذا فررن من أصحاب النبيّ ﷺ إلى كفار ليس بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن مجاهد

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الكُفَّارِ﴾ قال: لم يكن بينهم عهد.

وقال آخرون: بل هم كفار قريش الذي كانوا أهل هدنة، وذلك قول الزهريّ.

حدثني بذلك يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس عنه.

وقوله: ﴿فَعاقَبْتُمْ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار ﴿فَعاقَبْتُمْ﴾ بالألف على مثال فاعلتم، بمعنى: أصبتم منهم عقبى. وقرأه حميد الأعرج فيما ذُكر عنه: «فَعَقَّبْتُمْ» على مثال فعَّلتم مشددة القاف، وهما في اختلاف الألفاظ بهما نظير قوله: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ وتُصَاعِرْ مع تقارب معانيهما.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين عندي بالصواب في ذلك قراءة من قرأ ﴿فَعاقَبْتُمْ﴾ بالألف لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا﴾ يقول: فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم منكم إلى الكفار مثل ما أنفقوا عليهنّ من الصداق.

واختلف أهل التأويل في المال الذي أمر أن يعطى منه الذي ذهبت زوجته إلى المشركين، فقال بعضهم: أُمروا أن يعطوهم صداق من لحق بهم من نساء المشركين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن الزهريّ، قال: أقرّ المؤمنون بحكم الله، وأدّوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين، فقال الله للمؤمنين: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين، ردّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من العقب الذي بأيديهم، الذي أمروا أن يردّوه على المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا على أزواجهم اللاتي آمن وهاجرن، ثم ردّوا إلى المشركين فضلاً إن كان بقي لهم. والعقب: ما كان بأيدي المؤمنين من صداق نساء الكفار حين آمنّ وهاجرن.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهريّ، قال: أنزل الله ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا﴾ فأمر الله المؤمنين أن يردّوا الصداق إذا ذهبت امرأة من المسلمين ولها زوج أن يردّ إليه المسلمون صداق امرأته من صداق إن كان في أيديهم مما أمروا أن يردوا إلى المشركين. .

وقال آخرون. بل أُمروا أن يعطوه من الغنيمة أو الفيء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾** يعني: إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار، أمر له رسول الله ﷺ أن يعطى من الغنيمة مثل ما أنفق.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، إنهم كانوا أُمروا أن يردّوا عليهم من الغنيمة. وكان مجاهد يقرأ: **﴿فَعاقَبْتُمْ﴾**.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿فَعاقَبْتُمْ﴾** يقول: أصبتم مغنماً من قريش أو غيرهم **﴿فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا﴾** صدقاتهنّ عوضاً.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن مجاهد **﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ﴾** قال: من لم يكن بينهم وبينهم عهد، فذهبت امرأة إلى المشركين، فيدفع إلى زوجها مهر مثلها **﴿فَعاقَبْتُمْ﴾** فأصبتم غنيمة **﴿فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** قال: مهر مثلها يُدفع إلى زوجها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** كنّ إذا فررن من أصحاب النبيّ ﷺ إلى الكفار ليس بينهم وبين نبيّ الله عهد، فأصاب أصحاب رسول الله ﷺ غنيمة، أعطى زوجها ما ساق إليها من جميع الغنيمة، ثم يقتسمون غنيمتهم.

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: سمعت الكسائي يخبر عن زائدة، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق أنه قرأها **﴿فَعاقَبْتُمْ﴾** وفسّرها فغنمتم.

حدثنا أحمد، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، في قوله: **﴿فَعاقَبْتُمْ﴾** قال: غنمتم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: سألنا الزهريّ، عن هذه الآية وقول الله فيها: **﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ﴾**. الآية، قال: يقول: إن فات أحداً منكم أهله إلى الكفار، ولم تأتكم امرأة تأخذون لها مثل الذي يأخذون منكم، فعوّضوه من فيء إن أصبتموه.

وقال آخرون في ذلك ما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَإنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ﴾** قال: خرجت امرأة من أهل الإسلام إلى المشركين، ولم يخرج غيرها. قال: فأتت امرأة من المشركين، فقال القوم: هذه عُقْبتكم قد أتتكم، فقال الله **﴿وَإنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ﴾**: أمسكتم الذي جاءكم منهم من أجل الذي لكم عندهم **﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا﴾** ثم أخبرهم الله أنه لا جناح عليهم إذا فعلوا الذي فعلوا أن ينكحوهنّ إذا استبرىء رحمها، قال: فدعا رسول الله ﷺ الذي ذهبت امرأته إلى الكفار، فقال لهذه التي أتت من عند المشركين: هذا زوج التي ذهبت أزوجكه؟ فقالت: يا رسول الله، عذر الله زوجة هذا أن تفرّ منه، لا والله مالي به حاجة، فدعا البختري رجلاً جسيماً، قال: هذا؟ قالت: نعم، وهي ممن جاء من مكة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله عزّ وجلّ في هذه الآية المؤمنين أن يعطوا من فرّت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر إذا هم كانت لهم على أهل الكفر عُقْبى، إما بغنيمة يصيبونها منهم، أو بلحاق نساء بعضهم بهم، مثل الذي أنفقوا على الفارّة منهم إليهم، ولم يخصص إيتاءهم ذلك من مال دون مال، فعليهم أن يعطوهم ذلك من كلّ الأموال التي ذكرناها.

وقوله: **﴿واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أنْتُمْ بِهِ مُوءْمِنُونَ﴾** يقول: وخافوا الله الذي أنتم به مصدّقون أيها المؤمنون فاتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إذَا جاءَكَ الْمُوءْمِناتُ﴾** بالله **﴿يُبايِعْنَكَ على أنْ لا يُشْرِكْنَ باللَّهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أوْلادَهُنَّ وَلا يأْتِينَ بِبُهْتان يَفْتَرِينَهُ بَينَ أيْدِيهِن وأرْجُلِهِنَّ﴾** يقول: ولا يأتين بكذب يكذبنه في مولود يوجد بين أيديهنّ وأرجلهنّ. وإنما معنى الكلام: ولا يلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَلا يأْتِينَ بِبُهْتان يَفْتَرِينَهُ بَينَ أيْدِيهِن وأرْجُلِهِنَّ﴾** يقول: لا يلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم.

وقوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ يقول: ولا يعصينك يا محمد في معروف من أمر الله عزّ وجلّ تأمرهنّ به. وذُكر أن ذلك المعروف الذي شرط عليهنّ أن لا يعصين رسول الله ﷺ فيه هو النياحة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ يقول: لا يُنحن.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾، قال: النوح.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، مثله.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن سالم، مثله.

حدثنا محمد بن عبيد المحاربيّ، قال: ثنا موسى بن عمير، عن أبي صالح، في قوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: في نياحة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: النوح.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن زيد بن أسلم ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: لا يخدشن وجهاً، ولا يشققن جيباً، ولا يدعونّ ويلاً، ولا ينشدن شعراً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: كانت محنة النساء أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: قل لهنّ: إن رسول الله ﷺ يبايعكنّ على أن لا تشركن بالله شيئاً، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة رحمة الله عليه متنكرة في النساء، فقالت: إني إن أتكلم يعرفني، وإن عرفني قتلني، وإنما تنكرت فرقاً من رسول الله ﷺ، فسكت النسوة اللاتي مع هند، وأبين أن يتكلمن قالت هند وهي متنكرة: وكيف يقبل من النساء شيئاً لم يقبله من الرجال؟ فنظر إليها رسول الله ﷺ وقال لعمر: «قُلْ لَهُنَّ وَلا يَسْرِقْنَ»، قالت هند: والله إني لأصيب من أبى سفيان الهنات[1] ما أدري أيحلهنّ لي أم لا، قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء مضى، أو قد بقي، فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فدعاها فأتته، فأخذت بيده، فعاذت به، فقال: «أَنْتِ هِنْدٌ»،

---

(١) في ابن كثير (٦/ ٢٠٧) الهنة، بالإفراد والهنة الشيء اليسير. وجمعها: هنات وهنوات.

فقالت: عفا الله عما سلف، فصرف عنها رسول الله ﷺ، فقال: ﴿وَلا يَزْنِينَ﴾ فقالت: يا رسول الله وهل تزني الحرّة؟ قال: «لا والله ما تَزْنِي الحُرَّةُ» قال: ﴿وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾، قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر قال: ﴿وَلا يأتِينَ بِبُهْتان يَفْتَرِينَهُ بَينَ أيْدِيهِن وأرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: منعهنّ أن ينحن، وكان أهل الجاهلية يمزّقن الثياب وَيَخْدِشْن الوجوه، ويقطّعن الشعور، ويدعون بالثُّبور والويل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إذَا جاءَكَ المُوءْمِناتُ يُبايِعْنَكَ﴾ حتى بلغ ﴿فَبايِعْهُنَّ﴾ ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ أخذ عليهنّ يومئذ النياحة، «ولا تحدّثن الرجال، إلا رجلاً منكنّ مَحْرَماً»، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا نبيّ الله إن لنا أضيافاً، وإنا نغيب عن نسائنا قال: فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أُولَئِكَ عَنَيْتُ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: هو النوح أُخِذ عليهنّ لا ينحن، ولا يخلُونَّ بحديث الرجال إلا مع ذي مَحْرم قال: فقال عبد الرحمن بن عوف: إنا نغيب ويكون لنا أضياف قال: «ليس أولئك عنيت».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: أخبرنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة، في قوله ﴿وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: لا يحدثن رجلاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن عياش، عن سليمان بن سليمان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: جاءت أُميمة بنت رقيقة إلى النبيّ ﷺ تبايعه على الإسلام فقال لها النبي ﷺ: «أُبايِعُكِ على أنْ لا تُشْرِكي باللَّهِ شَيْئاً، وَلا تَسْرِقي، وَلا تَزْنِي، وَلا تَقْتُلِي وَلَدَك، وَلا تأْتِي بِبُهْتان تَفْتَرِينَهُ بَينَ يَدَيْكِ وَرِجْلَيْكِ، وَلا تَنُوحي وَلا تبَرجي تَبُرجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى».

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن أُميمة بنت رقيقة، قالت: جاءت نسوة إلى النبيّ ﷺ يبايعنه، فقال: «فِيما اسْتَطَعْتُنَّ وأطَقْتُنَّ»، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا.

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا أبي وشعيب بن الليث، قال: ثنا خالد بن يزيد، عن ابن أبي هلال، عن ابن المنكدر أن أُميمة أخبرته أنها دخلت على رسول الله ﷺ في نسوة، فقلن: يا رسول الله ابسط يدك نصافحك، فقال: «إنّي لا أُصافِحُ النِّساءَ، وَلَكِنْ سآخُذُ عَلَيْكُنَّ»، فأخذ علينا حتى بلغ: ﴿وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ فقال: «فِيما أطَقْتُنَّ وَاسْتَطَعْتُنَّ» فقلن: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا هارون، عن عمرو، عن عاصم، عن ابن سيرين، عن أمّ عطية الأنصارية، قالت: كان فيما اشترط علينا من المعروف حين بايعنا أن لا ننوح، فقالت امرأة من بني فلان: إن بني فلان أسعدوني، فلا حتى أجزيهم، فانطلقت فأسعدتهم، ثم جاءت فبايعت قال: فما وفى منهن غيرها وغير أمّ سليم ابنة ملحان أمّ أنس بن مالك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا عمرو بن فروخ القتات، قال: ثنا مصعب بن نوح الأنصاري، قال: «أدركت عجوزاً لنا كانت فيمن بايع رسول الله ﷺ، قالت: فأتيته لأبايعه، فأخذ علينا فيما أخذ ولا تُنحنَ، فقالت عجوز: يا نبيّ الله إن ناساً قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابتني، وإنهم قد أصابتهم مصيبة، فأنا أريد أن أسعدهم قال: «فانْطَلِقي فَكافِئِيهِمْ» ثم إنها أتت فبايعته، قال: «هو المعروف الذي قال الله»: ﴿**وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ**﴾.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن يزيد، مولى الصهباء، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ، في قوله ﴿**وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ**﴾ قال: «النوح».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يونس، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن المنكدر، عن أُميمة بنت رقيقة التيمية، قالت: بايعت رسول الله ﷺ في نسوة من المسلمين، فقلنا له: جئناك يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتيَ ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف فقال رسول الله ﷺ: «فيما اسْتَطعتنّ وأطقتنّ»، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، فقلنا: بايعنا يا رسول الله، فقال: «اذْهَبْنَ فَقَدْ بايَعْتُكُنّ، إنّما قَوْلِي لمئَةِ امْرأةٍ كَقَوْلي لامْرأةٍ وَاحدَةٍ»، وما صافح رسول الله ﷺ منا أحداً.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يونس بن بكير، عن عيسى بن عبد الله التميمي، عن محمد بن المنكدر، عن أُميمة بنت رقيقة خالة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قال: سمعتها تقول: بايعنا رسول الله ﷺ، فأخذ علينا أن لا نشرك بالله شيئاً، فذكر مثل حديث محمد بن إسحاق.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن أُميمة بنت رقيقة، قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نساء نبايعه، قالت: فأخذ علينا النبيّ ﷺ بما في القرآن ﴿**أنْ لا يُشْرِكْنَ باللَّهَ شَيْئاً**﴾... الآية، ثم قال: «فيما اسْتَطَعْتُنَّ وأطَقْتُنَّ» فقلنا: يا رسول الله ألا تصافحنا؟ فقال: «إنّي لا أُصافِحُ النّساءَ ما قَوْلي لامرأةٍ وَاحدَةٍ إلاَّ كَقَوْلي لِمِئَةِ امْرأةٍ».

حدثنا ابن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، عن زُهير، عن موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر، عن أُميمة بنت رقيقة، عن رسول الله ﷺ بنحوه.

حُدثت ، عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ**﴾ والمعروف: ما اشترط عليهنّ في البيعة أن يتبعن أمره.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿**وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ**﴾ فقال: إن رسول الله ﷺ نبيه وخيرته من خلقه ثم لم يستحلّ له أمور أمر[1] إلا بشرط لم يقل: ولا يعصينك ويترك حتى قال في معروف: فكيف ينبغي لأحد أن يُطاع في غير معروف وقد اشترط الله هذا على نبيه، قال: فالمعروف كلّ معروف أمرهنّ به في الأمور كلها وينبغي لهنّ أن لا يعصين.

حدثنا محمد بن سنان القزاز، ثنا إسحاق بن إدريس، ثنا إسحاق بن عثمان بن يعقوب، قال: ثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية، عن جدته أمّ عطية، قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، جمع بين نساء الأنصار في بيت، ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب، فقام على الباب فسلم علينا، فرددن، أو فرددنا عليه، ثم قال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكنّ، قالت: فقلنا مرحبا برسول الله ﷺ، وبرسول رسول الله، فقال: تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئاً، ولا تسرقن، ولا تزنين، قالت: قلنا نعم قال: فمدّ يده من خارج الباب أو البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت، ثم قال: اللهمّ اشهد قالت: وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحيض والعواتق، ولا جمعة علينا، ونهانا عن اتباع الجنازة، قال إسماعيل: فسألت جدتي عن قول الله ﴿**وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ**﴾ قالت: النياحة.

حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، عن زهير، في قول الله: ﴿**وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ**﴾ قال: لا يخلو الرجل بامرأة.

وقوله: ﴿**فَبَايِعْهُنَّ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على هذه الشروط، فبايعهن، ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ**﴾ يقول: سل لهنّ الله أن يصفح عن ذنوبهنّ، ويسترها عليهنّ بعفوه لهنّ عنها، ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ يقول: إن الله ذو ستر على ذنوب من تاب إليه من ذنوبه أن يعذّبه عليها بعد توبته منها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾.

---

(١) كذا في الأصل، ولعله أمر رعيته أمراً إلا بشرط الخ.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيهِمْ﴾** من اليهود **﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة كَما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ﴾**.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: **﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة كَما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ﴾** فقال بعضهم: معنى ذلك: قد يئس هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله في الآخرة، وأن يُبعثوا، كما يئس الكفار الأحياء من أمواتهم الذين هم في القبور أن يرجعوا إليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيهِمْ﴾**... الآية، يعني من مات من الذين كفروا، فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم الله.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسين أنه قال في هذه الآية: **﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة كَما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ﴾** قال: الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة﴾** يقول: يئسوا أن يُبعثوا كما يئس الكفار أن ترجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾**... الآية، الكافر لا يرجو لقاء ميته ولا أجره.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة، كَما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ﴾** يقول: من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء منهم أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قد يئسوا من الآخرة أن يرحمهم الله فيها، ويغفر لهم، كما يئس الكفار الذين هم أصحاب قبور قد ماتوا وصاروا إلى القبور من رحمة الله وعفوه عنهم في الآخرة، لأنهم قد أيقنوا بعذاب الله لهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، في هذه الآية: **﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة كَما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ﴾** قال: أصحاب القبور الذين في القبور قد يئسوا من الآخرة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله **﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ﴾** قال: من ثواب الآخرة حين تَبين لهم عملهم، وعاينوا النار.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية: **﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾**... الآية، قال: أصحاب القبور قد يئسوا من الآخرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: قال الكلبي: قد يئسوا من الآخرة، يعني اليهود والنصارى، يقول: قد يئسوا من ثواب الآخرة وكرامتها، كما يئس الكفار الذي قد ماتوا فهم في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم من النار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: **﴿لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً﴾**... الآية، قال: قد يئس هؤلاء الكفار من أن تكون لهم آخرة، كما يئس الكفار الذين ماتوا الذين في القبور من أن تكون لهم آخرة، لما عاينوا من أمر الآخرة، فكما يئس أولئك الكفار، كذلك يئس هؤلاء الكفار قال: والقوم الذين غضب الله عليهم، يهودهم الذين يئسوا من أن تكون لهم آخرة، كما يئس الكفار قبلهم من أصحاب القبور، لأنهم قد علموا كتاب الله وأقاموا على الكفر به، وما صنعوا وقد علموا.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن منصور، في قوله: **﴿يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾**... الآية، قال: قد يئسوا أن يكون لهم ثواب الآخرة، كما يئس من في القبور من الكفار من الخير، حين عاينوا العذاب والهوان.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة، وكرامته لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمداً ﷺ على علم منهم بأنه لله نبيّ، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا، فصاروا أصحاب القبور، وهم على مثل الذي هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى صلوات الله عليه وغيره من الرسل، من ثواب الله وكرامته إياهم.

وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بتأويل الآية، لأن الأموات قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا، أو أن يُبعثوا قبل قيام الساعة المؤمنون والكفار، فلا وجه لأن يخصّ بذلك الخبر عن الكفار، وقد شركهم في الإياس من ذلك المؤمنون.

آخر تفسير سورة الممتحنة

(٦١) سورة الصف مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾.

يقول جلّ ثناؤه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّمَوَاتِ﴾ السبع ﴿وَما فِي الأرْضِ﴾ من الخلق، مُذعنين له بالألوهة والربوبية ﴿وَهُوَ العَزِيزُ﴾ في نقمته ممن عصاه منهم، فكفر به، وخالف أمره ﴿الحَكِيمُ﴾ في تدبيره إياهم.

وقوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا صدّقوا الله ورسوله، لم تقولون القول الذي لا تصدّقونه بالعمل، فأعمالكم مخالفة أقوالكم ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ﴾ يقول: عظم مقتاً عند ربكم قولكم ما لا تفعلون.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أُنزلت هذه الآية، فقال بعضهم: أُنزلت توبيخاً من الله لقوم من المؤمنين، تمنوا معرفة أفضل الأعمال، فعرّفهم الله إياه، فلما عرفوا قصروا، فعوتبوا بهذه الآية.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾ قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يُفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلنا على أحبّ الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحبّ الأعمال إليه إيمان بالله لا شكّ فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرّوا به فلما نزل الجهاد، كره ذلك أُناس من المؤمنين، وشقّ عليهم أمره، فقال الله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أنْ تَقُولُوا ما لا

تَفْعَلُونَ﴾ قال: كان قوم يقولون: والله لو أنا نعلم ما أحبّ الأعمال إلى الله لعملناه، فأنزل الله على نبيه ﷺ: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً﴾**... إلى قوله **﴿بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾** فدلهم على أحبّ الأعمال إليه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن محمد بن جحادة، عن أبي صالح، قال: قالوا: لو كنا نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله وأفضل، فنزلت: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ ألِيمٍ﴾** فكرهوا، فنزلت: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾**.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله **﴿لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾**... إلى قوله: **﴿مَرْصُوصٌ﴾** فيما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة، قالوا في مجلس: لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله لعملنا بها حتى نموت، فأنزل الله هذا فيهم، فقال عبد الله بن رواحة: لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت، فقُتل شهيداً.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في توبيخ قوم من أصحاب رسول الله ﷺ، كان أحدهم يفتخر بالفعل من أفعال الخير التي لم يفعلها، فيقول فعلت كذا وكذا، فعذلهم الله على افتخارهم بما لم يفعلوا كذباً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾** قال: بلغني أنها كانت في الجهاد، كان الرجل يقول: قاتلت وفعلت، ولم يكن فعل، فوعظهم الله في ذلك أشدّ الموعظة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾** يؤذنهم ويعلمهم كما تسمعون **﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ﴾** وكانت رجال تخبر في القتال بشيء لم يفعلوه ولم يبلغوه، فوعظهم الله في ذلك موعظة بليغة، فقال: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾**... إلى قوله: **﴿كأنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾**.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾** أنزل الله هذا في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل قال الله: **﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ﴾**.

وقال آخرون: بل هذا توبيخ من الله لقوم من المنافقين، كانوا يَعِدُونَ المؤمنين النصر وهم كاذبون.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: **﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ﴾** يقول للنبي ﷺ وأصحابه: لو خرجتم خرجنا معكم، وكنا في نصركم، وفي، وفي، فأخبرهم أنه **﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ﴾**.

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عنى بها الذين قالوا: لو عرفنا أحبّ الأعمال إلى الله لعملنا به، ثم قصروا في العمل بعدما عرفوا.

وإنما قلنا: هذا القول أولى بها، لأن الله جلّ ثناؤه خاطب بها المؤمنين، فقال: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا﴾** ولو كانت نزلت في المنافقين لم يسمّوا، ولم يوصفوا بالإيمان، ولو كانوا وصفوا أنفسهم بفعل ما لم يكونوا فعلوه، كانوا قد تعمدوا قيل الكذب، ولم يكن ذلك صفة القوم، ولكنهم عندي أمّلوا بقولهم: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله عملناه أنهم لو علموا بذلك عملوه فلما علموا ضعفت قوى قوم منهم، عن القيام بما أملوا القيام به قبل العلم، وقوي آخرون فقاموا به، وكان لهم الفضل والشرف.

واختلف أهل العربية في معنى ذلك، وفي وجه نصب قوله: **﴿كَبُرَ مَقْتاً﴾** فقال بعض نحويي البصرة: قال: **﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ﴾**: أي كبر مقتكم مقتاً، ثم قال: **﴿أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ﴾**: أذى قولكم. وقال بعض نحويي الكوفة: قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾**: كان المسلمون يقولون: لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله لأتيناه، ولو ذهبت فيه أنفسنا وأموالنا فلما كان يوم أُحد، نزلوا عن النبيّ ﷺ حتى شُجّ، وكُسرت رباعيته، فقال: **﴿لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾**، ثم قال: **﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ﴾** كبر ذلك مقتاً: أي فأن في موضع رفع، لأن كبر كقوله: بئس رجلاً أخوك.

وقوله: **﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ﴾** وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا، أُضمِرَ في كبر اسم يكون مرفوعاً.

والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله **﴿مَقْتاً﴾** منصوب على التفسير، كقول القائل: كبر قولاً هذا القول.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للقائلين: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله لعملناه حتى نموت: **﴿إنَّ اللَّهَ﴾** أيها القوم **﴿يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾** كأنهم، يعني في طريقه ودينه الذي دعا إليه **﴿صَفًّا﴾** يعني بذلك أنهم يقاتلون أعداء الله مصطفين.

وقوله: ﴿**كَأَنَّهُمْ بُنْيان مَرْصُوصٌ**﴾ يقول: يقاتلون في سبيل الله صفاً مصطفاً، كأنهم في اصطفافهم هنالك حيطان مبنية قد رصّ، فأحكم وأتقن، فلا يغادر منه شيئاً، وكان بعضهم يقول: بني بالرصاص. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كأَنَّهُم بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحبّ أن يختلف بنيانه، كذلك تبارك وتعالى لا يختلف أمره، وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كأَنَّهُم بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ قال: والذين صدّقوا قولهم بأعمالهم هؤلاء قال: وهؤلاء لم يصدّقوا قولهم بالأعمال لما خرج النبيّ ﷺ نكصوا عنه وتخلّفوا.

وكان بعض أهل العلم يقول: إنما قال الله ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا**﴾ ليدلّ على أن القتال راجلا أحبّ إليه من القتال فارساً، لأن الفرسان لا يصطفون، وإنما تصطف الرجالة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن أبي بكر ابن أبي مريم، عن يحيى بن جابر الطائي، عن أبي بحرية، قال: كانوا يكرهون القتال على الخيل، ويستحبون القتال على الأرض، لقول الله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كأَنَّهُم بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ قال: وكان أبو بحرية يقول: إذا رأيتموني التفتّ في الصفّ، فجئوا في لحيي.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد ﴿**إِذْ قالَ مُوسَى**﴾ بن عمران ﴿**لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ**﴾ حقاً ﴿**أنّي رَسُولُ اللَّهُ إلَيْكُمْ**﴾.

وقوله: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ يقول: فلما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل أزاغ الله قلوبهم: يقول: أمال الله قلوبهم عنه وقد:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوّام، قال: ثنا أبو غالب، عن أبي أمامة في قوله: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ قال: هم الخوارج.

﴿**وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ**﴾ يقول: والله لا يوفِّق لإصابة الحقّ القوم الذين اختاروا الكفر على الإيمان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: واذكر أيضاً يا محمد ﴿**إِذْ قالَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ**﴾ لقومه من بني إسرائيل ﴿**يا بَنِي إسْرائِيلَ إنِّي رَسُولُ اللَّهِ إلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَينِ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ**﴾ التي أُنزلت على موسى ﴿**وَمُبَشِّراً**﴾ أبشركم ﴿**بِرَسُولٍ يأتي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أحْمَدُ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد، عن عبد الأعلى بن هلال السلميّ، عن عرباض بن سارية، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ لخَاتِمُ النَّبِيِّينَ، وَإنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وسأُخْبِرُكُمْ بأوَّلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أبي إبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي، وَالرُّؤيا التي رأتْ أُمِّي، وكَذلكَ أُمَّهاتُ النَّبِيِّينَ، يَرَيْنَ أنَّها رأتْ حِينَ وَضَعَتْنِي أنَّهُ خَرَجَ مِنْها نُورٌ أضاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّام».

﴿**فَلَمَّا جاءَهُمْ بالبَيِّناتِ**﴾ يقول: فلما جاءهم أحمد بالبينات، وهي الدلالات التي آتاه الله حججاً على نبوّته ﴿**قالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ يقول: ما أتى به غير أنني ساحر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن أشدّ ظلماً وعدواناً ممن اختلق على الله الكذب، وهو قول قائلهم للنبيّ ﷺ: هو ساحر ولما جاء به سحر، فكذلك افتراؤه على الله الكذب وهو يُدعى إلى الإسلام يقول: إذا دعي إلى الدخول في الإسلام، قال على الله الكذب، وافترى عليه الباطل ﴿**وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ يقول: والله لا يوفِّق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به لإصابة الحقّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يريد هؤلاء القائلون لمحمد ﷺ: هذا ساحر مبين ﴿**لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾ يقول: يريدون ليبطلوا الحقّ الذي بعث الله به محمداً ﷺ بأفواههم يعني بقولهم إنه ساحر، وما جاء به سحر، ﴿**وَاللَّهُ مُتِمّ نُورِهِ**﴾ يقول: الله معلن الحقّ، ومظهر دينه، وناصر محمداً عليه الصلاة والسلام على من عاداه، فذلك إتمام نوره، وعنى بالنور في هذا الموضع الإسلام. وكان ابن زيد يقول: عُنِي به القرآن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾ قال: نور القرآن.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ مُتِمُّ نورِهِ**﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «مُتِمٌّ نُورَهُ» بالنصب. وقرأه بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء الكوفة ﴿**مُتِمُّ**﴾بغير تنوين نورِه خفضاً، وهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب عندنا.

وقوله: ﴿**وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ**﴾ يقول: والله مظهر دينه، ناصر رسوله، ولو كره الكافرون بالله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الله الذي أرسل رسوله محمداً بالهدى ودين الحقّ، يعني ببيان الحقّ ودين الحقّ يعني: وبدين الله، وهو الإسلام.

وقوله: ﴿**لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّه**﴾ يقول: ليظهر دينه الحقّ الذي أرسل به رسوله على كلّ دين سواه، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم، وحين تصير الملة واحدة، فلا يكون دين غير الإسلام، كما:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي المقدام ثابت بن هرمز، عن أبي هريرة ﴿**لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّه**﴾ قال: خروج عيسى ابن مريم.

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله ﴿**لَيُظْهِرَهُ على الدّين كُلِهِ**﴾ والصواب عندنا من القول في ذلك بعلله فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد:

حدثني عبد الحميد بن جعفر، قال: ثنا الأسود بن العلاء، عن أبي سلمة بن عبد

الرحمن، عن عائشة قالت: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا يَذْهَبُ اللَّيْلُ والنَّهارُ حتى تُعْبَدَ اللاَّتُ والعُزَّى» فقالت عائشة: والله يا رسول الله إن كنت لأظنّ حين أنزل الله ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّه**﴾... الآية، أن ذلك سيكون تاماً، فقال: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذلكَ ما شاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحاً طَيِّبَةً، فَيَتَوَفَّى مَنْ كانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مَنْ خَيْرٍ، فَيَبْقَى مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إلى دِينِ آبائِهِمْ».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ ألِيمٍ**﴾ موجع، وذلك عذاب جهنم ثم بين لنا جلّ ثناؤه ما تلك التجارة التي تنجينا من العذاب الأليم، فقال: ﴿**تُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ محمد ﷺ.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿**تُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾، وقد قيل لهم: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بوصفهم بالإيمان؟ فإن الجواب في ذلك نظير جوابنا في قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ آمِنُوا بالله وقد مضى البيان عن ذلك في موضعه بما أغنى عن إعادته.

وقوله: ﴿**وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأمْوَالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: وتجاهدون في دين الله، وطريقه الذي شرعه لكم بأموالكم وأنفسكم ﴿**ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ يقول: إيمانكم بالله ورسوله، وجهادكم في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴿**خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ من تضييع ذلك والتفريط ﴿**إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ مضارّ الأشياء ومنافعها. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «آمِنُوا بِاللَّهِ» على وجه الأمر، وبيَّنت التجارة من قوله: ﴿**هَلْ أدُلُّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ**﴾ وفسّرت بقوله: ﴿**تُوءْمِنُونَ باللَّهِ**﴾ ولم يقل: أن تؤمنوا، لأن العرب إذا فسرت الاسم بفعل تثبت في تفسيره أن أحياناً، وتطرحها أحياناً، فتقول للرجل: هل لك في خير تقوم بنا إلى فلان فنعوده؟ هل لك في خير أن تقوم إلى فلان فنعوده؟، بأن وبطرحها. ومما جاء في الوجهين على الوجهين جميعاً قوله: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ إلى طَعامِهِ أنَّا**﴾ وإنا فالفتح في أنا لغة من أدخل في يقوم أن من قولهم: هل لك في خير أن تقوم، والكسر فيها لغة من يُلقي أن من تقوم ومنه قوله: ﴿**فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أنَّا دَمَّرْناهُمْ**﴾ وإنا دمرناهم، على ما بيَّنا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ**﴾... الآية، فلولا أن الله بينها، ودلّ عليها المؤمنين، لتلهف عليها

رجال أن يكونوا يعلمونها، حتى يضنوا بها[1] وقد دلكم الله عليها، وأعلمكم إياها فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: تلا قتادة: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ على تجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَليمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال: الحمد لله الذي بينها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: يستر عليكم ربكم ذنوبكم إذا أنتم فعلتم ذلك فيصفح عنكم ويعفو ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ﴾ يقول: ويُدخلكم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿وَمَساكِنَ طَيِّبَةً﴾ يقول: ويُدخلكم أيضاً مساكن طيبة ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ يعني في بساتين إقامة، لا ظعن عنها.

وقوله ﴿ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ يقول: ذلك النجاء العظيم من نكال الآخرة وأهوالها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ (١٤)﴾.

اختلف أهل العربية فيما نعتت به قوله ﴿وأُخْرَى﴾ فقال بعض نحويّ البصرة: معنى ذلك: وتجارة أخرى، فعلى هذا القول يجب أن يكون أخرى في موضع خفض عطفاً به على قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ على تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وقد يحتمل أن يكون رفعاً على الابتداء. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: هي في موضع رفعٍ. أي ولكم أخرى في العاجل مع ثواب الآخرة، ثم قال: ﴿نصر من الله﴾ مفسراً للأخرى.

والصواب من القول في ذلك عندي القول الثاني، وهو أنه معنيّ به: ولكم أخرى تحبونها،

---

(١) الذي في الدر «حتى يطلبوها».

لأن قوله ﴿**نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وفَتْحٌ قَرِيبٌ**﴾ مبين عن أن قوله ﴿**وأُخرى**﴾ في موضع رفع، ولو كان جاء ذلك خفضاً حسن أن يجعل قوله ﴿**وأُخْرَى**﴾ عطفاً على قوله ﴿**تِجَارَةٍ**﴾، فيكون تأويل الكلام حينئذ لو قرىء ذلك خفضاً، وعلى خلة أخرى تحبونها، فمعنى الكلام إذا كان الأمر كما وصفت: هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله، يغفر لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، ولكم خلة أخرى سوى ذلك في الدنيا تحبونها: نصر من الله لكم على أعدائكم، وفتح قريب يعجله لكم.

﴿**وَبَشِّرِ المُوءْمِنِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وبشر يا محمد المؤمنين بنصر الله إياهم على عدّوهم، وفتح عاجل لهم.

وقوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أنْصَارَ اللَّهِ**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: «كُونُوا أنْصَاراً للَّهِ» بتنوين الأنصار. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بإضافة الأنصار إلى الله.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، ومعنى الكلام: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، كونوا أنصار الله، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين: ﴿**مَنْ أنْصَاري إلى اللَّهِ**﴾، يعني من أنصاري منكم إلى نصرة الله لي. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثني به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أنْصَارَ اللَّهِ كما قال عيسَى ابنُ مَرْيَمَ للْحَوَارِيِّينَ مَنْ أنْصَارِي إلى اللَّهِ قال الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أنْصَارُ اللَّهِ**﴾ قال: قد كانت لله أنصار من هذه الأمة تجاهد على كتابه وحقه. وذُكر لنا أنه بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلاً من الأنصار، ذُكر لنا أن بعضهم قال: هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعون على محاربة العرب كلها أو يُسلموا. وذُكر لنا أن رجلاً قال: يا نبيّ الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: «**أشْتَرِطُ لربيَ أنْ تَعبدوه، ولا تُشرِكُوا به شيئاً، وأشْترطُ لنفسي أن تمنَعوني مما مَنَعْتُم منه أنفسَكُم وأبناءَكم**» قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبيّ الله؟ قال: «لكم النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة»، ففعلوا، ففعل الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: تلا قتادة ﴿**كُونُوا أنصَارَ اللَّهِ كمَا قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ للْحَوَارِيِّينَ مَنْ أنْصَارِي إلى اللَّهِ**﴾ قال: قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلاً، فبايعوه عند العقبة، فنصروه وآوَوْه حتى أظهر الله دينه قالوا: ولم يسمّ حيّ من السماء اسماً لم يكن لهم قبل ذلك غيرهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: إن الحواريين كلهم من

قريش: أبو بكر، وعمر، وعليّ، وحمزة، وجعفر، وأبو عُبيدة، وعثمان بن مظعون، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوّام.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ**﴾ قال: من يتبعني إلى الله؟.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ميسرة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَير، قال: سئل ابن عباس عن الحواريين، قال: سُمُّوا لبياض ثيابهم كانوا صيادي السمك.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**الحواريون**﴾: هم الغسالون بالنبطية يقال للغسال: حوارى، وقد تقدم بياننا في معنى الحوارى بشواهده واختلاف المختلفين فيه قبل فيما مضى، فأغنى عن إعادته.

وقوله: ﴿**قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ**﴾ يقول: قالوا: نحن أنصار الله على ما بعث به أنبياءه من الحقّ. وقوله: ﴿**فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: فآمنت طائفة من بني إسرائيل بعيسى، وكفرت طائفة منهم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جُبير، عن ا بن عباس، قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماء قال: فقال: إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرّة بعد أن آمن بي قال: ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شاب من أحدثهم سناً، قال: فقال أنا، فقال له: اجلس ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال أنا قال: نعم أنت ذاك فأُلقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من رَوْزَنة في البيت إلى السماء قال: وجاء الطلب من اليهود، وأخذوا شبهه. فقتلوه وصلبوه، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرّة بعد أن آمن به، فتفرّقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء، ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله، ثم رفعه إليه، وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة. كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة، فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ،

فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة، يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى، فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم، فأصبحوا ظاهرين في إظهار محمد على دينهم دين الكفار، فأصبحوا ظاهرين.

وقوله: ﴿**فأيَّدْنا الَّذِينَ آمَنُوا على عَدُوّهِمْ**﴾ يقول: فقوّينا الذين آمنوا من الطائفتين من بني إسرائيل على عدوّهم، الذين كفروا منهم بمحمد ﷺ لتصديقه إياهم، أن عيسى عبد الله ورسوله، وتكذيبه من قال هو إله، ومن قال: هو ابن الله تعالى ذكره، فأصبحوا ظاهرين، فأصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين على عدوّهم الكافرين منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله الهلالي، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فأيَّدْنا الَّذِينَ آمَنُوا على عَدُوّهِمْ**﴾ قال: قوّينا.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك، عن إبراهيم ﴿**فآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ وكَفَرَتْ طائِفَةٌ**﴾ قال: لما بعث الله محمداً، ونزل تصديق من آمن بعيسى، أصبحت حجة من آمن به ظاهرة.

قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك، عن إبراهيم، في قوله ﴿**فأيَّدْنا الَّذِينَ آمَنُوا على عَدُوّهِمْ فأصْبَحُوا ظاهِرِينَ**﴾ قال: أيدوا بمحمد ﷺ، فصدّقهم، وأخبر بحجتهم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، في قوله: ﴿**فأصْبَحُوا ظاهِرِينَ**﴾ قال: أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ كلمة الله وروحه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**فأصْبَحُوا ظاهِرِينَ**﴾ من آمن مع عيسى ﷺ.

آخر تفسير سورة الصف

(٦٢) سورة الجمعة مدنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يسبح لله كلّ ما في السموات السبع، وكلّ ما في الأرضين من خلقه، ويعظمه طوعاً وكرهاً ﴿المَلِكِ القُدُّوسِ﴾ الذي له ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما، النافذ أمره في السموات والأرض وما فيهما، القدّوس: وهو الطاهر من كلّ ما يضيف إليه المشركون به، ويصفونه به مما ليس من صفاته المبارك ﴿العَزِيزِ﴾ يعني الشديد في انتقامه من أعدائه ﴿الحَكِيمِ﴾ في تدبيره خلقه، وتصريفه إياهم فيما هو أعلم به من مصالحهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الله الذي بعث في الأميين رسولاً منهم، فقوله هو كناية من اسم الله، والأميون: هم العرب. وقد بيّنا فيما مضى المعنى الذي من أجله قيل للأميّ أميّ. وبنحو الذي قلنا في الأميين في هذا الموضع قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ قال: العرب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت سفيان الثوريّ يحدّث لا أعلمه إلا عن مجاهد أنه قال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيهِمْ آياتِهِ﴾: العرب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ قال: كان هذا الحيّ من العرب أمة أمّيَّة، ليس فيها كتاب يقرؤونه، فبعث الله نبيه محمد

ﷺ رحمة وهُدى يهديهم به.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾** قال: كانت هذه الأمة امّيّة لا يقرؤون كتاباً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنهُمْ﴾** قال: إنما سميت أمة محمد ﷺ الأميين، لأنه لم ينزّل عليهم كتاباً.

وقال جلّ ثناؤه **﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾** يعني من الأميين وإنما قال منهم، لأن محمداً ﷺ كان أمّيًا، وظهر من العرب.

وقوله: **﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ﴾** يقول جلّ ثناؤه: يقرأ على هؤلاء الأميين آيات الله التي أنزلها عليه **﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾** يقول: ويطهرهم من دنس الكفر.

وقوله: **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ﴾** يقول: ويعلمهم كتاب الله، وما فيه من أمر الله ونهيه، وشرائع دينه **﴿وَالْحِكْمَةَ﴾** يعني بالحكمة: السنن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالْحِكْمَةَ﴾** أي السنة.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال: **﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالْحِكْمَةَ﴾** أيضاً كما علم هؤلاء يزكيهم بالكتاب والأعمال الصالحة، ويعلمهم الكتاب والحكمة كما صنع بالأوّلين، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: **﴿والسَّابقُونَ الأوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بإحْسانٍ﴾** ممن بقي من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة، قال: وقد جعل الله فيهم سابقين، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: **﴿والسَّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ﴾**، وقال: **﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأوّلِين وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾** فثلة من الأوّلين سابقون، وقليل السابقون من الآخرين، وقرأ: **﴿وأصحَابُ اليَمِينِ ما أصحَابُ اليَمِينِ...﴾** حتى **﴿بلغ ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ، وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾** أيضاً، قال: والسابقون من الأوّلين أكثر وهم من الآخرين قليل، وقرأ **﴿وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ولإخْوَانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإيمَانِ...﴾** الآية، قال: هؤلاء من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة.

وقوله: **﴿وَإنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾** يقول تعالى ذكره: وقد كان هؤلاء الأميون من قبل أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم في جَوْر عن قصد السبيل، وأخذ على غير هدى **﴿مُبِين﴾** يقول: يبين لمن تأمله أنه ضلال وجَوْر عن الحقّ وطريق الرشد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤﴾.

يقول تعالى ذكره: وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم، وفي آخرين منهم لما يلحقوا بهم فآخرون في موضع خفض عطفاً على الأميين.

وقد اختلف في الذين عُنوا بقوله: ﴿وآخَرِينَ مِنهُمْ﴾، فقال بعضهم: عُنِي بذلك العجم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثني ابن علية، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: **﴿وآخَرِينَ مِنهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾** قال: هم الأعاجم.

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن طلحة، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: **﴿وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾** قال: هم الأعاجم.

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد **﴿وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾** قال: الأعاجم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عاصم، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد **﴿وآخَرِينَ مِنهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾** قال: الأعاجم.

حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت سفيان الثوريّ لا أعلمه إلا عن مجاهد: **﴿وآخَرِينَ مِنهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾** قال: العجم.

حدثني محمد بن إسحاق، قال: ثنا يحيى بن معين، قال: ثنا هشام بن يوسف، عن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن العاص، عن أبيه، عن جدّه، عن ابن عمر، أنه قال: له: أما إن سورة الجمعة أنزلت فينا وفيكم في قتلكم الكذّاب، ثم قرأ: **﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما في السَّمَوَاتِ وَما في الأرْض﴾**. حتى بلغ **﴿وآخَرِينَ مِنهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾** قال: فأنتم هم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد **﴿وآخَرِينَ مِنهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾** قال: الأعاجم.

حدثني محمد بن معمر، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا عبد العزيز وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني سليمان بن بلال، جميعاً عن ثور بن زيد، عن أبي الغيث، عن أبي

هريرة، قال: كنا جلوساً عند النبيّ ﷺ، فنزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿**وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ**﴾ قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: فلم يراجعه النبيّ ﷺ حتى سأله مرّة أو مرّتين أو ثلاثاً، قال: وفينا سلمان الفارسيّ، فوضع النبيّ ﷺ يده على سلمان فقال: «لَوْ كانَ الإيمَانُ عنْدَ الثُّرَيَّا لَنالَهُ رِجالٌ مِنْ هَؤلاءِ».

حدثني أحمد بن عبد الرحمن، قال: ثنا عمي، قال: ثنا سليمان بن بلال المدنّي، عن ثور بن زيد، عن سالم أبي الغيث، عن أبي هريرة، قال: «كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، فذكر نحوه».

وقال آخرون: إنما عُني بذلك جميع من دخل في الإسلام من بعد النبيّ ﷺ كائناً من كان إلى يوم القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿**وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ**﴾ قال: من ردف الإسلام من الناس كلهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ**﴾ قال: هؤلاء كلّ من كان بعد النبيّ ﷺ إلى يوم القيامة، كلّ من دخل في الإسلام من العرب والعجم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عُنِيَ بذلك كلّ لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبيّ ﷺ في إسلامهم من أيّ الأجناس لأن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: ﴿**وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ**﴾ كلَّ لاحق بهم من آخرين، ولم يخصص منهم نوعاً دون نوع، فكلّ لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأوّلين الذين كان رسول الله ﷺ يتلو عليهم آيات الله وقوله: ﴿**لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ**﴾ يقول: لم يجيئوا بعد وسيجيئون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ**﴾ يقول: لم يأتوا بعد.

وقوله: ﴿**وَهُوَ العَزِيزُ الْحكِيم**﴾ يقول: والله العزيز في انتقامه ممن كفر به منهم، الحكيم في تدبيره خلقه.

وقوله: ﴿**ذلكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِن يَشاءُ**﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل تعالى ذكره من بعثته في الأميين من العرب، وفي آخرين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، ويفعل سائر ما وصف، فضل الله، تفضل به على هؤلاء دون غيرهم ﴿**يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ**﴾ يقول: يؤتي فضله ذلك من يشاء من خلقه، لا يستحقّ الذمّ ممن حرمه الله إياه، لأنه لم يمنعه حقاً كان له قبله ولا ظلمه في صرفه عنه إلى غيره، ولكنه علم مَنْ هُو له أهل، فأودعه إياه، وجلعه عنده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن سنان القزاز، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس في: ﴿**ذلكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ**﴾ قال: الفضل: الدين ﴿**واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾ يقول: الله ذو الفضل على عباده، المحسن منهم والمسيىء، والذين بعث فيهم الرسول منهم وغيرهم، العظيم الذي يقلّ فضل كلّ ذي فضل عنده.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحملوا العمل بها ﴿**ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها**﴾ يقول: ثم لم يعملوا بما فيها، وكذّبوا بمحمد ﷺ، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به ﴿**كَمَثَلِ الحِمارِ يحمِلُ أسْفاراً**﴾ يقول: كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً من كتب العلم، لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها، فكذلك الذين أوتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد ﷺ مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار الذي يحمل أسفاراً فيها علم، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، في قوله: ﴿**يَحْمِلُ أسْفاراً**﴾ قال: يحمل كتباً لا يدري ما فيها، ولايعقلها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراة ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الحِمارِ يحْمِلُ أسْفاراً**﴾ قال: يحمل كتاباً لا يدري ماذا عليه، ولا ماذا فيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**كَمَثَلِ الحِمارِ**

يحْمِلُ أسْفاراً﴾ قال: كمثل الحمار الذي يحمل كتباً، لا يدري ما على ظهره.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿كَمَثَلِ الْحِمارِ يحْمِلُ أسْفاراً﴾** كتباً، والكتاب بالنبطية يسمى سِفراً ضرب الله هذا مثلاً للذين أعطوا التوراة ثم كفروا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يحْمِلُ أسْفاراً﴾** والأسفار: الكتب، فجعل الله مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يتبع ما فيه، كمثل الحمار يحمل كتاب الله الثقيل، لا يدري ما فيه، ثم قال: **﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِ اللَّهِ﴾**... الآية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: **﴿كَمَثَلِ الْحِمارِ يحْمِلُ أسْفاراً﴾** قال: الأسفارُ: التوراة التي يحملها الحمار على ظهره، كما تحمل المصاحف على الدواب، كمثل الرجل يسافر فيحمل مصحفه، قال: فلا ينتفع الحمارُ بها حين يحملها على ظهره، كذلك لم ينتفع هؤلاء بها حين لم يعملوا بها وقد أوتوها، كما لم ينتفع بها هذا وهي على ظهره.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ عن ابن عباس في قوله **﴿كَمَثَلِ الْحِمارِ يحْمِلُ أسْفاراً﴾** يقول: كتباً. والأسفار: جمع سفر، وهي الكتب العظام.

وقوله: **﴿بِئْسَ مثلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِ اللَّهِ﴾** يقول: بئس هذا المثل، مثل القوم الذين كذّبوا بآيات الله، يعني بأدلته وحججه **﴿واللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** يقول تعالى ذكره: والله لا يوفّق القوم الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بآيات ربهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لليهود: **﴿يا أيها الَّذِينَ هادُوا إنْ زَعَمْتُمْ أنَّكُمْ أوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾** سواكم **﴿فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** في قيلكم، إنكم أولياء الله من دون الناس، فإن الله لا يعذّب أولياءه، بل يكرمهم وينعمهم، وإن كنتم محقين فيما تقولون فتمنوا الموت لتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها وغمومها، وتصيروا إلى روح الجنان ونعيمها بالموت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**قُلْ يا أيها الَّذِينَ هادُوا**﴾ قل يا أيها الذين تابوا: لليهود، قال موسى: ﴿**إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ**﴾: إنا تبنا إليك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿**وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً**﴾ يقول: ولا يتمنى اليهود الموت أبداً ﴿**بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ يعني: بما اكتسبوا في هذه الدنيا من الآثام، واجترحوا من السيئات ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بالظَّالِمِينَ**﴾ يقول: والله ذو علم بمن ظلم من خلقه نفسه، فأوبقها بكفره بالله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿**قُلْ**﴾ يا محمد لليهود ﴿**إنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ**﴾ فتكرهونه، وتأبون أن تتمنوه ﴿**فإنَّهُ مُلاقِيكُمْ**﴾ ونازل بكم ﴿**ثُمَّ تردُّونَ إلى عالمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ**﴾ ثم يردّكم ربكم من بعد مماتكم إلى عالم الغيب والشهادة، عالم غيب السموات والأرض والشهادة: يعني وما شهد فظهر لرأي العين، ولم يغب عن أبصار الناظرين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: تلا قتادة: ﴿**ثُمَّ تُرَدُّونَ إلى عالمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ**﴾ فقال: إن الله أذلّ ابن آدم بالموت لا أعلمه إلا رفعه.

﴿**فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ يقول: فيخبركم حينئذ ما كنتم في الدنيا تعملون من الأعمال، سيئها وحسنها، لأنه محيط بجميعها، ثم يجازيكم على ذلك المحسن بإحسانه، والمسيء بما هو أهله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿**إذَا نُودِيَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمْعَةِ**﴾ وذلك هو النداء، ينادى بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة ومعنى الكلام: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ﴿**فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ يقول: فامضوا

إلى ذكر الله، واعملوا له وأصل السعي في هذا الموضع العمل، وقد ذكرنا الشواهد على ذلك فيما مضى قبل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، عن شُرَحْبيل بن مسلم الخَوْلانيّ، في قول الله: ﴿**فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهُ**﴾ قال: فاسعوا في العمل، وليس السعي في المشي.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نُودِيَ لِلَصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ**﴾ والسعي يا بن آدم أن تسعى بقلبك وعملك، وهو المضي إليها.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدّي، عن شعبة، قال: أخبرني مغيرة، عن إبراهيم أنه قيل لعمر رضي الله عنه: إن أُبيًّا يقرؤها: ﴿**فاسْعَوْا**﴾ قال: أما إنه أقرؤنا وأعلمنا بالمنسوخ وإنما هي «فامضوا».

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري، قال: أخبرنا سفيان، عن الزهريّ، عن سالم، عن أبيه، قال: ما سمعت عمر يقرؤها قطّ إلاّ فامضوا.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا حنظلة، عن سالم بن عبد الله، قال: كان عمر رضي الله عنه يقرؤها: «فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللَّهِ».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حنظلة، عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قرأها: فامضوا.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا حنظلة بن أبي سفيان الجمحيّ، أنه سمع سالم بن عبد الله يحدّث عن أبيه، أنه سمع عمر بن الخطاب يقرأ: «إذَا نُودِيَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمْعَةِ فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللَّهِ».

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر، أن عبد الله قال: لقد توفى الله عمر رضي الله عنه، وما يقرأ هذه الآية التي ذكر الله فيها الجمعة: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نُودِيَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمْعَةِ**﴾ إلا «فامضوا» إلى ذكر الله.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: كان عبد الله يقرؤها: «فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللَّهِ» ويقول: لو قرأتها فاسعوا، لسعيت حتى يسقط ردائي.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن عدّي، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، قال: قال

عبد الله: لو كان السعي لسعيت حتى يسقط ردائي، قال: ولكنها: «فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللَّهِ» قال: هكذا كان يقرؤها.

حدثني عليّ بن الحسين الأزدي، قال: ثنا يحيى بن يمان الأزدي، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع عن أبي العالية أنه كان يقرؤها: «فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللَّهِ».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، أنه قرأها: «فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللَّهِ».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، قال: هي للأحرار.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن منصور عن رجل، عن مسروق، قال: عند الوقت.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن رجل، عن مسروق **﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ﴾** قال: عند الوقت.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد، قال: هو عند العزمة عند الخطبة، عند الذكر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله **﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ﴾** قال: النداء عند الذكر عزيمة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد **﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ﴾** قال: العزمة عند الذكر عند الخطبة.

قال: ثنا مهران، عن سفيان عن المُغيرة والأعمش، عن إبراهيم، عن ابن مسعود، قال: لو قرأتها **﴿فاسْعَوْا﴾** لسعيت حتى يسقط ردائي، وكان يقرؤها: «فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللَّهِ».

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن الشعبيّ، عن ابن مسعود قال: قرأها **﴿فامضُوا﴾**.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي حيان، عن عكرمة **﴿فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ﴾** قال: السعي: العمل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وسألته عن قول الله: ﴿**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ قال: إذا سمعتم الداعي الأوّل، فأجيبوا إلى ذلك وأسرعوا ولا تبطئوا قال: ولم يكن في زمان النبيّ ﷺ أذان إلا أذانان: أذان حين يجلس على المنبر، وأذان حين تُقام الصلاة قال: وهذا الآخر شيء أحدثه الناس بعد قال: لا يحلّ له البيع إذا سمع النداء الذي يكون بين يدي الإمام إذا قعد على المنبر وقرأ ﴿**فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا البَيْعَ**﴾ قال: ولم يأمرهم يذرون شيئاً غيره، حرّم البيع ثم أذن لهم فيه إذا فرغوا من الصلاة، قال: والسعي أن يُسرع إليها، أن يُقبِل إليها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: إن في حرف ابن مسعود «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فَامْضُوا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ».

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ السعي: هو العمل، قال الله: ﴿**إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**﴾.

وقوله: ﴿**وَذَرُوا البَيْعَ**﴾ يقول: ودعوا البيع والشراء إذا نودي للصلاة عند الخطبة. وكان الضحاك يقول في ذلك ما:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن جُوَيبر، عن الضحاك، قال: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جُوَيبر، عن الضحاك ﴿**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ**﴾ قال: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء.

حدثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل السديّ، عن أبي مالك، قال: كان قوم يجلسون في بقيع الزبير، فيشترون ويبيعون إذا نودي للصلاة يوم الجمعة، ولا يقومون، فنزلت: ﴿**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ**﴾.

وأما الذكر الذي أمر الله تبارك وتعالى بالسعي إليه عباده المؤمنين، فإنه موعظة الإمام في خطبته فيما قيل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد ﴿**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ**﴾ قال: العزمة عند الذكر عند الخطبة.

حدثنا عبد الله بن محمد الحنفي، قال: ثنا عبدان، قال: أخبرنا عبد الله، قال: أخبرنا

منصور رجل من أهل الكوفة، عن موسى بن أبي كثير، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال: فهي موعظة الإمام فإذا قضيت الصلاة بعد.

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ خَيرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: سعيكم إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة إلى ذكر الله، وترك البيع خير لكم من البيع والشراء في ذلك الوقت، إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم ومضارّها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ﴾ فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار: ﴿الجُمُعَةِ﴾ بضم الميم والجيم، خلا الأعمش فإنه قرأها بتخفيف الميم.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فإذا قُضيت صلاة الجمعة يوم الجمعة، فانتشروا في الأرض إن شئتم، ذلك رخصة من الله لكم في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن مجاهد أنه قال: هي رخصة، يعني قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ﴾.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ﴾ قال: هذا إذن من الله، فمن شاء خرج، ومن شاء جلس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: أذن الله لهم إذا فرغوا من الصلاة، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ فقد أحللته لكم.

وقوله: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾. ذُكر عن النبيّ ﷺ في تأويل ذلك ما:

حدثني العباس بن أبي طالب، قال: ثنا عليّ بن المعافى بن يعقوب الموصليّ، قال: ثنا أبو عامر الصائغ من الموصل، عن أبي خلف، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ في قوله ﴿فَإِذَا

قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ وَابتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ قال: «لَيْسَ لِطَلَبِ دنيا، وَلَكِنْ عِيادَةُ مَرِيضٍ، وَحُضُورُ جَنازَةٍ، وَزِيارَةُ أخٍ فِي اللَّهِ».

وقد يحتمل قوله: **﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾** أن يكون معنياً به: والتمسوا من فضل الله الذي بيده مفاتيح خزائنه لدنياكم وآخرتكم.

وقوله: **﴿وَاذْكُرُوا الله كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** يقول: واذكروا الله بالحمد له، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه، لتفلحوا، فتدركوا طلباتكم عند ربكم، وتصلوا إلى الخلد في جنانه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المؤمنون عير تجارة أو لهواً **﴿انْفَضُّوا إلَيها﴾** يعني أسرعوا إلى التجارة **﴿وَتَرَكُوكَ قائماً﴾** يقول للنبيّ ﷺ: وتركوك يا محمد قائماً على المنبر وذلك أن التجارة التي رأوها فانفضّ القوم إليها، وتركوا النبيّ ﷺ قائماً كانت زيتاً قدم به دحية بن خليفة من الشام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل السديّ، عن أبي مالك، قال: قدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام، والنبيّ ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا إليه، قال: فنزلت **﴿وَإذَا رَأَوْا تِجارَةً أوْ لَهْواً انْفَضُّوا إلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما﴾**.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، عن قرة **﴿إذَا نُودِيَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ﴾** قال: جاء دحية الكلبي بتجارة والنبيّ ﷺ قائم في الصلاة يوم الجمعة، فتركوا النبيّ ﷺ وخرجوا إليه، فنزلت **﴿وَإذَا رَأَوْا تِجارَةً أوْ لَهْواً انْفَضُّوا إلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما﴾** حتى ختم السورة.

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبد الله، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في الجمعة، فمرّت عير تحمل الطعام، قال: فخرج الناس إلا اثني عشر رجلاً، فنزلت آية الجمعة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن: إن أهل

المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر، فقدمت عير والنبيّ ﷺ يخطب يوم الجمعة، فسمعوا بها، فخرجوا والنبيّ ﷺ قائم، كما قال الله عزّ وجلّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما**﴾ قال: جاءت تجارة فانصرفوا إليها، وتركوا النبيّ ﷺ قائماً وإذا رأوا لهواً ولعباً ﴿**قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرازِقينَ**﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**وإِذَا رَأَوْا تجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها**﴾ قال: رجال كانوا يقومون إلى نواضحهم وإلى السفر يبتغون التجارة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: بينما رسول الله ﷺ يخطب الناس يوم الجمعة، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة، فقال: كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم فإذا اثنا عشر رجلاً وامرأة ثم قام في الجمعة الثانية فجعل يخطبهم قال سفيان: ولا أعلم إلا أن في حديثه ويعظهم ويذكرهم، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت عصابة، فقال: كم أنتم، فعدّوا أنفسهم، فإذا اثنا عشر رجلاً وامرأة ثم قام في الجمعة الثالثة فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة، فقال كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم، فإذا اثنا عشر رجلاً وامرأة، فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوِ اتَّبَعَ آخِرُكمْ أَوَّلكمْ لالْتَهَبَ عَلَيْكُمُ الوَادي ناراً» وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائماً**﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**انْفَضوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قَائماً**﴾ قال: لو اتبع آخرهم أوّلهم لالتهب عليهم الوادي ناراً.

قال: ثنا ابن ثور، قال معمر، قال قتادة: لم يبق مع النبيّ ﷺ يومئذ إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة معهم.

حدثنا محمد بن عمارة الرازي، قال: ثنا محمد بن الصباح، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن سالم وأبي سفيان، عن جابر، في قوله ﴿**وَتَرَكُوكَ قائما**﴾ قال: قدمت عير فانفضّوا إليها، ولم يبق مع النبيّ ﷺ إلا اثنا عشر رجلا.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي، قال: ثنا جرير، عن حصين، عن سالم، عن جابر أن النبيّ ﷺ كان يخطب قائماً يوم الجمعة، فجاءت عير من الشام، فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً، قال: فنزلت هذه الآية في الجمعة ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائماً**﴾.

وأما اللهو، فإنه اختُلف من أيّ أجناس اللهو كان، فقال بعضهم: كان كَبَراً[١] ومزامير.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، قال: ثنا يحيى بن صالح، قال: ثنا سليمان بن بلال، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال[٢]: كان الجواري إذا نكحوا كانوا يمرّون بالكبر والمزامير ويتركون النبيّ ﷺ قائماً على المنبر، وينفضون إليها، فأنزل الله ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أوْ لَهْواً انْفَضُّوا إلَيْها**﴾.

وقال آخرون: كان طبلاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: اللهو: الطبل.

حدثني الحارث، قال: ثنا الأشيب، قال: ثنا ورقاء، قال: ذكر عبد الله بن أبي نجيح، عن إبراهيم بن أبي بكر، عن مجاهد أن اللهو: هو الطبل.

والذي هو أولى بالصواب في ذلك الخبر الذي رويناه عن جابر، لأنه قد أدرك أمر القوم ومشاهدهم.

وقوله: ﴿**قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ**﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد الذي عند الله من الثواب، لمن جلس مستمعاً خطبة رسول الله ﷺ وموعظته يوم الجمعة إلى أن يفرغ رسول الله ﷺ منها، خير له من اللهو ومن التجارة التي ينفضون إليها ﴿**وَاللَّهُ خَيْرُ الرازِقِينَ**﴾ يقول: والله خير رازق، فإليه فارغبوا في طلب أرزاقكم، وإياه فأسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره.

آخر تفسير سورة الجمعة

---

(١) الكبر بالتحريك: الطبل. أو الطبل ذو الرأسين. أو الطبل الذي له وجه واحد، بلغة أهل الكوفة. أو الطبل الصغير «التاج» كبر.

(٢) الذي في الدر عن جابر «فإذا كان نكاح لعب أهله وعزفوا ومروا باللهو على المسجد» وما هنا بمعناه. وليست العبارة بمحررة.

(٦٣) سورة المنافقون مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: **﴿إذَا جاءَكَ المُنافِقُونَ﴾** يا محمد **﴿قالُوا﴾** بألسنتهم **﴿نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾** قال المنافقون ذلك أو لم يقولوه **﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إنَّ المُنافقينَ لَكاذِبُونَ﴾** يقول: والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد إنك لرسول الله، وذلك أنها لا تعتقد ذلك ولا تؤمن به، فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك.

وكان بعض أهل العربية يقول في قوله: **﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إنَّ المُنافقينَ لَكاذِبُونَ﴾** إنما كذب ضميرهم لأنهم أضمروا النفاق، فكما لم يقبل إيمانهم، وقد أظهروه، فكذلك جعلهم كاذبين، لأنهم أضمروا غير ما أظهروا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: اتخذ المنافقون أيمانهم جنة، وهي حلفهم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿اتخَذُوا أيمَانَهُمْ جُنَّةً﴾**: أي حلفهم جنة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: **﴿اتخَذُوا أيمَانَهُمْ جُنَّةً﴾** قال: يجيئون بها، قال ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول

في قوله: ﴿اتخذُوا أيمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ يقول: حلفهم بالله إنهم لمنكم جنة.

وقوله: ﴿جُنَّةً﴾: سترة يستترون بها كما يستر المستجنّ بجنته في حرب وقتال، فيمنعون بها أنفسهم وذراريهم وأموالهم، ويدفعون بها عنها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿جُنَّةً﴾ ليعصموا بها دماءهم وأموالهم.

وقوله: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: فأعرضوا عن دين الله الذي بَعَثَ به نبيه ﷺ وشريعته التي شرعها لخلقه ﴿إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: إن هؤلاء المنافقين الذين اتخذوا أيمانهم جنة ساء ما كانوا يعملون في اتخاذهم أيمانهم جُنة، لكذبهم ونفاقهم، وغير ذلك من أمورهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾.

يقول تعالى ذكره: إنهم ساء ما كانوا يعملون هؤلاء المنافقون الذين اتخذوا أيمانهم جُنة من أجل أنهم صدّقوا الله ورسوله، ثم كفروا بشكهم في ذلك وتكذيبهم به.

وقوله: ﴿فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ يقول: فجعل الله على قلوبهم خَتماً بالكفر عن الإيمان وقد بيّنا في موضع غير هذا صفة الطبع على القلب بشواهدها، وأقوال أهل العلم، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهم لا يفقهون صواباً من خطأ، وحقاً من باطل لطبع الله على قلوبهم. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ على قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ أقرّوا بلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وقلوبهم منكِرة تأبى ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾.

يقول جلّ ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقهم منطق الناس ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ يقول كأن هؤلاء المنافقين خُشُب مسَّندة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول.

وقوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه: يحسب هؤلاء المنافقون من خُبْثهم وسوء ظنهم، وقلة يقينهم كلّ صيحة عليهم، لأنهم على وَجَل أن يُنزل الله فيهم أمراً يهتك به أستارهم ويفضحهم، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعَطَبهم. يقول الله جلّ ثناؤه لنبيه ﷺ: هم العدوّ يا محمد فاحذرهم، فإن ألسنتهم إذا لَقُوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم، فهم عين لأعدائكم عليكم.

وقوله: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُوءفَكُونَ﴾ يقول: أخزاهم الله إلى أيّ وجه يصرفون عن الحقّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وسمعته يقول في قول الله: ﴿وإذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أجْسامُهُمْ﴾. . . الآية، قال: هؤلاء المنافقون.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة خلا الأعمش والكسائي: ﴿خُشُبٌ﴾ بضم الخاء والشين، كأنهم وجهوا ذلك إلى جمع الجمع، جمعوا الخشبة خِشَاباً ثم جمعوا الخِشاب خُشُباً، كما جمعت الثَّمرةُ ثماراً، ثم ثُمُراً. وقد يجوز أن يكون الخُشُب بضم الخاء والشين إلى أنها جمع خَشَبة، فتضمّ الشين منها مرّة وتسكن أخرى، كما جمعوا الأكمة أُكُماً وأُكْماً بضم الألف والكاف مرّة، وتسكين الكاف منها مرّة، وكما قيل: البُدُن والبُدْن، بضم الدال وتسكينها لجمع البَدَنة، وقرأ ذلك الأعمش والكسائي: «خُشْبٌ» بضم الخاء وسكون الشين.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان فصيحتان، وبأيتهما قرأ القارىء فمصيب وتسكين الأوسط فيما جاء من جمع فُعُلة على فُعْل في الأسماء على ألسن العرب أكثرو ذلك كجمعهم البَدَنة بُدْناً، والأجمة أُجماً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى رسول الله يستغفر لكم لوّوا

رؤوسهم، يقول: حرّكوها وهزّوها استهزاء برسول الله ﷺ وباستغفاره وبتشديدها الواو من «لوّوا» قرأت القرّاء على وجه الخبر عنهم أنهم كرّروا هز رؤوسهم وتحريكها، وأكثروا، إلاّ نافعاً فإنه قرأ ذلك بتخفيف الواو: «لوَوْا» على وجه أنهم فعلوا ذلك مرّة واحدة.

والصواب من القول في ذلك قراءة من شدّد الواو لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: ﴿**ورأيتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: ورأيتهم يُعْرضون عما دُعوا إليه بوجوههم ﴿**وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**﴾ يقول: وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لهم وإنما عُنِي بهذه الآيات كلها فيما ذُكر عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلُول، وذلك أنه قال لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا، وقال: ﴿**لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخرِجَنَّ الأعَزُّ مِنها الأذَلَّ**﴾ فسمع بذلك زيد بن أرقم، فأخبر به رسول الله ﷺ، فدعاه رسول الله ﷺ، فسأله عما أخبر به عنه، فحلف أنه ما قاله، وقيل له: لو أتيت رسول الله ﷺ، فسألته أن يستغفر لك، فجعل يلوي رأسه ويحرّكه استهزاء، ويعني ذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه هذه السورة من أوّلها إلى آخرها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاءت الأخبار. ذكر الرواية التي جاءت بذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يحيى بن آدم، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم، قال: خرجت مع عمي في غزاة، فسمعت عبد الله بن أُبي ابن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلّ قال: فذكرت ذلك لعمي، فذكره عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل إليّ، فحدثته، فأرسل إلى عبد الله عليًا رضي الله عنه وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، قال: فكذّبني رسول الله ﷺ وصدّقه، فأصابني همّ لم يصبني مثله قطّ فدخلت البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذّبك رسول الله ﷺ ومقتك، قال: حتى أنزل الله عزّ وجلّ ﴿**إذَا جاءَكَ المُنافِقُونَ**﴾ قال: فبعث إليّ رسول الله ﷺ، فقرأها، ثم قال: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ صَدَّقَكَ يا زيد».

حدثنا أبو كُرَيب والقاسم بن بشر بن معروف، قال: ثنا يحيى بن بكير، قال: ثنا شعبة، قال الحكم: أخبرني، قال: سمعت محمد بن كعب القرظيّ قال: سمعت زيد بن أرقم قال: لما قال عبد الله بن أُبي ابن سلول ما قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال: ﴿**لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ**﴾ قال: سمعته فأتيت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك، فلامني ناس من الأنصار، قال: وجاء هو، فحلف ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فنمت قال: فأتاني رسول الله ﷺ أو بلغني، فأتيت النبيّ ﷺ، فقال: «إنَ اللّهَ تَبارَكَ وَتَعالى قَد صدَّقَكَ وَعَذَرَكَ» قال: فنزلت الآية ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ . . . الآية.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا هاشم أبو النضر، عن شعبة، عن الحكم، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي، قال: سمعت زيد بن أرقم يحدّث بهذا الحديث.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنابة، عن الحكم، عن محمد بن كعب القرظي، عن زيد بن أرقم، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فقال عبد الله بن أُبي بن سلول: **﴿لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنها الأذَلَّ﴾** قال: فأتيت النبيّ ﷺ فأخبرته، فحلف عبد الله بن أبي انه لم يكن شيء من ذلك، قال: فلامني قومي وقالوا: ما أردتَ إلى هذا، قال: فانطلقت فنمت كئيباً أو حزيناً، قال: فأرسل إليّ نبيّ الله ﷺ، أو أتيت رسول الله ﷺ، فقال: «إنَّ اللَّهَ قَدْ أنْزَلَ عُذْرَكَ وَصَدَّقَكَ»، قال: ونزلت هذه الآية: **﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حتى يَنْفَضُّوا﴾**... حتى بلغ **﴿لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنها الأذَلَّ﴾**.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، قال: أخبرني ابن عون، عن محمد، قال: سمعها زيد بن أرقم فرفعها إلى وليه، قال: فرفعها وَلِّيه إلى النبيّ ﷺ، قال: فقيل لزيد: وَفَتْ أذنك.

حدثنا أحمد بن منصور الرّماديّ، قال: ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، قال: ثني أبي، قال: ثني بشير بن مسلم أنه قيل لعبد الله بن أُبي ابن سلول: يا أبا حباب إنه قد أنزل فيك آي شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوى رأسه وقال: أمرتموني أن أومن فآمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَإذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا﴾**... الآية كلها قرأها إلى **﴿الفاسِقِينَ﴾** أنزلت في عبد الله بن أُبي، وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ فحدّثه بحديث عنه وأمر شديد، فدعاه رسول الله ﷺ، فإذا هو يحلف ويتبرأ من ذلك، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام، فلاموه وعَذَلوه وقيل لعبد الله: لو أتيت رسول الله ﷺ، فجعل يلوي رأسه: أي لستُ فاعلاً، وكذب عليّ، فأنزل الله ما تسمعون.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَإذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾** قال: عبد الله بن أُبي، قيل له: تعالَ ليستغفر لك رسول الله ﷺ، فلوى رأسه وقال: ماذا قلت؟.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال له قومه: لو أتيت النبيّ ﷺ فاستغفر لك، فجعل يلوي رأسه، فنزلت فيه ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: سواء يا محمد على هؤلاء المنافقين الذين قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ﴿**أَستَغْفَرْتَ لَهُمْ**﴾ ذنوبهم ﴿**أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾ يقول: لن يصفح الله لهم عن ذنوبهم، بل يعاقبهم عليها ﴿**إنَّ اللَّهِ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ**﴾ يقول: إن الله لا يوفّق للإيمان القوم الكاذبين عليه، الكافرين به، الخارجين عن طاعته. وقد:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾ قال: نزلت هذه الآية بعد الآية التي في سورة التوبة ﴿**إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ الله لَهُمْ**﴾ فقال رسول الله ﷺ: «زيادة على سبعين مرّة»، فأنزل الله: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ**﴾ يعني الذين يقولون لأصحابهم ﴿**لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْد رَسُولِ اللَّهِ**﴾ من أصحابه المهاجرين ﴿**حتى يَنْفَضُّوا**﴾ يقول: حتى يتفرّقوا عنه.

وقوله: ﴿**وللَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ**﴾ يقول: ولله جميع ما في السموات والأرض من شيء وبيده مفاتيح خزائن ذلك، لا يقدر أحد أن يعطي أحداً شيئاً إلا بمشيئته ﴿**وَلَكِنَّ المُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ**﴾ أن ذلك كذلك، فلذلك يقولون: لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضُّوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس، قوله: ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا على مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حتى يَنفَضُّوا**﴾ قال: لا تطعموا محمد وأصحابه حتى تصيبهم مجاعة، فيتركوا نبيهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا على مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حتى يَنفَضُّوا**﴾ قرأها إلى آخر الآية، وهذا قول عبد الله بن أُبي لأصحابه المنافقين لا تنفقوا على محمد وأصحابه حتى يَدَعوه، فإنكم لولا أنكم تنفقون عليهم لتركوه وَأجلوا عنه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا على مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حتى يَنفَضُّوا**﴾ إن عبد الله بن أُبي ابن سلول قال لأصحابه، لا تنفقوا على من عند رسول الله، فإنكم لو لم تنفقوا عليهم قد انفضوا.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**لا تُنفِقُوا عَلى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حتى يَنفَضُّوا**﴾ يعني الرِّفد والمعونة، وليس يعني الزكاة المفروضة والذين قالوا هذا هم المنافقون.

حدثنا الربيع بن سليمان، قال: ثنا أسد بن موسى، قال: ثنا يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا الأعمش عن عمرو بن مُرّة، عن عبد الرحمن بن أبي لَيلى، عن زيد بن أرقم، قال: لما قال ابن أُبي ما قال، أخبرت النبيّ ﷺ، فجاء فحلف، فجعل الناس يقولون لي تأتي رسول الله ﷺ بالكذب؟ حتى جلستُ في البيت مخافة إذا رأوني قالوا: هذا الذي يكذب، حتى أُنزل: ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ**﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المنافقون الذين وصف صفتهم قبل ﴿**لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنها الأذَلَّ**﴾ فيها، ويعني بالأعزّ: الأشدّ والأقوى، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿**ولِلَّهِ العِزَّةُ**﴾ يعني: الشدّة والقوّة ﴿**وَلِرَسُولِهِ ولِلْمُوءْمِنِينَ**﴾ بالله ﴿**وَلَكِنَّ المُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ ذلك.

وذُكر أن سبب قيل ذلك عبدُ الله بن أُبي كان من أجل أن رجلاً من المهاجرين كَسَعَ رجلا من الأنصار.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن معمر، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا زَمْعة، عن عمرو، قال: سمعت جابر بن عبد الله، قال: إن الأنصار كانوا أكثر من المهاجرين، ثم إن المهاجرين كثروا فخرجوا في غزوة لهم، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، قال: فكان بينهما قتال إلى أن صرخ: يا معشر الأنصار، وصرخ المهاجر: يا معشر المهاجرين قال: فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فقال: «ما لَكُمْ وَلِدعْوَةِ الجاهِلِيَّةِ»؟ فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، قال: فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوها فإنَّها مُنْتِنَةٌ»، قال: فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فقال عمر: يا رسول الله دعني فأقتله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَقْتُلُ أصْحَابَهُ».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ﴾**. . . إلى **﴿ولِلَّهِ العِزَّةُ ولِرَسُولِهِ﴾** قال: قال ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول الأنصاري رأس المنافقين، وناس معه من المنافقين.

حدثني أحمد بن منصور الرمادي قال: ثنا إبراهيم بن الحكم قال: ثني أبي عن عكرمة أن عبد الله بن عبد الله بن أُبي ابن سلول كان يقال له حباب، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، فقال له رسول الله ﷺ: «لا تَقْتُلْ أباكَ عَبْدَ اللَّهِ»، ثم جاء أيضاً فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، فقال له رسول الله ﷺ: **«لا تَقْتُلْ أباكَ»**، فقال: يا رسول الله فتوضأ حتى أسقيه من وضوئك لعلّ قلبه أن يلين، فتوضأ رسول الله ﷺ فأعطاه، فذهب به إلى أبيه فسقاه، ثم قال له: هل تدري ما سقيتك؟ فقال له والده نعم، سقيتني بول أمك، فقال له ابنه: لا والله، ولكن سقيتك وضوء رسول الله ﷺ قال عكرمة: وكان عبد الله بن أبي عظيم الشأن فيهم. وفيهم أنزلت هذه الآية في المنافقين: **﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حتى يَنْفَضُوا﴾** وهو الذي قال: **﴿لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنها الأذَلَّ﴾** قال: فلما بلغوا المدينة، مدينة الرسول ﷺ ومن معه، أخذ ابنه السيف، ثم قال لوالده: أنت تزعم «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ»، فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله ﷺ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار برجله وذلك في أهل اليمن شديد فنادى المهاجري يا للمهاجرين، ونادى الأنصاري يا للأنصار قال: والمهاجرون يومئذ أكثر من الأنصار، فقال النبيّ ﷺ: «دَعُوها فإنَّها مُنْتِنَةٌ»، فقال عبد الله بن أُبي ابن سلول، **﴿لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنها الأذَلَّ﴾**.

حدثني عمران بن بكار الكلاعيّ، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عليّ بن سليمان، قال: ثنا أبو إسحاق، أن زيد بن أرقم، أخبره أن عبد الله بن أُبي ابن سلول قال ﴿**لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حتى يَنْفَضُّوا**﴾ وقال ﴿**لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ**﴾ قال: فحدثني زيد أنه أخبر رسول الله ﷺ بقول عبد الله بن أُبي، قال: فجاء فحلف عبد الله بن أُبي لرسول الله ﷺ ما قال ذلك قال أبو إسحاق: فقال لي زيد، فجلست في بيتي، حتى أنزل الله تصديق زيد، وتكذيب عبد الله في ﴿**إذا جاءك المنافقون**﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ**﴾ قرأ الآية كلها إلى ﴿**لا يَعْلَمُونَ**﴾ قال: قد قالها منافق عظيم النفاق في رجلين اقتتلا، أحدهما غفاريّ، والآخر جُهَنِيّ، فظهر الغفاريّ على الجُهنيّ، وكان بين جُهينة والأنصار حلف، فقال رجل من المنافقين وهو ابن أُبي: يا بني الأوس، يا بني الخزرج، عليكم صاحبكم وحليفكم، ثم قال: والله ما مثلنا ومَثَل محمد إلا كما قال القائل: «سَمِّن كلبك يأكلك»، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فسعى بها بعضهم إلى نبيّ الله ﷺ، فقال عمر: يا نبيّ الله مُر معاذ بن جبل أن يضرب عنق هذا المنافق، فقال: «لا يتحدّثُ النّاسُ أنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أصحَابَهُ». ذُكر لنا أنه كان أُكْثِر على رجل من المنافقين عنده، فقال: هل يصلي؟ فقال: نعم ولا خير في صلاته، فقال: نُهيت عن المصلين، نُهيت عن المصلين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: اقتتل رجلان، أحدهما من جُهينة، والآخر من غفار، وكانت جهينة حليف الأنصار، فظهر عليه الغفاريّ، فقال رجل منهم عظيم النفاق: عليكم صاحبكم، عليكم صاحبكم، فوالله ما مَثُلنا ومَثَل محمد إلا كما قال القائل: «سمّن كلبك يأكلك»، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ وهم في سفر، فجاء رجل ممن سمعه إلى النبيّ ﷺ، فأخبره ذلك، فقال عمر: مُر معاذاً يضرب عنقه، فقال: «وَاللَّه لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أصحَابَهُ»، فنزلت فيهم: ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾.

وقوله: ﴿**لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ**﴾:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن أن غلاماً جاء إلى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله إني سمعت عبد الله بن أُبي يقول كذا وكذا قال: «فَلَعَلَّكَ غَضِبْتَ عَلَيْهِ؟» قال: لا والله لقد سمعته يقوله قال: «فَلَعَلَّكَ أخْطأَ سَمْعُكَ؟» قال: لا والله يا نبيّ الله لقد سمعته يقوله قال: ﴿**فَلَعَلَّهُ شُبِّهَ عَلَيْكَ**﴾، قال: لا والله، قال: فأنزل الله تصديقاً للغلام: ﴿**لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ**﴾، فأخذ النبيّ ﷺ بأذن الغلام، فقال: «وَفَتْ أُذُنُكَ، وَفَتْ أُذُنُكَ يا غُلامُ».

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله ﴿لَيُخْرِجَن الأعَزُّ مِنْها الأذَلَ﴾ قال: كان المنافقون يسمون المهاجرين: الجلابيب وقال: قال ابن أُبي: قد أمرتكم في هؤلاء الجلابيب أمري، قال: هذا بين أَمَجِ وعُسْفان على الكديد تنازعوا على الماء، وكان المهاجرون قد غلبوا على الماء قال: وقال ابن أُبي أيضاً: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلَّ لقد قلت لكم: لا تنفقوا عليهم، لو تركتموهم ما وجدوا ما يأكلون، ويخرجوا ويهربوا فأتى عمر بن الخطاب إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أُبي؟ قال: «وما ذاكَ؟» فأخبره وقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله، قال: «إذاً تَرْعَدُ لَهُ آنُفٌ كَثِيرَةٌ بِيَثْرِب» قال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين، فمرّ به سعد بن معاذ، ومحمد بن مسلمة فيقتلانه فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي أكْرَهُ أنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أصحَابَهُ، ادْعُوا لي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْن أُبي»، فدعاه، فقال: «ألا تَرَى ما يَقُولُ أبُوكَ؟» قال: وما يقول بأبي أنت وأمي؟ قال: «يَقُولُ لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ» فقال: فقد صدق والله يا رسول الله، أنت والله الأعزُّ وهو الأذلُّ، أما والله لقد قَدِمت المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبرّ مني، ولئن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتِيَنَّها به، فقال رسول الله ﷺ: «لا» فلما قَدِموا المدينة، قام عبد الله بن عبد الله بن أُبي على بابها بالسيف لأبيه ثم قال: أنت القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ، أما والله لتعرفنّ العزّة لك أو لرسول الله، والله لا يأويك ظله، ولا تأويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله فقال: يا للخزرج ابني يمنعني بيتي يا للخزرج ابني يمنعني بيتي فقال: والله لا تأويه أبداً إلا بإذن منه فاجتمع إليه رجال فكلموه، فقال: والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله، فأتوا النبيّ ﷺ فأخبروه، فقال: «اذْهَبُوا إلَيْهِ، فَقُولُوا له خَلِّهِ ومَسْكَنَه» فأتوه، فقال: أما إذا جاء أمر النبيّ ﷺ فنعم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سَلَمة وعليّ بن مجاهد، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن أبي بكر، وعن محمد بن يحيى بن حبان، قال: كلّ قد حدثني بعض حديث بني المصطلق، قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث زوج النبيّ ﷺ فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس فاقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وقُتل من قتل منهم، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفاءهم الله عليه، وقد أصيب رجل من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر، يقال له هشام بن صبابة أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدوّ، فقتله خطأ، فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن

الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جَهْجاه بن سعيد[1]، يقود له فرسه، فازدحم جَهْجاه وسنان الجُهَنِيُّ حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهنيّ: يا معشر الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أُبي ابن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السنّ، فقال: قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعُدّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: «سمّن كلبك يأكلك»، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلَّ ثم أقبل على من حضر من قومه، فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من غزوه، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله مُر به عباد بن بشر بن وقش فليقتله، فقال رسول الله ﷺ: «فَكَيْفَ يا عُمَرُ إذَا تَحَدَّثَ النَّاس أن مُحَمَّداً يَقْتُلُ أصحَابَهُ، لا، وَلَكِنْ أَذِّنْ بالرَّحِيلِ»، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس، وقد مشى عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله ما قلت ما قال، ولا تكلمت به وكان عبد الله بن أُبي في قومه شريفاً عظيماً، فقال من حضر رسول الله ﷺ من أصحابه من الأنصار: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل، حدباً على عبد الله بن أُبي، ودفعاً عنه فلما استقلّ رسول الله ﷺ، لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوّة وسلم عليه ثم قال: يا رسول الله لقد رُحتَ في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها، فقال له رسول الله ﷺ «أو ما بَلَغَكَ ما قالَ صَاحِبُكُمْ؟» قال: فأيّ صاحب يا رسول الله؟ قال: «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبيّ»، قال: وما قال؟ قال: «زَعَمَ أنَّهُ إنْ رَجَعَ إلى المَدِينَةِ أخْرَجَ الأعَزُّ مِنها الأذَلَّ» قال أسيد: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال: يا رسول الله ارفق به، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلكاً. ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يكن إلا أن وجدوا مسّ الأرض وقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أُبي. ثم راح بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُويق النقيع، يقال له نقعاء فلما راح رسول الله ﷺ هبّت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوّفوها، فقال رسول الله ﷺ: «لاَ تَخافُوا فإنَّما هَبَّتْ لمَوْتِ عَظِيم مِنْ عُظَماءِ الكُفَّارِ» فلما قَدِموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء يهود، وكهفاً للمنافقين قد مات ذلك اليوم، فنزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أُبي ابن سلول، ومن كان معه على مثل أمره، فقال:

---

(١) الذي في «**سيرة ابن هشام**» ابن مسعود.

﴿إِذَا جاءَكَ المُنافِقُونَ﴾ فلما نزلت هذه السورة أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد فقال: «هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللَّهَ بِأُذُنه»، وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أُبي الذي كان من أبيه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أُبي أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً، فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبرّ بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيره فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبي يمشي في الناس فأقتلَه، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخلَ النارَ فقال رسول الله ﷺ: «بَلْ نَرْفُقْ بِهِ ونُحسِنْ صُحْبَتَهُ ما بَقِيَ مَعَنا»، وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه ويعنفونه ويتوعدونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم «كَيْفَ تَرَى يا عُمَرُ أما وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ أمَرْتَنِي بِقَتْلِهِ لأَرْعَدَتْ لَهُ آنَفٌ، لَوْ أمَرْتَها اليَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلَتْهُ» قال: فقال عمر: قد والله علمت لأمرُ رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿لا تُلْهِكُمْ أمْوَالُكُمْ﴾ يقول: لا توجب لكم أموالكم ﴿وَلا أوْلادُكُمْ﴾ اللهو ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وهو من ألهيته عن كذا وكذا، فلها هو يلهو لهواً ومنه قول امرىء القيس:

وَمِثْلِكِ حُبْلَى قد طرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فأَلْهَيْتُها عَنْ ذِي تَمائمَ مُحْوِلِ(١)

وقيل: عُنِي بذكر الله جلّ ثناؤه في هذا الموضع: الصلوات الخمس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أمْوَالُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال: الصلوات الخمس.

---

(١) البيت لامرىء القيس. وقد سبق استشهاد المؤلف به في الجزء (١٧/ ١١٤) وشرحناه هناك شرحاً مفصلاً، فراجعه. وموضع الشاهد فيه هنا قوله «فألهيتها» وأصله من اللهو، وهو ما لهوت به ولعبت به وشغلك. من هوى وطرب ونحوهما، يقال: لهوت بالشيء ألهو به لهواً، وتلهيت به: إذا لعبت به وتشاغلت، وغفلت به عن غيره. وتقول: ألهاني فلان عن كذا: أي شغلني وأنساني، وكأن الهمزة فيه للسلب.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ﴾ يقول: ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله ﴿فأُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾ يقول: هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله من الأموال التي رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول إذا نزل به الموت: يا ربّ هلا أخرتني فتُمْهِلَ لي في الأجل إلى أجل قريب. فأصدّق يقول: فأزكي مالي ﴿وأكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يقول: وأعمل بطاعتك، وأؤدّي فرائضك.

وقيل: عنى بقوله ﴿وَأكُنْ مِنَ الصالِحِينَ﴾ وأحجّ بيتك الحرام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس وسعيد بن الربيع، قال سعيد، ثنا سفيان، وقال يونس: أخبرنا سفيان، عن أبي جناب عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، قال: ما من أحد يموت ولم يؤدّ زكاة ماله ولم يحجّ إلا سأل الكرّة، فقالوا: يا أبا عباس لا تزال تأتينا بالشيء لا نعرفه قال: فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله: ﴿وأنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ يأْتِيَ أحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبّ لَوْلا أخَّرْتَنِي إلى أجَلٍ قَرِيبٍ فأصَّدَّقَ﴾ قال: أؤدي زكاة مالي ﴿وأكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال: أحجّ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي سنان، عن رجل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: ما يمنع أحدكم إذا كان له مال يجب عليه فيه الزكاة أن يزكي، وإذا أطاق الحجّ أن يحجّ من قبل أن يأتيه الموت، فيسأل ربه الكرّة فلا يُعطاها، فقال رجل: أما تتقي الله، يسأل المؤمن الكرّة؟ قال: نعم، أقرأ عليكم قرآناً، فقرأ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أمْوَالُكُمْ وَلا أوْلادُكُم عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فقال الرجل: فما الذي يوجب عليّ الحجّ، قال: راحلة تحمله، ونفقة تبلغه.

حدثنا عباد بن يعقوب الأسديّ وفضالة بن الفضل، قال عباد: أخبرنا يزيد أبو حازم مولى الضحاك.

وقال فضالة: ثنا بزيع عن الضحاك بن مزاحم في قوله: **﴿لَوْلا أَخَّرْتَنِي إلى أجَلٍ قَرِيبٍ فأصَّدَّقَ﴾** قال: فأتصدّق بزكاة مالي **﴿وأكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** قال: الحجّ.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿لا تُلْهِكُمْ أمْوَالُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾** إلى آخر السورة: هو الرجل المؤمن نزل به الموت وله مال كثير لم يزكه، ولم يحجّ منه، ولم يعط منه حق الله يسأل الرجعة عند الموت فيزكي ماله، قال الله: **﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إذَا جاءَ أجَلُها﴾**.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿لا تُلْهِكُمْ أمْوَالُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾**... إلى قوله **﴿وأنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِي أحَدُكُمُ المَوْتُ﴾** قال: هو الرجل المؤمن إذا نزل به الموت وله مال لم يزكه ولم يحجّ منه، ولم يعط حقّ الله فيه، فيسأل الرجعة عند الموت ليتصدّق من ماله ويزكي، قال الله **﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إذَا جاءَ أجَلُها﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان **﴿فَأصَّدَّقَ وأكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** قال: الزكاة والحج.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿وأكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الأمصار غير ابن محيصن وأبي عمرو: وأكن، جزماً عطفاً بها على تأويل قوله **﴿فأصَّدَّقَ﴾** لو لم تكن فيه الفاء، وذلك أن قوله: **﴿فأصَّدَّقَ﴾** لو لم تكن فيه الفاء كان جزماً. وقرأ ذلك ابن محيصن وأبو عمرو: «وأكُونَ» بإثبات الواو ونصب «وأكونَ» عطفاً به على قوله **﴿فأصَّدَّقَ﴾** فنصب قوله «وأكُونَ» إذ كان قوله **﴿فأصَّدَّقَ﴾** نصباً.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: **﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إذَا جاءَ أجَلُها﴾** يقول: لن يؤخر الله في أجل أحد فيمدّ له فيه إذا حضر أجله، ولكن يخترمه **﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** يقول: والله ذو خبرة وعلم بأعمال عبيده هو بجميعها محيط، لا يخفى عليه شيء، وهو مجازيهم بها، المحسنَ بإحسانه، والمسيىء بإساءته.

آخر تفسير سورة المنافقين

(٦٤) سورة التغابن مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾.

يقول تعالى ذكره: يسجد له ما في السموات السبع وما في الأرض من خلقه ويعظمه.

وقوله: ﴿لَهُ المُلْكُ﴾ يقول تعالى ذكره: له ملك السموات والأرض وسلطانه ماض قضاؤه في ذلك نافذ فيه أمره.

وقوله: ﴿وَلَهُ الحَمْدُ﴾ يقول: وله حمد كلّ ما فيها من خلق، لأن جميع من في ذلك من الخلق لا يعرفون الخير إلا منه، وليس لهم رازق سواه فله حمد جميعهم ﴿وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: وهو على كلّ شيء ذو قدرة، يقول: يخلق ما يشاء، ويميت من يشاء، ويغني من أراد، ويفقر من يشاء ويعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، لا يتعذرّ عليه شيء أراده، لأنه ذو القدرة التامة التي لا يعجزه معها شيء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾.

يقول تعالى ذكره: الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أيها الناس، وهو من ذكر اسم الله ﴿فَمِنكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مِوءِمِنٌ﴾ يقول: فمنكم كافر بخالقه وأنه خلقه ﴿ومنكم مؤمن﴾ يقول: ومنكم مصدّق به موقن أنه خالقه أو بارئه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول: والله الذي خلقكم بصير بأعمالكم عالم بها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم بها، فاتقوه أن تخالفوه في أمره أو نهيه، فيسطو بكم.

حدثنا محمد بن منصور الطوسي، قال: ثنا حسن بن موسى الأشيب، قال: ثنا ابن لهيعة، قال: ثنا بكر بن سوادة، عن أبي تميم الجيشانيّ، عن أبي ذرّ: «إن المَنِيَّ إذا مكث في

الرحم أربعين ليلة، أتى ملك النفوس، فعرج به إلى الجبار في راحته، فقال: أي ربّ عبدك هذا ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله إليه ما هو قاض، ثم يقول: أي ربّ أشقيّ أم سعيد؟ فيكتب ما هو لاق». قال: وقرأ أبو ذرّ فاتحة التغابن خمس آيات.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: خلق السموات السبع والأرض بالعدل والإنصاف، وصوّركم: يقول: ومثلكم فأحسن مثلكم، وقيل: إنه عُني بذلك تصويره آدم، وخلقه إياه بيده.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ بالحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فأحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾** يعني آدم خلقه بيده.

وقوله: **﴿وَإلَيْهِ المَصِيرُ﴾** يقول: وإلى الله مرجع جميعكم أيها الناس.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يعلم ربكم أيها الناس ما في السموات السبع والأرض من شيء، لا يخفى عليه من ذلك خافية **﴿وَيَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ﴾** أيها الناس بينكم من قول وعمل **﴿وَما تُعْلِنُونَ﴾** من ذلك فتظهرونه **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بذَاتِ الصُّدُورِ﴾** يقول جلّ ثناؤه: والله ذو علم بضمائر صدور عباده، وما تنطوي عليه نفوسهم، الذي هو أخفى من السرّ، لا يعزب عنه شيء من ذلك. يقول تعالى ذكره لعباده: احذَروا أن تسرّوا غير الذي تعلنون، أو تضمروا في أنفسكم غير ما تُبدونه، فإن ربكم لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو محص جميعه، وحافظ عليكم كله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: ألم يأتكم أيها الناس خبر الذين كفروا من قبلكم، وذلك كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط **﴿فَذَاقُوا وَبالَ أمْرِهِمْ﴾** فمسّهم عذاب الله إياهم على

كفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: ولهم عذاب مؤلم موجع يوم القيامة في نار جهنم، مع الذي أذاقهم الله في الدنيا وبال كفرهم.

وقوله: ﴿ذلكَ بأنَّهُ كانَتْ تأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّناتِ﴾ يقول: جلّ ثناؤه: هذا الذي نال الذين كفروا من قبل هؤلاء المشركين من وبال كفرهم، والذي أعدّ لهم ربهم يوم القيامة من العذاب، من أجل أنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات الذي أرسلهم إليهم ربهم بالواضحات من الأدلة والإعلام على حقيقة ما يدعونهم إليه، فقالوا لهم: أَبَشَرٌ يهدوننا؟ استكباراً منهم أن تكون رسل الله إليهم بشراً مثلهم واستكباراً عن اتباع الحقّ من أجل أن بشراً مثلهم دعاهم إليه وجمع الخبر عن البشر، فقيل: يهدوننا، ولم يقل: يهدينا، لأن البشر، وإن كان في لفظ الواحد، فإنه بمعنى الجميع.

وقوله: ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ يقول: فكفروا بالله، وجحدوا رسالة رسله الذين بعثهم الله إليهم استكباراً ﴿وَتَوَلَّوا﴾ يقول: وأدبروا عن الحقّ فلم يقبلوه، وأعرضوا عما دعاهم إليه رسلهم ﴿واسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ يقول: واستغنى الله عنهم، وعن إيمانهم به وبرسله، ولم تكن به إلى ذلك منهم حاجة ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حِميدٌ﴾ يقول: والله غنيّ عن جميع خلقه، محمود عند جميعهم بجميل أياديه عندهم، وكريم فعاله فيهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم. وكان ابن عمر يقول: زعم كنية الكذب.

حدثني بذلك محمد بن نافع البصريّ، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن بعض أصحابه عن ابن عمر.

وقوله: ﴿قُلْ بَلى ورَبّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: بلى وربي لتبعثن من قبوركم ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ يقول: ثم لتخبرنّ بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا، ﴿وذَلكَ على اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يقول: وبعثكم من قبوركم بعد مماتكم على الله سهل هين.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فصدّقوا بالله ورسوله أيها المشركون المكذّبون بالبعث، وبإخباره إياكم

أنكم مبعوثون من بعد مماتكم، وأنكم من بعد بلائكم تنشرون من قبوركم، ﴿**والنور الذي أنزلنا**﴾ يقول: وآمنوا بالنور الذي أنزلنا، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة محيط بها، محصٍ جميعها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميعها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والله بما تعملون خبير ﴿**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ**﴾ الخلائق للعرض ﴿**ذلكَ يَوْمَ التَّغابُنِ**﴾ يقول: الجمع يوم غَبْن أهلِ الجنة أهلَ النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**ذَلك يَوْمُ التَّغابُنِ**﴾ قال: هو غبن أهل الجنة أهلَ النار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ**﴾ هو يوم القيامة، وهو يوم التغابن: يوم غَبن أهلِ الجنة أهلَ النار.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**ذلك يَوْمُ التَّغابُنِ**﴾ من أسماء يوم القيامة، عظَّمه وحذّره عبادَه.

وقوله: ﴿**وَمَنْ يُوءمِنْ باللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً**﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يصدّق بالله ويعمل بطاعته، وينته إلى أمره ونهيه ﴿**يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ**﴾ يقول: يمح عنه ذنوبه ﴿**وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنهارُ**﴾ يقول: ويُدخله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار.

وقوله: ﴿**خالِدينَ فِيها أبَداً**﴾ يقول: لابثين فيها أبداً، لا يموتون، ولا يخرجون منها.

وقوله: ﴿**ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ**﴾ يقول: خلودهم في الجنات التي وصفنا النجاء العظيم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والذين جحدوا وحدانية الله، وكذّبوا بأدلته وحججه وآي كتابه الذي أنزله على عبده محمد ﷺ ﴿أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ يقول: ماكثين فيها أبداً لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها ﴿وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ يقول: وبئس الشيء الذي يُصَار إليه جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لم يصب أحداً من الخلق مصيبة إلا بإذن الله، يقول: إلا بقضاء الله وتقديره ذلك عليه ﴿وَمَنْ يُوءْمِنْ باللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يقول: ومن يصدّق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه: يقول: يوفّق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ باللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الوشاء الأوديّ، قال: ثنا أحمد بن بشير، عن الأعمش، عن أبي ظبيان قال: كنا عند علقمة، فقرىء عنده هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ باللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ فسُئل عن ذلك فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيسلم ذلك ويرضى.

حدثني عيسى بن عثمان الرملي، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، قال: كنت عند علقمة وهو يعرض المصاحف، فمرّ بهذه الآية: ﴿ما أصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إلا بإذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ باللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ قال: هو الرجل... ثم ذكر نحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن علقمة، في قوله: ﴿ما أصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إلا بإذْنِ اللَّهِ، وَمَنْ يُؤْمِنْ باللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ قال: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضَى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن مهدي، عن الثوري، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن علقمة مثله غير أنه قال في حديثه: فيعلم أنها من قضاء الله، فيرضى بها ويسلم.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: والله بكلّ شيء ذو علم بما كان ويكون وما هو كائن من قبل أن يكون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وأطيعُوا اللَّهَ﴾ أيها الناس في أمره ونهيه ﴿وأطيعُوا الرَّسُولَ﴾ ﷺ ﴿فإن توليتم﴾ فإن أدبرتم عن طاعة الله وطاعة رسوله مستكبرين عنها، فلم تطيعوا الله ولا رسوله ﴿فإنما﴾ فليسَ ﴿على رسولنا﴾ محمد إلاّ ﴿البلاغُ المبينُ﴾ أنه بلاغ إليكم لما أرسلته به يقول جلّ ثناؤه: فقد أعذر إليكم بالإبلاغ والله وليّ الانتقام ممن عصاه، وخالف أمره، وتولى عنه ﴿اللَّهُ لا إلَهَ إلا هو﴾ يقول جلّ ثناؤه: معبودكم أيها الناس معبود واحد لا تصلح العبادة لغيره ولا معبود لكم سواه.

﴿وَعَلى الله فَلْيَتَوَكَّل المُوءمِنُون﴾ يقول تعالى ذكره: وعلى الله أيها الناس فليتوكل المصدّقون بوحدانيته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿إن مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لكُمْ﴾ يَصدّونكم عن سبيل الله، ويثبطونكم عن طاعة الله ﴿فاحْذَرُوهُمْ﴾ أن تقبلوا منهم ما يأمرونكم به من ترك طاعة الله.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا أرادوا الإسلام والهجرة، فثبّطهم عن ذلك أزواجهم وأولادهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يحيى بن آدم وعبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: سأله رجل عن هذه الآية ﴿يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِن أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا رسول الله ﷺ فلما أتَوا رسول الله ﷺ، فرأوا الناس قد فقهوا

في الدين، هموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله جلّ ثناؤه **﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وأَوْلادِكُم﴾**... الآية.

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله **﴿يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وأَوْلادِكُم عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ﴾** قال: كان الرجل يريد أن يأتي النبيّ ﷺ، فيقول له أهله: أين تذهب وتدعنا؟ قال: وإذا أسلم وفَقِه، قال: لأرجعنّ إلى الذين كانوا ينهون عن هذا الأمر فلأفعلنّ ولأفعلنّ، فأنزل الله جلّ ثناؤه: **﴿وَإِنْ تَعْفُوا وتَصْفَحُوا وتَغْفِرُوا فإن اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وأَوْلادِكُم عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ﴾** كان الرجل إذا أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة تمنعه زوجته وولده، ولم يألُوا يثبطوه عن ذلك، فقال الله: إنهم عدوّ لكم فاحذروهم واسمعوا وأطيعوا، وامضُوا لشأنكم، فكان الرجل بعد ذلك إذا مُنِع وثُبط مرّ بأهله وأقسم، والقسم يمين ليفعلنّ وليعاقبنّ أهله في ذلك، فقال الله جلّ ثناؤه **﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وتَغْفِرُوا فإن اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغابن كلها بمكة، إلا هؤلاء الآيات **﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وأَوْلادِكُم عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ﴾** نزلت في عوف بن مالك الأشجعيّ، كان ذا أهل وولد، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورقّقوه، فقالوا: إلى من تَدعنا؟ فيرقّ ويقيم، فنزلت: **﴿يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وأَوْلادِكُم عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ﴾**. الآية كلها بالمدينة في عوف بن مالك وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله **﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وأَوْلادِكُم عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ﴾** قال: إنهما يحملانه على قطيعة رحمه، وعلى معصية ربه، فلا يستطيع مع حبه إلا أن يقطعه.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله، إلا أنه قال: فلا يستطيع مع حبه إلا أن يطيعه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ**

أَزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم عَدُوًا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ﴾. . . الآية، قال: منهم من لا يأمر بطاعة الله، ولا ينهى عن معصيته، وكانوا يبطّئون عن الهجرة إلى رسول الله ﷺ وعن الجهاد.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله **﴿إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم عَدُوًا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ﴾** قال: ينهون عن الإسلام، ويُبَطِّئُون عنه، وهم من الكفار فاحذروهم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم عَدُوًا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ﴾**. . . الآية، قال: هذا في أناس من قبائل العرب كان يسلم الرجل أو النفر من الحيّ، فيخرجون من عشائرهم ويدعون أزواجهم وأولادهم وآباءهم عامدين إلى النبيّ ﷺ فتقوم عشائرهم وأزواجهم وأولادهم وآباؤهم، فيناشدونهم الله أن لا يفارقوهم، ولا يؤثروا عليهم غيرهم، فمنهم من يَرِقّ ويرجع إليهم، ومنهم من يمضي حتى يلحق بنبيّ الله ﷺ.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن ناجية وزيد بن حباب، قالا: ثنا يحيى بن واضح، جميعاً عن الحسين بن واقد، قال: ثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل رسول الله ﷺ، فأخذهما فرفعهما فوضعهما في حِجْره ثم قال: «صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: **﴿إنَّما أمْوَالُكُمْ وأوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ رأيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أصْبِرْ»** ثم أخذ في خطبته اللفظ لأبي كريب عن زيد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾** قال: يقول: عدوّاً لكم في دينكم، فاحذروهم على دينكم.

حدثني محمد بن عمرو بن عليّ المقدميّ، قال: ثنا أشعث بن عبد الله، قال: ثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، في قوله: **﴿إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ﴾** قال: كان الرجل يسلم، فيلومه أهله وبنوه، فنزلت: **﴿إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾**.

وقوله: **﴿وَإنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾** يقول: وإن تعفوا أيها المؤمنون عما سلف منهم من صدّهم إياكم عن الإسلام والهجرة وتصفحوا لهم عن عقوبتكم إياهم على ذلك، وتغفروا لهم غير ذلك من الذنوب **﴿فإنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** لكم لمن تاب من عباده، من ذنوبكم **﴿رحيمٌ﴾** بكم أن يعاقبكم عليها من بعد توبتكم منها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ

﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما أموالكم أيها الناس وأولادكم إلا فتنة، يعني بلاء عليكم في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِنَّما أَموالُكُمْ وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ يقول: بلاء.

وقوله: ﴿**وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ يقول: والله عنده ثواب لكم عظيم، إذا أنتم خالفتم أولادكم وأزواجكم في طاعة الله ربكم، وأطعتم الله عزّ وجلّ، وأدّيتم حقّ الله في أموالكم، والأجر العظيم الذي عند الله الجنة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ وهي الجنة.

وقوله: ﴿**فاتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: واحذروا الله أيها المؤمنون وخافوا عقابه، وتجنبوا عذابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، والعمل بما يقرّب إليه ما أطقتم وبلَغه وسعكم.

وذُكر أن قوله: ﴿**فاتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ**﴾ نزل بعد قوله: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ تخفيفاً عن المسلمين، وأن قوله: ﴿**فاتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ**﴾ ناسخ قوله: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ**﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فاتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ واسمَعُوا وأطيعُوا**﴾ هذه رخصة من الله، والله رحيم بعباده، وكان الله جلّ ثناؤه أنزل قبل ذلك: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وحقّ تقاته أن يُطاع فلا يعصى، ثم خفّف الله تعالى ذكره عن عباده، فأنزل الرخصة بعد ذلك فقال: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا**﴾ فيما استطعت يا ابن آدم، عليها بايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فيما استطعتم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ**﴾ قال: نسختها: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ**﴾.

وقد تقدم بياننا عن معنى الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع وليس في قوله: ﴿**فاتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ**﴾ دلالة واضحة على أنه لقوله: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ناسخ، إذ كان

محتملاً قوله: اتقوا الله حقّ تقاته فيما استطعتم، ولم يكن بأنه له ناسخ عن رسول الله ﷺ، فإذا كان ذلك كذلك، فالواجب استعمالهما جميعاً على ما يحتملان من وجوه الصحة.

وقوله: ﴿واسمَعُوا وأطِيعُوا﴾ يقول: واسمعوا لرسول الله ﷺ، وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْراً لأَنْفُسِكُمْ﴾ يقول: وأنفقوا مالاً من أموالكم لأنفسكم تستنقذوها من عذاب الله، والخير في هذا الموضع المال.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلحُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يَقِه الله شحّ نفسه، وذلك اتباع هواها فيما نهى الله عنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني أبو معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ يقول: هوى نفسه حيث يتبع هواه ولم يقبل الإيمان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جامع بن شدّاد، عن الأسود بن هلال، عن ابن مسعود ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ قال: أن يعمد إلى مال غيره فيأكله.

وقوله: ﴿فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلحُونَ﴾ يقول: فهؤلاء الذين وُقُوا شح أنفسهم، المُنجحون الذين أدركوا طلباتهم عند ربهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن تنفقوا في سبيل الله، فتحسنوا فيها النفقة، وتحتسبوا بإنفاقكم الأجر والثواب يضاعف ذلك لكم ربكم، فيجعل لكم مكان الواحد سبع مئة ضعف إلى أكثر من ذلك مما يشاء من التضعيف ﴿يَغفِرْ لكُم ذُنُوبَكُمْ﴾ فيصفح لكم عن عقوبتكم عليها مع تضعيفه نفقتكم التي تنفقون في سبيله ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ يقول: والله ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله، بحسن الجزاء لهم على ماأنفقوا في الدنيا في سبيله ﴿حَلِيمٌ﴾ يقول: حليم عن أهل معاصيه بترك معاجلتهم بعقوبته ﴿عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ﴾ يقول: عالم ما لا تراه أعين عباده ويغيب عن أبصارهم وما يشاهدونه فيرونه بأبصارهم ﴿العَزِيزُ﴾ يعني الشديد في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره ونهيه ﴿الحَكِيمُ﴾ في تدبيره خلقه، وصرفه إياهم فيما يصلحهم.

آخر تفسير سورة التغابن

(٦٥) سورة الطلاق مدنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**يا أيها النَّبِيُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدتِهِنَّ**﴾ يقول: إذا طلقتم نساءكم فطلقوهنّ لطهرهنّ الذي يحصينه من عدّتهن، طاهراً من غير جماع، ولا تطلقوهنّ بحيضهنّ الذي لا يعتددن به من قُرْئهنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله، قال: الطلاق للعدّة طاهراً من غير جماع.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله ﴿**فَطَلِّقُوهُن لِعِدّتِهِنَّ**﴾ قال: بالطهر في غير جماع.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبد الله ﴿**إذَا طَلَّقْتُمُ النّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدتِهِنَّ**﴾ يقول: إذا طلقتم قال: الطهر في غير جماع.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبد الله ﴿**فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**﴾ قال: طاهراً من غير جماع.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن داود بن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه كان يرى طلاق السنة طاهراً من غير جماع، وفي كلّ طهر، وهي العدّة التي أمر الله بها.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنابة، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن حميد الأعرج، عن مجاهد، أن رجلاً سأل ابن عباس فقال: إنه طلق امرأته مئة، فقال: عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، ولم تتق الله فيجعل لك مخرجاً، وقرأ هذه الآية: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مَخرَجاً**﴾، وقال: ﴿**يا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدتِهِنَّ**﴾.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ثنا شعبة، عن حميد الأعرج، عن مجاهد، عن ابن عباس بنحوه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أيوب، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: كنت عند ابن عباس، فجاءه رجل فقال: إنه طلق امرأته ثلاثاً، فسكت حتى ظننا أنه رادّها عليه، ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الحموقة، ثم يقول: يا ابن عباس يا ابن عباس، وإن الله عزّ وجلّ قال: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً**﴾ وإنك لم تتق الله فلا أجد لك مخرجاً، عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، قال الله: «يا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدتِهِنَّ».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، قال: سمعت مجاهداً يحدّث عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿**يا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**﴾ قال ابن عباس: في قبل عدتهنّ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل بن أُمية، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، أنه قرأ: «فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ».

حدثنا العباس بن عبد العظيم، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**﴾ قال: طاهراً في غير جماع.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، في قوله: ﴿**فَطَلِّقُوهنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**﴾ قال: طاهراً من غير حيض، أو حاملاً قد استبان حملها.

قال: ثنا هارون، عن عيسى بن يزيد بن دأب، عن عمرو، عن الحسن وابن سيرين، فيمن أراد أن يطلق ثلاث تطليقات جميعاً في كلمة واحدة، أنه لا بأس به بعد أن يطلقها في قبل عدتها، كما أمره الله وكانا يكرهان أن يطلق الرجل امرأته تطليقة، أو تطليقتين، أو ثلاثاً، إذا كان بغير العدّة التي ذكرها الله.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عون، عن ابن سيرين أنه قال في قوله **﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾** قال: يطلقها وهي طاهر من غير جماع، أو حَبل يستبين حملها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: **﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾** قال: لطهرهنّ.

حدثنا عليّ بن عبد الأعلى المحاربيّ، قال: ثنا المحاربيّ، عن جويبر، عن الضحاك، في قول الله **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدتِهِنَّ﴾** قال: العدة: القُرْء، والقُرء: الحيض. والطاهر: الطاهر من غير جماع، ثم تستقبل ثلاث حِيَض.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدتِهِنَّ﴾** والعدة: أن يطلقها طاهراً من غير جماع تطليقة واحدة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله **﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾** قال: إذا طهرت من الحيض في غير جماع، قلت: كيف؟ قال: إذا طهرت فطلقها من قبل أن تمسها، فإن بدا لك أن تطلقها أخرى تركتها حتى تحيض حيضة أخرى، ثم طلقها إذا طهرت الثانية، فإذا أردت طلاقها الثالثة أمهلتها حتى تحيض، فإذا طهرت الثالثة، ثم تعتدّ حيضة واحدة، ثم تنكح إن شاءت.

قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: وقال ابن طاوس: إذا أردت الطلاق فطلقها حين تطهر، قبل أن تمسها تطليقة واحدة، لا ينبغي لك أن تزيد عليها، حتى تخلو ثلاثة قروء، فإن واحدة تبينها.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله **﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾** يقول: طلِّقها طاهراً من غير جماع.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿فَطَلِّقُوهُنَّ**

لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال: إذا طلقتها للعدة كان مِلكُها بيدك. من طلَّق للعدة جعل الله له في ذلك فسحة، وجعل له مِلكاً إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضي العدة ارتجع.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال: طاهراً في غير جماع، فإن كانت لا تحيض، فعند غرّة كل هلال.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: طلَّقت امرأتي وهي حائض قال: فأتى عمر رسول الله ﷺ يخبره بذلك، فقال: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعها حتى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ، ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إنْ شاءَ طَلَّقَها قَبْلَ أنْ يُجامِعَها، وَإنْ شاءَ أمْسَكَها، فإنَّها العُدَّةُ التي قال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

قال: ثنا ابن إدريس، عن يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر بنحوه، عن النبيّ ﷺ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن مهدي، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمرُ النبيّ ﷺ فقال: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْها، ثُمَّ لِيُمْسِكْها حتى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ، ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إنْ شاءَ أمْسَكَها، فَتِلْكَ العِدَّةُ التي أمَرَ اللَّهُ أنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّساءُ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر أنه طلق امرأته حائضاً، فأتى عمر النبيّ ﷺ، فذكر ذلك له، فأمره أن يراجعها، ثم يتركها حتى إذا طهرت ثم حاضت طلقها، قال النبيّ ﷺ: «فَهِيَ العِدَّةُ التي أمَرَ اللَّهُ أنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّساءُ» يقول: حين يطهرن.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس في قوله ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ يقول: لا يطلقها وهي حائض، ولا في طهر قد جامعها فيه، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة، فإن كانت تحيض فعدتها ثلاث حيض، وإن كانت لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر، وإن كانت حاملاً، فعدتها أن تضع حملها.

حدثنا ابن البرقيّ، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد بن عبد العزيز، سُئل عن قول الله ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ قال: طلاق السنة أن يطلق الرجل امرأته وهي في قبل عدتها، وهي طاهر من غير جماع واحدة، ثم يدعها، فإن شاء راجعها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة، وإن أراد أن يطلقها ثلاثاً طلقها واحدة في قبل عدتها، وهي طاهر من غير جماع، ثم يدعها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى، ثم يدعها، حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى، ثم لا تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره.

وذُكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ في سبب طلاقه حَفْصة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر تطليقة، فأنزلت هذه الآية: **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾** فقيل: راجعها فإنها صَوامة قوّامة، وإنها من نسائك في الجنة.

وقوله: **﴿وأحْصُوا العِدَّةَ﴾** يقول: وأحصُوا هذه العدّة وأقراءَها فاحفظوها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عَن السديّ، قوله: **﴿وأحْصُوا العِدَّةَ﴾** قال: احفظوا العدّة.

وقوله: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾** يقول: وخافوا الله أيها الناس ربكم فاحذروا معصيته أن تتعدّوا حده، لا تخرجوا من طلقتم من نسائكم لعدتهنّ من بيوتهنّ التي كنتم أسكنتموهنّ فيها قبل الطلاق حتى تنقضي عدتهنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾** حتى تنقضي عدتهنّ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جُرَيج، قال: قال عطاء: إن أذن لها أن تعتدّ في غير بيته، فتعتدّ في بيت أهلها، فقد شاركها إذن في الإثم. ثم تلا: **﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَة﴾** قال: قلت هذه الآية في هذه؟ قال: نعم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا حيوة بن شريح، عن محمد بن عجلان، عن نافع، أن عبد الله بن عمر كان يقول في هذه الآية **﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾** قال: خروجها قبل انقضاء العدّة. قال ابن عجلان عن زيد بن أسلم: إذا أتت بفاحشة أخرجت.

وحدثنا عليّ بن عبد الأعلى المحاربيّ، قال: ثنا المحاربيّ، عبد الرحمن بن محمد، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: **﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ**

مُبَيِّنَةٍ﴾ قال: ليس لها أن تخرج إلا بإذنه، وليس للزوج أن يخرجها ما كانت في العدّة، فإن خرجت فلا سُكْنى لها ولا نفقة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ**﴾ قال: هي المطلقة لا تخرج من بيتها، ما دام لزوجها عليها رجعة، وكانت في عدّة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ**﴾ وذلك إذا طلقها واحدة أو ثنتين لها ما لم يطلقها ثلاثاً.

وقوله: ﴿**وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: لا تخرجوهنّ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة إنها فاحشة لمن عاينها أو علمها.

واختلف أهل التأويل في معنى الفاحشة التي ذكرت في هذا الموضع، والمعنى الذي من أجله أذن الله بإخراجهنّ في حال كونهنّ في العدّة من بيوتهنّ، فقال بعضهم: الفاحشة التي ذكرها الله في هذا الموضع هو الزنى، والإخراج الذي أباح الله هو الإخراج لإقامة الحدّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله: ﴿**لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ**﴾ قال: الزنى، قال: فتُخْرَج ليُقام عليها الحدّ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، مثله.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، عن صالح بن مسلم، قال: سألت عامراً قلت: رجل طلق امرأته تطليقة أيخرجها من بيتها؟ قال: إن كانت زانية.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ**﴾ قال: إلا أن يزنين.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ**﴾ قال: قال الله جلّ ثناؤه: ﴿**وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ**﴾ قال: هؤلاء المحصنات، ﴿**فاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أرْبَعَةً مِنْكُمْ...**﴾ الآية. قال: فجعل الله سبيلهنّ الرجم، فهي لا ينبغي لها أن تخرج من بيتها إلا أن

تأتي بفاحشة مبينة، فإذا أتت بفاحشة مبينة أخرجت إلى الحدّ فرجمت، وكان قبل هذا للمحصنة الحبس تحبس في البيوت لا تترك تنكح، وكان للبكرين الأذى، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيانِها مِنكُمْ فآذُوهُما﴾ يا زان، يا زانية، ﴿فإنْ تابا وأصْلَحا فأعْرِضُوا عَنْهُما إنَّ اللَّهَ كانَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ قال: ثم نُسخ هذا كله، فجعل الرجم للمحصنة والمحصن، وجعل جلد مئة للبِكْرين، قال: ونسخ هذا.

وقال آخرون: الفاحشة التي عناها الله في هذا الموضع: البَذَاء على أحمائها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا محمد بن عمرو، عن محمد بن إبراهيم، عن ابن عباس قال الله: ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ قال: الفاحشة المبينة أن تبذُوَ على أهلها.

وقال آخرون: بل هي كل معصية لله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ والفاحشة: هي المعصية.

وقال آخرون: بل ذلك نشوزها على زوجها، فيطلقها على النشوز، فيكون لها التحوّل حينئذ من بيتها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إلا أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ قال قتادة: إلا أن يطلقها على نشوز، فلها أن تحوّل من بيت زوجها.

وقال آخرون: الفاحشة المبينة التي ذكر الله عزّ وجلّ في هذا الموضع خروجها من بيتها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿وَلا يَخْرُجْنَ إلا أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ قال: خروجها من بيتها فاحشة. قال بعضهم: خروجها إذا أتت بفاحشة أن تخرج فيُقام عليها الحدّ.

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب قال: ثني محمد بن عجلان، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، في قوله: ﴿لا

تُخْرِجُوهُن مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلا أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ قال: خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة.

والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: عنى بالفاحشة في هذا الموضع: المعصية، وذلك أن الفاحشة هي كلّ أمر قبيح تعدّى فيه حدّه، فالزنى من ذلك، والسرق والبذاء على الأحماء، وخروجها متحوّلة عن منزلها الذي يلزمها أن تعتدّ فيه منه، فأيّ ذلك فعلت وهي في عدتها، فلزوجها إخراجها من بيتها ذلك، لإتيانها بالفاحشة التي ركبتها.

وقوله: **﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾** يقول تعالى ذكره: وهذه الأمور التي بينتها لكم من الطلاق للعدّة، وإحصاء العدّة، والأمر باتقاء الله، وأن لا تخرج المطلقة من بيتها، إلا أن تأتي بفاحشة مبينة حدود الله التي حدّها لكم أيها الناس فلا تعتدوها **﴿وَمَنْ يَتَعَدّ حُدُودَ اللَّهِ فقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾** يقول تعالى ذكره: ومن يتجاوز حدود الله التي حدّها لخلقه فقد ظلم نفسه: يقول: فقد أكسب نفسه وزراً، فصار بذلك لها ظالماً، وعليها متعدّياً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ بن عبد الأعلى، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ، عن جويبر، عن الضحاك في قول الله **﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾** يقول: تلك طاعة الله فلا تعتدوها، قال: يقول: من كان على غير هذه فقد ظلم نفسه.

وقوله: **﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلك أمْراً﴾** يقول جلّ ثناؤه: لا تدري ما الذي يحدث؟ لعل الله يحدث بعد طلاقكم إياهنّ رجعةً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهريّ، أن فاطمة بنت قيس كانت تحت أبي حفص المخزومي، وكان النبيّ ﷺ أمّر علياً على بعض اليمن، فخرج معه، فبعث إليها بتطليقة كانت لها، وأمر عياش بن أبي ربيعة المخزومي، والحارث بن هشام أن ينفقا عليها، فقالا: لا والله ما لها علينا نفقة، إلا أن تكون حاملاً، فأتت النبيّ ﷺ فذكرت ذلك له، فلم يجعل لها نفقة إلا أن تكون حاملاً، واستأذنته في الانتقال، فقالت: أين أنتقل يا رسول الله؟ قال: «عِنْدَ ابْنِ أُمّ مَكْتُومٍ»، وكان أعمى، تضع ثيابها عنده، ولا يبصرها فلم تزل هنالك حتى أنكحها النبيّ ﷺ أُسامة بن زيد حين مضت عدتها، فأرسل إليها مروان بن الحكم يسألها عن هذا الحديث، فأخبرته، فقال مروان: لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة، وسنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها، فقالت فاطمة: بيني وبينكم الكتاب، قال الله جلّ ثناؤه: **﴿فَطَلِّقُوهُن لِعِدَّتِهِنَّ﴾** حتى بلغ

﴿**لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْراً**﴾ قالت: فأيّ أمر يحدث بعد الثلاث، وإنما هو في مراجعة الرجل امرأته، وكيف تحبس امرأة بغير نفقة؟

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْراً**﴾ قال: هذا في مراجعة الرجل امرأته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْراً**﴾: أي مراجعة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْراً**﴾ قال: يراجعها في بيتها هذا في الواحدة والثنتين، هو أبعد من الزنى.

قال: سعيد، وقال الحسن: هذا في الواحدة والثنتين، وما يحدث الله بعد الثلاث.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا أيوب، قال: سمعت الحسن وعكرمة يقولان: المطلقة ثلاثاً، والمتوفي عنها لا سكنى لها ولا نفقة قال: فقال عكرمة ﴿**لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْراً**﴾ فقال: ما يحدث بعد الثلاث.

حدثنا عليّ بن عبد الأعلى المحاربيّ، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿**لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْراً**﴾ يقول: لعلّ الرجل يراجعها في عدتها.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْراً**﴾ هذا ما كان له عليها رجعة.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْراً**﴾ قال: الرجعة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْراً**﴾ قال: لعلّ الله يحدث في قلبك تراجع زوجتك قال: قال: ومن طلق للعدّة جعل الله له في ذلك فسحة، وجعل له ملكاً إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضي العدة ارتجع.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْراً**﴾ قال: لعله يراجعها.

وقوله: ﴿**فإذَا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ**﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا بلغ المطلقات اللواتي هنّ في عدة

أجلهنّ وذلك حين قرب انقضاء عددهنّ ﴿فأمسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يقول: فأمسكوهنّ برجعة تراجعوهن، إن أردتم ذلك ﴿بمعروف﴾ يقول: بما أمرك الله به من الإمساك وذلك باعطائها الحقوق التي أوجبها الله عليه لها من النفقة والكسوة والمسكن وحُسن الصحبة، أو فارقوهنّ بمعروف، أو اتركوهنّ حتى تنقضي عددهنّ، فتبين منكم بمعروف، يعني بإيفائها ما لها من حق قبله من الصداق والمتعة على ما أوجب عليها لها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن عبد الأعلى، قال: ثني المحاربي عبد الرحمن بن محمد، عن جويبر، عن الضحاك، قوله: ﴿فإذَا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ﴾ يقول: إذا انقضت عدتها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة، أو ثلاثة أشهر إن لم تكن تحيض، يقول: فراجع إن كنت تريد المراجعة قبل أن تنقضي العدّة بإمساك بمعروف، والمعروف أن تحسن صحبتها ﴿أوْ تَسْرِيحٌ بإحْسانٍ﴾ والتسريح بإحسان: أن يدعها حتى تمضي عدتها، ويعطيها مهراً إن كان لها عليه إذا طلقها، فذلك التسريح بإحسان، والمُتعة على قدر الميسرة.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿فإذَا بَلَغْنَ أجَلَهُن﴾ قال: إذا طلقها واحدة أو ثنتين، يشاء[1] أن يمسكها بمعروف، أو يسرّحها بإحسان.

وقوله: ﴿وأشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ وأشهدوا على الإمساك إن أمسكتموهنّ، وذلك هو الرجعة ذوي عدل منكم، وهما اللذان يرضى دينهما وأمانتهما.

وقد بيّنا فيما مضى قبل معنى العدل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، وذكرنا ما قال أهل العلم فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضي عدتها، أشهد رجلين كما قال الله: ﴿وأشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ عند الطلاق وعند المراجعة، فإن راجعها فهي عنده على تطليقتين، وإن لم يراجعها فإذا انقضت عدتها فقد بانت منه بواحدة، وهي أملك بنفسها، ثم تتزوّج من شاءت، هو أو غيره.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿وأشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ قال: على الطلاق والرجعة.

---

(١) كذا في الأصل: ولعل أصل العبارة: قله بعد ذلك ما يشاء.... الخ.

وقوله: ﴿وأَقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلَّهِ﴾ يقول: وأشهدوا على الحقّ إذا استشهدتم، وأدّوها على صحة إذا أنتم دُعيتم إلى أدائها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿وأَقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلَّهِ﴾ قال: أشهدوا على الحقّ.

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أمرتكم به، وعرّفتكم من أمر الطلاق، والواجب لبعضكم على بعض عند الفراق والإمساك عظة منا لكم، نعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فيصدّق به.

وعُني بقوله: ﴿مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ﴾ من كانت صفته الإيمان بالله، كالذي:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ﴾ قال: يؤمن به.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ يقول تعالى ذكره: من يخف الله فيعمل بما أمره به، ويجتنب ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجاً بأن يعرّفه بأن ما قضى فلا بدّ من أن يكون، وذلك أن المطلق إذا طلّق، كما ندبه الله إليه للعدّة، ولم يراجعها في عدتها حتى انقضت ثم تتبعها نفسه، جعل الله له مخرجاً فيما تتبعها نفسه، بأن جعل له السبيل إلى خطبتها ونكاحها، ولو طلقها ثلاثاً لم يكن له إلى ذلك سبيل.

وقوله: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ يقول: ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر، ولا يعلم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت بسبب عوف بن مالك الأشجعيّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن صَلْت، عن قيس، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق عن عبد الله، في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ قال: يعلم أنه من عند الله، وأن الله هو الذي يعطي ويمنع.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ قال: المخرج أن يعلم أن الله تبارك وتعالى لو شاء أعطاه وإن شاء منعه، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ قال: من حيث لا يدري.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، مثله.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾** يقول: نجاته من كلّ كرب في الدنيا والآخرة، **﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾**.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الربيع بن المنذر، عن أبيه، عن الربيع بن خثيم **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾** قال: من كلّ شيء ضاق على الناس.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرِمة **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾** قال: من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجاً.

حدثني عليّ بن عبد الأعلى المحاربيّ، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ، عن جويبر، عن الضحاك في قوله **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾** ومن يتق الله يجعل له من أمره يُسراً، قال: يعني بالمخرج واليُسر إذا طلق واحدة ثم سكت عنها، فإن شاء راجعها بشهادة رجلين عدلين، فذلك اليُسر الذي قال الله، وإن مضت عدتها ولم يراجعها، كان خاطباً من الخطاب، وهذا الذي أمر الله به، وهكذا طلاق السنة فأما من طلق عند كلّ حيضة فقد أخطأ السنة، وعصى الربّ، وأخذ بالعسر.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾** قال: يطلق للسُّنة، ويراجع للسُّنة زعم أن رجلاً من أصحاب النبيّ ﷺ يقال له عوف الأشجعيّ، كان له ابن، وأن المشركين أسروه، فكان فيهم، فكان أبوه يأتي النبيّ ﷺ، فيشكوا إليه مكان ابنه، وحالته التي هو بها وحاجته، فكان رسول الله ﷺ يأمره بالصبر ويقول له: «إن الله سيجعل له مخرجاً»، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً إذا انفلت ابنه من أيدي العدوّ، فمرّ بغنم من أغنام العدوّ فاستاقها، فجاء بها إلى أبيه، وجاء معه بغنًى قد أصابه من الغنم، فنزلت هذه الآية: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عمار بن أبي معاوية الدهني، عن سالم بن أبي الجعد **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾** قال: نزلت في رجل من أشجع جاء إلى النبيّ ﷺ وهو مجهود، فسأله فقال له النبيّ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ وَاصْبِرْ»، قال: قد فعلت، فأتى قومه، فقالوا: ماذا قال لك؟ قال: قال: «اتق الله واصبر»، فقلت: قد فعلت حتى قال ذلك ثلاثاً، فرجع فإذا هو بابنه كان أسيراً في بَني فلان مِن العرب، فجاء معه بأعنز، فرجع إلى النبي ﷺ، فقال: إن ابني كان أسيراً في بني فلان، وإنه جاء بأعنز، فطابت لنا؟ قال: «نعم».

قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو، عن عمار الدهني، عن سالم بن أبي الجعد في قوله

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ قال: نزلت في رجل من أشجع أصابه الجهد، فأتى النبيّ ﷺ فقال له: «اتَّقِ اللَّهَ وَاصْبِرْ»، فرجع فوجد ابناً له كان أسيراً، قد فكه الله من أيديهم، وأصاب أعنزاً، فجاء، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: هل تطيبُ لي يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ».

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن المنذر الثوريّ، عن أبيه، عن الربيع بن خثيم **﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾** قال: من كلّ شيء ضاق على الناس.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق **﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾** قال: يعلم أن الله إن شاء منعه، وإن شاء أعطاه **﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾** يقول: من حيث لا يدري.

قال: ثنا مهران، عن سعيد بن أبي عَروبة، عن قتادة **﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾** قال: من شُبُهات الأمور، والكرب عند الموت **﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾**: من حيث لا يرجو ولا يؤمل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾** لا يأمل ولا يرجو.

وقوله: **﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾** يقول تعالى ذكره: ومن يتق الله في أموره، ويفوّضها إليه فهو كافيه.

وقوله: **﴿إنَّ اللَّهَ بالِغُ أمْرِهِ﴾** منقطع عن قوله **﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾**. ومعنى ذلك: إن الله بالغ أمره بكل حال توكل عليه العبد أو لم يتوكل عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق **﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إنَّ اللَّهَ بالِغُ أمْرِهِ﴾** توكل عليه أو لم يتوكل عليه، غير أن المتوكل يُكَفِّرْ عنه سيئاته، ويُعْظِم له أجراً.

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق بنحوه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن صلت عن قيس، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله **﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾** قال: ليس بمتوكل الذي قد

قُضِيت حاجته، وجعل فضل من توكل عليه على من لم يتوكل أن يكفرَ عنه سيئاته، ويُعْظمَ له أجراً.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن الشعبيّ، قال: تجالس شُتير بن شكل ومسروق، فقال شُتير: إما أن تحدّث ما سمعت من ابن مسعود فأصدّقك، وإما أن أحدث فتصدّقني؟ قال مسروق: لا بل حدّث فأصدّقك، فقال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكبر آية في القرآن تفوّضاً[1]: **﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾** قال مسروق: صدقت.

وقوله: **﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾** يقول تعالى ذكره: قد جعل الله لكلّ شيء من الطلاق والعدّة وغير ذلك حدّاً وأجلاً وقدراً يُنتهى إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق **﴿قَد جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾** قال: أجلاً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق **﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾** قال: منتهى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق مثله.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾** قال: الحيض في الأجل والعدّة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والنساء اللاتي قد ارتفع طمعهنّ عن المحيض، فلا يرجون أن يحضن من نسائكم إنِ ارتبتم.

(١) كذا في الأصل، ولم أجد في المعاجم هذا المصدر ولا فعله، ولعله محرف عن «التفويض»، وهو رد الأمر كله إلى الله، وهو المفهوم من معنى هديث ابن مسعود هذا.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: إن ارتبتم بالدم الذي يظهر منها لكبرها، أمن الحيض هو، أم من الاستحاضة، فعِدَّتهنّ ثلاثة أشهر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ إن لم تعلموا التي قعدت عن الحيضة، والتي لم تحض، فعدتهنّ ثلاثة أشهر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهريّ ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ قال: في كبرها أن يكون ذلك من الكبر، فإنها تعتدّ حين ترتاب ثلاثة أشهر فأما إذا ارتفعت حيضة المرأة وهي شابة، فإنه يتأنى بها حتى ينظر حامل هي أم غير حامل؟ فإن استبان حملها، فأجلها أن تضع حملها، فإن لم يستبن حملها، فحتى يستبين بها، وأقصى ذلك سنة.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ قال: إن ارتبت أنها لا تحيض وقد ارتفعت حيضتها، أو ارتاب الرجال، أو قالت هي: تركتني الحيضة، فعدتهنّ ثلاثة أشهر إن ارتاب، فلو كان الحمل انْتَظر الحملَ حتى تنقضي تسعة أشهر، فخاف وارتاب هو، وهي أن تكون الحيضة قد انقطعت، فلا ينبغي لمسلمة أن تحبَس، فاعتدت ثلاثة أشهر، وجعل الله جلّ ثناؤه أيضاً للتي لم تحض الصغيرة ثلاثة أشهر.

حدثنا ابن عبد الرحيم البَرْقيّ، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: أخبرنا أبو معبد، قال: سُئل سليمان عن المرتابة، قال: هي المرتابة التي قد قعدت من الولد تطلق، فتحيض حيضة، فيأتي إبَّان حيضتها الثانية فلا تحيض قال: تعتدّ حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة قال: فإن حاضت حيضتين ثم جاء إبان الثالثة فلم تحض اعتدّت حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة، ولم يعتدّ بما مضى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن ارتبتم بحكمهنّ فلم تدروا ما الحكم في عدتهنّ، فإن عدتهنّ ثلاثة أشهر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا مطرف، عن عمرو بن سالم، قال: قال أبيّ بن كعب: يا رسول الله إن عِدداً من عِدد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار، وأولات الأحمال، فأنزل الله: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ

ثَلاثَةُ أشهُرٍ واللائِي لَمْ يَحِضْنَ وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

وقال آخرون: معنى ذلك: إن ارتبتم مما يظهر منهنّ من الدم، فلم تدروا أدم حيض، أم دم مستحاضة من كبر كان ذلك أو علة؟ ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن عكرِمة، قال: إن من الريبة: المرأة المستحاضة، والتي لا يستقيم لها الحيض، تحيض في الشهر مراراً، وفي الأشهر مرّة، فعدتها ثلاثة أشهر، وهو قول قتادة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: عُنِي بذلك: إن ارتبتم فلم تدروا ما الحكم فيهنّ، وذلك أن معنى ذلك لو كان كما قاله من قال: إن ارتبتم بدمائهنّ فلم تدروا أدم حيض، أو استحاضة؟ لقيل: إن ارتبتنّ لأنهنّ إذا أشكل الدم عليهنّ فهنّ المرتابات بدماء أنفسهنّ لا غيرهنّ، وفي قوله: **﴿إن ارْتَبْتُمْ﴾** وخطابه الرجال بذلك دون النساء الدليل الواضح على صحة ما قلنا من أن معناه: إن ارتبتم أيها الرجال بالحكم فيهنّ وأخرى وهو أنه جلّ ثناؤه قال: **﴿وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إنِ ارْتَبْتُمْ﴾** واليائسة من المحيض هي التي لا ترجو محيضاً للكبر، ومحال أن يقال: واللائي يئسن، ثم يقال: ارتبتم بيأسهنّ، لأن اليأس: هو انقطاع الرجاء والمرتاب بيأسها مرجوّ لها، وغير جائز ارتفاع الرجاء ووجوده في وقت واحد، فإذا كان الصواب من القول في ذلك ما قلنا، فبين أن تأويل الآية: واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم بالحكم فيهنّ، وفي عِددهنّ، فلم تدروا ما هنّ، فإن حكم عددهنّ إذا طلقن، وهنّ ممن دخل بهنّ أزواجهنّ، فعدتهنّ ثلاثة أشهر **﴿وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾** يقول: وكذلك عدد اللائي لم يحضن من الجواري لصغر إذا طلقهنّ أزواجهنّ بعد الدخول. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في قوله: **﴿وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ﴾** يقول: التي قد ارتفع حيضها، فعدتها ثلاثة أشهر **﴿واللائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾** قال: الجواري.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ﴾** وهنّ اللواتي قعدن من المحيض فلا يحضن، واللائي لم يحضن هنّ الأبكار التي لم يحضن، فعدتهنّ ثلاثة أشهر.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ﴾**... الآية، قال: القواعد من النساء **﴿واللائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾**: لم يبلغن المحيض، وقد مُسِسْن، عدتهنّ ثلاثة.

وقوله: ﴿وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ في انقضاء عدتهنّ أن يضعن حملهنّ، وذلك إجماع من جميع أهل العلم في المطلقة الحامل، فأما في المتوفي عنها ففيها اختلاف بين أهل العلم.

وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى من كتابنا هذا، وسنذكر في هذا الموضع ما لم نذكره هنالك.

ذكر من قال: حكم قوله ﴿وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ عام في المطلَّقات والمتوفي عنهنّ.

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصريّ، قال: ثنا سعيد بن أبي مريم، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثني ابن شبرمة الكوفي، عن إبراهيم، عن علقمة، عن قيس أن ابن مسعود قال: من شاء لاعنته، ما نزلت: ﴿وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ إلا بعد آية المتوفي عنها زوجها، وإذا وضعت المتوفي عنها فقد حلت يريد بآية المتوفي عنها: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أزْوَاجاً يَترَبَّصْنَ بأَنْفُسِهِنَّ أرْبَعَةَ أشْهرٍ وعَشْراً﴾.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا مالك، يعني ابن إسماعيل، عن ابن عيينة، عن أيوب، عن ابن سيرين عن أبي عطية قال: سمعت ابن مسعود يقول: من شاء قاسمته نزلت سورة النساء القُصْرَى بعدها، يعني بعد أربعة أشهر وعشراً.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، قال: أخبرنا أيوب، عن محمد، قال: لقيت أبا عطية مالك بن عامر، فسألته عن ذلك، يعني عن المتوفي عنها زوجها إذا وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشر، فأخذ يحدثني بحديث سُبيعة، قلت: لا، هل سمعت من عبد الله في ذلك شيئاً؟ قال: نعم، ذكرت ذات يوم أو ذات ليلة عند عبد الله، فقال: أرأيت إن مضت الأربعة الأشهر والعشر ولم تضع أقد أحلَّت؟ قالوا: لا، قال: أفتجعلون عليها التغليظ، ولا تجعلون لها الرخصة، فوالله لأنزلت النساء القُصْرَى بعد الطُّولى.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عون، قال: قال الشعبيّ: من شاء حالفته لأنزلت النساء القُصْرَى بعد الأربعة الأشهر والعشر التي في سورة البقرة.

حدثني أحمد بن منيع، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبيّ، قال: ذكر عبد الله بن مسعود آخر الأجلين، فقال: من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية التي أنزلت في النساء القُصْرَى نزلت بعد الأربعة الأشهر، ثم قال: أجل الحامل أن تضع ما في بطنها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مُغيرة، قال: قلت للشعبي: ما أصدّق أن علياً رضي الله عنه كان يقول: آخر الأجلين أن لا تتزوّج المتوفي عنها زوجها حتى يمضي آخر الأجلين قال الشعبيّ: بلى وصدق أشدّ ما صدّقت بشيء قط وقال عليّ رضي الله عنه: إنما قوله ﴿**وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾ المطلقات، ثم قال: إن علياً رضي الله عنه وعبد الله كانا يقولان في الطلاق بحلول أجلها إذا وضعت حملها.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا موسى بن داود، عن ابن لهيعة، عن عمرو بن شعيب، عن سعيد بن المسيب، عن أُبيّ بن كعب، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾ قال: قلت: يا رسول الله، المتوفي عنها زوجها والمطلقة، قال: «نَعَمْ».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، عن ابن عيينة، عن عبد الكريم بن أبي المخارق، يحدّث عن أُبيّ بن كعب، قال: سألت رسول الله ﷺ عن ﴿**وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾ قال: «أَجَلُ كُلِّ حامِلٍ أنْ تَضَعَ ما في بَطْنِها».

حدثني محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، قوله ﴿**وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾ قال: للمرأة الْحَبَلى التي يطلقها زوجها وهي حامل، فعدتها أن تضع حملها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾ فإذا وضعت ما في رحمها فقد انقضت عدتها، ليس المحيض من أمرها في شيء إذا كانت حاملاً.

وقال آخرون: ذلك خاصّ في المطلقات، وأما المتوفي عنها فإن عدتها آخر الأجلين، وذلك قول مرويّ عن عليّ وابن عباس رضي الله عنهما.

وقد ذكرنا الرواية بذلك عنهما فيما مضى قبل.

والصواب من القول في ذلك أنه عامّ في المطلقات والمتوفي عنهنّ، لأن الله جلّ وعزّ، عمّ بقوله بذلك فقال: ﴿**وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾ ولم يخصص بذلك الخبر عن مطلقة دون متوفي عنها، بل عمّ الخبر به عن جميع أولات الأحمال. إن ظنّ ظانّ أن قوله ﴿**وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾ في سياق الخبر عن أحكام المطلقات دون المتوفي عنهنّ، فهو بالخبر عن حكم المطلقة أولى بالخبر عنهنّ، وعن المتوفي عنهنّ، فإن الأمر بخلاف ما ظنّ، وذلك أن ذلك وإن كان في سياق الخبر عن أحكام المطلقات، فإنه منقطع عن الخبر عن أحكام المطلقات، بل هو خبر مبتدأ عن أحكام عدد جميع أولات الأحمال المطلقات منهنّ وغير

المطلقات، ولا دلالة على أنه مراد به بعض الحوامل دون بعض من خبر ولا عقل، فهو على عمومه لما بيَّنا.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ له مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ يقول جلّ ثناؤه: ومن يخَفِ الله فرهِبَهُ، فاجتنب معاصيه، وأدّى فرائضه، ولم يخالف إذنه في طلاق امرأته، فإنه يجعل الله له من طلاقه ذلك يسراً، وهو أن يسهل عليه إن أراد الرخصة لاتباع نفسه إياها الرجعة ما دامت في عدتها وإن انقضت عدتها، ثم دعته نفسه إليها قدر على خطبتها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيَّنت لكم من حكم الطلاق والرجعة والعدّة، أمر الله الذي أمركم به، أنزله إليكم أيها الناس، لتأتمروا له، وتعملوا به.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنهُ سَيِّئاتِهِ﴾ يقول: ومن يخف الله فيتقه باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، يمح الله عنه ذنوبه وسيئات أعماله ﴿وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ يقول: ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه، ومن إعظامه له الأجر عليه أن يُدخله جنته، فيخلده فيها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أسكنوا مطلقات نسائكم من الموضع الذي سكنتم ﴿من وُجْدِكُم﴾: يقول: من سعتكم التي تجدون وإنما أمر الرجال أن يعطوهنّ مسكناً يسكنه مما يجدونه، حتى يقضين عِدَدهنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِن حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ يقول: من سعتكم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿مِن وُجْدِكُمْ﴾ قال: من سعتكم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكُمْ﴾ قال: من سعتكم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، قوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ فإن لم تجد إلا ناحية بيتك فأسكنها فيه.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكُمْ﴾ قال: المرأة يطلقها، فعليه أن يسكنها، وينفق عليها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكُمْ﴾ قال: من مقدرتك حيث تقدر، فإن كنت لا تجد شيئاً، وكنت في مسكن ليس لك، فجاء أمر أخرجك من المسكن، وليس لك مسكن تسكن فيه، وليس تجد فذاك، وإذا كان به قوّة على الكراء فذاك وجده، لا يخرجها من منزلها، وإذا لم يجد وقال صاحب المسكن: لا أنزل هذه في بيتي فلا، وإذا كان يجد، كان ذلك عليه.

وقوله: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولا تضارّوهنّ في المسكن الذي تسكنونهنّ فيه، وأنتم تجدون سعة من المنازل أن تطلبوا التضييق عليهنّ، فذلك قوله ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ يعني: لتضيقوا عليهنّ في المسكن مع وجودكم السعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قال: في المسكن.

حدثني محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿مِن وُجْدِكُمْ﴾ قال: من ملككم، من مقدرتكم. وفي قوله ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قال: لتضيقوا عليهنّ مساكنهنّ حتى يخرجن.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قال: ليس ينبغي له أن يضارّها ويضيق عليها مكانها ﴿حتى يضعن حملهنّ﴾ هذا لمن يملك الرجعة،

ولمن لا يملك الرجعة.

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن كان نساؤكم المطلقات أولات حمل وكنّ بائنات منكم، فأنفقوا عليهنّ في عدتهنّ منكم حتى يضعن حملهنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فهذه المرأة يطلقها زوجها، فيبتّ طلاقها وهي حامل، فيأمره الله أن يسكنها، وينفق عليها حتى تضع، وإن أرضعت فحتى تفطم، وإن أبان طلاقها، وليس بها حبل، فلها السكنى حتى تنقضي عدتها ولا نفقة، وكذلك المرأة يموت عنها زوجها، فإن كانت حاملاً أنفق عليها من نصيب ذي بطنها إذا كان ميراث، وإن لم يكن ميراث أنفق عليها الوارث حتى تضع وتفطم ولدها كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعلى الوَارِثِ مِثْلُ ذَلكَ﴾ فإن لم تكن حاملاً، فإن نفقتها كانت من مالها.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال: ينفق على الحبلى إذا كانت حاملاً حتى تضع حملها.

وقال آخرون: عُنِي بقوله: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ كلّ مطلقة، ملك زوجُها رجْعَتَهَا أو لم يملك. وممن قال ذلك: عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما. ذكر الرواية عنهما بذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: كان عمرو وعبد الله يجعلان للمطلقة ثلاثاً: السكنى، والنفقة، والمتعة. وكان عمر إذا ذكر عنده حديث فاطمة بنت قيس أن النبيّ ﷺ أمرها أن تعتدّ في غير بيت زوجها، قال: ما كنا لنجيز في ديننا شهادة امرأة.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِيّ، قال: ثنا يحيى بن إبراهيم، عن عيسى بن قرطاس، قال: سمعت عليّ بن الحسين يقول في المطلقة ثلاثاً: لها السكنى، والنفقة والمتعة، فإن خرجت من بيتها فلا سكنى ولا نفقة ولا متعة.

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا ابن فضيل، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: للمطلقة ثلاثاً: السكنى والنفقة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن حماد، عن إبراهيم، قال: إذا طلق الرجل ثلاثاً، فإن لها السكنى والنفقة.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن لا نفقة للمبتوتة إلا أن تكون حاملاً، لأن الله جلّ ثناؤه جعل النفقة بقوله ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأنفِقُوا عَلَيهِنَّ﴾ للحوامل دون غيرهنّ من البائنات من أزواجهن ولو كان البوائن من الحوامل وغير الحوامل في الواجب لهنّ من النفقة على أزواجهنّ سواء، لم يكن لخصوص أولات الأحمال بالذكر في هذا الموضع وجه مفهوم، إذ هنّ وغيرهنّ في ذلك سواء، وفي خصوصهن بالذكر دون غيرهنّ أدلّ الدليل على أن لا نفقة لبائن إلا أن تكون حاملاً. وبالذي قلنا في ذلك صحّ الخبر عن رسول الله ﷺ.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا بشر بن بكر، عن الأوزاعيّ، قال: ثنا يحيى بن أبي كثير، قال: ثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، قال: حدثتني فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس أن أبا عمرو المخزوميّ، طلقها ثلاثاً فأمر لها بنفقة فاستقلتها، وكان رسول الله ﷺ بعثه نحو اليمن، فانطلق خالد بن الوليد في نفر من بني مخزوم إلى رسول الله ﷺ وهو عند ميمونة، فقال: يا رسول الله إن أبا عمرو طلق فاطمة ثلاثاً، فهل لها من نفقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَيسَ لَهَا نَفَقَةٌ»، فأرسل إليها رسول الله ﷺ أن «انتقلي إلى بيت أمّ شريك» وأرسل إليها «أن لا تسبقيني بنفسك»، ثم أرسل إليها «أنّ أمّ شريك يأتيها المهاجرون الأوّلون، فانتقلي إلى ابن أمّ مكتوم، فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك»، فزوّجها رسول الله ﷺ أُسامة بن زيد.

وقوله: ﴿فإنْ أرْضَعْنَ لَكُمْ فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فإن أرضع لكم نساؤكم البوائن منكم أولادهنّ الأطفال منكم بأجرة، فآتوهنّ أجورهنّ على رضاعهنّ إياهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك أنه قال في الرضاع: إذا قام على شيء فأمّ الصبيّ أحقّ به، فإن شاءت أرضعته، وإن شاءت تركته إلا أن لا يقبل من غيرها، فإذا كان كذلك أُجْبِرت على رضاعه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فإنْ أرْضَعْنَ لَكُمْ فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ هي أحقّ بولدها أن تأخذه بما كنتَ مسترضِعاً به غيرَها.

حدثنا محمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فإنْ أرْضَعْنَ لَكُمْ فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ قال: ما تراضوا عليه «على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم في الصبيّ إذا قام على ثمن فأمه أحقّ أن ترضعه، فإن لم يجد له من يرضعه أجبرت الأم على الرضاع.

قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**فآتوهُنَّ أجُورَهُنَّ**﴾ قال: إن أرضعت لك بأجر فهي أحقّ من غيرها، وإن هي أبت أن ترضعه ولم تواتك فيما بينك وبينها عاسرتك في الأجر فاسترضع له أخرى.

وقوله: ﴿**وأتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: وليقبل بعضكم أيها الناس من بعض ما أمركم بعضكم به بعضاً من معروف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وأتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ**﴾ قال: اصنعوا المعروف فيما بينكم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**وأتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ**﴾ حثّ بعضهم على بعض.

وقوله: ﴿**وَإنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخرَى**﴾ يقول: وإن تعاسر الرجل والمرأة في رضاع ولدها منه، فامتنعت من رضاعه، فلا سبيل له عليها، وليس له إكراهها على إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبيّ مرضعة غير أمه البائنة منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وَإنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخرَى**﴾ قال: إن أبت الأم أن ترضع ولدها إذا طلقها أبوه التمس له مرضعة أخرى، الأمّ أحقّ إذا رضيت من أجر الرضاع بما يرضى به غيرها، فلا ينبغي له أن ينتزع منها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: إن هي أبت أن ترضعه ولم تواتك فيما بينها وبينك عاسرتك في الأجر، فاسترضع له أخرى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: ﴿**وَإنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخرَى لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِه وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ**﴾ قال: فرض لها من قدر ما يجد، فقالت: لا أرضى هذا قال: وهذا بعد الفراق، فأما وهي زوجته فإنها ترضع له طائعة ومكرهة إن شاءت وإن أبت، فقال لها: ليس لي زيادة على هذا إن أحببت أن ترضعي بهذا فأرضعي، وإن كرهت استرضعت ولدي، فهذا قوله: ﴿**وَإنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخرَى**﴾.

وقوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ﴾: يقول تعالى ذكره: لينفق الذي بانت منه امرأته إذا كان ذا سعة من المال، وغني من سعة ماله وغناه على امرأته البائنة في أجر رضاع ولده منها، وعلى ولده الصغير ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ يقول: ومن ضيق عليه رزقه فلم يوسع عليه، فلينفق مما أعطاه الله على قدر ماله، وما أعطى منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ﴾ قال: من سعة موجده، قال: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ قال: من قتر عليه رزقه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ﴾ يقول: من طاقته.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ﴾ قال: فرض لها من قدر ما يجد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثني ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ﴾ قال: على المطلقة إذا أرضعت له.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي سنان، قال: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن أبي عُبيدة، فقيل له: إنه يلبس الغليظ من الثياب، ويأكل أخشن الطعام، فبعث إليه بألف دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع إذا هو أخذها، فما لبث أن لبس ألين الثياب، وأكل أطيب الطعام، فجاء الرسول فأخبره، فقال رحمه الله: تأوّل هذه الآية ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتاه اللَّهُ﴾.

وقوله: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ ما آتاها﴾ يقول: لا يكلف الله أحداً من النفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم لا ما أعطاه، إن كان ذا سعة فمن سعته، وإن كان مقدوراً عليه رزقه فمما رزقه الله على قدر طاقته، لا يُكلف الفقير نفقة الغنيّ، ولا أحدَ من خلقه إلا فرضه الذي أوجبه عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ ما آتاها﴾ قال: يقول: لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغنيّ.

حدثنا عبد الله بن محمد الزهري، قال: ثنا سفيان، عن هشيم ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إلاَّ ما آتاها**﴾ قال: إلا ما افترض عليها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إلاَّ ما آتاها**﴾ يقول: إلا ما أطاقت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ ما آتاها**﴾ قال: لا يكلفه الله أن يتصدّق وليس عنده ما يتصدّق به، ولا يكلفه الله أن يزكي وليس عنده ما يزكي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**سَيَجْعَل اللَّهُ**﴾ للمقلّ من المال المقدور عليه رزقه ﴿**بَعْدَ عُسْر يُسْراً**﴾ يقول: من بعد شدّة رخاء، ومن بعد ضيق سعة، ومن بعد فقر غنى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً**﴾ بعد الشدة الرخاء.

وقوله: ﴿**وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ**﴾ يقول تعالى ذكره: وكأين من أهل قرية طغوا عن أمر ربهم وخالفوه، وعن أمر رسل ربهم، فتمادوا في طغيانهم وعتوّهم، ولجوا في كفرهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط عن السدي، في قوله ﴿**وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ**﴾ قال: غيَّرت وعَصَت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً**﴾ قال: العتوّ ههنا الكفر والمعصية، عُتوّاً: كفراً، وعتت عن أمر ربها: تركته ولم تقبله.

وقيل: إنهم كانوا قوماً خالفوا أمر ربهم في الطلاق، فتوعد الله بالخبر عنهم هذه الأمة أن يفعل بهم فعله بهم إن خالفوا أمره في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: سمعت عمر بن سليمان يقول في قوله: **﴿وكأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ﴾** قال: قرية عُذّبت في الطلاق.

وقوله: **﴿فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً﴾** يقول: فحاسبناها على نعمتنا عندها وشكرها حساباً شديداً، يقول: حساباً استقصينا فيه عليهم، لم نعف لهم فيه عن شيء، ولم نتجاوز فيه عنهم، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قوله: **﴿فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً﴾** قال: لم نعف عنها الحساب الشديد الذي ليس فيه من العفو شيء.

حدثني عليّ قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً﴾** يقول: لم نرحم.

وقوله: **﴿وَعَذَّبْناها عَذَاباً نُكْراً﴾** يقول: وعذّبناها عذاباً عظيماً منكراً، وذلك عذاب جهنم.

وقوله: **﴿فَذَاقَتْ وَبالَ أمْرِها﴾** يقول: فذاقت هذه القرية التي عتت عن أمر ربها ورسله، عاقبة ما عملت وأتت من معاصي الله والكفر به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: **﴿فَذَاقَتْ وَبالَ أمْرِها﴾** قال: عقوبة أمرها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿فَذَاقَتْ وَبالَ أمْرِها﴾** قال: ذاقت عاقبة ما عملت من الشرّ. الوبال: العاقبة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فَذَاقَتْ وَبالَ أمْرِها﴾** يقول: عاقبة أمرها.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿فَذَاقَتْ وَبالَ أمْرِها﴾** قال: جزاء أمرها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فَذَاقَتْ وَبالَ أمْرِها**﴾ يعني بوبال أمرها: جزاء أمرها الذي قد حلّ.

وقوله: ﴿**وكانَ عاقِبَةُ أمْرِها خُسْراً**﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الذي أعقب أمرهم، وذلك كفرهم بالله وعصيانهم إياه خسراً: يعني غَبْناً، لأنهم باعوا نعيم الآخرة بخسيس من الدنيا قليل، وآثروا اتباع أهوائهم على اتباع أمر الله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أعدّ الله لهؤلاء القوم الذين عَتَوا عن أمر ربهم ورسله عذاباً شديداً، وذلك عذاب النار الذي أعده لهم في القيامة ﴿**فاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولي الألباب**﴾ يقول تعالى ذكره: فخافوا الله، واحذروا سخطه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه يا أولي العقول، كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**فاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولي الألبابِ**﴾ قال: يا أولي العقول.

وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ يقول: الذين صدّقوا الله ورسله.

وقوله: ﴿**قَدْ أنْزَلَ اللَّهُ إلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً**﴾ اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالذكر والرسول في هذا الموضع، فقال بعضهم: الذكر هو القرآن، والرسول محمد ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**قَدْ أنْزَلَ اللَّهُ إلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً**﴾ قال: الذكر: القرآن، والرسول: محمد ﷺ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**قَدْ أنْزَلَ اللَّهُ إلَيْكُمْ ذِكْراً**﴾ قال: القرآن روح من الله، وقرأ: ﴿**وكَذَلكَ أوْحَينا إلَيْكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنا**﴾ إلى آخر الآية، وقرأ: ﴿**قَدْ أنْزَلَ اللَّهُ إلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً**﴾ قال: القرآن، وقرأ: ﴿**إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالذِّكْرِ لمَّا جاءَهُمْ**﴾ قال: بالقرآن، وقرأ: ﴿**إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ**﴾ قال: القرآن، قال: وهو الذكر، وهو الروح.

وقال آخرون: الذكر: هو الرسول.

والصواب من القول في ذلك أن الرسول ترجمة عن الذكر، وذلك نصب لأنه مردود عليه على البيان عنه والترجمة.

فتأويل الكلام إذن: قد أنزل الله إليكم يا أولي الألباب ذِكراً من الله لكم يذكركم به، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله، والعمل بطاعته، رسولاً يتلو عليكم آيات الله التي أنزلها عليه ﴿**مُبَيِّنات**﴾ يقول: مبينات لمن سمعها وتدبرها أنها من عند الله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا (١١)﴾.

يقول تعالى ذكره: قد أنزل الله إليكم أيها الناس ذكراً رسولاً، يتلو عليكم آيات الله مبيّنات، كي يخرج الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿**وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه ﴿**مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ**﴾ يعني من الكفر وهي الظلمات، إلى النور: يعني إلى الإيمان.

وقوله: ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ باللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً**﴾ يقول: ومن يصدّق بالله ويعمل بطاعته ﴿**يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ**﴾ يقول: يُدخله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿**خالِدِينَ فِيها أبَداً**﴾ يقول: ماكثين مقيمين في البساتين التي تجري من تحتها الأنهار أبداً، لا يموتون، ولا يخرجون منها أبداً.

وقوله: ﴿**قَدْ أحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً**﴾ يقول: قد وسع الله له في الجنات رزقاً، يعني بالرزق: ما رزقه فيها من المطاعم والمشارب، وسائر ما أعدّ لأوليائه فيها، فطيبه لهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا (١٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ**﴾ لا ما يعبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تقدر على خلق شيء.

وقوله: ﴿**وَمِنَ الأرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾ يقول: وخلق من الأرض مثلهنّ لما في كلّ واحدة منهنّ مثل ما في السموات من الخلق.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عمرو بن علي ومحمد بن المثنى، قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن أبي الضحى، عن ابن عباس، قال في هذه الآية: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾ قال عمرو: قال: في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق. وقال ابن المثنى: في كلّ سماء إبراهيم.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الأعمش، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله ﴿**سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾ قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها.

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا أبو بكر، عن عاصم، عن زِرّ، عن عبد الله، قال: خلق الله سبع سموات غلظ كلّ واحدة مسيرة خمس مئة عام، وبين كلّ واحدة منهنّ خمس مئة عام، وفوق السبع السموات الماء، والله جلّ ثناؤه فوق الماء، لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم. والأرض سبع، بين كل أرضين خمس مئة عام، وغلظ كلّ أرض خمس مئة عام.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القُمي الأشعري، عن جعفر بن أبي المُغيرة الخزاعي، عن سعيد بن جبير، قال: قال رجل لابن عباس ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾... الآية، فقال ابن عباس: ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر.

قال: ثنا عباس، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد، قال: هذه الأرض إلى تلك مثل الفسطاط ضربته في فلاة، وهذه السماء إلى تلك السماء، مثل حلقة رميت بها في أرض فلاة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، قال: السماء أوّلها موج مكفوف والثانية صخرة والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا جرير بن حازم، قال: ثني حميد بن قيس، عن مجاهد، قال: هذا البيت الكعبة رابع أربعة عشر بيتاً في كل سماء بيت، كل بيت منها حذو صاحبه، لو وقع وقع عليه، وإن هذا الحرم حرمي بناؤه من السموات السبع والأرضين السبع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**اللّه الذي خَلَق سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمن الأرض مِثْلَهُنَّ**﴾ خلق سبع سموات وسبع أرضين في كلّ سماء من سمائه، وأرض من أرضه، خلق من خلقه وأمر من أمره، وقضاء من قضائه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قال: بينا النبي ﷺ جالس مرّة مع أصحابه، إذا مرّت سحابة، قال النبي ﷺ: أَتَدْرُون ما هَذَا هَذِهِ العَنانُ، هَذِهِ رَوَايا الأرْضِ يَسُوقُها اللَّهُ إلى قَوْم لا يَعْبُدُونَه قال: أتَدْرُونَ ما هَذِهِ السَّماءُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذه السَّماءُ مَوْجٌ مَكْفُوفٌ، وَسَقْفٌ مَحْفُوظٌ ثم قال: أتَدْرُون ما فَوْقَ ذلكَ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فَوْقَ ذلكَ سَماءٌ أُخْرَى، حتى عدّ سبع سموات وهو يقول: أتَدْرُونَ ما بَيْنَهُما خَمْس مئَة سَنَة ثُم قال: أتَدْرُونَ ما فَوْقَ ذلكَ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فَوْقَ ذلكَ العَرْشُ، قال: أتَدْرُونَ ما بَيْنَهُما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: بَيْنَهُما خَمْسُ مِئَةِ سَنَة ثم قال: أتدرون ما هَذِهِ الأرْضُ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: تَحْتَ ذلكَ أرْضٌ، قال: أتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَهُما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بَيْنَهُما مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، حتى عدّ سبع أرضين، ثم قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دُلِّيَ رَجُلٌ بِحَبْلٍ حتى يَبْلُغَ أسْفَلَ الأرضِينَ السَّابِعَةِ لَهَبَطَ على اللَّهِ ثم قال: هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ وَهُوَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض، فقال بعضهم لبعض: من أين جئت؟ قال أحدهم: أرسلني ربي من السماء السابعة، وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من الأرض السابعة وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من المشرق وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من المغرب وتركته ثَمّ.

وقوله: ﴿**يَتَنَزَّلُ الأمْرُ بَيْنَهُنَّ**﴾ يقول تعالى ذكره: يتنزّل أمر الله بين السماء السابعة والأرض السابعة، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**يَتَنَزَّلُ الأمْرُ بَيْنَهُنَّ**﴾ قال: بين الأرض السابعة إلى السماء السابعة.

وقوله: ﴿**لِتَعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: ينزل قضاء الله وأمره بين ذلك كي تعلموا أيها الناس كنه قدرته وسلطانه، وأنه لا يتعذّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه أمر شاءه، ولكنه على ما يشاء قدير ﴿**وأنَّ اللَّهَ قَدْ أحاطَ بِكُلّ شَيْءٍ عِلْماً**﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولتعلموا أيها الناس أن الله بكل شيء من خلقه محيط علماً، لا يعزُب عنه مثقالُ ذرّة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. يقول جلّ ثناؤه: فخافوا أيها الناس المخالفون أمر ربكم عقوبته، فإنه لا يمنعه من عقوبتكم مانع، وهو على ذلك قادر، ومحيط أيضاً بأعمالكم، فلا يخفي عليه منها خاف، وهو محصيها عليكم، ليجازيكم بها. يوم تجزى كلّ نفس ما كسبت.

آخر تفسير سورة الطلاق

(٦٦) سورة التحريم مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا أيها النبيّ المحرّم على نفسه ما أحلّ الله له، يبتغي بذلك مرضاة أزواجه، لم تحرّم على نفسك الحلال الذي أحله الله لك، تلتمس بتحريمك ذلك مرضاة أزواجك.

واختلف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جلّ ثناؤه أحله لرسوله، فحرّمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه، فقال بعضهم: كان ذلك مارية مملوكته القبطية، حرّمها على نفسه بيمين أنه لا يقربها طالباً بذلك رضا حفصة بنت عمر زوجته، لأنها كانت غارت بأن خلا بها رسول الله ﷺ في يومها وفي حجرتها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي، قال: ثني ابن أبي مريم، قال: ثنا أبو غسان، قال: ثني زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ أصاب أمّ إبراهيم في بيت بعض نسائه قال: فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي؟، فجعلها عليه حراماً فقالت: يا رسول الله كيف تحرّم عليك الحلال؟، فحلف لها بالله لا يصيبها، فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَاجِكَ﴾** قال: زيد: فقوله أنت عليّ حرام لغو.

حدثني يعقوب، قال: ثني ابن علية، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن الشعبيّ، قال: قال مسروق إن النبيّ ﷺ حرّم جاريته، وآلى منها، فجعل الحلال حراماً، وقال في اليمين: **﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أيمانِكُمْ﴾**.

حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: ثنا سفيان، عن داود، عن الشعبيّ، عن مسروق، قال: آلى رسول الله ﷺ وحرّم، فعوتب في التحريم، وأمر بالكفارة في اليمين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، عن مالك، عن زيد بن أسلم، قال لها: أنت عليّ حرام، ووالله لا أطؤك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَاجِكَ﴾** قال: كان الشعبي يقول: حرّمها عليه، وحلف لا يقربها، فعوتب في التحريم، وجاءت الكفارة في اليمين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة وعامر الشعبيّ، أن النبي ﷺ حرّم جاريته. قال الشعبيّ: حلف بيمين مع التحريم، فعاتبه الله في التحريم، وجعل له كفارة اليمين.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾** قال: إنه وَجَدَتِ امرأة من نساء رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ مع جاريته في بيتها، فقالت: يا رسول الله أنى كان هذا الأمر، وكنتُ أهونهنّ عليك؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «اسْكُتي لا تَذْكُرِي هَذَا لأَحَدٍ، هِيَ عَلَيَّ حَرَامٌ إنْ قَرُبْتُها بَعْدَ هَذَا أبَداً»، فقالت: يا رسول الله وكيف تحرم عليك ما أحلّ الله لك حين تقول: هي عليّ حرام أبداً؟ فقال: وَاللَّهِ لا آتيها أبَداً، فقال الله: **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ماأحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾**... الآية، قد غفرت هذا لك، وقولك والله **﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أيمانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾**.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ماأحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾** كانت لرسول الله ﷺ فتاة، فغشيها، فبصُرت به حفصة، وكان اليوم يومَ عائشة، وكانتا متظاهرتين، فقال رسول الله ﷺ: «اكْتُمي عَلَيَّ وَلا تَذْكُرِي لِعائِشَةَ ما رأيتِ»، فذكرت حفصة لعائشة، فغضبت عائشة. فلم تزل بنبيّ الله ﷺ حتى حلف أن لا يقربها أبداً، فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يكفر يمينه، ويأتي جاريته.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عامر، في قول الله **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ماأحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾** في جارية أتاها، فأطلعت عليه حفصة، فقال: هي عليّ حرام، فاكتمي ذلك، ولا تخبري به أحداً فذكرت ذلك.

وقال آخرون: بل حرم رسول الله ﷺ جاريته، فجعل الله عزّ وجلّ تحريمه إياها بمنزلة اليمين، فأوجب فيها من الكفارة مثل ما أوجب في اليمين إذا حنث فيها صاحبها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله **﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أيمَانِكُمْ﴾** أمر الله النبيّ ﷺ والمؤمنين إذا حرموا شيئاً مما أحلّ الله

لهم أن يكفروا أيمانهم بإطعام عشر مساكين أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، وليس يدخل ذلك في طلاق.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ماأَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**﴾... إلى قوله ﴿**وَهُوَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ قال: كانت حفصة وعائشة متحابتين وكانتا زوجتي النبيّ ﷺ، فذهبت حفصة إلى أبيها، فتحدثت عنده، فأرسل النبيّ ﷺ إلى جاريته، فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتهما في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة، فأخرج رسول الله ﷺ جاريته، ودخلت حفصة فقالت: قد رأيت من كان عندك، والله لقد سُئْتني، فقال النبيّ ﷺ: «واللَّهِ لأُرْضِيَنَّكِ فإنّي مُسِرّ إلَيْكِ سِراً فاحْفَظِيهِ» قالت: ما هو؟ قال: «إنّي أُشْهِدُكِ أنَّ سُرِّيَتِي هَذِهِ عَليَّ حَرَامٌ رِضاً لكِ»، وكانت حفصة وعائشة تظاهران على نساء النبيّ ﷺ، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فأسرّت إليها أن أبشري إن النبيّ ﷺ قد حرّم عليه فتاته، فلما أخبرت بسرّ النبيّ ﷺ أظهر الله عزّ وجلّ النبيّ ﷺ، فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ماأَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ**﴾... إلى قوله ﴿**وَهُوَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا هشام الدستوائي، قال: كتب إليّ يحيى يحدّث عن يعلى بن حكيم، عن سعيد بن جُبير، أن ابن عباس كان يقول: في الحرام يمين تكفرها. وقال ابن عباس: ﴿**لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ يعني أن النبيّ ﷺ حرّم جاريته، فقال الله جلّ ثناؤه: ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ماأَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**﴾... إلى قوله ﴿**قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيمَانِكُمْ**﴾ فكفر يمينه، فصير الحرام يميناً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر، عن أبيه، قال: أنبأنا أبو عثمان أن النبيّ ﷺ دخل بيت حفصة، فإذا هي ليست ثَمّ، فجاءته فتاته، وألقى عليها ستراً، فجاءت حفصة فقعدت على الباب حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته، فقالت: والله لقد سُؤْتَنِي، جامعتها في بيتي، أو كما قالت قال: وحرّمها النبيّ ﷺ، أو كما قال.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ماأَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**﴾... الآية، قال: كان حرم فتاته القبطية أمّ ولده إبراهيم يقال لها مارية في يوم حفصة، وأسرّ ذلك إليها، فأطلعت عليه عائشة، وكانتا تظاهران على نساء النبيّ ﷺ، فأحلّ الله له ما حرّم على نفسه، فأُمر أن يكفرّ عن يمينه، وعوتب في ذلك، فقال: ﴿**قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ قال قتادة: وكان الحسن يقول حرّمها عليه، فجعل الله فيها كفارة يمين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، أن النبيّ ﷺ حرّمها يعني جاريته، فكانت يميناً.

حدثنا سعيد بن يحيى، قال: ثنا أبي، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: من المرأتان؟ قال: عائشة، وحفصة. وكان بدء الحديث في شأن أمّ إبراهيم القبطية، أصابها النبيّ ﷺ في بيت حفصة في يومها، فوجدته حفصة، فقالت: يا نبيّ الله لقد جئت إليّ شيئاً ما جئتَ إلى أحد من أزواجك بمثله في يومي وفي دوري، وعلى فراشي قال: «ألا تَرْضَيْنَ أنْ أُحَرّمَها فَلا أقْرَبَها؟» قالت: بلى، فحرّمها، وقال: «لا تَذْكُري ذلكَ لأَحَدٍ»، فذكرته لعائشة، فأظهره الله عزّ وجلّ عليه، فأنزل الله: **﴿يا أيُها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَجِكَ﴾**... الآيات كلها، فبلغنا أن نبيّ الله ﷺ كفَّر يمينه، وأصاب جاريته.

وقال آخرون: كان ذلك شراباً يشربه، كان يعجبه ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن قيس بن مسلم، عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد، قال: نزلت هذه الآية في شراب **﴿يا أيُها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَجِكَ﴾**.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو قَطن البغدادي عمرو بن الهيثم، قال: ثنا شعبة، عن قيس بن مسلم، عن عبد الله بن شدّاد مثله.

قال: ثنا أبو قطن، قال: ثنا يزيد بن إبراهيم، عن ابن أبي مليكة، قال: نزلت في شراب.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرّمه النبيّ ﷺ على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته، وجائز أن يكون كان شراباً من الأشربة، وجائز أن يكون كان غير ذلك، غير أنه أيّ ذلك كان، فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبين له تحلّة يمينه كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه.

فإن قال قائل: وما برهانك على أنه ﷺ كان حلف مع تحريمه ما حرم، فقد علمت قول من قال: لم يكن من النبيّ ﷺ في ذلك غير التحريم، وأن التحريم هو اليمين؟ قيل: البرهان على ذلك واضح، وهو أنه لا يعقل في لغة عربية ولا عجمية أن قول القائل لجاريته، أو لطعام أو شراب، هذا عليّ حرام يمين، فإذا كان ذلك غير معقول، فمعلوم أن اليمين غير قول القائل للشيء

الحلال له: هو عليّ حرام. وإذا كان ذلك كذلك صحّ ما قلنا، وفسد ما خالفه، وبعد، فجائز أن يكون تحريم النبيّ ﷺ ما حرّم على نفسه من الحلال الذي كان الله تعالى ذكره، أحله له بيمين، فيكون قوله ﴿لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ﴾ معناه: لم تحلف على الشيء الذي قد أحله الله أن لا تقربه، فتحرّمه على نفسك باليمين.

وإنما قلنا: إن النبيّ ﷺ حرّم ذلك، وحلف مع تحريمه، كما:

حدثني الحسن بن قزعة، قال: ثنا مسلمة بن علقمة، عن داود بن أبي هند، عن الشعبيّ، عن مسروق، عن عائشة قالت: آلى رسول الله ﷺ وحرم، فأُمِرَ في الإيلاء بكفارة، وقيل له في التحريم ﴿لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والله غفور يا محمد لذنوب التائبين من عباده من ذنوبهم، وقد غفر لك تحريمك على نفسك ما أحله الله لك، رحيم بعباده أن يعاقبهم على ما قد تابوا منه من الذنوب بعد التوبة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قد بين الله عزّ وجلّ لكم تحلة أيمانكم، وحدّها لكم أيها الناس ﴿وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ﴾ يتولاكم بنصره أيها المؤمنون ﴿وَهُوَ العَلِيمُ﴾ بمصالحكم ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره إياكم، وصرفكم فيما هو أعلم به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ﴾ محمد ﷺ ﴿إلى بَعْضِ أزْوَاجِهِ﴾، وهو في قول ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن بن زيد والشعبي والضحاك بن مزاحم: حَفْصَةُ. وقد ذكرنا الرواية في ذلك قبل.

وقوله: ﴿حَدِيثاً﴾ والحديث الذي أسرّ إليها في قول هؤلاء هو قوله لمن أسرّ إليه ذلك من أزواجه تحريمُ فتاته، أو ما حرّم على نفسه مما كان الله جلّ ثناؤه قد أحله له، وحلفه على ذلك وقوله: «لا تَذْكُرِي ذَلِكَ لأَحَدٍ».

وقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: فلما أخبرت بالحديث الذي أسرّ إليها رسول الله

ﷺ صاحبتها ﴿**وأظهَرَهُ الله عَلَيهِ**﴾ يقول: وأظهر الله نبيه محمد ﷺ على أنها قد أنبأت بذلك صاحبتها.

وقوله: ﴿**عَرَّفَ بَعْضَهُ وأعْرَضَ عَنْ بَعْض**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار غير الكسائي: ﴿**عَرَّفَ**﴾ بتشديد الراء، بمعنى: عرّف النبيّ ﷺ حفصة بعض ذلك الحديث وأخبرها به، وكان الكسائي يذكر عن الحسن البصريّ وأبي عبد الرحمن السلمي وقتادة، أنهم قرأوا ذلك: «عَرَفَ» بتخفيف الراء، بمعنى: عرف لحفصة بعض ذلك الفعل الذي فعلته من إفشائها سرّه، وقد استكتمها إياه: أي غضب من ذلك عليها رسول الله ﷺ، وجازاها عليه من قول القائل لمن أساء إليه: لأعرفنّ لك يا فلان ما فعلت، بمعنى: لأجازينك عليه قالوا: وجازاها رسول الله ﷺ على ذلك من فعلها بأن طلقها.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه ﴿**عَرَّفَ بَعْضَهُ**﴾ بتشديد الراء، بمعنى: عرّف النبيّ ﷺ حفصة، يعني ما أظهره الله عليه من حديثها صاحبتها لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: ﴿**وأعْرَضَ عَنْ بَعْض**﴾ يقول: وترك أن يخبرها ببعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَإذْ أسَرَّ النَّبِيُّ إلى بَعْضِ أزْوَاجِهِ حَدِيثاً**﴾ قوله لها: لا تذكريه ﴿**فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وأظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وأعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ**﴾ وكان كريماً ﷺ.

وقوله: ﴿**فَلَمَّا نَبَّأها بِهِ**﴾ يقول: فلما خبر حفصة نبيّ الله ﷺ بما أظهره الله عليه من إفشائها سرّ رسول الله ﷺ إلى عائشة ﴿**قالت منْ أنبأكَ هَذَا**﴾ يقول: قالت حفصةُ لرسول الله: من أنبأك هذا الخبر وأخبرك به ﴿**قالَ نَبَّأَنِي العَلِيمُ الخَبِيرُ**﴾ يقول تعالى ذكره: قال محمد نبيّ الله لحفصة: خبرني به العليم بسرائر عباده، وضمائر قلوبهم، الخبير بأمورهم، الذي لا يخفى عنه شيء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَلَمَّا نَبَّأها بِهِ قالَتْ مَنْ أنْبأَكَ هَذَا**﴾ ولم تشكّ أن صاحبتها أخبرت عنها ﴿**قالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الخَبِيرُ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن تتوبا إلى الله أيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله ﷺ من اجتنابه جاريته، وتحريمها على نفسه، أو تحريم ما كان له حلالاً مما حرّمه على نفسه بسبب حفصة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إنْ تَتُوبا إلى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما**﴾ يقول: زاغت قلوبكما، يقول: قد أثمت قلوبكما.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا محمد بن طلحة، عن زبيد، عن مجاهد قال: كنا نرى أن قوله: ﴿**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما**﴾ شيء هين، حتى سمعت قراءة ابن مسعود: «إن تَتُوبا إلى اللَّهُ فَقَدْ زاغَتْ قُلُوبَكُما».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما**﴾: أي مالت قلوبكما.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن قتادة ﴿**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما**﴾ مالت قلوبكما.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما**﴾ يقول: زاغت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**صَغَتْ قُلُوبَكُما**﴾ قال: زاغت قلوبكما.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**إنْ تَتُوبا إلى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما**﴾ قال: سرهما أن يجتنب رسول الله ﷺ جاريته، وذلك لهما موافق ﴿**صَغَتْ قُلُوبَكُما**﴾ إلى أن سرّهما ما كره رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿**وَإنْ تَظاهَرَا عَلَيْهِ**﴾ يقول تعالى ذكره للتي أسّر إليها رسول الله ﷺ حديثه، والتي أفشت إليها حديثه، وهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن أبي ثور، عن ابن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج رسول الله ﷺ، اللتين قال الله جلّ ثناؤه: ﴿**إِنْ تَتُوبا إِلى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبكُما**﴾ قال: فحجّ عمر، وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر، وعدلت معه بإداوة، ثم أتاني فسكبت على يده وتوضأ فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبيّ ﷺ اللتان قال الله لهما: ﴿**إِنْ تَتُوبا إِلى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما**﴾ قال عمر: واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهري: وكره والله ما سأله ولم يكتم، قال: هي حفصة وعائشة قال: ثم أخذ يسوق الحديث، فقال: كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة، ثم ذكر الحديث بطوله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن أشهب، عن مالك، عن أبي النضر، عن عليّ بن حسين، عن ابن عباس، أنه سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المتظاهرتين على رسول الله ﷺ، فقال: عائشة وحفصة.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا سفيان، عن يحيى بن سعيد، عن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس يقول: مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المتظاهرتين، فما أجد له موضعاً أسأله فيه حتى خرج حاجاً، وصحبته حتى إذا كان بمرّ الظُّهران ذهب لحاجته، وقال: أدركني بإداوة من ماء فلما قضى حاجته ورجع، أتيته بالإداوة أصبها عليه، فرأيت موضعاً، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان المتظاهرتان على رسول الله ﷺ؟ فما قضيت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا عمر بن يونس، قال: ثنا عكرمة بن عمار، قال: ثنا سماك أبو زميل، قال: ثني عبد الله بن عباس، قال: ثني عمر بن الخطاب، قال: لما اعتزل نبيّ الله ﷺ نساءه، دخلت عليه وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله ما شقّ عليك من شأن النساء، فلئن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته، وجبرائيل وميكائيل، وأنا وأبو بكر معك، وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام، إلا رجوت أن يكون الله مصدّق قولي، فنزلت هذه الآية، آية التخيير: ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ**﴾، ﴿**وَإِنْ تَظاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مُوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُوءْمِنِينَ...**﴾ الآية، وكانت عائشة ابنة أبي بكر وحفصة تتظاهران على سائر نساء النبيّ ﷺ.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول

في قوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ يقول: على معصية النبيّ ﷺ وأذاه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال ابن عباس لعمر: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسألك عن أمر وإني لأهابك، قال: لا تهبني، فقال: من اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ؟ قال: عائشة وحفصة.

وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: فإن الله هو وليه وناصره، وصالح المؤمنين، وخيار المؤمنين أيضاً مولاه وناصره.

وقيل: عني بصالح المؤمنين في هذا الموضع: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن الحسن الأزدي، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن عبد الوهاب، عن مجاهد، في قوله ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: أبو بكر وعمر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك، في قوله: ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: خيار المؤمنين أبو بكر الصدّيق وعمر.

حدثنا إسحاق بن إسرائيل، قال: ثنا الفضل بن موسى السيناني من قرية بمرو يقال لها سينان عن عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: أبو بكر وعمر.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: خيار المؤمنين.

وقال آخرون: عُني بصالح المؤمنين: الأنبياء صلوات الله عليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: هم الأنبياء.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: هم الأنبياء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الأنبياء.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن قوله: ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وإن كان في لفظ

واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو بمعنى قوله ﴿إِنَّ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ فالإنسان وإن كان في لفظ واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو نظير قول الرجل: لا تَقريَنّ إلا قارىء القرآن، يقال: قارىء القرآن، وإن كان في اللفظ واحداً، فمعناه الجمع، لأنه قد أذن لكلّ قارىء القرآن أن يقربه، واحداً كان أو جماعة.

وقوله: ﴿وَالمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلكَ ظَهِيرٌ﴾ يقول: والملائكة مع جبريل وصالح المؤمنين لرسول الله ﷺ أعوان على من آذاه، وأراد مساءته. والظهير في هذا الموضع بلفظ واحد في معنى جمع. ولو أخرج بلفظ الجميع لقيل: والملائكة بعد ذلك ظهراء. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ﴾ قال: وبدأ بصالح المؤمنين ها هنا قبل الملائكة، قال: ﴿والمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلكَ ظَهِيرٌ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾.

يقول تعالى ذكره: عسى ربّ محمد إن طلقكنّ يا معشر أزواج محمد ﷺ أن يبدله منكنّ أزواجاً خيراً منكن.

وقيل: إن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ تحذيراً من الله نساءه لما اجتمعن عليه في الغيرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم، قالا: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة فقلت لهنّ: عسى ربه إن طلقهن أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ، قال: فنزل كذلك.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن حميد، عن أنس، عن عمر، قال: بلغني عن بعض أمهاتنا، أمهات المؤمنين شدّة على رسول الله ﷺ وأذاهنّ إياه، فاستقريتهنّ امرأة امرأة، أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله ﷺ، وأقول: إن أبيتنّ أبدله الله خيراً منكن، حتى أتيت، حسبت أنه قال على زينب، فقالت: يا بن الخطاب، أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهنّ أنت؟ فأمسكت، فأنزل الله ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيراً مِنكُنَّ﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس، قال: قال عمر بن الخطاب: بَلغني عن أمهات المؤمنين شيء، فاستقريتهنّ أقول: لتكففن عن رسول الله ﷺ، أو ليبدلنه الله أزواجاً خيراً منكنّ، حتى أتيت على إحدى أمهات المؤمنين، فقالت: يا عمر أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهنّ أنت؟ فكففت، فأنزل الله ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَجا خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤمِناتٍ**﴾... الآية.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**أَنْ يُبْدِّلَهُ**﴾ فقرأ ذلك بعض قرّاء مكة والمدينة والبصرة بتشديد الدال: «يبدّله أزواجاً» من التبديل وقرأه عامة قرّاء الكوفة: ﴿**يُبْدِ له**﴾ بتخفيف الدال من الإبدال.

والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿**مُسْلِماتٍ**﴾ يقول: خاضعات لله بالطاعة ﴿**مُؤْمِناتٍ**﴾ يعني مصدّقات بالله ورسوله.

وقوله ﴿**قَانِتات**﴾ يقول: مطيعات لله، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله ﴿**قانِتاتٍ**﴾ قال: مطيعات.

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**قانِتاتٍ**﴾ قال مطيعات.

وقوله: ﴿**تائِباتٍ**﴾ يقول: راجعات إلى ما يحبه الله منهنّ من طاعته عما يكرهه منهنّ ﴿**عابِدَاتٍ**﴾ يقول: متذللات لله بطاعته. وقوله ﴿**سائحاتٍ**﴾ يقول: صائمات.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿**سائحات**﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: صائمات.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**سائحات**﴾ قال: صائمات.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**سَائحاتٍ**﴾ قال: صائمات.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال ﴿**السَّائحات**﴾: الصائمات.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**سائحاتٍ**﴾ يعني: صائمات.

وقال آخرون: السائحات: المهاجرات.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا إسحق بن أبي إسرائيل، قال: ثنا عبد العزيز بن محمد الدراورديّ، عن زيد بن أسلم، قال: السائحات: المهاجرات.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**سائحات**﴾ قال: مهاجرات ليس في القرآن، ولا في أمة محمد سياحة إلا الهجرة، وهي التي قال الله ﴿**السَّائحُونَ**﴾.

وقد بيَّنا الصواب من القول في معنى السائحين فيما مضى قبل بشواهده مع ذكرنا أقوال المختلفين فيه، وكرهنا إعادته.

وكان بعض أهل العربية يقول: نرى أن الصائم إنما سمي سائحاً، لأن السائح لا زاد معه، وإنما يأكل حيث يجد الطعام، فكأنه أُخذ من ذلك.

وقوله: ﴿**ثَيِّباتٍ**﴾ وهنّ اللواتي قد افترعن وذهبت عذرتهنّ ﴿**وأبكاراً**﴾ وهنّ اللواتي لم يجامعن، ولم يفترعن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿**قُوا أنْفُسَكُمْ**﴾ يقول: علموا بعضكم بعضاً ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله.

وقوله: ﴿**وأهْلِيكُمْ ناراً**﴾ يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن رجل، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: ﴿**قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ ناراً وَقُودها النَّاسُ والْحِجارَةُ**﴾ قال: علِّموهم، أدّبوهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن رجل، عن علي ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ ناراً**﴾ يقول: أدّبوهم، علّموهم.

حدثني الحسين بن يزيد الطحان، قال: ثنا سعيد بن خثيم، عن محمد بن خالد الضبيّ، عن الحكم، عن عليّ بمثله.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وأَهلِيكُمْ ناراً**﴾ يقول: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وأَهلِيكُمْ ناراً**﴾ قال: اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وأَهلِيكُمْ ناراً وَقودُها النَّاسُ والْحِجارَةُ**﴾ قال: قال يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وأَهلِيكُمْ ناراً**﴾ قال: مروهم بطاعة الله، وانهوهم عن معصيته.

وقوله: ﴿**وَقُودُها النَّاسُ**﴾ يقول: حطبها الذي يوقد على هذه النار بنو آدم وحجارة الكبريت.

وقوله: ﴿**عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ**﴾ يقول: على هذه النار ملائكة من ملائكة الله، غلاظ على أهل النار، شداد عليهم ﴿**لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ**﴾ يقول: لا يخالفون الله في أمره الذي يأمرهم به ﴿**وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ**﴾ يقول: وينتهون إلى ما يأمرهم به ربهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧)﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيله يوم القيامة للذين جحدوا وحدانيته في الدنيا ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ باللَّهِ ﴿**لا تَعْتَذِرُوا اليَوْمَ إنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ يقول: يقال لهم: إنما تثابون اليوم، وذلك يوم القيامة، وتعطون جزاء أعمالكم التي كنتم في الدنيا تعملون، فلا تطلبوا المعاذير منها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ﴿تُوبُوا إلى اللَّهِ﴾ يقول: ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله، وإلى ما يرضيه عنكم ﴿تَوْبَةً نَصُوحاً﴾ يقول: رجوعاً لا تعودون فيها أبداً. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿نَصُوحاً﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد بن السَّريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن النعمان بن بشير، قال: سُئل عمر عن التوبة النصوح، قال: التوبة النصوح: أن يتوب الرجل من العمل السيء، ثم لا يعود إليه أبداً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر، قال: التوبة النصوح: أن تتوب من الذنب ثم لا تعود فيه، أو لا تريد أن تعود.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك بن حرب، قال: سمعت النعمان بن بشير يخطب، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾ قال: يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، قال: سألت عمر عن قوله ﴿تُوبُوا إلى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحا﴾ قال: هو العبد يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أبداً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: التوبة النصوح، أن يتوب من الذنب فلا يعود.

حدثنا به ابن حميد مرّة أخرى، قال: أخبرني عن عمر بهذا الإسناد، فقال: التوبة النصوح: الذي يذنب ثم لا يريد أن يعود.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله ﴿**تَوْبَةً نَصُوحاً**﴾ قال: يتوب ثم لا يعود.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: التوبة النصوح: الرجل يذنب الذنب ثم لا يعود فيه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً**﴾ أن لا يعود صاحبها لذلك الذنب الذي يتوب منه، ويقال: توبته أن لا يرجع إلى ذنب تركه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثني الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**تَوْبَةً نَصُوحاً**﴾ قال: يستغفرون ثم لا يعودون.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأوديّ، قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿**تَوْبَةً نَصُوحاً**﴾ قال: النصوح: أن تحول عن الذنب ثم لا تعود له أبداً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً**﴾ قال: هي الصادقة الناصحة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد، في قول الله: ﴿**تُوبُوا إلى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً**﴾ قال: التوبة النصوح الصادقة، يعلم أنها صدق ندامة على خطيئته، وحبّ الرجوع إلى طاعته، فهذا النصوح.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة الأمصار خلا عاصم: ﴿**نَصُوحاً**﴾ بفتح النون على أنه من نعت التوبة وصفتها، وذُكر عن عاصم أنه قرأه: «نُصُوحاً» بضمّ النون، بمعنى المصدر من قولهم: نصح فلان لفلان نصوحاً.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ بفتح النون على الصفة للتوبة لإجماع الحجة على ذلك.

وقوله: ﴿**عَسَى رَبُّكُمْ أن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ**﴾ يقول: عسى ربكم أيها المؤمنون أن يمحو سيئات أعمالكم التي سلفت منكم ﴿**وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تجري مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ**﴾ يقول: وأن يدخلكم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿**يَوْمَ لا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ**﴾ محمداً ﷺ ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أيْدِيهِمْ**﴾ يقول: يسعى نورهم أمامهم ﴿**وبأيمَانِهِمْ**﴾ يقول: وبأيمانهم كتابهم، كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿يَوْمَ لا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾... إلى قوله: ﴿وبأيمانِهِمْ﴾ يأخذون كتابهم فيه البشرى.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنا أتْمِمْ لَنا نُورَنا وَاغْفِر لَنا﴾ يقول جلّ ثناؤه مخبراً عن قيل المؤمنين يوم القيامة: يقولون ربنا أتمم لنا نورنا، يسألون ربهم أن يبقي لهم نورهم، فلا يطفئه حتى يجوزوا الصراط، وذلك حين يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ﴿انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿رَبَّنا أتْمِمْ لَنا نُورَنا﴾ قال: قول المؤمنين حين يُطْفأ نور المنافقين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عاصم، عن الحسن، قال: ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، يعطى المؤمن والمنافق، فيطفأ نور المنافق، فيخشى المؤمن أن يطفأ نوره، فذلك قوله: ﴿رَبَّنا أتْمِمْ لَنا نُورَنا﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن يزيد بن شجرة، قال: كان يذكرنا ويبكي، ويصدّق قوله فعله، يقول: يا أيها الناس إنكم مكتوبون عند الله عزّ وجلّ بأسمائكم وسيماكم، ومجالسكم ونجواكم وخلائكم، فإذا كان يومُ القيامة قيل: يا فلانُ بْنَ فلان هاكَ نورَك، ويا فلانُ بْنَ فلان، لا نور لك.

وقوله: ﴿وَاغْفِرْ لَنا﴾ يقول: واستر علينا ذنوبنا، ولا تفضحنا بها بعقوبتك إيانا عليها﴿إنَّكَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: إنك على إتمام نورنا لنا، وغفران ذنوبنا، وغير ذلك من الأشياء ذو قدرة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ جاهِد الكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالمُنافِقينَ﴾ بالوعيد واللسان. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ جاهِدِ الكُفَّارَ والمُنافِقِينَ**﴾ قال: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجاهد الكفار بالسيف، ويغلظ على المنافقين بالحدود.

﴿**وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾ يقول: واشدد عليهم في ذات الله ﴿**ومَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ**﴾ يقول: ومكثهم جهنم، ومصيرهم الذي يصيرون إليه نار جهنم ﴿**وَبِئْسَ المَصِيرُ**﴾ قال: وبئس الموضع الذي يصيرون إليه جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: مَثَّل الله مثلاً للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين من عبادنا، وهما نوح ولوط فخانتاهما.

ذُكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: إنه مجنون. وأن خيانة إمرأة لوط، أن لوطاً كان يُسِرّ الضيف، وتَدُلّ عليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن قيس، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فَخانَتاهُما**﴾ قال: كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون. وكانت امرأة لوط تَدُلّ على الضيف.

حدثنا محمد بن منصور الطوسي، قال: ثنا إسماعيل بن عمر، قال: ثنا سفيان، عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قيس، قال: سمعت ابن عباس قال في هذه الآية: أما امرأة نوح، فكانت تخبر أنه مجنون وأما خيانة امرأة لوط، فكانت تَدُلّ على لوط.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي عامر الهمداني، عن الضحاك ﴿**كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ**﴾ قال: ما بغت امرأة نبيّ قط ﴿**فَخانَتاهُما**﴾ قال: في الدين خانتاهما.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرأةَ نُوحٍ وَامْرأةَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا**

صَالِحَيْنِ فَخانَتاهُما﴾ قال: كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، فكان ذلك من أمرها وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطاً أحد خبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء **﴿فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾**.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن أبي سعيد، أنه سمع عكرمة يقول في هذه الآية **﴿فَخانَتاهُما﴾** قال: في الدين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، في قوله **﴿كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صَالِحَيْنِ فَخانَتاهُما﴾** قال: وكانت خيانتهما أنهما كانتا مشركتين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: عبيد بن سليمان، عن الضحاك **﴿فَخانَتاهُما﴾** قال: كانتا مخالفتين دين النبيّ ﷺ كافرتين بالله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي، قال: سألت سعيد بن جبير: ما كانت خيانة امرأة لوط وامرأة نوح؟ فقال: أما امرأة لوط، فإنها كانت تدلّ على الأضياف وأما امرأة نوح فلا علم لي بها.

وقوله: **﴿فَلَمْ يُغْنيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾** يقول: فلم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما من الله لما عاقبهما على خيانتهما أزواجهما شيئاً، ولم ينفعهما أن كانت أزواجهما أنبياء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرأةَ نُوحٍ وامْرأةَ لُوطٍ﴾**... الآية، هاتان زوجتا نَبِيِّي الله لما عصتا ربهما، لم يغن أزواجهما عنهما من الله شيئاً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرأةَ نُوحٍ وامْرأةَ لُوطٍ﴾**... الآية، قال: يقول الله: لم يغن صلاح هذين عن هاتين شيئاً، وامرأة فرعون لم يضرّها كفر فرعون.

وقوله: **﴿وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾** قال الله لهما يوم القيامة: ادخلا أيتها المرأتان نار جهنم مع الداخلين فيها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وضرب الله مثلاً للذين صدّقوا الله ووحدوه، امرأة فرعون التي آمنت بالله ووحدته، وصدّقت رسوله موسى، وهي تحت عدوّ من أعداء الله كافر، فلم يضرّها كفر زوجها، إذ كانت مؤمنة بالله، وكان من قضاء الله في خلقه أن لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن لكلّ نفس ما كسبت، إذ قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً في الْجَنَّةِ﴾، فاستجاب الله لها فبنى لها بيتاً في الجنة، كما:

حدثني إسماعيل بن حفص الأيلي(١)، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن سليمان التيميّ، عن أبي عثمان، عن سلمان، قال: كانت امرأة فرعون تعذّب بالشمس. فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة.

حدثنا محمد بن عبيد المحاربيّ، قال: ثنا أسباط بن محمد، عن سليمان التيميّ، عن أبي عثمان، قال: قال سلمان: كانت امرأة فرعون، فذكر نحوه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن هشام الدستوائي، قال: ثنا القاسم بن أبي بَزَّة، قال: كانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت بربّ موسى وهارون فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في السماء، فمضت على قولها، فانتزع الله روحها، وأُلقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ وكان أعتى أهل الأرض على الله، وأبعده من الله، فوالله ما ضرّ امرأته كُفر زوجها حين أطاعت ربها، لتعلموا أن الله حكم عدل، لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه.

وقوله: ﴿ونجِّني مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ وتقول: وأنقذني من عذاب فرعون، ومن أن أعمل عمله، وذلك كفره بالله.

---

(١) بهمزة، ثم موحدة مضمومتين، نسبه إلى الأبلة.

وقوله: ﴿وَنجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ تقول: وأخلصني وأنقذني من عمل القوم الكافرين بك، ومن عذابهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها﴾ يقول: التي منعت جيب درعها جبريل عليه السلام، وكلّ ما كان في الدرع من خرق أو فتق، فإنه يسمى فَرْجاً، وكذلك كلّ صدع وشقّ في حائط، أو فرج سقف فهو فرج.

وقوله: ﴿فَنَفَخْنا فِيهِ منْ رُوحِنا﴾ يقول: فنفخنا فيه في جيب درعها، وذلك فرجها، من روحنا من جبرئيل، وهو الروح. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا﴾ فنفخنا في جيبها من روحنا.

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها﴾ يقول: آمنت بعيسى، وهو كلمة الله ﴿وكُتُبِهِ﴾ يعني التوراة والإنجيل ﴿وكانَتْ مِنَ القانِتِينَ﴾ يقول: وكانت من القوم المطيعين. كما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿مِنَ القانِتِينَ﴾ من المطيعين.

آخر تفسير سورة التحريم

تمّ الجزء الثامن والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري،

ويليه الجزء التاسع والعشرون

وأوله: تفسير سورة الملك

محتوى الجزء الثامن والعشرين من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة المجادلة	
١	قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها	٥
٢	الذين يظاهرون منكم من نسائهم .	١٠٦
٣	والذين يظاهرون من نسائهم	١٢
٤	فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين	١٤
٥	إن الذين يحادون الله كتبوا	١٦
٦	يوم يبعثهم الله جميعاً	١٧
٧	ألم تر أن الله يعلم ما في السموات	١٧
٨	ألم تر إلى الذين نُهوات عن النجْوَى	١٨
٩	يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم	٢٠
١٠	إنما النجوَى من الشيطان	٢٠
١١	يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا	٢٢
١٢	يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول	٢٥
١٣	أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم	٢٧
١٤	ألم تر إلى الذين تولَّوا قوماً غضب الله	٢٨
١٥	أعدّ الله لهم عذاباً شديداً	٢٩
١٦	اتخذوا أيمانهم جنة فصدّوا	٢٩
١٧	لن تغنَى عنهم أموالهم	٣٠
١٨	يوم يبعثهم الله جميعاً	٣٠
١٩	اتسحوذ عليهم الشيطان	٣١
٢٠	إن الذين يحادّون الله ورسوله	٣١
٢١	كتب الله لأغلبن	٣١
٢٢	لا تجد قوماً يؤمنون بالله	٣٢
	سورة الحشر	
١	سبِّح لله ما في السموات وما في الأرض	٣٤
٢	هو الذي أخرج الذين كفروا	٣٤
٣	ولولا أن كتب الله عليهمُ الجَلاء .	٣٨
٤	ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله	٣٨
٥	ما قطعتم من لينة أو تركتموها	٣٩
٦	وما أفاء الله على رسوله	٤٢
٧	ما أفاء الله على رسوله من أهل القُرى	٤٤
٨	للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا	٤٨
٩	والذين تبوءوا الدار والإيمان	٤٨
١٠	والذين جاءوا من بعده يقولون	٥٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١	ألم تر إلى الذين نافقوا	٥٤
١٢	لئن أخرجوا لا يخرجون معهم	٥٥
١٣	لأنتم أشد رهبة في صدورهم	٥٥
١٤	لا يقاتلونكم جميعاً إلاّ في قرى محصنة	٥٥
١٥	كمثل الذين من قبلهم قريباً	٥٧
١٦	كمثل الشيطان إذ قال للإنسان	٥٧
١٧	فكان عاقبتهما أنهما في النار	٦٠
١٨	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله	٦٠
١٩	ولا تكونوا كالذين نسُوا الله	٦٢
٢٠	لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة	٦٢
٢١	لو أنزلنا هذا القرآن على جبل	٦٢
٢٢	هو الله لا إلٰه إلاّ هو	٦٣
٢٣	هو الله الذي لا إلٰه إلاّ هو	٦٣
٢٤	هو الله الخالق البارىء المصوِّر	٦٦

سورة الممتحنة

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عَدُوِّى	٦٧
٢	إن يثقفوكم يكون لكم أعداء	٧١
٣	لن تنفعكم أرحامُكم ولا أولادكم	٧١
٤	قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم	٧٢
٥	ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا	٧٤
٦	لقد كان لكم فيهم أُسوة حسنة	٧٤
٧	عسى الله عن الذين بينكم وبين الذين	٧٥
٨	لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم	٧٦
٩	إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم	٧٧
١٠	يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكُمُ المؤمنات	٧٨
١١	وإن فاتكم شيء من أزواجكم	٨٥
١٢	يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات	٨٨
١٣	يا أيها الذين آمنوا لا تتولَّوا قوماً	٩٢

سورة الصفّ

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	سبح لله ما في السموات وما في الأرض	٩٥
٢	يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون	٩٥
٣	كبُر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون	٩٥
٤	إن الله يحبُّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً	٩٧
٥	وإذا قال موسى لقومه يا قوم	٩٨
٦	وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل	٩٩
٧	ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب	٩٩
٨	يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم	٩٩
٩	هو الذي أرسل رسوله بالهدى	١٠٠
١٠	يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم	١٠١
١١	تؤمنون بالله ورسوله	١٠١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٢	يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات	١٠٢
١٣	وأخرى تحبونها نصر من الله	١٠٢
١٤	يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله	١٠٢

سورة الجمعة

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	يسبِّح لله ما في السموات وما في الأرض	١٠٦
٢	هو الذي بعث في الأميِّين رسولاً منهم	١٠٦
٣	وآخرين منهم لما يلحَقوا بهم	١٠٨
٤	ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء	١٠٨
٥	مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها	١١٠
٦	قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم	١١١
٧	ولا يتمنونه أبداً بما قدمتْ أيديهم	١١٢
٨	قل إن الموت الذي تفرُّون منه	١١٢
٩	يا أيها الذين آمنوا إذا نُودي للصلاة	١١٢
١٠	فإذا قُضِيت الصلاة فانتشروا	١١٦
١١	وإذا رأوا تجارة أو لَهْوا انفضوا إليها	١١٧

سورة المنافقين

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	إذا جاءك المنافقون قالوا	١٢٠
٢	اتخذوا أيمانهم جُنة فصَدوا	١٢٠
٣	ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا	١٢١
٤	وإذا رأيتهم تُعجِبُك أجسامهم	١٢١
٥	وإذا قيل لهم تعالَوا يستغفر لكم	١٢٢
٦	سواء عليهم أتسغفرت لهم	١٢٥
٧	هم الذين يقولون لا تنِفقُوا على من	١٢٥
٨	يقولون لئن رجعنا إلى المدينة	١٢٦
٩	يا أيها الذين آمنوا لا لهكم أموالكم	١٣١
١٠	وأنفقوا من ما رزقناكم	١٣٢
١١	ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلُها	١٣٢

سورة التغابن

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	يسبِّح لله ما في السموات وما في الأرض	١٣٤
٢	هو الذي خلقكم فمنكم كافر	١٣٤
٣	خلق السموات والأرض بالحق	١٣٥
٤	يعلم ما في السموات والأرض	١٣٥
٥	ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل	١٣٥
٦	ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات	١٣٥
٧	زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا	١٣٦
٨	فآمنوا بالله ورسوله والنور	١٣٦
٩	يوم يجمعكم ليوم الجمع	١٣٧
١٠	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا	١٣٧
١٢	وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول	١٣٩
١٣	الله لا إله إلاّ هو	١٣٩
١٤	يا أسيها الذين آمنوا إن من أزواجكم	١٣٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥	إنما أموالكم وأولادكم فتنة	١٤١
١٦	فاتقوا الله ما استطعتم	١٤٢
١٧	إن تُقرضوا الله قرضاً حسناً	١٤٣
١٨	عالم الغيب والشهادة	١٤٣

سورة الطلاق

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	يا أيها النبي إذا طلقتمُ النساء	١٤٤
٢	فإذا بلغْن أجلهن فأمسكوهن	١٤٤
٣	ويرزقه من حيث لا يحتسب	١٤٤
٤	واللائي يئسن من المحيض من نسائكم	١٥٧
٥	ذلك أمر الله أنزله إليكم	١٦٢
٦	أسكنوهن من حيث سكنتم من وُجْدكم	١٦٢
٧	سيجعل الله بعد عُسر يُسرا	١٦٨
٨	فآمنوا بالله ورسوله والنور	١٣٦
٩	يوم يجمعكم ليوم الجمع	١٣٧
١٠	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا	١٣٧
١١	ما أصاب من مصيبة إلاّ بإذن الله .	١٣٨
١٢	وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول	١٣٩
١٣	الله لا إله إلاّ هو	١٣٩
١٤	يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم	١٣٩
١٥	إنما أموالكم وأولادكم فتنة	١٤١
١٦	فاتقوا الله ما استطعتم	١٤٢
١٧	إن تُقرضوا الله قرضاً حسناً	١٤٣
١٨	عالم الغيب والشهادة	١٤٣

سورة الطلاق

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	يا أيها النبي إذا طلقتمُ النساء	١٤٤
٢	فإذا بلغْن أجلهن فأمسكوهن	١٤٤
٣	ويرزقه من حيث لا يحتسب	١٤٤
٤	واللائي يئسن من المحيض من نسائكم	١٥٧
٥	ذلك أمر الله أنزله إليكم	١٦٢
٦	أسكنوهن من حيث سكنتم من وُجْدكم	١٦٢
٧	سيجعل الله بعد عُسر يُسرا	١٦٨
٨	وكأيِّن من قرية عتت عن أمر ربها	١٦٨
٩	فذاقت وبال أمرها	١٦٨
١٠	أعد الله لهم عذاباً شديداً	١٧٠
١١	رسولاً يتلو عليكم آيات الله	١٧١
١٢	الله الذي خلق سبع سموات	١٧١

سورة التحريم

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك	١٧٤
٢	قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ..	١٧٨
٣	وإذ أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً	١٧٨
٤	أن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما	١٨٠
٥	عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً	١٨٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦	يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم	١٨٥
٧	يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم	١٨٦
٨	يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله ...	١٨٧
٩	يا أيها النبي جاهد الكفار	١٨٩
١٠	ضرب الله نثلاً للذين كفروا	١٩٠
١١	وضرب الله مثلاً للذين آمنوا	١٩٢
١٢	ومريم ابنت عمران	١٩٣